يوليو 2020 م
ذو القعدة 1441هـ
العدد الثاني

مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية ICEFS

The International Center for Educational and Family Strategies

ISSN 2633-206X

London United Kingdom

July 2020 Vol.1, No.2

مجلة

سناد للبحوث والدراسات التربوية والأسرية

SENAD for Education and Family Research

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة سِنَاد للبحوث
والدراسات التربوية والأسرية
SENAD for Education and Family Research
ISSN 2633-206X
السنة (1)
العدد الثاني
يوليو 2020م
ذو القعدة 1441هـ

تصدر عن

المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية / لندن-بريطانيا

www.icefs.net
info@icefs.net

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

مهتمة بقضايا التربية والأسرة والمجتمع والإنسان

رئيس التحرير

د. مصطفى بن أحمد الحكيم

نائب رئيس التحرير

د. ماجد بن عبد الله العصيمي

مدير التحرير

د. رشيد كهوس

هيئة التحرير

أ.د حمادي نايت شريف — د. خالد صلاح حنفي

أ.د سميرة الرفاعي — د. عادل مطـــرب

د. محمد البدوي

المراجعة اللغوية: ذ. يونس نشاط

المراسلات

توجه جميع المراسلات باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:

United Kingdom , London , 27 Old Gloucester Street , WC1N3AX

البريد الإلكتروني: senadmagazine@gmail.com

مجلة سِنَاد للبحوث والدراسات التربوية والأسرية

SENAD for Education and Family Research

مجلة محكمة نصف سنوية

الترقيم الدولي المعياري للمجلة: ISSN 2633-206X

United Kingdom

رابط المجلة الإلكتروني:

http://www.icefs.net/archives/icefs-category/publications/senad-magazine

المجلة متاحة للعرض إلكترونيا في قواعد البيانات والمعلومات العربية والدولية الآتية:

- قواعد بيانات شبكة المعلومات العربية التربوية "شمعة" /بيروت – لبنان

ملحوظة: تحتفظ مجلة سناد بحقوقها الفكرية كاملة، ولا يعد عرض محتوياتها ضمن قواعد المعلومات المذكورة بيعا أو تنازلا، وإنما تيسيرا لوصول الأبحاث للقارئ العربي والعالمي، وضمانا لسعة الاطلاع، وسرعة الانتشار، وحصول الاستفادة

الهيئة الاستشارية

الاسم	المؤسسة	الدولة
د. خالد صلاح حنفي	جامعة الإسكندرية / الإسكندرية	مصر
أ. د. أنور غيتسيتش	كلية الدراسات الإسلامية / نوفي بازار	صربيا
د. أحمد الأمراني	كلية الشريعة / فاس	المغرب
أ. د. إدريس جويلل	جامعة المولى إسماعيل / مكناس	المغرب
د. محمد الطناجي	معهد البحوث والدراسات العربية / القاهرة	مصر
أ.د. ضياء الدين محمد عطية مطاوع	جامعة المنصورة / جامعة جدة	مصر
أ. د. سهام موعد	كلية الدراسات الإسلامية / نوفي بازار	صربيا
د. وفاء توفيق	وزارة التربية الوطنية / مكناس	المغرب
د. بلخير هانم	المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين / وجدة	المغرب
أ. د. زكرياء محمد هيبة	جامعة طيبة / المدينة المنورة	مصر
أ. د. مجدي يونس	جامعة المنوفية	مصر
د. وسيم أبو ياسين	الجامعة اللبنانية الدولية	لبنان
أ. د. فاضل خليل إبراهيم	جامعة الموصل	العراق

محتويات العدد

العدد (2) – السنة الأولى / يوليو 2020

افتتاحية العدد	رئيس التحرير	6

دراسات وأبحاث

الصلح بالوساطة بين الزوجين في قضايا الطلاق بين الفقه الإسلامي والقانون المغربي د. رشيد محمد طهريوي	9
الكفاءة الزوجية وأثرها على الزواج: دراسة تحليلية أ.د. مزاحم مهدي النجار	35
نحو تفعيل منظومة القيم العليا من خلال علم التزكية: مقاربة تربوية د. محمد إلياس المراكشي	59
مسكن ممارسة الحضانة كأحد إشكالات فك الرابطة الزوجية: دراسة قانونية وفق التشريع الجزائري د. نبيل ونوغي ذ. عبد المالك أحمد رقاني	79
تدريسُ الفلسفة للأطفالِ باستخدام مقاربة الدراما في التّعليم نَحْوَ فَلسَفَةٍ تكَوُّنِيَّة ذ. نعيم محمد حيماد	95
الفقر كظاهرة اجتماعية ترفع من معدلات التسرب المدرسي في الجزائر دراسة ميدانية على عينة من العائلات القاطنة بالأحياء القصديرية (حي بوعباز) بسكيكدة-الجزائر د. عبيد مزيان طاوس	110
فاعلية استخدام تقنية الحرية الانفعالية الروحية في خفض الغضب كسمة لدى الفتيات ذوات الإعاقة السمعية د. زهير عبد الحميد النواجحة	136
هيمنة الإديولوجيا الحداثية.. وتحديات ترسيخ الأخلاق والقيم الإسلامية د. الحسن علال العزاوي ذ. فاطمة عبد السلام حجحوج	155
التمثلات الاجتماعية للطالب الجامعي حول عوامل النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري دراسة ميدانية بجامعة الشيخ العربي تبسي تبسة (الجزائر) ذ. حنان لحبيب بوطورة د. سميرة إبراهيم منصوري	182

قراءات ومراجعات

مفهوم التربية عند جان جاك روسو دراسة تحليلية لكتاب إميل أوالتربية من المهد إلى الرشد ذ. هشام محمد المنجلي	206
التقرير العربي العاشر للتنمية الثقافية لعام 2018 "الابتكار أو الاندثار - البحث العلمي العربي: واقعه وتحدياته وآفاقه" د. خالد صلاح حنفي	219

مهارات وتعلمات

تنمية المهارات والقدرات لدى الشباب من خلال السيرة النبوية د. رشيد كهوس	229

حوارات ومناقشات

حوار مع المفكر والاستشاري الدولي سعادة الدكتور إدريس أوهلال حاوره: د. عادل مطرب	238

إصدارات المركز

صدور كتاب المؤتمر الدولي المشترك: الاتجاهات العالمية المعاصرة في العلوم الإنسانية والاجتماعية	245

مؤتمرات المركز

تقرير عن المؤتمر الدولي الرابع: الأسرة المسلمة في المجتمعات الغربية: الفرص والتحديات عن بعد	247
تقرير عن المؤتمر الدولي الخامس: الأسرة في زمن كورونا: الفرص والتحديات عن بعد	250

لمعات وإضاءات

الوساطة التربوية: المفهوم والوظائف د. مصطفى بن أحمد الحكيم	256
أثر منظومة القيم في تقوية المناعة النفسية والصحية والاجتماعية تجاه وباء كورونا د. رشيد محمد كهوس	261
مركزية القيم في حياة الإنسان: رؤية تربوية أزمة كورونا نموذجاً د. ماجد عبد الله العصيمي	264

رسائل وأطاريح

تقرير مناقشة أطروحة دكتوراه بجامعة ابن طفيل بالقنيطرة – المغرب الباحث محمد الصيفي	268
قواعد النشر في المجلة	272
أبواب المجلة	273

الافتتاحية

إن من أفضل ما توجهت إليه همم الباحثين، وتناولته أقلام الدارسين ما ينتظم به شأن الأسرة، وما تستقيم به أحوالها، وتصفو أجواؤها، ويتماسك بنيانها، ويتعاظم أثرها وتأثيرها حتى تغدو مشتلا للغرس والإنبات، وواحة للتربية والتقويم والتوجيه، ومصدرا لنهضة المجتمع، ورافعة لتقدم الأمة...

ولا ينصلح هذا الأمر ولا يتأتى إلا بإدراك رعاة الأسرة لرسالتها وقيامهم بالوظائف المتوجبة، والمهمات المطلوبة والمتمثلة في:

الوظيفية البنائية..

الوظيفة الحمائية الوقائية..

الوظيفة الاستشفائية الدوائية..

في ظل واقعٍ إكراهاتُه تتعاظم، وتأثيراتُه تتعالى، ومشكلاتُه تزداد تعقيدا، ويصعب حلها عبر النظر بالعين الواحدة، أو الاعتماد على جهد اليد الواحدة، أو التفكير من داخل النسق الواحد؛ مما يفرض مقاربات عابرة للتخصصات، وعلاجات مستحضرة للتداخلات، ومدركة للطبيعة المتعددة والمتشابكة للمشكلات..

هذا ونحن نشهد هذا الهجوم العولمي، والانفتاح الإعلامي العابر للقارات، والذي دخل البيوت بلا استئذان، وفرض سلطة على المجتمع والقيم والمعتقدات، وحطم أساطير الحدود والخصوصيات والانغلاق عن الذات...

ولا شك أن كثيرا من المتخصصين في مجالات التربية والأسرة المعاصرة واعون بهذا التحدي، ومدركون لصعوبة الموقف، ومطالبون بالمرابطة على هذا الثغر حفاظا على البقية الباقية، واللبنة البانية، واللحمة الجامعة لنسيجِ أسرةٍ لو تمزق رباطها، وذهبت أخلاقها، وانفرط عقدها لأصبح المجتمع المسلم في مهب الريح، وفي مجرى الإعصار، ومرمى الأخطار...

وقد سعى المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية منذ إنشائه إلى تنمية الوعي الأسري والإرشاد التربوي عبر مجموع مؤتمراته وأنشطته ومنشوراته، التي شهدت حركية مشهودة، ونقاشات واسعة، وأطاريح عميقة، ومقاربات متداخلة، وأبحاثا نوعية...

ويأتي هذا العدد ليرسخ هذا التوجه على مستوى فلسفة الاشتغال، ومنهجية العمل؛ لذلك جاءت أبحاثه ودراساته متعددة على مستوى مشارب أصحابها التربوية والشرعية والقانونية والاجتماعية والنفسية والفلسفية... وعلى مستوى تعدد المجالات المطروقة، والمشكلات المطروحة...

وقد تضمن هذا العدد تسع دراسات متخصصة، ومساهمات بحثية متنوعة، وقراءات ومراجعات، وحوارا ماتعا واستشرافيا مع المفكر العربي والاستشاري الدولي الدكتور إدريس أوهلال، وعرضا لإصدار مشترك للمركز، وتقريرين عن المؤتمرين الرابع والخامس...

وختاماً نرجو لهذا الصرح العلمي، والمنبر الفكري والتربوي دوام التوفيق، وسداد الخطو، ونرجو من الباحثين المساهمة بأبحاثهم ودراساتهم في تقوية هذا الصرح، ودعم هذا المسار، والإعانة على مواصلة الطريق، وحمل المشعل...

د. مصطفى بن أحمد الحكيم

رئيس التحرير

دراسات وأبحاث

الصلح بالوساطة بين الزوجين في قضايا الطلاق بين الفقه الإسلامي والقانون المغربي

Spousal conciliation by mediation in divorce cases

Between islamic jurisprudence and moroccan law

د. رشيد محمد طهريوي
Dr. Rachid Mohamed Tahrioui
باحث مغربي في تخصص الفقه الإسلامي وشؤون الأسرة
tahriouitahrioui@gmail.com

الملخص

لقد خصت الشريعة الإسلامية الأسرة بحماية كبيرة؛ وأحاطتها بمجموعة من النصوص الشرعية التي تهدف إلى حمايتها من التفكك والتصدع. كما رغّبت الزوجين في الصلح، وحل خلافاتهما بطريقة ودّية، بدل اللجوء للقضاء.

ومن الوسائل التي شرّعها الإسلام لفض النزاع بين الأزواج، نجد الصلح بالوساطة؛ فمتى استحكم الخلاف بين الزوجين، ولم يتمكنا من حل خلافاتهما بنفسيهما، يجب والحالة هاته تدخل أهل الخير والإصلاح، لتنويب الخلاف حفاظا على تآلف القلوب وتماسك الأسرة.

وسيرا من المشرع المغربي على نهج الشريعة الإسلامية، فقد أولى أهمية كبيرة للصلح من خلال نصوص مدونة الأسرة، خاصة في قضايا الطلاق. ورصد لذلك مجموعة من الآليات المساعدة على تحقيق الصلح.

وبذلك يكون الشرع والقانون، قد جعلا الصلح كإجراء وقائي، لتفادي الشقاق بين الزوجين المؤدي للفراق.

summary

The Islamic law(Sharia)has devoted a great protection to the family.It provided a number of legal texts which aim at safeguarding the family from disintegration and collapse. It also encouraged couples to choose the path of conciliation and settle their disputes amicably instesd of having recourse to family courts.

Among the tools Islam has legislated to resolve marital conflicts is mediation. Whenever these conflicts persist and couples can not come to an agreement by themselves, then good and wise people should interfere to bridge the gap between the two conflicting parties aiming to maintain the family cohesion.

Complying with the Islamic law (Sharia), the Moroccan legislator has given primary importance to conciliation through different legal texts in the family code especially in what concerns divorce cases. To attain this objective, the legislator has stated several enabling mechanisms to support achieving peace and conciliation.

Thus, the Sharia and law have made of conciliation a preventive measure to avoid disputes leading to divorce.

مقدمة

لقد حرصت الشريعة الإسلامية على الحفاظ على تماسك الأسرة وترابطها، وسعت إلى حماية العلاقة الزوجية من الانحلال والتفكك، حيث وضعت وسائل لعلاج ما قد يحدث بين الزوجين من مشكلات تهدد استقرار الأسرة، ومن هذه الوسائل المهمة الصلح بين الزوجين.

ونظرا لأهمية الصلح بين الزوجين، وأثره في إنهاء الشقاق بينهما، فقد نص عليه الشرع الحنيف في العديد من الآيات القرآنية، منها قوله تعالى:﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصّالحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾[2].

فمن خلال هذه الآيات الكريمة يظهر جليا حرص الشرع الإسلامي على تحقيق الصلح، من خلال إزالة العداوة والشقاق، وتحقيق الألفة بين القلوب.

بيد أن الصلح بين المتخاصمين قد يتحقق بغير واسطة بينهما؛ كأن يتنازل الخصمان أو أحدهما ودّيا عن الحق الذي يدّعيه كل منهما، وهذه هي الطريقة المثلى، لأن النزاع يتمّ حلّه داخليا دون تدخل خارجي. أو يتحقق الصلح بواسطة من الخارج، وذلك بتدخل طرف ثالث، فيؤلف بين قلبيهما، قال تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾[3].

[1]ـ سورة النساء الآية 35

[2]ـ سورة النساء الآية 128

[3]ـ سورة الحجرات الآية 3.

والطريقة المقصودة بالدراسة في هذا البحث هي الطريقة الثانية، وهي أن يختار الطرفان المتنازعان وسيطا فردا أو أشخاصا متعددين، وتكون مهمة الوسيط هي الإصلاح بين المتخاصمين بعد تَعَرُّف أسباب النزاع بينهما.

من هذا المنطلق جاءت فكرة إنجاز هذا البحث الذي أسميته: الصلح بالوساطة في الفقه الإسلامي مع التركيز على الجانب الأسري، خصوصا في قضايا التفريق بين الزوجين. غير أني لم أكتف في هذه الدراسة ببيان أحكام الشريعة الإسلامية فقط؛ وإنما توسعت في دراسة بعض مواد مدونة الأسرة المرتبطة بالموضوع، ليكون البحث عمليا يمزج بين الفقه والقانون.

وعلى هذا الأساس، نجد المشرع المغربي أولى اهتماما كبيرا للصلح بين الزوجين من خلال مدونة الأسرة كما تنص على مواد عديدة، نذكر منها: المواد 82، 94، 95... حيث أكد ضمن تلك المواد على إلزامية الصلح في المنازعات الأسرية، خاصة ما تعلق منها بقضايا الطلاق، وذلك بتدخل من القاضي الذي يُعرض عليه نزاع فك ارتباط الزوجية؛ حيث يقوم بإجراء محاولات للصلح بين الزوجين، ودفعهما إلى العدول عن الانفصال.

وبناء على ما سبق ذكره، نجد أن هذا الموضوع يستمد أهميته من كونه يمس جانبا مُهما من جوانب الحياة الاجتماعية، وهو الجانب الأسري، ويرتبط ارتباطا وثيقا بواقع الناس، نظرا لما يحققه من إصلاح وتوفيق بين الزوجين المتخاصمين، وإزالة ما بينهما من عداوة وبغضاء، وبذلك يتحقق مقصد الشارع المتمثل في جلب المصلحة ودرء المفسدة، من خلال الحفاظ على وحدة الأسرة وتماسكها.

هذا الأمر يدفعنا إلى طرح التساؤلات الآتية: ما مدى جنوح وميل الزوجين للصلح للحد من ظاهرة التفكك الأسري؟ وهل حققت مواد مدونة الأسرة المغربية التي تحث على إلزامية الصلح في المنازعات بين الزوجين، الغاية المرجوة منها، وهي التقليل من نسبة الطلاق؟ وما مدى وجود ثقافة الصلح داخل المجتمع المغربي، خاصة ما تعلق منها بالنزاعات الأسرية، لِما لهذه المؤسسة من طابع خاص، وأهمية داخل المجتمع.

وعليه، فقد تم تقسيم هذا البحث إلى مقدمة، ثم مبحثين وخاتمة.

المبحث الأول: الصلح بالوساطة في الفقه الإسلامي

يعتبر الصلح بالوساطة وسيلة لفض النزاعات بين المتخاصمين، وخاصة بين الزوجين، وقد حثت عليه الشريعة الإسلامية من خلال العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية. وللحديث أكثر عن الموضوع، لابد من الوقوف عند تعريف الصلح وتعريف الوساطة (المطلب الأول)، ثم نتناول مشروعية الصلح بالوساطة وفضائله (المطلب الثاني)، لنستعرض بعد ذلك الشروط التي ينبغي توفرها في الحكمين وأهل الصلح ومُهمتهما(المطلب الثالث).

المطلب الأول: تعريف الصلح وتعريف الوساطة

الفقرة الأولى: تعريف الصلح لغة واصطلاحا:

أولا: الصلح في اللغة[4]: الصلح مأخوذ من صَلَحَ الشيء ـــ بفتح اللام وضمها ـــ إذا كمل وهو خلاف الفساد، والصلح يُذكر ويُؤنث. والجمع: صُلحاء وصُلُوح. والصلاح ضد الفساد.

والصلح: تصالُحُ القوم بينهم. وقوم صُلُوح: متصالحون.

وجاء في نهاية المحتاج للرملي أن الصلح لغة هو: "قطع النزاع"[5].

وصالحه مصالحة، وقد ورد في كتاب التعريفات للجرجاني أن: "الصلح في اللغة اسم من المصالحة وهي المسالمة بعد المنازعة"[6].

ثانيا: الصلح في الاصطلاح:

عرّف الفقهاء الصلح بتعاريف مختلفة، لكنها تشترك في معناها وترمي جميعها إلى رفع الخلاف وإزالة النزاع. وهكذا عرّفه ابن عرفة بقوله: "الصلح انتقال عن حق أو دعوى بعِوَضٍ لرفع نزاع أو خوف وقوعه"[7]. كما عرّفه الجرجاني بقوله: "عقد يرفع النزاع"[8].

و بالمعنى نفسه عرّف الحصفكي الحنفي الصلح بقوله: "عقد يرفع النزاع ويقطع الخصومة"[9]. كما قال الرملي الشافعي: "الصلح عقد يحصل به قطع النزاع"[10].

---

[4]ـ ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، دون ذكر تاريخ الطبع، مج 4، باب الصاد، ص 2479. ـــ الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، 1986، باب الصاد، ص 154.ـ الفيروز أبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، 2005/1426، حرف الصاد، ص 229.

[5]ـ الرملي: نهاية المحتاج، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 2003/1424، ج 4، ص 382.

[6]ـ الجرجاني: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، 1985، ص 139.

[7]ـ الرصاع: شرح حدود ابن عرفة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1993، ص 421.

[8]ـ الجرجاني: كتاب التعريفات، ص 139.

أما ابن قدامة الحنبلي فقد جاء تعريفه كما يلي: "الصلح مُعاقدة يُتوصل بها إلى الإصلاح بين المتخاصمين"[11].

الفقرة الثانية: تعريف الوساطة لغة واصطلاحا.

أولا: الوساطة في اللغة[12]. وسط الشيء ما بين طرفيه، وأوسط الشيء أفضله وخياره. ورجل وسط ووسيط. يقال هو من أوسط قومه: أي خيارهم.

والوسط من كل شيء أعدله، ووسطهم وسطا وسطة جلس وسطهم، وهو وسيط فيهم. والتوسط من الناس: من الوساطة. والوسيط: المتوسط بين المتخاصمين، وتوسط بينهم عمل الوساطة.

يظهر من هذه الاستعمالات أنها تدور كلها حول معنى التوسط والاعتدال، ومنه فالوساطة في اللغة العربية يقصد بها التوسط والاعتدال في فض الخصومة بين أهلها من خلال وسيط بينهما.

ثانيا: الوساطة في الاصطلاح.

مصطلح الوساطة بمفهومه الفني المتداول في القانون لم تتعرض له كتب الفقه الإسلامي[13]، لكن وردت مشتقاته في الكثير من الآيات القرآنية، وكلها تدور حول التوسط والاعتدال.

قال الطاهر بن عاشور في معرض حديثه عن تفسير قوله تعالى: ﴿قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾[14]. أوسطهم: أفضلهم وأقربهم إلى الخير... والوسط: يطلق على الأخْيَر الأفضل[15]. ولعل هذا المعنى ينسجم تماما مع ما يشترطه القانون في الوسيط من النزاهة والحياد والمهارة في التفاوض والحوار.

بيد أني وجدت تعريفا للوساطة بين المتخاصمين في كتاب معجم لغة الفقهاء يقول:" دخول طرف بين طرفين متخاصمين لإنهاء الخصومة بينهما صلحا"[16].

المطلب الثاني: مشروعية الصلح بالوساطة في الشرع الإسلامي وفضائله.

---

[9]ـ الحصفكي: الدر المختار شرح تنوير الأبصار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2002/1423، ص 539.

[10]ـ الرملي: نهاية المحتاج، ج 4، ص 382.

[11]ـ ابن قدامة: المغني، دار عالم الكتاب، الطبعة الثالثة، 1997/1417، ج 7، ص 5.

[12]ـ ابن منظور: لسان العرب: مجلد 6، باب الواو، ص 4833/4381. ـ الفيروز أبادي: القاموس المحيط: ص 692.

[13] – محمد الطاهر بلموهوب: الوساطة القضائية، دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الجزائري، أطروحة الدكتوراه، تخصص شريعة وقانون، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، السنة الجامعية 2017/2016، ص 36.

[14] – سورة القلم، الآية 28.

[15] – محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج 29 ص 86.

[16] – محمد رواس قلعرجي و حامد صادق قنيبي: معجم لغة الفقهاء، الطبعة الثانية، دار النفائس، بيروت، 1988م، ص 501.

يعتبر الصلح بالوساطة وسيلة فعالة لنشر المودة والوئام بين أفراد المجتمع، والسبيل الأمثل لحفظ العلاقات واستقرارها، وضمان استمراريتها على أسس المحبة والمودة. فالصلح يضع حدا للخصومة ويقضي على العداوة والبغضاء بين المتخاصمين.

والأصل في الصلح أنه مندوب، حيث رغّب فيه الشرع الحنيف بالكثير من النصوص الشرعية (الفقرة الأولى)، لِما له من فضل على الفرد و الأسرة والمجتمع (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: مشروعية الصلح بالوساطة في الشرع الإسلامي

أولا: النصوص القرآنية التي تُرغّب في الصلح بالوساطة بين المتخاصمين:

لقد رسم القرآن الكريم إطارا عاما للصلح، عندما حث عليه في الكثير من الآيات الكريمة، نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾[17]. فهذه الآية نصت على أنّ من أفضل الأعمال الخيرية وأحبها إلى الله: الإصلاحُ بين الناس، وذلك بإزالة الخلاف والشقاق، وحفظ المودة والعلاقة الطيبة.

وفي هذا يقول ابن عربي: والذي عندي فيها أنّ الله تعالى أمر عباده بأمر عظيم، وهو السعي في إصلاح ذات البين[18].

والسعي في إصلاح ذات البين، يكون بالإصلاح بين المتنازعين أو المتخاصمين بما أباح الله الإصلاح بينهما ليتراجعا إلى ما فيه الألفة واجتماع الكلمة على ما أذِن الله وأمر به[19].

وقوله سبحانه في مطلع سورة الأنفال:﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مومنين﴾[20].

يتضح من هذه الآية أنّ الله عز وجل جعل إصلاح ذات البين من طاعته، وهذا يدل على أهمية الإصلاح الذي يخلق المودة والألفة. كما يُفهم من الآية أن الصلح بين الناس أحد الصور العليا للإيمان، لأن الوفاق أحب إلى الله من الفراق.

كما أن الصلح بالوساطة بين الزوجين ثابت في القرآن، من خلال قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصّالحا بينهما صُلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح

---

[17]ـ سورة النساء: الآية 113.

[18]ـ ابن عربي: أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 2003/1424، ج 1 ص 626 ـ 627.

[19]ـ ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، دار هجر، الطبعة الأولى، 2001/1422، ج 7 ص 481.

[20]ـ سورة الأنفال: الآية 1.

وإن تُحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾[21]. فهذه الآية نصت على أنّ الصلح كله خير، وخاصة بين الزوجين، تسكن به نفوسهما، ويزول الخلاف بينهما. حتى ولو تحقق الصلح بترك بعض الحق استدامة للحرمة وتمسكا بعقد النكاح، خير من طلب الفُرقة والطلاق[22].

وقوله سبحانه: ﴿وإن خِفتم شِقاق بينهما فابعثوا حَكَما من أهله وحَكَما من أهلها إن يُريدا إصلاحا يُوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا﴾[23].

تُوجه الآية الكريمة أهل الخير وأهل الصلح، إلى المسارعة بالتدخل بين الزوجين كلما حدث بينهما ما يُسبب تباعد عشرتهما وصُحبتهما[24]، وذلك لإزالة أسباب الشقاق، والمحافظة لهما على المحبة والألفة وتماسك الأسرة.

قال ابن العربي: "مسالة الحَكَمين نص الله عليها، وحَكَم بها عند ظهور الشقاق بين الزوجين، واختلاف ما بينهما، وهي مسألة عظيمة اجتمعت الأمة على أصلها في البعث، وإن اختلفوا في تفاصيل ما يترتب عليه"[25].

فالذي يظهر من هذه الآية أن الشارع يتشوف إلى التوفيق والإصلاح؛ ولهذا قال: ﴿ إن يُريدا إصلاحا يُوفق الله بينهما﴾[26].

وبذلك يكون المعنى المراد من قوله تعالى هو: إن يُرِد الحَكَمان إصلاحا بين الرجل والمرأة، يُوفق الله بين الحَكَمين، فيتّفِقا على الإصلاح بينهما[27].

وما ينبغي الإشارة إليه في هذا السياق هو أن الأمر لا يقتصر على الحَكَمين، وإنما يشمل كل من يسعى إلى الخير والإصلاح بين الناس. وفي ذلك يقول ابن عباس: "ذلك الحَكَمان، وكذلك كل مصلح يُوفقه الله للحق والصواب"[28].

ثانيا: أحاديث من السنة النبوية تحث على الإصلاح بين الناس.

---

[21]ـ سورة النساء الآية 127.

[22]ـ الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج 7 ص 549.

[23]ـ سورة النساء الآية 35.

[24]ـ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 2000/1420، ج 6 ص 290.

وقال الطبري في معنى قوله تعالى: " شقاق بينهما" أي مُشاقة كل واحد منهما صاحبه، وهو إتيان ما يشق عليه من الأمور. وذلك قد يكون عداوة.

ـ جامع البيان في تأول آي القرآن، ج 6 ص 715 ـ 716.

[25]ـ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 6 ص 295.

[26]ـ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الطبعة الأولى، 1990/1410، ج 2 ص 296.

[27]ـ الطبري: المصدر السابق، ج 6 ص 729. وهو قول مجاهد، و سعيد بن جبير، وابن عباس، والسدي، والضحاك.

[28]ـ الطبري: نفس المصدر، ج 6 ص 730.

حثّ الرسول صلى الله عليه وسلم على الصلح بين المتخاصمين في الكثير من الأحاديث؛ لأن ذلك يُعد من مكارم الأخلاق، ومحاسن الشريعة الغرّاء، فهو يُؤلف بين قلوب المؤمنين، ويُحافظ على روح الأخوة بينهم، وينزع عنهم الأحقاد والعداوات، ومن تلك الأحاديث نذكر:

عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما»[29].

وبحكم أنه لا يوصف بالجواز إلا ما كان مشروعا في أصله، فالصلح بين الخصمين يحافظ لهما على المحبة، والأولى بذلك أن يتم بين الزوجين؛ لما فيه من صلاح الأسرة وصلاح المجتمع ككل.

ومما يؤكد مشروعية الصلح في السنة، ما روى سهل بن سعد رضي الله عنه أنّ أهل قُباء اقتتلوا حتى ترامَوا بالحجارة، فأُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: «اذهبوا بنا نصلح بينهم»[30].

وأخرج الترمذي حديثا آخر جاء فيه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة[31]»[32]. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وواضح أن في الحديث حَثًّا وترغيبا على إصلاح ذات البين واجتنابِ الفساد، والمُصلح بين الناس ينال درجة أعلى من الصائم القائم.

كما جاء في شعب الإيمان للبيهقي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي أيوب: « يا أبا أيوب ألا أدلك على صدقة يرضى الله ورسوله موضعها؟ قال بلى، قال: تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا»[33].

---

[29]ـ تخريج الحديث كاملا كما جاء في الجامع الكبير للترمذي: حدثنا الحسن بن علي الخلال، قال: حدثنا أبو عامر العقدي، قال: حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني، عن أبيه عن جده، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الحديث.

ـ الترمذي: الجامع الكبير، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1996، باب ما ذُكِر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلح بين الناس. ج 3 ص 27 حديث رقم 1352.

[30]ـ أخرجه البخاري في صحيحه ، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، 2002/1423، كتاب الصلح، باب قول الإمام لأصحابه: اذهبوا بنا نُصلح. ص 658. حديث رقم 2693.

أما سند الحديث فجاء كما يلي: حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأُويسيُّ وإسحاق ين محمد الفَروي قالا: حدثنا محمد بن جعفر عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: الحديث.

[31]ـ الحالقة: أي الخصلة التي شأنها أن تحلق، أي تهلك وتستأصل الدين. كما يستأصل الموسى الشعر.

ـ مالك بن أنس: الموطأ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985/1406، ص 904. الهامش رقم 7.

[32]ـ تخريج الحديث: حدثنا هناد، قال حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن أم الدرداء عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحديث.

ـ أخرجه الترمذي في الجامع الكبير، ص 279، حديث رقم 2509.

والأكثر من ذلك، يجوز للإنسان أن يمدح الآخر بأشياء قد لا تكون فيه، فهذا الأمر لا يعتبر محرما، مادامت الغاية من ذلك هي الإصلاح بينه وبين خصمه، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ليس الكذاب الذي يُصلح بين الناس فيَنمي خيرا، أو يقول خيرا»[34].

ولا شك أن هذه الأحاديث تدل دلالة صريحة على مشروعية الصلح وأهميته في المجتمع.

الفقرة الثانية: فضل الصلح بالوساطة.

إن هذا الاهتمام الكبير بالصلح في الشريعة الإسلامية، يدل على الأفضال الكثيرة التي يتركها على الفرد والأسرة والمجتمع، نذكر منها:

- لو اقتصرنا عند ذكر أفضال الصلح بالوساطة على أنه تطبيق لقوله تعالى: ﴿وإن خِفتم شِقاق بينهما فابعثوا حَكَما من أهله وحَكَما من أهلها إن يُريدا إصلاحا يُوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا﴾[35]، لكفانا.

- الصلح بالوساطة يُسهم في تحقيق السلم الاجتماعي، وإشاعة الأمن بين أفراد المجتمع، لعلاقته بالبعد الاجتماعي، ذلك أنه يستأصل أصل النزاع، ويُؤلف بين القلوب المتنافرة، ويضع حدا لِما تتركه الخصومات من أحقاد وضغائن في النفوس.

- العمل على الحيلولة دون تفاقم النزاعات الأسرية، والسعي لحلها قبل التجاء أطرافها إلى المحاكم، لأن اللجوء إلى القضاء غالبا ما يُقلل من فرص التصالح، لِما يُورّثه من أحقاد بين المتنازعين، وهذا ما نبّه إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما قال: «رُدَّ الخصوم حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يحدث بين القوم الضغائن»[36].

- إن المجتمع السليم يقوى بقوة الأخلاق الأسرية، ويضعف بضعفها، فحفظ الأمانة وصون الأعراض وكتم الأسرار، هي كلها تقع في بوثقة المسؤولية الزوجية. فلو قام أحد الزوجين بكشف ما يعرفه من خصوصيات

---

[33]ـ تخرج الحديث: أخبرنا أبو بكر بن فورك، أخبرنا عبد الله بن جعفر، حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود، حدثنا أبو الصباح الشامي، عن عبد العزيز الشامي، عن أبيه، عن أبي أيوب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الحديث.

ـ البيهقي: الجامع لشعب الإيمان، باب في الإصلاح بين الناس، ج 13 ص 432/431. حديث رقم: 10583.

مكتبة الرشاد، الطبعة الأولى، سنة 1423هـ/2003م.

[34]ـ أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يُصلح بين الناس، ص 658، حديث رقم 2692.

أما سند الحديث فجاء كما يلي: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب أن حُميد بن عبد الرحمان أخبره أن أمه أم كلثوم بنت عُقبة أخبرته أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الحديث.

[35]- سورة النساء الآية 35

[36]- رواه البيهقي في سننه، ج 6 ص 109، حديث رقم 11360.

الطرف الآخر، أمام من لا يلزمه معرفة تلك الخصوصيات، لأدّى ذلك إلى تعميق هوة الخلاف بين المتخاصمين، وإثارة نعرة الكراهية بين أسرتيهما.

- حفظ مصالح الأولاد، ومن أسس ذلك عدم تفريقهم وتحزيبهم، وتجنب الزّج بهم في أتون الخلافات الزوجية الحادة والمصيرية، والتي قد تنعكس سلبا على حالتهم النفسية.

- حسم النزاع والشقاق بين الزوجين عن طريق الصلح بالوساطة، فيه تخفيف للعبء على القضاء، كما يُوفر على الطرفين الوقت والجهد والمال.

المطلب الثالث: شروط الحَكَمين ومهمتهما.

أكدت الشريعة الإسلامية من خلال النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ــ كما سبق ورأينا ــ على أهمية الصلح بالوساطة للحد من النزاعات والخصومات، بين الناس عامة، وبين الزوجين على وجه الخصوص. ومن الوسائل المساعدة على تحقق ذلك، بعث الحَكَمين الذي أرشدت إليه الآية 35 من سورة النساء[37]. وللحديث أكثر عن هذا الأمر، نقف أولا عند الشروط الواجب توفرها في الحَكَمين (الفقرة الأولى)، ثم عند مهمتهما (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: شروط الحكمين.

اشترط الفقهاء مجموعة من الشروط التي يجب أن تتوفر في الحَكَمين، حتى تُسند لهما مهمة الإصلاح بين الزوجين، ذكرها الباجي المالكي بقوله: "ومن صفة الحَكَمين التي هي شرط في صحة كونهما حكمين، الإسلام، والبلوغ، والحرية، والذكورة.. وكذلك العدالة. ولهما صفات أخرى، هي من صفة كَمَالهما، أن يكونا من أهلهما، وأن يكونا فقيهين"[38]. ولعل من أهم تلك الشروط[39]:

---

[37] ــ اختلف الفقهاء في المخاطب في الآية 35 من سورة النساء، هل هما الزوجان أم الحاكم والسلطان، على قولين:

ــ الجمهور من العلماء أنّ المخاطب هم الحكام والأمراء، وأن قوله تعالى: «إن يريدا إصلاحا...» يعني الحَكَمين. أي: إن يُرد الحكمان إصلاحا يُوفق الله بين الزوجين.

ــ وقيل المراد الزوجان: أي إن يُرد الزوجان إصلاحا وصدقا فيما أخبروا به الحكمين، يُوفق الله بينهما.

القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 6 ص 290. ــ ابن عربي: أحكام القرآن، ج 1 ص 538.

[38] ــ الباجي: المنتقى شرح موطأ مالك، ج 5 ص 405.

[39] ــ اشترط الفقهاء شروطا أخرى غير ما ذكرنا، كشرط التعدد، وشرط القدرة على الإصلاح:

بالنسبة لشرط التعدد: اختلف الفقهاء حول اشتراط التعدد في الحَكَمين، فالقول المعتمد عند المالكية هو جواز إرسال الواحد. جاء في حاشية الدسوقي: وللزوجين إقامة حَكَم واحد، كان قريبا منهما أو أجنبيا، على الصفة المتقدمة من كونه عدلا رشيدا ذكرا فقيها بذلك. ويفعل ذلك الحَكَم ما يفعله الحَكَمان من الإصلاح بينهما. ــ الدسوقي: ج 2 ص 346.

وبالنسبة لشرط القدرة على الإصلاح: يتضمن شرط القدرة على الإصلاح الكثير من الشروط التي اتفق عليها الفقهاء، ومن ذلك: التكليف والعدالة. قال النووي في روضة الطالبين: ويُشترط الاهتداء إلى ما هو مقصود من بعثهما.

الشرط الأول: كون الحَكَمين من أهل الزوجين.

اشترط الفقهاء أن يكون الحَكَمان من أهل الزوجين، حَكَم من أهل الزوج، وحَكَم من أهل الزوجة، عملا بظاهر الآية الكريمة: ﴿فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها﴾.

ويعتبر ذلك هو الأصل كما قال ابن عربي: "الأصل في الحكمين أن يكونا من الأهل"[40]. وأورد ابن رشد الإجماع على ذلك حيث قال: "أجمع العلماء على أن الحكمين لا يكونان إلا من أهل الزوجين: أحدهما من قِبل الزوج، والآخر من قِبل الزوجة"[41].

ولعل الحكمة من كونهما من أهلهما، تكمن في أن هذا الشرط يساعد في نجاح مهمة الحكمين؛ لأن الأقارب بلا شك هم أحرص الناس على سمعة ومصلحة أقاربهم، كما أنهم هم الأقدر على حل النزاع؛ نظرا لمعرفتهم بحال وبطبيعة حياة الأسرة التي وقع فيها الخلاف.

ومن أقوال العلماء في هذه الحكمة، نجد ابن عربي الذي يقول: "والحكمة في ذلك أن الأهل أعرف بأحوال الزوجين، وأقرب إلى أن يرجع الزوجان إليهما، فأحكم الله سبحانه بأهله"[42].وكان الزمخشري أكثر توضيحا في الكشاف فقال: "إنما كان بعث الحكمين من أهلهما؛ لأن الأقارب أعرف ببواطن الأحوال، وأطلب للصلاح، وإنما تسكن إليهم نفوس الزوجين، ويبرز إليهم ما في ضمائرهما من الحب والبُغض، وإرادة الصُّحبة والفُرقة"[43].

ويُعلل الجصاص كون الحَكَمين من الأهل بقوله: "لئلا تسبق الظنة إذا كانا أجنبيين بالميل إلى أحدهما، فإن كان أحدهما من قِبَله، والآخر من قِبَلها، زالت الظنة، وتكلم كل واحد منهما عمن هو من قِبَله"[44].

أما إذا لم يوجد للزوجين أقارب، أو وُجِد من لا تنطبق عليهم شروط الحكمين، حينئذ يتم اختيارهما من عامة المسلمين، عملا بالقاعدة الفقهية: «إذا تعذر الأصل يُصار إلى البدل»، ويُستحب أن يكونا من الأصدقاء أو الجيران.

وفي ذلك يقول ابن عربي: "قال علماؤنا: فإن لم يكن لهما أهل، أو كان ولم يكن فيهم من يَصلُح لذلك، لعدم العدالة أو غير ذلك من المعاني، فإن الحاكم يختار حكمين عدلين من المسلمين... ويستحب أن يكونا جارين، وهذا

ـ النووي: روضة الطالبين، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1991/1412، ج 7 ص 371.

أما بالنسبة لشرط أن يكونا فقيهين: فقد اختلف الفقهاء في هذا الشرط، وسبب خلافهم هو ما قاله الشيرازي: فإن قلنا إنهما حاكمان لم يجز أن يكونا إلا فقيهين، وإن قلنا إنهما وكيلان، جاز أن يكونا من العامة.

ـ الشيرازي: المهذب، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1995/1416، ج 2 ص 488.

[40] ـ ابن عربي: أحكام القرآن، ج 1 ص 542.

[41] ـ ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج 3 ص 185.

[42] ـ ابن عربي: أحكام القرآن، ج 1 ص 542.

[43] ـ محمود الزمخشري: تفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 1430هـ/2009م. ج5 ص236/235.

[44] ـ الجصاص: أحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1992/1412، ج 3 ص 151.

لأن الغرض من الحكمين معلوم، والذي فات بكونهما من أهلهما يَسِير، فيكون الأجنبي المختار قائما مقامهما، وربما كان أوفق منهما"[45].

الشرط الثاني: إسلام الحَكَمين

أجمع الفقهاء[46] على اشتراط الإسلام في الحَكَمين، فلا يحكم غير المسلم على المسلم، لما فيه من الاستعلاء عليه، والله تعالى يقول: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا﴾[47]. والتحكيم نوع سبيل بلا شك. وفي ذلك يقول ابن فرحون المالكي: "إذا حكَّم الخصمان عبدا، أو امرأة، أو صبيا أو كافرا أو مجنونا، فإن أحكام المجنون والكافر لا تلزم بلا خلاف"[48].

و أكّد ابن الماجشون على ذلك في الواضحة بقوله: "لو حَكَم النصراني فحكمه باطل"[49]. وعلّل على بُطلان تحكيم غير المسلم؛ بكون التحكيم من باب الولاية[50]، ولا يجوز أن تُسند الولاية لغير المسلم، سواء أكانت الولاية عامة أم خاصة. وعلى ذلك أجمع الأئمة والفقهاء والعلماء من السلف والخلف[51].

فعلى هذا الشرط، لا يجوز أن يكون أحد الحكمين غير مسلم؛ إذا كان الزوجان مسلمين، وكذلك إذا كان الزوج مسلما والزوجة كتابية، فلا يجوز أيضا أن يكون الحَكَم الذي من أهلها كتابيا؛ لأن حُكم الحكمين يُنفذ على الزوجين معا، ولا يجوز أن يحكم غير المسلم على المسلم. وفي ذلك يقول ابن الهمام الحنفي: "ولا يجوز تحكيم الكافر... لانعدام أهلية القضاء اعتبارا بأهلية الشهادة"[52].

الشرط الثالث: العدالة[53]

العدالة مشترطة في الحكمين عند جمهور الفقهاء[54]، وقد علّل الباجي المالكي ذلك بهدف تحري العدل، وعدم تعريض أي طرف للظلم، حيث قال: ويكونان عدلين ليؤمن جورهما[55].

---

[45]ـ ابن عربي: أحكام القرآن، ج 1 ص 542.

[46]ـ ابن فرحون: تبصرة الحكام، ج 1 ص 51. ـ ابن الهمام: شرح فتح القدير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2003/1424، ج 7 ص 296. ـ ابن قدامة: المغني، ج 10 ص 265. ـ ابن مفلح: المبدع، ج 6 ص 264/263.

[47]ـ سورة النساء الآية 141.

[48]ـ ابن فرحون: تبصرة الحكام، ج 1 ص 51.

[49]ـ الباجي: المنتقى، ج 7 ص 218.

[50]ـ الباجي: المنتقى، ج 7 ص 216.

[51]ـ رشيد طهريوي: أطروحتنا للدكتوراه في موضوع: ولاية غير المسلمين على المسلين في النوازل الأسرية، دراسة فقهية تشريعية قضائية. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، السنة الجامعية 2020/2019. ص 384.

[52]ـ ابن الهمام: شرح فتح القدير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 2003/1424، ج 7 ص 296.

[53]ـ العدالة هي أن يكون صادق اللهجة ظاهر الأمانة، عفيفا عن المحارم متوقّيا للمآتم، بعيدا عن الريب، مأمونا في الرضا والغضب، مستعملا لمروءة مثله في دينه ودنياه.

ـ الماوردي: الأحكام السلطانية، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، الطبعة الأولى، 1989/1409، ص 89.

هذا وقد صرح ابن قدامة على أن العدالة مشترطة في الحَكَمين، سواء كانا وكيلين أو حَكَمين، حيث قال: "سواء قلنا هما حاكمان أو وكيلان، إذا كان متعلقا بنظر الحاكم، لم يجُز أن يكون إلا عدلا"[56]. ونحوه قال الماوردي وهو يتحدث عن شرط العدالة: "والثالث أن يكونا عدلين، فإن كان أحدهما غير عدل لم يجز"[57].

في حين ذهب الحنفية إلى أن ما يُشترط في القاضي يشترط في الحَكَم، وأن العدالة ليست شرطا لتوليتهما، بل هي شرط كمال. وفي ذلك يقول الكاساني: "وكذا العدالة ليست بشرط لجواز التقليد، لكنها شرط الكمال..."[58].

والذي يظهر رُجحانه والله أعلم، هو اشتراط العدالة في الحَكَمين؛ لأن ذلك أدعى للثقة فيهما من قِبل الزوجين، وحتى يُؤمن منهما التقصير في عملهما، أو الجور في حُكمهما. هذا بالإضافة إلى أن ذلك يسهل عمل الحَكَمين، ويساعدهما على النجاح في مهمة الإصلاح بين الزوجين المتخاصمين.

الشرط الرابع: رضا الزوجين بالحَكَمين

اختلف الفقهاء في اشتراط رضا الزوجين بالحَكَمين، ويعود سبب اختلافهم إلى صفة الحكمين؛ هل هما حَكَمان أو وكيلان عن الزوجين؟ فعلى القول بأنهما حَكَمان تتم ولايتهما بتقليد الحاكم لهما، لا يُعتبر فيهما إذن الزوجين ولا رضاهما، وعلى القول بأنهما وكيلان عن الزوجين، لا تتم ولايتهما إلا بتوكيل الزوجين ورضاهما[59].

وما دمنا نتحدث عن الصلح بين الزوجين، فلابد من اعتبار رضا الزوجين في اختيار الحَكَمين، حتى يتحقق الاطمئنان إليهما والثقة فيهما. وهذا ما ذهب إليه ابن الهمام بقوله: "التحكيم صلح، ولا يثبت إلا بتراضي الخصمين"[60]. وعلّل ذلك ابن الماجشون بالقول بأنه يلزم الرضا في التحكيم بين الزوجين، لأنه يحكم بين آدميين[61].

---

[54] ـ الباجي: المنتقى، ج 7 ص 218. ـ الماوردي: الحاوي الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1994/1414، ج 9 ص 604. ـ النووي: روضة الطالبين، ج 7 ص 371. ـ ابن قدامة: المغني، ج 10 ص 265. ـ الشيرازي: المهذب، ج 2 ص 488.

[55] ـ الباجي: المنتقى، ج 5 ص 406.

[56] ـ ابن قدامة: المغني، ج 10 ص 265.

[57] ـ الماوردي: الحاوي الكبير، ج 9 ص 604.

[58] ـ الكاساني: بدائع الصنائع، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 2003/1424، ج 9 ص 91.

وأضاف بعد ذلك أن شرط جواز التقليد فهو شرط جواز التحكيم، فكان الحُكم من الحَكَمين بمنزلة حُكم القاضي المقلد.

ـ الكاساني: نفس المصدر، ج 9 ص 93.

[59] ـ النووي: روضة الطالبين، ج 7 ص 371.

[60] ـ ابن الهمام: شرح فتح القدير، ج 7 ص 295.

[61] ـ الباجي: المنتقى، ج 7 ص 216.

الفقرة الثانية: مهمة الحَكَمين.

لقد جاءت الشريعة الإسلامية بنظام التحكيم بين الزوجين، لتحقيق أهداف كثيرة؛ منها: زيادة الوعي بالمسؤولية الأسرية، وعلاج الخلافات بين الزوجين قبل مرحلة الشقاق حتى لا تسير نحو الفراق. وهذا ما أكدت عليه المدونة الكبرى: «وإنما أراد الله بالحكمين الإصلاح بين الزوج وزوجته وبين الزوجة وزوجها»[62].

ومن أجل ذلك، على الحكمين أن يقوما بالتوفيق بين الزوجين ما أمكن، والسعي لإعادة الحياة بينهما، وعليهما تحري أسباب الخلاف، وذلك بالاستماع إلى وجهة نظر كل طرف، مع تقوية إرادة الإصلاح. وفي ذلك يقول تعالى: ﴿إن يريدا إصلاحا يُوفق الله بينهما﴾، ولا يعدُل الحكمان عن الإصلاح إلى غيره مادام ممكنا، وقد أجمع العلماء على أن قول الحكمين في الجمع بين الزوجين نافذ بغير توكيل منهما[63].

أما إذا لم يتمكنا من الإصلاح بين الزوجين، فقد اختلف الفقهاء في قيام الحَكَمين بالتفريق بين الزوجين، وهذا ليس موضوع بحثنا.

وعليه، فالمقصود الأول من الوساطة هو إصلاح ذات البين، لأجل الألفة وحسن العشرة، وفي ذلك يقول الدسوقي المالكي: "يجب عليهما ــ الحكمين ــ في مبدإ الأمر أن يصلحا بين الزوجين بكل وجه أمكنهما، لأجل الألفة وحسن العشرة، وذلك بأن يخلو كل واحد منهما بقريبه، ويسأله عما كره من صاحبه"[64].

ومن أجل ذلك يجب على الحَكَمين تذكير الزوجين بأهمية استمرار الحياة الزوجية، كما عليهما أن يحرصا على توعية كل من الزوجين بواجباته اتجاه شريكه، وذلك حتى يراجع نفسه إن كان مقصرا، كما عليهما إثارة معاني الإيمان في نفوس الزوجين، وإلى ذلك أشار القرطبي بقوله: "فإن وجداهما قد اختلفا ولم يصطلحا وتفاقم أمرهما سَعَيا في الألفة جهدَهما، وذكّرا بالله وبالصحبة"[65]. كما يجب عليهما أن يلطفا في القول وأن ينصفا ويرغبا ولا يخصا بذلك أحدهما دون الآخر، ليكون أقرب للتوفيق بينهما[66]، لأن التحيز لأحدهما يقلل من فرصتهما في حل النزاع.

---

[62] ــ مالك ابن أنس: المدونة الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1994/1415، ج2 ص 267.

[63] ــ ابن رشد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1415، ج 3 ص 185.

[64] ــ الدسوقي: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، دون ذكر تاريخ الطبع، ج 2 ص 345.

[65] ــ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج 6 ص 292.

[66] ــ البهوتي: كشاف القناع، دار عالم الكتاب، الرياض، طبعة خاصة، 2003/1423، ج 7 ص 2568.

المبحث الثاني: الصلح بالوساطة في القانون المغربي

سيرا من المدونة على نهج الشريعة الإسلامية، فقد حثت على الصلح في كثير من موادها[67]، وهذا ما يُبرز لنا رغبة المشرع المغربي في حل النزاعات بطرق ودية، لما لها من دور في الحفاظ على تآلف القلوب وصفاء النفوس.

ومن القضايا التي حرص المشرع المغربي فيها على تفعيل مسطرة الصلح، نجد قضايا التفريق بين الزوجين. وللحديث أكثر عن هذا الموضوع، سنقف عند مكانة الصلح في القانون المغربي (المطلب الأول)، ثم نستعرض المؤسسات التي رصدها المشرع المغربي كآليات وسيطة تساعد على تحقيق الصلح (المطلب الثاني)، رغم ما يعترضها من صعوبات على مستوى التطبيق (المطلب الثالث).

المطلب الأول: مكانة الصلح في القانون المغربي

حفاظا على استقرار الأسرة وتماسكها، حثت مدونة الأسرة على إجراء محاولة الصلح، في العديد من القضايا، منها قضايا التفريق بين الزوجين[68]، حيث نص المشرع المغربي في الفقرة الأولى من المادة 81 من المدونة على أنه: «تستدعي المحكمة الزوجين لمحاولة الإصلاح».

والأكثر من ذلك، نجد المدونة نصت على تكرار محاولة الصلح في حالة وجود أطفال، حيث تقوم المحكمة بمحاولتين للصلح، تفصل بينهما على الأقل ثلاثين يوما. وفي ذلك تقول الفقرة الثالثة من المادة 82: «وفي حالة وجود أطفال تقوم المحكمة بمحاولتين للصلح تفصل بينهما مدة لا تقل عن ثلاثين يوما»[69].

كما نص قانون المسطرة المدنية، على إجراء محاولة الصلح في جميع قضايا الأحوال الشخصية، بما فيها قضايا النفقة والحضانة والزيارة للأطفال، وغير ذلك[70].

والذي يظهر من هذه النصوص، هو اهتمام المشرع المغربي بالصلح وبالحلول الودّية، لفض وتسوية النزاعات، وهذا ما يجعل مدونة الأسرة منفتحة على محيطها، متشبثة بهويتها الإسلامية كما قال الأستاذ إدريس اجويلل في إحدى مداخلاته: «هكذا إذن جاءت مدونة الأسرة الجديدة، في سياقها الواقعي والتاريخي والمجتمعي، لتؤسس لثقافة جديدة داخل الأسرة المغربية، دون إغفال هويتنا وثقافتنا وخصوصيتنا التاريخية»[71].

---

[67]ـ أنظر المواد الآتية من مدونة الأسرة المغربية: 44 ـ 81 ـ 89 ـ 94 ـ 113 ـ 114 ـ 120.

[68]ـ حثت مدونة الأسرة على إجراء محاولة الصلح في قضايا الطلاق الرجعي (المادة 81)، والطلاق البائن، وطلاق الخلع (المادة 120)، والطلاق الاتفاقي (المادة 114)، والطلاق المُمَلّك للزوجة (المادة 89)، والطلاق قبل البناء، والتطليق بكل أسبابه: من التطليق للشقاق، وللضرر، ولإخلال الزوج بأحد شروط الزواج، ولعدم الإنفاق، وللعيب، وللإيلاء والهجر (المواد: 94 ـ 113).

[69]ـ يدل ذلك على الأهمية التي يحظى بها الأطفال لدى المشرع المغربي، باعتبارهم الفئة الأكثر تضررا من الطلاق.

[70]ـ المادة 180 من قانون المسطرة المدنية.

وكذلك في قانون المسطرة الجنائية، نجد المادة 41 التي تنص بدورها على اعتماد الصلح في القضايا الجنائية.

[71]ـ إدريس اجويلل: مستجدات مدونة الأسرة في مجال مسطرة الشقاق بين الزوجين، منشورات جامعة مولاي إسماعيل، عدد 5، الندوة الوطنية المنعقدة بتاريخ 18/17 فبراير 2004، مطبعة جسور، وجدة، سنة 2004، ص 75.

وعليه، يمكن اعتبار نظام الصلح الذي يقوم به القاضي أو من ينوب عنه، من الإجراءات الجوهرية التي لا يمكن الاستغناء عنها[72]، حيث يعمل القاضي على جمع الطرفين حول طاولة واحدة، وذلك لتسهيل الحوار من أجل الوقوف على أسباب الشقاق بين الزوجين، وهذا يدخل في باب التعامل مع هذه النزاعات على أنها نزاعات إنسانية وليست قضائية.

غير أن الملاحظ هو أننا لم نجد تعريفا للصلح في مدونة الأسرة، رغم الأهمية التي يحظى بها بين موادها، وإنما هناك فقط توجيه للقاضي أو من ينوب عنه، ليقوم به محاولة منه للتوفيق بين الزوجين.

إلا أننا بالرجوع إلى المادة 1089 من قانون الالتزامات والعقود، نجد المشرع المغربي قد عرّف الصلح بأنه: «عقد بمقتضاه يحسم الطرفان نزاعا قائما أو يتوقعان قيامه، وذلك بتنازل كل منهما للآخر عن جزء مما يدعيه لنفسه، أو بإعطائه مالا معينا أو حقا».

يلاحظ من خلال التعريف أن الصلح هو وسيلة لحسم النزاع ودّيا دون اللجوء للقضاء، وهذا يتفق مع ما جاء في اصطلاح الفقهاء الذي يقول بأن الصلح هو قطع للمنازعات والتشاجر بين الخصوم.

وبالرجوع إلى مواد مدونة الأسرة نجد أن المشرع المغربي يعتبر الصلح إجراء إلزاميا جوهريا، يجب القيام به قبل الشروع في مسطرة الطلاق أو التطليق، بل حتى ولو كان الطلاق اتفاقيا[73].

وعليه، يمكن تعريف الصلح في مادة شؤون الأسرة، على أنه إجراء إلزامي يقوم به القاضي مباشرة بعد رفع دعاوى فك الرابطة الزوجية، ويهدف من خلاله ـــ المشرع ـــ إلى الإصلاح بين الزوجين ودفعهما إلى العدول عن الانفصال. بيد أنّ القاضي لا يباشر إجراءات الصلح، إلا بعد أن يتقدم الزوجان، أو أحدهما بطلب الطلاق أو التطليق، وبعد تقديم الطلب تأتي مرحلة استدعاء الزوجين، وبعد حضورهما لجلسة الصلح، تجري المناقشات في غرفة المشورة، وكذا الاستماع إلى مزاعم كل من الزوجين وكذا الشهود، وإلى كل من قد يُفيد في الإصلاح بين الزوجين. وفي حالة نجاح محاولة الإصلاح بين الزوجين، يُحرر محضر بذلك والإشهاد به من طرف المحكمة[74].

غير أن الملاحظ من مواد المدونة، أن المشرع المغربي قد جعل الصلح إجراء علاجيا إصلاحيا بعديا ـــ بعد رفع الدعوى أمام أنظار القاضي ـــ وليس إجراء وقائيا احترازيا قبليا.

---

[72]ـ ذلك ما أكده المجلس الأعلى في قرار له، حينما اعتبر أن الإصلاح بين الزوجين، إجراء جوهريا تفتتح به دعوى التطليق، ويترتب على نجاحه، إثبات ذلك في أمر تنتهي به الدعوى، كما يترتب على فشله إصدار أمر بعدم التصالح، والإذن بمواصلة الدعوى، ولهذا فإن المحكمة لما رفضت الدفع بعدم احترام هذا الإجراء، بعلة أنه لا يكون ضروريا، إلا عند قيام الحجة عند الضرر، تكون قد خرقت القانون وعرضت قرارها للنقض.

ـ الغرفة الاجتماعية بالمجلس الأعلى، قرار عدد 164 صادر بتاريخ 1980/04/19، ملف عدد 81153. قرار غير منشور أورده عبد المجيد غميجة في بحثه: موقف المجلس الأعلى من ثنائية القانون والفقه في مسائل الأحوال الشخصية، منشورات جمعية نشر المعلومات القانونية والقضائية، عدد 1 مارس 2007، ص 230/229.

[73]ـ أنظر الباب الأول من القسم الخامس من المدونة المتعلق بالطلاق الاتفاقي، المادة 114.

[74]ـ أنظر المادة 82 من مدونة الأسرة.

المطلب الثاني: المؤسسات المساعدة على تحقيق الصلح بين الزوجين

لا شك أن الأسرة هي اللبنة الأولى التي يتكون منها صرح المجتمع، وبمقدار ما تكون عليه من قوة وتماسك، بمقدار ما يتوفر لهذا المجتمع من أمن واستقرار، وعلى العكس من ذلك، إذا تفككت عُرى الأسرة وتطرق الفساد إليها، كان له انعكاساته على المجتمع بأسره.

ومن أجل استقرار الأسرة المغربية، فقد رصد المشرع المغربي مؤسسات، الهدف منها إنجاح الصلح بين الزوجين، نذكر منها مؤسسة الحَكَمين (الفقرة الأولى)، ومجلس العائلة (الفقرة الثانية)، ثم مؤسسة الوساطة الاتفاقية (الفقرة الثالثة).

الفقرة الأولى: مؤسسة الحَكَمين

تعتبر مؤسسة الحكمين إحدى الآليات التي تساعد القاضي الأسري على إجراء محاولة الصلح، كما تنص على ذلك الفقرة الثانية من المادة 82 من المدونة: «للمحكمة أن تقوم بكل الإجراءات بما فيها انتداب الحَكَمين... لإصلاح ذات البين».

فواضح من النص، أن المشرع المغربي حدد هدفا أساسيا من مسألة ندب الحَكَمين؛ هو الإصلاح بين الزوجين، وهو ما ينسجم مع معنى بعث الحَكَمين في اصطلاح الفقهاء الذي يقول بتولية الزوجين المتنازعين رجلين من أهلهما للإصلاح بينهما والفصل في خصومتهما[75].

وعليه، فمهمة الحَكَمين هي مهمة عظيمة، وعمل إنساني شريف، فالصلح خير، وهو من أفضل الأعمال، ولا يتحقق ذلك إلا ببذل جهدهما لإنهاء النزاع بين الزوجين من خلال البحث والتقصي عن أسباب الخلاف لتذويبها، وتقريب وجهات نظر الأطراف المختلفة، وهذا ما أشارت إليه الفقرة الثانية من المادة 95 بقولها: «يقوم الحَكَمان أو من في حُكمهما باستقصاء أسباب الخلاف بين الزوجين، وببذل جهدهما لإنهاء النزاع».

غير أن الملاحظ هو أن القاضي، لا يتأتى له في أغلب الأحيان تعيين حَكَمين يتصفان بالاتزان ورُجحان العقل وتحري الموضوعية، فهو لا يعلم الأصلح من أقارب الزوجين، لذا فإنه يُعيّن الحَكَمين بناء على ما اقترحه كل من الزوج و الزوجة، وغالبا ما يقوم هذان الأخيران بترشيح من يُوافقونهم الرأي من الأقارب، وبالتالي فإن الحَكَم لا يكون هاجسه هو محاولة التوفيق والتقريب بين الزوجين، بقدر ما تكون مهمته هي الدفاع عن الطرف الذي عَيّنه، ومنه فإن مؤسسة الحَكَمين في ظل هذا الوضع تزيد في تعميق النزاع والخلاف بين الزوجين عِوض تذويبه ومَحْوِه[76].

---

[75]ـ صالح بن غانم السدلان: النشوز، ضوابطه، حالاته، أسبابه، طرق الوقاية منه، وسائل علاجه في ضوء القرآن والسنة. دار بلنسية للنشر والتوزيع، الرياض السعودية، الطبعة الرابعة 1417، ص 55.

[76]ـ إدريس الفاخوري: واقع الصلح في العمل القضائي الأسري، وردت ضمن ندوة دولية تحت عنوان: تطبيق مدونة الأسرة في المهجر، نظمت برحاب كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة محمد الأول وجدة، منشورات مختبر البحث في قانون الأسرة والهجرة، عدد 4، سنة 2011، ص 117.

وتجدر الإشارة إلى أن المحكمة ليست ملزمة بانتداب حَكَمين، وبالتالي يمكن الاستغناء عن هذه المسطرة، الشيء الذي من شأنه أن يفوت على المحكمة والأطراف إمكانية الصلح عن طريقها.

وعليه، فرغم ما لمؤسسة الحكمين من أهمية؛ هناك تقصير كبير في الواقع لاستعمال هذا العلاج، سواء من العائلات أو من المحاكم، وليس هذا تقصيرا حديثا، فقد ذكر ابن العربي تفريط الناس والقضاة في هذه الوسيلة المهمة، فقال في تفسيره للآية التي تحث على هذا العلاج:" هي من الآيات الأصول في الشريعة، ولم نجد لها في بلادنا أثراً، بل ليتهم يرسلون إلى الأمينة، فلا بكتاب الله ائتمروا، ولا بالأقيسة اجتزَوْا"[77].

الفقرة الثانية: مجلس العائلة

لقد أتاح المشرع المغربي للمحكمة إمكانية الاستعانة بخدمات مجلس العائلة، لإجراء محاولة الصلح بين الزوجين، وهذا ما نجد في منطوق الفقرة الثانية من المادة 82 التي تقول: «للمحكمة أن تقوم بكل الإجراءات، بما فيها انتداب حكمين أو مجلس العائلة...لإصلاح ذات البين». وأكدت على ذلك الفقرة الثانية من المادة 7 من المرسوم المنظم للمجلس[78]، حيث جاء فيها: «يقوم مجلس العائلة بالتحكيم لإصلاح ذات البين، وبإبداء رأيه في كل ما له علاقة بشؤون الأسرة».

والظاهر أن هذا المجلس يُعد من الآليات الهامة والأساسية ـــــ إلى جانب مؤسسة الحَكَمين ـــــ المُساعِدة للقضاء في حفظ وتعهد شؤون الأسرة، كما نصت على ذلك المادة 251 في فقرتها الثانية التي تقول بأن إحداث مجلس العائلة تُناط به مهمة مساعدة القضاء في اختصاصاته المتعلقة بشؤون الأسرة. لذلك يجب أن تكون مهمته أكبر من استشارية[79]، لكي يكون له دور أكبر وجوهري في حلّ النزاعات والخلافات، للحفاظ عن وحدة الأسرة وتماسكها، وكذا لتخفيف الضغط على القضاء، من أجل ضمان سلامة تطبيق روح ما جاءت به مدونة الأسرة.

ويتكون مجلس العائلة حسب المادة الأولى من المرسوم 88. 04. 2 من الأطراف الآتية:

- ✓ القاضي بصفته رئيسا؛
- ✓ الأب والأم أو الوصي أو المقدم؛
- ✓ أربعة أعضاء يعينهم الرئيس من بين الأقارب أو الأصهار، بالتساوي من جهة الأب والأم، أو جهة الزوج حسب الأحوال، وإذا تعذر توفرهم من الجهتين، أمكن تكوينه من جهة واحدة.

[77] – ابن عربي: أحكام القرآن، ج 1 ص 537. أعتقد أنه يقصد بالأمينة الناس المأمونين في حل المشاكل بين الأزواج.

[78]ـ مرسوم رقم 88. 04. 2 صادر في 25 ربيع الآخر 1425 (14 يونيو 2004) بشأن تكوين مجلس العائلة وتحديد مهامه، الجريدة الرسمية عدد 5223 بتاريخ 3 جمادى الأولى 1425 (21 يونيو 2004)، ص 2671 وما بعدها.

[79]ـ تنص الفقرة الأولى من المادة 7 من المرسوم أعلاه: "مهام مجلس العائلة مهام استشارية".

ويملك الرئيس السلطة في اختيار الأعضاء الذين سيُكَوِّنون مجلس العائلة، الذي يُشترط فيهم لزوما أن يكونوا كاملي الأهلية، أما توفر باقي الشروط، فهو أمر موكول للسلطة التقديرية للقاضي الذي يُعيّنهم، مراعيا في ذلك درجة قرابتهم، ومكان إقامتهم وسِنَّهم، وعلاقتَهم بالأسرة[1]، كما أن للرئيس صلاحيةَ تغيير أي عضو من أعضاء مجلس العائلة عند الاقتضاء[2].

غير أن الملاحظ هو أن هذا المجلس لا وجود له في الواقع، والسبب ربما يعود إلى كثرة الأعضاء المشاركين فيه، حيث يتم الاكتفاء باستدعاء البعض من أهل الزوجين، الشيء الذي يحول دون تحقيق الهدف المتوخى من إنشائه.

الفقرة الثالثة: مؤسسة الوساطة الاتفاقية

بالإضافة إلى المؤسسات السالفة الذكر، هناك مؤسسة أخرى ينص عليها المشرع المغربي، أصبح اعتمادها أمرا ملحا في الوقت الراهن، لتسوية النزاعات الأسرية، وأخص بالذكر الوساطة الاتفاقية[3]، ويمكن تسميتها كذلك بالوساطة الأسرية، أو الصلح بالوساطة. وتقوم هذه الوساطة[4] على مبدأ قيام شخص محايد يتمتع بالخبرة بالخبرة والكفاءة والنزاهة اللازمة، بتوظيف مهاراته في إدارة المفاوضات، لمساعدة أطراف النزاع على تقريب وجهات نظرهم، وتسوية خلافاتهم، بشكل ودي قائم على التوافق والتراضي، بعيدا عن إجراءات التقاضي وتعقيداتها.

وعليه، فالمقصود بالوساطة هي أن يتفق الطرفان على اعتماد وسيط بينهما، لكن من دون أن يكون أي نزاع بينهما معروض على المحكمة، ومن خلالها – الوساطة – يسعيان بمحض إرادتهما الوصول إلى اتفاق لتسوية خلافاتهما العائلية بمساعدة وسيط الأسرة، الذي يشرف على عملية حل النزاع، دون أن تكون له الصلاحية لاتخاذ القرار، لذلك فهي تبقى اختيارية وطوعية. ويتم اختيار الوسيط الأسري في الوساطة الاتفاقية، بناء على رضا الطرفين، واعتمادا على ما يتمتع به الوسيط من قيم ومؤهلات عملية وعلمية، تؤهله لفتح الحوار بين الطرفين، وتهييئ أجواء التواصل، للوصول إلى قرار يُنهي النزاع بينهما[5].

---

[1]ـ أنظر المادة الثانية من مرسوم 88. 04. 2 المحدد لمقتضيات مجلس العائلة وأحكامه.

[2]ـ أنظر المادة الثالثة من نفس المرسوم.

[3]– يُعرف المشرع المغربي الوساطة الاتفاقية في المادة 56-327 من قانون المسطرة المدنية بقوله: اتفاق الوساطة هو العقد الذي يتفق الأطراف بموجبه على تعيين وسيط يكلف بتسهيل إبرام صلح لإنهاء نزاع نشأ أو قد ينشأ فيما بعد.

[4] – إمكانية إعمال الوساطة إما بواسطة القاضي، أو بواسطة وسيط حر، أو عن طريق مؤسسة خاصة تابعة لوزارة العدل.

[5] – أحمد الفقيه: قراءة في مشروع قانون الوساطة في المغرب، الندوة الجهوية الحادية عشر حول الصلح والتحكيم والوسائل البديلة لحل النزاعات من خلال اجتهادات المجلس الأعلى، قصر المؤتمرات بالعيون، 1 و 2 نونبر 2007، مطبعة الأمنية، الرباط، ص 452.

صحيح أن المشرع المغربي ينظم مؤسسة الوساطة الاتفاقية بمجموعة من الفصول في قانون المسطرة المدنية[1]، إلا أنها تبقى مؤسسة مجهولة عند شريحة عريضة من المجتمع المغربي، لذلك ينبغي التعريف بها والتوعية بأهميتها، ودفع الأسر إلى الإقبال عليها، واختيارها كبديل عن اللجوء مباشرة إلى القضاء، في حالة حدوث نزاع بين الأزواج.

وتبقى الوساطة الأسرية وسيلة فعالة وسريعة وآمنة، وبناءة في حل النزاعات الأسرية خارج مساطر القضاء الرسمي، لكون اللجوء إلى القضاء يُورث الضغائن في النفوس، كما جاء على لسان عمر بن الخطاب موجها كلامه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما: «رُدَّ الخصوم حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يحدث بين القوم الضغائن»[2].

المطلب الثالث: معيقات تحقيق الصلح بين الزوجين والحلول المقترحة لتجاوزها

إن تطبيق إجراء الصلح بين الزوجين في قضايا الطلاق تطبيقا صحيحا سليما، كما تنص على ذلك النصوص الشرعية والمقتضيات القانونية الواردة في مدونة الأسرة، تعترضه العديد من العراقيل والمعيقات على أرض الواقع، تحول دون تحقيق الأهداف المرجوة من مسطرة الصلح (الفقرة الأولى)، الشيء الذي يُحتم على المشرع بالتدخل للقيام ببعض الإصلاحات الكفيلة بتفعيل مسطرة الصلح (الفقرة الثانية).

الفقرة الأولى: معيقات تحقيق الصلح بين الزوجين في قضايا الطلاق

بالرغم من أهمية النصوص القانونية التي تؤسس للصلح كآلية لفض النزاع بين الزوجين، إلا أن أغلبية محاولات الصلح تبوء بالفشل، وذلك راجع لاعتبارات متعددة، منها ما له صلة بالزوجين، ومنها ما له صلة بالجانب التشريعي والعملي، نذكر منها:

أ – معيقات ذات الصلة بالزوجين:

- تمسك الزوجين بالطلاق: تعنت الزوجين وإصرارهما على موقفهما، غير آبهين بالصلح ومزاياه في الحفاظ على الألفة بين الزوجين، واستمرار العلاقة الزوجية بعيدا عن الحقد والكراهية. فتمسك الزوجين بطلب الطلاق، يُصعب المهمة على قاضي الصلح أو الحَكَمين، ولا يترك للمحكمة إلا الاستجابة لرغبتهما والسير في دعوى الطلاق؛ خاصة إذا كانت هناك مشاكل شخصية وحميمية، لا يستطيع الزوجان البوح بها أمام الهيئة القضائية، والأقارب والأصهار عند انعقاد الصلح. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، قد يتحفظ أطراف النزاع عن البوح ببعض الحقائق، خوفا من تأثير ما يدلون به من اعترافات أثناء جريان مسطرة الصلح على مراكزهم، بعد الانتقال إلى مرحلة المحاكمة، التي تجري أمام نفس القاضي، لكن بصفته قاضي الحُكم.

---

[1]- ينظم قانون المسطرة المدنية الوساطة الاتفاقية من الفصل 55-327 إلى الفصل 69-327.

[2]- رواه البيهقي في سننه، ج 6 ص 109، حديث رقم 11360.

- اختلاف ثقافة الزوجين: يعتبر المستوى الثقافي والاجتماعي عنصرا بالغ الأهمية في تأجيج النزاع أو تلطيفه، فالوسط الثقافي لأحد الزوجين أو كليهما، قد يكون عائقا أمام نجاح محاولة الصلح.

كما أن اختلاف عقيدة الزوجين في حالة الزواج المختلط، هي الأخرى قد تحد من تسوية النزاع بطريقة ودّية، خصوصا وأن الصلح يستمد مشروعيته من القرآن والسنة، فكيف للحَكَمين أو للقاضي أن يقنع غير المسلمة بما جاء به الدين الإسلامي من تعاليم وتوجيهات.

- تأخر اللجوء إلى الصلح: الكثير من الأزواج لا يُحسنون التعامل مع المشكلات التي تحدث بينهم، فتمر العلاقة الزوجية بتعقيدات، يُصبح معها الصلح شبه مستحيل، وحينما يأتي دور القاضي أو الحَكَمين أو غيرهما يكون الأمر معقدا والوقت متأخرا؛ لأن هذا التدخل يأتي بعدما فسدت علاقة الاحترام ليس بين الزوجين فقط، وإنما حتى بين عائلتيهما، مما يصعب معه النجاح في محاولة الصلح التي تعقدها المحكمة.

ب – معيقات ذات الصلة بالجانب العملي والتشريعي:

- إسناد مهمة القيام بالصلح لقاضي الحُكم: إن النصوص القانونية التي تشير إلى إجراء محاولة الصلح بين الزوجين، نجدها تسند هذه المهمة لقاضي الحُكم[1]، وهذا من شأنه تعطيل عملية الصلح وينقص من فاعليتها[2]. فإسناد الصلح لقاضٍ ذي اختصاص مزدوج يؤثر سلبا على نجاعة وفعالية مسطرة الصلح؛ لأن القاضي وهو بصدد القيام بإجراء الصلح، تجده يقف موقف الحياد السلبي، إذ يتجنب إبداء وجهة نظره عند مشاركته أطراف النزاع، في محاولة إيجاد حل توافقي، خوفا من اتهامه بالانحياز لأحدهما، هذا الأمر يمنعه من طرح حلول واقتراحات ودفع كل زوج إلى تقديم تنازلات من طرفه.

- عدم تخصيص الوقت الكافي لعملية الصلح: للنجاح في محاولة الصلح بين الزوجين، لابد من تخصيص الوقت الكافي لهذه العملية، لكن مع كثرة قضايا الطلاق التي تُرفع يوميا إلى المحاكم، لا تترك الوقت للقاضي من أجل الاهتمام بالصلح بين الزوجين؛ إذ تجده منشغلا بدراسة هذه القضايا لإيجاد حلول قانونية موافقة لها، هذا بالإضافة إلى انشغالاته المتعددة، كل ذلك يمنعه من بذل الجهد الكافي لبلوغ المنتظر من إجراء جلسات الصلح.

لذلك، فالوقت الكافي يُعد من العناصر الضرورية لإنجاح عملية الصلح، فَلِكَيْ يقف القاضي على أسباب النزاع بين الزوجين، يحتاج إلى وقت كاف من أجل الاستماع إليهما، هذا الأمر قد يتطلب يوما كاملا أو أكثر، كما أنه قد يتطلب أكثر من جلسة.

ولكل الصعوبات التي ذُكرت، سواء ما تعلق منها بالزوجين، أو ما تعلق بالجانب التشريعي والعملي، نجد القاضي وهو ينظر في عشرات الملفات يوميا، يتعامل مع عملية الصلح كإجراء شكلي فقط، مما يجعل من

[1]- أنظر المواد: 82 – 89 – 94 وغيرها التي تتحدث عن الصلح في مدونة الأسرة.

[2]- الحسن بويقيني: أسباب عدم نجاح مسطرة الصلح في النظام القضائي المغربي، منشورات جمعية نشر المعلومة القانونية والقضائية، سلسلة الندوات سنة 2004، ص 28.

الجلسة الصُّلحية، جلسة صورية، يقتصر من خلالها على توجيه سؤال للزوجين حول موقف كل منهما من الصلح، ويتم تسجيل ذلك الموقف بعد محاولة رمزية وسريعة[1].

والذي يظهر كخلاصة لهذه الفقرة، هو فشل آلية الصلح على مستوى التطبيق؛ وهذا ما تؤكده الإحصائيات الصادرة عن وزارة العدل والحريات، والتي تهم الفترة الممتدة ما بين 2006 و 2013، إذ نجد نسبة الصلح في طلبات الإذن بالإشهاد على الطلاق تتراوح ما بين 19٪ و27٪، وفي قضايا التطليق ضئيلة جدا حيث تتراوح ما بين 14٪ و17٪[2].

الفقرة الثانية: مقترحات وحلول بديلة لإنجاح عملية الصلح بين الزوجين

رغم إجبارية مسطرة الصلح التي فرضتها مدونة الأسرة في قضايا انحلال الرابطة الزوجية، من أجل إصلاح وتذويب الخلاف بين الزوجين، إلا أنها لم تحقق النتائج المرجوَّة منها، بسبب ما يعترضها من صعوبات، ولتجاوز ذلك نستعرض بعض المقترحات العملية:

- إنشاء غُرف على مستوى المحاكم، مهمتها السعي إلى الإصلاح بين الأزواج المقبلين على الطلاق، ومن شأن ذلك تخفيف العبء على قاضي الحُكم.

- ضرورة الفصل بين قاضي الحُكم والقاضي المكلف بالصلح، و عندما لا يتوفق هذا الأخير في حل الخلاف بين الزوجين، يُحيل الملف على الأول للبث فيه.

- يجب إيلاء أهمية أكبر لمؤسسة الحَكَمين و لمجلس العائلة، مع إعطائهما الوقت الكافي للقيام بدورهما في تقريب وجهات نظر المتخاصمين.

- يجب أن يتدخل المشرع المغربي لوضع قواعد وسن ضوابط تنظم آلية الوساطة الأسرية، لتقوم بدورها الفعال في الحد من النزاعات وتسويتها بطرق ودية.

[1]- يوسف زروق: مسطرة الصلح وفق أحكام مدونة الأسرة، رسالة ماستر، شعبة القانون الخاص، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، أكدال، جامعة محمد الخامس، الرباط، سنة 2011/2010، ص 80/79.

[2] – القضاء الأسري الواقع والآفاق، عشر سنوات من تطبيق مدونة الأسرة. دراسة تحليلية إحصائية 2013/2004، وزارة العدل والحريات، مديرية الشؤون المدنية، ص 67/65.

خـــــاتمة:

اهتم الإسلام بالأسرة، وهيأ لها من دواعي النجاح، ما تكون به قادرة على إزالة العقبات في طريق الحفاظ على تماسكها واستمراريتها. ومن الوسائل التي شرعها الله تعالى لفض النزاع بين الأزواج الصلح بالوساطة؛ فمتى استحكم الخلاف بين الزوجين، ولم يتمكنا من حل خلافاتهما بنفسيهما، يجب تدخل أهل الخير والإصلاح لتنويب الخلاف، حفاظا على تآلف القلوب وتماسك الأسرة.

هذا وقد توصل البحث إلى نتائج مهمة، أهمها:

- رغّب الإسلام في لعب دور الوسيط للصلح بين المتخاصمين، وخاصة الأزواج.

- حثّ الشرع على بعث الحَكَمين كوسيطين، إذا اشتد الخصام بين الزوجين وبات الفراق متوقعا.

- اتفق الفقهاء على أن الحَكَمين، يكون أحدهما من أهل الزوج والآخر من أهل الزوجة إن أمكن، وإلا فمن غيرهما، ومن الأفضل أن يكونا من الأصدقاء أو الجيران.

- لا خلاف بين الفقهاء في أن الهدف الأساسي من بعث الحَكَمين، هو الإصلاح بين الزوجين، والتوفيق بينهما حتى تستمر العلاقة الزوجية؛ لأنه لا يصح اللجوء إلى القضاء لأسباب يمكن علاجها.

- أوجبت مدونة الأسرة المغربية القيام بمحاولة الصلح، كإجراء إلزامي يقوم به القاضي في القضايا المتعلقة بفك الرابطة الزوجية.

- الصلح موجود كإجراء قانوني، إلا أن الهدف السامي من هذا الإجراء غير موجود، بل أصبحت جلسات الصلح تأخذ شكل استجواب.

- الصلح في مدونة الأسرة، هو وسيلة يلجأ إليها القاضي، لإيجاد الحل بالصلح بين الزوجين، من خلال الاستعانة بمجموعة من المؤسسات، أهمها مؤسسة الحَكَمين ومجلس العائلة.

- في الغالب لا يقوم القضاة بتعيين الحَكَمين كمؤسسة مساعدة على تحقيق الصلح، وإنما يكتفون بجلسات الصلح فقط.

- مجلس العائلة غير موجود على أرض الواقع، حيث لم يتم تفعيله منذ إنشائه.

- المشرع المغربي لم يضع لحد الآن أي إطار قانوني للوساطة الأسرية.

ولعل من تتميم الفائدة أن أقترح جملة من التوصيات، التي قد تساعد على إنجاح الصلح بين الأزواج:

- للتقليل من ظاهرة الطلاق، لِمَ لا يفكر المشرع المغربي في إنشاء معاهد متخصصة، لتكوين وتحضير المُقبلين على الزواج؛ تحضيرا شرعيا ونفسيا واجتماعيا، وذلك باطلاع كل من الزوجين مسبقا على حقوق كل طرف، وواجباته اتجاه الطرف الآخر. مع تدريبهما على كيفية تدبير اختلافاتهما، كل ذلك بهدف خلق الاستقرار داخل الأسر.

- التنسيق مع المجالس العلمية للاستفادة من المرشدين والقيّمين الدينيين، من أجل القيام بمهمة الإصلاح بين الأزواج، خاصة وأن ذلك يجد سنده في مضمون المادة 82 من المدونة، من خلال عبارة: «أو مَن تراه مؤهلا لإصلاح ذات البين».

- تفعيل دور المساجد، من خلال منح دور للأئمة والوعاظ والواعظات على مستوى الأحياء، لمعالجة المشكلات الاجتماعية، والخلافات التي تحدث بين الأزواج، بين الآباء والأبناء، وما إلى ذلك، عوض اللجوء إلى المحاكم والدخول في إجراءات تتميز بالكثير من التعقيد والمشقة، كونها تستغرق وقتا طويلا، وتتطلب تكاليف باهظة.

- توظيف وسائل الإعلام وفعاليات المجتمع المدني، للتوعية بأهمية الصلح بالوساطة، كوسيلة للحفاظ على استقرار الأسرة المسلمة، والتوعية كذلك باللجوء إليها قبل اشتداد الخلاف بين الأزواج.

لائحة المصادر والمراجع

- **ابن رشد**، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1415.
- **ابن عاشور** محمد الطاهر: التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- **ابن العربي**، أبو بكر محمد بن عبد الله: أحكام القرآن، راجع أصوله وخرّج أحاديثه وعلّق عليه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة 1424هـ/ 2003م.
- **ابن فرحون**، برهان الدين ابراهيم بن علي: تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام. دار عالم الكتب، طبعة خاصة، سنة 1423هـ/2003م.
- **ابن قدامة**، محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد: المغني. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي و عبد الفتاح محمد الحلو، دار عالم الكتاب، الطبعة الثالثة، سنة 1417هـ/1997م.
- **ابن كثير** الدمشقي، الحافظ اسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 1410هـ/1999م.
- **ابن المفلح**، أبو اسحاق برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد: المبدع شرح المقنع. تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1428هـ/1997م
- **ابن منظور**، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار المعارف، دون ذكر تاريخ الطبع.
- **ابن الهمام**، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي السكندري: شرح فتح القدير. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م.
- **الباجي**: أبو الوليد سليمان بن خلف: المنتقى شرح الموطأ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الأولى 1420هـ/1999م.
- **البخاري**، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل: صحيح البخاري، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، سنة 1423هـ/2002م.
- **بلموهوب** محمد الطاهر: الوساطة القضائية، دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون الجزائري، أطروحة الدكتوراه، تخصص شريعة وقانون، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، السنة الجامعية 2017/2016.
- **البهوتي**، منصور بن يونس بن ادريس: كشاف القناع عن متن الإقناع. تحقيق إبراهيم أحمد عبد الحميد، دار عالم الكتاب، الرياض، طبعة خاصة، سنة 1423هـ/2003م.
- **بويقيني** الحسن: أسباب عدم نجاح مسطرة الصلح في النظام القضائي المغربي، منشورات جمعية نشر المعلومة القانونية والقضائية، سلسلة الندوات سنة 2004.
- **البيهقي**، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي: الجامع لشعب الإيمان، مكتبة الرشاد، الطبعة الأولى، سنة 1423هـ/2003م.
- **الترمذي**، أبو عيسى محمد بن عيسى: الجامع الكبير، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة 1996م.
- **الحصفكي**، محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمان: الدر المختار شرح تنوير الأبصار. تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م.
- **الجرجاني**، علي بن محمد الشريف : التعريفات. مكتبة لبنان، طبعة 1985 م.
- **الجصاص**، أبو بكر أحمد بن علي الرازي: أحكام القرآن، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة 1412هـ/1992م.
- **اجويلل** إدريس: مستجدات مدونة الأسرة في مجال مسطرة الشقاق بين الزوجين، منشورات جامعة مولاي إسماعيل، عدد 5، الندوة الوطنية المنعقدة بتاريخ 18/17 فبراير 2004، مطبعة جسور، وجدة، سنة 2004.
- **الدسوقي**، شمس الدين الشيخ محمد عرفة: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دون ذكر تاريخ الطبع.
- **الرازي**، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت 1986م.
- **الرصاع**، أبو عبد الله محمد الأنصاري: شرح حدود ابن عرفة. تحقيق محمد أبو الأجفان و الطاهر المعموري، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة 1993م.
- **الرملي**، شمس الدين محمد: نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج. دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 1424هـ/2003م.
- **زروق** يوسف: مسطرة الصلح وفق أحكام مدونة الأسرة، رسالة ماستر، شعبة القانون الخاص، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، أكدال، جامعة محمد الخامس، الرباط، سنة 2011/2010.
- **الزمخشري** محمود: تفسير الكشاف، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، 1430هـ/2009م.

- **السدلان** صالح بن غانم: النشوز، ضوابطه، حالاته، أسبابه، طرق الوقاية منه، وسائل علاجه في ضوء القرآن والسنة. دار بلنسية للنشر والتوزيع، الرياض السعودية، الطبعة الرابعة 1417.
- **الشيرازي**، أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف: المهذب، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1416هـ/ 1995م.
- **الطبري**، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة 1422هـ/2001م.
- **طهريوي** رشيد: أطروحتنا للدكتوراه في موضوع: ولاية غير المسلمين على المسلين في النوازل الأسرية، دراسة فقهية تشريعية قضائية. كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، سايس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، السنة الجامعية 2020/2019.
- **غميجة** عبد المجيد: موقف المجلس الأعلى من ثنائية القانون والفقه في مسائل الأحوال الشخصية، منشورات جمعية نشر المعلومات القانونية والقضائية، عدد 1 مارس 2007.
- **الفاخوري** إدريس: واقع الصلح في العمل القضائي الأسري، وردت ضمن ندوة دولية تحت عنوان: تطبيق مدونة الأسرة في المهجر، نظمت برحاب كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة محمد الأول وجدة، منشورات مختبر البحث في قانون الأسرة والهجرة، عدد 4، سنة 2011.
- **الفقيه** أحمد: قراءة في مشروع قانون الوساطة في المغرب، الندوة الجهوية الحادية عشر حول الصلح والتحكيم والوسائل البديلة لحل النزاعات من خلال اجتهادات المجلس الأعلى، قصر المؤتمرات بالعيون، 1 و 2 نونبر 2007، مطبعة الأمنية، الرباط.
- **الفيروز** أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، سنة 1426هـ/2005م.
- **القرطبي**، محمد بن أحمد بن أبي بكر: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ/2000م.
- **قلعرجي** محمد رواس و حامد صادق قنيبي: معجم لغة الفقهاء، الطبعة الثانية، دار النفائس، بيروت، 1988م.
- **الكاساني**، علاء الدين أبي بكر بن مسعود: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع.تحقيق علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1424هـ/2003م.
- **مالك** بن أنس، الإمام: الموطأ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1406هـ/1985م.
- **مالك** بن أنس الأصبحي: المدونة الكبرى. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1415هـ/1994م.
- **الماوردي**، أبو الحسن علي بن محمد حبيب: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد بن مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، الطبعة الأولى، 1409هـ/ 1989م.
- **الماوردي**، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب: الحاوي الكبير. تحقيق علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ/1994م.
- **النووي**، محي الدين أبو زكريا يحيي بن شرف: روضة الطالبين وعمدة المفتين. المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، سنة 1412هـ/1991م.
- **وزارة العدل والحريات**، مديرية الشؤون المدنية: القضاء الأسري الواقع والآفاق، عشر سنوات من تطبيق مدونة الأسرة. دراسة تحليلية إحصائية 2013/2004م.
- مرسوم رقم 88. 04. 2 صادر في 25 ربيع الآخر 1425 (14 يونيو 2004) بشأن تكوين مجلس العائلة وتحديد مهامه، الجريدة الرسمية عدد 5223 بتاريخ 3 جمادى الأولى 1425 (21 يونيو 2004).

الكفاءة الزوجية وأثرها على الزواج: دراسة تحليلية

أ.د. مزاحم مهدي النجار
Dr. MUZAHIM MAHDI IBRAHIM
جامعة تكريت- العراق
dr.mozahimdori@gmail.com

المقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على خير من اصطفى النبي المجتبى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم خير من سار على الأرض واهتدى وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين

وبعد؛ فإن من نعم الله تعالى على الإنسانية أن جعل الزواج سنة الحياة قال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة)[1]

فالحياة الزوجية أساسها الدوام والاستمرار وإنها قائمة على الود والرحمة ولكن قد تعتري الحياة الزوجية بعض الصعاب والمشاكل، من أجل ذلك احتاطت الشريعة الإسلامية للحفاظ على دوام وطمأنينة الأسرة ببعض الأمور التي تؤدي إلى الحفاظ على الأسرة ودوامها، فاشترطت الشريعة بعض الأمور ومنها اشتراط الكفاءة بين الزوجين حتى يكونان بمستوى متقارب بينهما ويؤدي إلى التفاهم والاستقرار،

ونظرا لقلة من يعرف شرط الكفاءة في عقد الزواج وأثره على دوام الزواج واستمراره أحببت أن أكتب فيه لأهميته في استقرار الأسرة وطمأنينتها مما يتوافق مع أهداف الإسلام في الزواج.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون من مقدمة وخمسة مطالب وخاتمة

تحدثت في المقدمة عن أهمية الموضوع وسبب اختياري له

وجاء المطلب الأول: عن مفاهيم العنوان

والمطلب الثاني: عن الصفات المعتبرة في الكفاءة

والمطلب الثالث: حكم الكفاءة

والمطلب الرابع: فيمن تعد الكفاءة وصاحب الحق فيها ووقت اعتبارها

المطلب الخامس: عن أثار الكفاءة على الزواج

وأخيرا جاءت الخاتمة لتبين النتائج

[1] : سورة الروم اية 21

أسال الله سبحانه وتعالى أن يكون عملي هذا خالصا لوجهه وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المبحث الأول: مفاهيم العنوان

أولا: تعريف الكفاءة لغة واصطلاحا

1: تعريف الكفاءة لغة:

الكفء : ورد في لسان العرب الكفء : النظير وكذلك الكفء والكفوء[1]

وتأتي بمعنى المماثلة، قال الفراهيدي: كفا ، يقال هذا كفء له أي مثله في الحسب والمال [2] ومنه قوله تعالى (..لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد)[3] أي لا مثيل له

وتكافا الشيآن تماثلا ، وكافاه مكافأة وكفاءة : ماثله[4]

والكفاءة في النكاح : هو أن يكون الزوج مساويا للمرأة في حسبها ودينها ونسبها ودينها وغير ذلك[5]

2: الكفاءة في الاصطلاح:

لا يخرج المعنى الاصطلاحي للكفاءة عن المعنى اللغوي إلا أن منهم من أطلق المماثلة بين الزوجين ومنهم من حدد صفات الكفاءة

ففي دستور العلماء: الكفاءة في الشرع: كون الزوج نظيرا للزوجة[6]

وفي القاموس الفقهي والنهاية في غريب الحديث:

الكفاءة في النكاح شرعا: مساواة الرجل للمرأة في الأمور الآتية: الإسلام ،النسب، التقوى، الحرية، المال والحرفة[7]

والكفاءة عند الفقهاء:

---

[1] : لسان العرب 3892/5،مختار الصحاح270/1، الصحاح تاج اللغة العربية 68/1

[2] : العين414/5

[3] : سورة الاخلاص اية 3ـ 4

[4] : المحكم والمحيط الاعظم 91/7

[5] : لسان العرب179/1،تاج العروس390/1،معجم اللغة العربية 1942/3،النهاية في غريب الحديث180/4

[6] : دستور العلماء 89/3،

[7] :القاموس الفقهي 1942/3،النهاية في غريب الحديث180/4

الحنفية: مساواة مخصوصة بين الرجل والمرأة[1]

وعند الشافعية: أمر يوجب عدمه عارا[2]

وعند المالكية: المماثلة في الدين والحال ولا يشترط فيها المماثلة في غير ذلك [3]

وعند الحنابلة: المماثلة والمساواة في خمسة أشياء[4]

ثانيا: تعريف الزواج لغة واصطلاحا

1: تعريف الزواج لغة:

الزوج خلاف الفرد [5]

قال ابن شميل: الزوج اثنان وكل اثنين زوج [6]

وقال ابن دريد: الزوج كل اثنين ضد الفرد وتبعه الجوهري فقال: ويقال للاثنين المقترنين زوجان وزوج أيضا[7]

وقال صاحب المحكم والمحيط: الزوج: الفرد الذي له قرين والزوج الاثنان[8]

وفي القاموس المحيط: الزوج: كل ما يقترن بأخر مماثلا له أو مضادا وكذلك كل اثنين لا يستغني أحدهما عن صاحبه[9]

وفي المعجم الوسيط: الزوج: كل واحد معه آخر من جنسه والشكل يكون له نقيض كالرطب واليابس والذكر والأنثى [10]

وخالف في ذلك ابن قتيبة فقال: الزوج يكون واحدا ويكون اثنين[1]

---

[1] : الدر المختار 84/3

[2] : مغني المحتاج 284/4

[3] : حاشية الدسوقي248/2

[4] : المغني27/7،كشاف القناع67/5

[5] : لسان العرب291/2 ، مختار الصحاح130

[6] : لسان العرب292/2،تاج العروس22/6،تهذيب اللغة106/1

[7] : المصباح المنير258/1

[8] : المحكم والمحيط525/7

[9] : الكليات486/1

[10] : المعجم الوسيط 405/1

والأصل في الزوج : الصنف والنوع من كل شيء أو كل شيئين مقترنين شكلين كانا أو نقيضين فهما زوجان وكل واحد منهما زوج[2]

والزوج : الشكل يكون له نظير كالأصناف والألوان أو يكون نقيض كالرطب واليابس

والذكر والأنثى والليل والنهار والحلو والمر[3]

والزوج المرأة والزوج المرء[4]

والزواج : هو اقتران الزوج بالزوجة أو الذكر بالأنثى[5]

2: تعريف الزواج اصطلاحا:

الحنفية: عقد وضع لتملك المتعة بالأنثى قصدا[6]

الشافعية: عقد يتضمن اباحة الوطء بلفظ انكاح أو تزويج أو ترجمته[7]

المالكية: عقد مجرد متعة التلذذ بأدمية غير موجب قيمتها ببينة قبله غير عالم عاقده حرمتها[8]

الحنابلة: عقد تزويج [9]

ثالثا: تعريف الأثر لغة واصطلاحا

1: تعريف الأثر لغة:

بقية الشيء والجمع آثار وأثور وقال بعضهم: ما بقي من رسم الشيء [10]

---

[1] : المصباح المنير258/1

[2] : النهاية في غريب الحديث 317/2 ، تاج العروس22/6

[3] : المصباح المنير 258/1،المعجم الوسيط 405/1

[4] : تهذيب اللغة 106/11،مختار الصحاح 130

[5] : المعجم الوسيط405/1

[6] : شرح فتح القدير 186/3

[7] : مغني المحتاج 211/4

[8] : شرح حدود ابن عرفة 235/1

[9] : المغني3/7

[10] : العين، الخليل بن احمد الفراهيدي 236،237/8،تاج العروس10، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المعروف بالزبيدي/12،22،لسان العرب، ابن منظور 5/4،مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي 13/1.

وذكر الجرجاني ثلاثة معان وهي: الأول بمعنى النتيجة وهو الحاصل من الشيء

والثاني: بمعنى العلامة ، والثالث: بمعنى الخبر[1]

وذكر صاحب مجمع اللغة العربية تسعة معان منها : سبب أو نتيجة [2]

وهو صفة عامة للإشارة إلى النتائج المباشرة المفترضة أو المقصودة[3]

ويتوضح من خلال التعريف أن التأثير ما هو إلا ردة فعل أو انعكاس نتيجة التعرض لوسيلة أو أي شيء آخر[4]

2: تعريف الاثر عند الفقهاء:

النتيجة المترتبة على التصرف ويطلق عليها الفقهاء الأحكام فيقولون: أحكام النكاح أي **اثاره** [5]

المطلب الثاني: الصفات المعتبرة في الكفاءة

اختلف الفقهاء في الصفات المعتبرة في الكفاءة ، وهذه الصفات منها ما هو متفق عليه بينهم ومنها ما هو مختلف فيه، لذا سأذكر هذه الصفات عند كل مذهب ثم بعد ذلك سأتحدث عنها مبينا المقصود منها عندهم

عند الحنفية (الإسلام والدين والنسب والحرية و الصنعة والمال)

وعند الشافعية (الدين والنسب والحرية والحرفة والسلامة من العيوب)

وعند الحنابلة (الدين والصناعة والحرية واليسار والنسب والمنصب) وفي رواية: الدين والمنصب أي النسب

وعند المالكية (الدين فقط) وقيل هي خمسة كما ذكرها الحنابلة[6]

وهذا شرح موجز للمراد من هذه الصفات:

1: الإسلام:

وهذه الصفة تفرد بها الحنفية ولم يأخذ بها الجمهور ، والمراد بها عندهم إسلام الأصول ، فمن لها أبوان في الإسلام لا يكافؤها من له أب واحد، اما أبو يوسف فذهب إلى أن الكفاءة في الإسلام تتم بإسلام الأب وحده ، فمن له أب في الإسلام هو كفء لمن لها آباء في الإسلام[1]

---

[1] : التعريفات، علي بن محمد الجرجاني 9/1.

[2] : مجمع اللغة العربية ، ابراهيم الزيات واخرون61/1 .

[3] : قاموس المصطلحات الاعلامية، محمد فريد عزت 208 .

[4] : اثر استخدام الانترنيت على العلاقات الاسرية بين افراد الاسرة السعودية، بو هلال احلام 9

نقلا عن المعجم الاعلامي ، محمد جمال العار ص264.

[5] : معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي 42/1

[6] : مغني المحتاج286/4ـ 289،المعني27/7،بدائع الصنائع 576/3ـ 582

ولا يراد بها إسلام الزوج فإن الإسلام أحد شرائط انعقاد العقد فلا يصح زواج المسلمة من غير المسلمين ، والكفاءة في الإسلام تخص غير العرب اذ العرب لا يفتخرون بالإسلام بل يفتخرون بالأنساب،

2: الدين:

المراد به الصلاح والاستقامة في أحكام الدين والسلامة من الفسق ، وهذا قول جمهور الفقهاء من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة[2]

فعند الحنفية لو أن امرأة زوجت نفسها من فاسق كان للأولياء حق الاعتراض

وقال المالكية: المراد من الدين الإسلام مع السلامة من الفسق

وقال الشافعية: من خصال الكفاءة الدين والصلاح ...والفاسق ليس بكفء للعفيفة

وقال الحنابلة: الدين مما يعتبر في الكفاءة، فلا تزوج عفيفة عن الزنا بفاجر أي بفاسق[3]

والمعتبر في الصلاح الزوج والزوجة ولا عبرة بالآباء، فالرجل الصالح كفء للمرأة الصالحة وإن كان أباه فاسقا وكذلك إن كانت المرأة صالحة كفء للرجل الصالح وإن كان أباها فاسقا، فلا عبرة بصلاح الأهل أو فسقهما،

وخالف في ذلك أبو حنيفة وتلميذه محمد بن الحسن الشيباني حيث ذهبا إلى عدم اعتبار الكفاءة من الدين لأن الكفاءة من أحكام الدنيا [4]

3: النسب

وهو أن تنسب المرأة إلى من تتشرف به بالنظر إلى نسبه، فالأعجمي أبا ليس كفئا للعربية أبا، وغير القرشي ليس كفئا للقرشية وغير قريش من العرب أكفاء لبعض،

قال الامام الغزالي: ان شرف النسب من ثلاث جهات:

أحداها: الانتماء إلى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا لا يعادله شيء

الثانية: الانتماء إلى العلماء فانهم ورثة الأنبياء

ثالثها: الانتماء إلى أهل الصلاح والتقوى، ولا عبرة بالانتماء إلى عظماء الدنيا والظلمة المستولين على الرقاب وإن تفاخر الناس بهم [5]

---

[1] : بدائع الصنائع 581/3

[2] : بدائع الصنائع581/3، الشرح الكبير249/2، مغني المحتاج288/4، الحاوي101/9

[3] ::المصادر نفسها

[4] : بدائع الصنائع582/3، رد المحتار 88/3

[5] : مغني المحتاج284/4

وقد اختلف الفقهاء في اعتبار النسب في الكفاءة في الزواج:

القول الأول: اعتبار النسب في كفاءة الزواج وهو مذهب الحنفية والراجح عند الشافعية والحنابلة وسماه الحنابلة (المنصب)[1]

القول الثاني: عدم اعتبار النسب في كفاءة الزواج وهو مذهب المالكية وقول عند الشافعية ورواية عند أحمد وهو مذهب الظاهرية[2]

ومن الجدير بالذكر أن القول بالكفاءة في النسب لم يقل به أحد من السلف الصالح ،وأن من قال به من الفقهاء قد يكون أن العرف آنذاك كان يفرق بين العربي وغيرهم،

من أجل ذلك ولكثرة الأحاديث التي لا تفرق بين المسلمين أرى أن ما ذهب إليه ملك هو الراجح والله أعلم

4: الحرية

الحرية من خصال الكفاءة عند جمهور الفقهاء الحنفية والشافعية والحنابلة والمالكية[3] فلا يكون العبد كفؤا لحرة وذلك لأن العبد مملوك لسيده ممنوع من التصرف في كسبه، ولأن الأحرار يعيرون بمصاهرة الأرقاء [4]

وخالف في ذلك ابن حزم حيث ذهب إلى عدم اعتبار الحرية من الكفاءة [5]

وما ذهب إليه جمهور الفقهاء هو الراجح وذلك لأن العبد منقصة تعير به الزوجة

5: المال أو اليسار:

والمراد به القدرة على دفع المهر والنفقة الزوجية لا الغنى والثراء ، فلا يكون المعسر كفؤا لموسرة وبه قال الحنفية وبعض الشافعية ورواية عن أحمد[6]

وخالف في ذلك المالكية والشافعية في الأصح ورواية عن أحمد حيث ذهبوا إلى عدم اعتبار الكفاءة في المال[7]

---

[1] : بدائع الصنائع576/3،مغني المحتاج 287/4 ، الحاوي102/9،المغني27/7، المبدع47/7

[2] : مغني المحتاج221/3،الحاوي104/9،الذخيرة214/4

[3] : بدائع الصنائع580/3،مغني المحتاج 287/4،الحاوي 104/9، المغني28/7، المبدع48/7،حاشية الدسوقي250/2

[4] : بدائع الصنائع 580/3

6: المحلى151/9

[5] : ألمحلى 151/9

[6] : بدائع الصنائع 580/3 ــ581 ، روضة الطالبين78/6، مغني ألمحتاج290/4، المغني29/7

[7] : أسهل المدارك83/2، روضة الطالبين 78/6، مغني المحتاج290/4، أالمغني29/7،ألشرح ألكبير249/2، بداية ألمجتهد16/2،

والذي أراه هو ما ذهب إليه أصحاب القول الأول وذلك لأن الفقر يؤثر على استمرار الحياة الزوجية، ولان المهر والنفقة من واجبات الزوج

6: الحرفة أو المهنة أو الصناعة:

والمراد منه العمل الذي يمارسه الإنسان لكسب عيشه ومنه الوظيفة في الحكومة، وقبل بيان آراء الفقهاء في الحكم الشرعي لها أود ان أبين أن ألمهن يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام وهي:

1: مهن ورد الشرع بتحريمها لذاتها أو لما يترتب عليها فهي محرمة

2: مهن ورد النهي عنها على سبيل التنزيه لما يلابسها من مظنة الحرام، فهي مكروهة تنزيها ، فإن لم يلابسها الحرام وعرفها المسلمون وتعاطوها فهي غير مكروهة

3: مهن حض عليها الشرع أو لم ينه عن تعاطيها فهي مباحة أو مندوبة عند عدم الاضطرار إليها ، فإن اضطرت الأمة إليها فهي فرض كفاية يأثم جميعا بتركها[1]

فالمهن بصورة عامة نوعان محرمة ومباحة والضابط فيها هو (ان كل عمل أو صنعة ليس فيها مخالفات لأحكام أو مقاصد شرعية أو تجر إلى مخالفات شرعية

فهي مهنة مباحة ، وغير ذلك فهي مهنة لا يجوز تعاطيها)[2]

والمراد من المهن عند من قال بها هو المهن ألمباحة ، وهذه المهن ألمباحة تقسم إلى قسمين حسب الأعراف الاجتماعية وهي: مهن شريفة ومهنة غير شريفة، فمفهوم الشرف والدناءة يختلف من قوم إلى آخر وكذلك من عصر إلى آخر

وقد اختلف الفقهاء فيها إلى قولين:

القول الأول: أن الحرفة معتبرة في الزواج وهو قول جمهور الفقهاء من الحنفية – وهو المفتى به – وقول الصاحبين والشافعية والحنابلة في رواية [3]

القول الثاني: عدم اعتبار الحرفة من الكفاءة وهو مروي عن أبي حنيفة ورواية عن أحمد والمالكية[4]

والذي أراه أن هذه الصفة تتبع العرف الجاري في المجتمع فإذا كان العرف يعدها منقصة فهي من شروط الكفاءة والا فلا

7: السلامة من العيوب المثبتة للخيار في النكاح:

---

[1] : فتاوى ابن تيمية28/ 79، 194/29

[2] : الكفاءة في الزواج مقارنا بقانون الاحوال الشخصية، رسالة ماجستير 83

[3] : بدائع الصنائع582/3،الاختيار112/3،مغني المحتاج 289/4، الحاوي 105/9، المغني29/7، المبدع48/7

[4] : المغني29/7،الشرح الكبير249/2،بدائع الصنائع582/3، الاختيار112/3، الحاوي105/9،الفقه الاسلامي وادلته234/9

والمراد منها هو سلامة الزوج من العيوب المثبته للخيار ، فمن به عيب من العيوب ليس كفئا للسليمة وممن ذهب إلى ذلك المالكية والشافعية[1]

وخالف في ذلك الحنفية والحنابلة حيث لم يعدوا العيوب من خصال الكفاءة[20]

والذي أراه هو ما ذهب إليه الحنفية والمالكية من عدم اعتبار العيوب من خصال الكفاءة وذلك لأن هذه العيوب تثبت الخيار للزوجة لأن الضرر مختص بها

من خلال ما تقدم فإن أغلب الصفات التي تقدم ذكروها عدا الديانة فهي تابعة للأعراف السائدة في المجتمع ،

وعليه فإن العرف له دور كبير في عد هذه الخصال أو غيرها مما يستجد في المجتمع من صفات الكفاءة أو عدمها وهذا ما جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية (وترى اللجنة ان عامة الصفات المعتبرة في الكفاءة وحسب ما تقدم لدى الفقهاء مناط اعتبارها العرف، وقد عبر الفقهاء بما تقدم انطلاقا من عرفهم ، فإذا تغير العرف تغيرت صفات الكفاءة)[3]

المطلب الثالث: حكم الكفاءة:

اتفق الفقهاء على اعتبار الكفاءة في الدين[4] واختلفوا فيما عداه، فمنهم من نفاها ومنهم من اثبتها

القول الأول: عدم اعتبار الكفاءة شرطا في الزواج ، فالزواج يصح بدون وجود الكفاءة أي سواء اكان الزوج كفؤا للزوجة ام غير كفء وهذا مروي عن الثوري والحسن البصري و الكرخي وابي بكر الرازي من الحنفية وقول عند الشافعية[5] وقول للإمام أحمد[6] واليه ذهب ابن حزم الظاهري[7]

القول الثاني: تشترط الكفاءة في عقد الزواج وهذا مذهب جمهور الفقهاء الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة[8] إلا انهم اختلفوا فيما بينهم هل الكفاءة شرط صحة ام شرط لزوم إلى رأيين:

الرأي الأول: الكفاءة شرط صحة وبه قال مالك وقول عند الشافعية[9] ورواية ثانية

---

[1] : الشرح الكبير249/2،مغني المحتاج286/4

[2] : رد المحتار93/3،المغني29/7

[3] : الموسوعة الفقهية الكويتية 281/34

[4] : البناية شرح الهداية107/5، بداية المجتهد42/2

[5] : بدائع الصنائع573/3، المهذب453/2، مغني المحتاج284/4

[6] : الكافي21/2، المغني27/7

[7] : كشاف القناع71/5،المحلى 147/9

[8] : بدائع الصنائع573/3،تبيين الحقائق128/2، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير 248/2،مغني المحتاج284/4 ،المهذب38/2 ،كشاف القناع71/5، المغني27/7

[9] : الذخيرة213/4

عند أحمد[1] والمفتى به عند الحنفية[2]

الرأي الثاني: الكفاءة شرط لزوم وبه قال الحنفية في ظاهر الرواية والاظهر عند الشافعية والراجح عند الحنابلة[3]

الادلة ومناقشتها:

أدلة القول الأول:

استدل اصحاب هذا القول بأن الكفاءة ليست شرطا في عقد الزواج بما يأتي:

1: عموم النصوص القرآنية التي يدل ظاهرها على عدم اشتراط الكفاءة وان المسلمين متساوون ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى[4]ومنها:

ا: قال تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم)[5]

وجه الدلالة: هذا نص عام يفيد ان اساس التفاضل هو الايمان والتقوى وليس الكفاءة

ب: عن أبي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له(انظر فانك ليس بخير من احمر ولا اسود إلا ان تفضله بتقوى)[6]

وجه الدلالة: يفيد الحديث ما افادته الآية

ويمكن الرد على الدليلين بما يأتي:

1: المقصود بالمساواة والتفاضل بين الناس إلا بالتقوى: ان المسلمين امام الاحكام الشرعية سواء ، لهم حقوق وعليهم واجبات بغض النظر عن مكانة الانسان الاجتماعية من نسب وحسب وغيره

2: التقوى لا تمنع من التفاوت بين الناس في الرزق والصحة والتعليم بدليل قول الله تعالى (يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات)[7] [8]

ج: عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا بني بياضة انكحوا أبا هند وانكحوا إليه وكان حجاما) [1]

---

[1] : الكافي3/21،الشرح الكبير 5/59

[2] : بدائع الصنائع3/573، تبيين الحقائق2/128

[3] : المبسوط5/26، مغني المحتاج4/270، الشرح الكبير5/62

[4] : بدائع الصنائع3/573، المحلى10/24، نظام الاسرة في الاسلام، محمد عقلة305

[5] : سورة الحجرات اية 13

[6] : مسند احمد 35/321

[7] : سورة المجادلة اية 11

[8] : العرف واثره على حقوق الزوج 69

د: عن عائشة رضي الله عنها ان ابا حنيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس تبنى سالما وانكحه بنت اخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة وهو مولى لا مرأة من الانصار)[2]

وجه الدلالة: لو كانت الكفاءة معتبرة لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اقر بمثل هذه الزيجات رغم انعدام الكفاءة[3]

ويرد عليه: ان اصحاب تلك الوقائع قد تنازلوا عن حقوقهم في اشتراط الكفاءة[4]

أو انه محمول على الندب ارشادا إلى اختيار صاحب الدين وتفضيله على من سواه[5]

2: ما روي عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم انه قال (لا فضل لعربي على اعجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس من آدم وآدم من تراب)[6]

ويرد عليه: المراد منه التفاضل في الآخرة لا فيما يرجع إلى الدنيا ، أو المراد به نفي التفاضل في الحقوق والواجبات وهذا لا يمنع من التفاضل الشخصي بين الناس ، لأن الناس يشعرون بهذا التفاضل فيما بينهم وهذا يتفق مع فطرهم واعرافهم وفي هذا التفاضل يقول الله عز وجل (اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون)[7] [8]

2: القياس على الدماء والقصاص فيها فكما ان المساواة غير معتبرة في القصاص مع انها اشد خطورة من الزواج فكذلك فإن الكفاءة يجب إلا تعتبر في الزواج [9]

وقد اعترض عليه: هذا قياس مع الفارق ، لأن القصاص شرع لمصلحة الحياة واعتبار الكفاءة فيه يؤدي إلى تفويت هذه المصلحة .. وفي اعتبار الكفاءة في باب النكاح تحقيق المصلحة المطلوبة من النكاح فيبطل الاعتبار

---

[1] : صحيح البخاري 7/7

[2] : صحيح ابن حبان375/9

[3] : العرف واثره على حقوق الزوج 69

[4] : المصدر نفسه

[5] : نظام الاسرة في الاسلام، محمد عقله

[6] : مسند احمد474/38

[7] : سورة الزخرف اية 32

[8] : الكفاءة في عقد الزواج في الشريعة الاسلامية والقانون200

[9] : بدائع الصنائع574/3

[1] وكذلك اعتبار الكفاءة من اجل الحفاظ على تماسك البنية الاجتماعية بعدم اباحة دماء الناس ، والكفاءة في الزواج هي للوقاية من الخلافات الزوجية التي تفتت بنية المجتمع وتماسكه[2]

وأضيف إلى ذلك: أن المساواة في القصاص ورد بها نص صريح عكس الكفاءة

3: القياس على السلامة من العيوب فكما أن السلامة من العيوب حقا للمرأة أو أولياؤها فكذلك يجب إلا تعتبر في الزواج [3]

ويمكن الرد عليه: أن السلامة من العيوب هي احدى صفات الكفاءة فلا يصح قياس الجزء على الكل

4: الكفاءة لا تعد في حق الزوجة لأن الرجل لا يستنكف عن استفراش المرأة الدنيئة فكذلك لا تعد في حق الزوج[4]

ويمكن الرد عليه: اتفاق الفقهاء على أن الكفاءة تخص الزوج دون الزوجة كما أن اشتراط الكفاءة هو بسبب ما يصيب المرأة من أذى وهذا لا يحصل للزوج فلا يصح القياس

أدلة اصحاب القول الثاني:

استدل اصحاب هذا القول بأن الكفاءة شرط في صحة عقد الزواج بما يأتي:

1: ما روي عن السيد عائشة رضي الله عنها انها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تخيروا لنطفكم ، وأنكحوا الاكفاء، وأنكحوا اليهم[5]

وجه الدلالة: الحديث واضح الدلالة في اعتبار الكفاءة من شروط صحة العقد لوروده بصيغة الأمر بالزواج من الاكفاء (تخيروا لنطفكم) بمعنى : اطلبوا لها ما هو خير المناكح وأزكاها وأبعدها عن الخبث والفجور[6]

2: ما رواه الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ثلاث لا تؤخروهن ،الصلاة إذا اتت، والجنازة إذا حضرت، والأيم إذا وجدت كفؤا[7]

وجه الدلالة: يدل الحديث صراحة على اعتبار الكفاءة وتزويج المرأة إذا وجدت الكفؤ

ويرد عليه: الحديث ضعيف فقد ضعفه ابن ماجة وقال: لا أصل له وفي اسناده الحارث بن عمران وهو ليس بالقوي ، وقال الدار قطني : متروك[1]

---

[1] : المصدر نفسه

[2] : الكفاءة في الزواج مقارنا بقانون الاحوال الشخصية، الكردي 51

[3] : نظام الاسرة في الاسلام305

[4] : بدائع الصنائع574/3

[5] : سنن ابن ماجة633/1،السنن الكبرى133/7، سنن الدار قطني ، باب النكاح 207/3

[6] : شرح الحديث/ محمد فؤاد عبد الباقي ،العرف واثره على حقوق الزوج 70

[7] :الجامع الصغير 138/1، تحفة الاحوذي رقم 156

3: عن ابراهيم بن محمد بن طلحة قال: قال عمر: (لأمنعن تزوج ذات الاحساب إلا من الاكفاء)[2] ، قال الترمذي : حسن عريب

وجه الدلالة: إن عزم عمر بن الخطاب على منع الزواج بغير الكفؤ يفيد وجوب التقيد بالكفاءة في النكاح[3]

واجيب على الحديثين المتقدمين بما قاله الكمال بن الهمام: هذه الاحاديث الضعيفة من طرق عديدة يقوي بعضها بعضا فتصبح حجة بالتظافر والشواهد وترتفع إلى مرتبة الحسن لغيره لحصول الظن بصحة المعنى وثبوته عنه صلى الله عليه وسلم وفي هذا كفاية)[4]

4: ان الزواج قد شرع لتحقيق مقاصد تعود على الزوجين والاسرة بالخير، وعلى رأس تلك المقاصد تحقيق السكن والمودة ، وهذا لا يتأتى إلا بالمودة والانسجام بين الزوجين، ولا شك أن الكفاءة من أهم العوامل المساعدة على تحقيق ذلك[5]

5: إن انتظام المصالح يكون عادة بين المتكافئين ، والنكاح شرع لانتظامها ،ولا تنتظم المصالح بين غير المتكافئين، فالشريفة تأبى أن تكون مفترشة للخسيس، وتعير بذلك[6]

6: إن الزواج وضع لتأسيس القرابات الصهرية ، ليصير البعيد قريبا عضدا وساعدا، يسره ما يسرك ، وذلك لا يكون إلا بالموافقة والتقارب ، ولا مقاربة للنفوس عند مباعدة الانساب ، والاتصاف بالرق والحرية، ونحو ذلك، فعقده مع غير المكافئ قريب الشبه من عقد لا تترتب عليه مقاصده [7]

أدلة الفقهاء الذين ذهبوا إلى أن الكفاءة شرط لزوم العقد

1: إن النبي محمد صلى الله عليه وسلم زوج مولاه زيد بن حارثة من زينب بنت جحش وهي ابنة عمة النبي صلى الله عليه وسلم وقرشية ايضا[8]

وجه الدلالة: تصرف النبي صلى الله عليه وسلم يدل على أن الكفاءة شرط لزوم لا صحة فلو أن الكفاءة شرط صحة لما صح الزواج فحمل على انه شرط لزوم ، ويندرج هذا على كل الوقائع التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم فيها بتزويج غير الكفء[1]

---

[1] : سنن ابن ماجة46/1

[2] : سنن الدارقطني3/ 206 ،السنن الكبرى133/7، مصنف عبد الرزاق 154/6

[3] : العرف واثره على حقوق الزوج 71

[4] : شرح فتح القدير 417/2

[5] : البناية شرح الهداية 109/5، شرح فتح القدير 293/3،المبسوط22/5

[6] : البناية شرح الهداية 109/5،الموسوعة الفقهية الكويتية 269/34

[7] : بدائع الصنائع580/3، حاشية الدسوقي2م249، مغني المحتاج288/4،روضة الطالبين 84/7 ،كشاف القناع67/5 ،المغني28/7، الموسوعة الفقهية 269/34

[8] :سنن الدار قطني 208/3

2: المعقول:

قال ابن الهمام (فيمكن ثبوت تفصيلها ــ أي الكفاءةــ بالنظر إلى عرف الناس ، فيما يحتقرونه ويعيرون به)[2]

الترجيح: والذي أراه راجحا هو القول بأن الكفاءة شرط لزوم لقوة الأدلة

المطلب الرابع: فيمن تعد الكفاءة وصاحب الحق فيها ووقت اعتبارها

اولا: فيمن تعد الكفاءة:

اختلف الفقهاء على قولين:

القول الأول: تعتبر الكفاءة في جانب الرجال للنساء وهذا قول جمهور الفقهاء[3]

قال الكاساني: (الكفاءة تعتبر للنساء لا للرجال على معنى انه تعتبر الكفاءة في جانب الرجال للنساء، ولا تعتبر في جانب النساء للرجال)[4]

إن سبب جعل الكفاءة بجانب الرجل للأسباب التالية:

1: إن الرجال قوامون على النساء ، ومقتضى قوامة الشخص على الآخر إلا يكون أدنى منه حالا ، بل ينبغي أن يكون على الأقل مماثلا لمن له حق القوامة عليه في المنزلة والمكانة الاجتماعية

2: لا يشترط أن تكون المرأة مساوية للرجل أو مقارنة له، بل يصح أن تكون أقل منه في أمور الكفاءة ، لأن الرجل لا يعير بزوجة أدنى حالا منه ، أما المرأة وأقاربها فيعيرن بزوج أقل منها منزلة

3: إن المرأة هي التي تستنكف إذا لم يكن الرجل كفؤا لها ، وليس الرجل إذا لم تكن كفؤا له، لأنها هي المستفرشة وأما الزوج فهو المفترش ولا تلحقه الانفة من قبلها [5]

القول الثاني: تعتبر الكفاءة بجانب النساء ايضا وبه قال أبو يوسف ومحمد من الحنفية[6]

---

[1] : العرف واثره على حقوق الزوج 71

[2] : فتح القدير 296/3

[3] : مجمع الأنهر: 340/1.

[4] : بدائع الصنائع 582/3ـــ 583

[5] : الكفاءة في عقد الزواج في الشريعة الاسلامية والقانون، قحطان هادي عبد 31

[6] : بدائع الصنائع 583/3،الفقه الاسلامي وادلته 239/7، المفصل في احكام المرأة في الشريعة الاسلامية329/6 ــ 330

أدلة القول الأول:

1: ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين، الرجل تكون له الامة فيعلمها فيحسن تعليمها، ويؤدبها فيحسن تأديبها، فيتزوجها، فله اجران)[1]

2: فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فانه لا مكافئ له وقد تزوج من أحياء العرب المختلفة ، وتزوج صفية بنت حيي رضي الله عنها ولم تكن من العرب.

3: المعنى الذي شرعت الكفاءة من أجله يوجب اختصاص اعتبارها بجانب الرجال لأن المرأة هي التي تستنكف لا الرجل،[2]

أدلة القول الثاني:

ان اميرا امر رجلا ان يزوجه امرأة فزوجه امة لغيره[3]

وقالوا: يحتمل أن يكون عدم الجواز عندهما لاعتبار الكفاءة في تلك المسألة خاصة حملا للمطلق على المتعارف كما هو أصلهما اذ المتعارف هو التزويج بالكفء، فاستحسنا اعتبار الكفاءة بجانبهن في تلك الصورة لمكان العرف والعادة [4]

والذي أراه راجحا هو القول الأول لقوة الادلة وللأسباب التي ذكرت.

ثانيا: صاحب الحق في طلب الكفاءة

ذكرت سابقا أن الكفاءة تعد في جانب الرجال ، وقد ذهب الفقهاء إلى أن صاحب الحق في الكفاءة هو للمرأة وللأولياء، وهذه بعض اقوالهم:

ورد في حاشية رد المحتار: الكفاءة حق للزوجة ولأوليائها

وفي حاشية الدسوقي: لأن الحق لهما معاـ أي المرأة ووليهاـ في الكفاءة

وفي مغني المحتاج: الكفاءة حق للمرأة وللولي فلهما اسقاطهما

وفي كشاف القناع: الكفاءة حق للمرأة وللأولياء والأولياء كلهم القريب والبعيد[5]

3: ولأنه صلى الله عليه وسلم تزوج من أحياء العرب ولا مكافئ له[1]

---

[1] : صحيح مسلم:134/1

[2] : الفقه الاسلامي وادلته 239/7، المفصل في احكام المرأة في الشريعة الاسلامية329/6 ـ 330، الكفاءة في عقد الزواج في الشريعة الاسلامية والقانون 31، الضوابط الشرعية لحماية الزواج 8

[3] : بدائع الصنائع583/3

[4] : المصدر نفسه

[5] : حاشية رد المحتار85/3 ، حاشية الدسوقي 249/2 ، مغني المحتاج 284/4 ، كشاف القناع67/5

4: ولأن الولد يشرف بشرف أبيه لا بأمه فلم يعتبر ذلك في ألأم [2]

وقد استدلوا بما يأتي:

1: عن أبي موسى الأشعري قال: قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم (أيما رجل كانت له جارية فعلمها وأحسن تعليمها وأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران)[3] متفق عليه

2: انها حق للمرأة من حيث أن لها الحق في أن تصون نفسها عمن لا يساويها في خصال الكفاءة فكان لها الحق في الكفاءة

3: وانه حق للأولياء لأنهم ينتفعون بذلك، فكان لهم أن يدفعوا الضرر عن أنفسهم بالاعتراض [4]

وعليه فإن حق الكفاءة يثبت للزوجة وأوليائها كلا على انفراد.

ثالثا: وقت اعتبار الكفاءة

ذكر الفقهاء أن الوقت الذي تعتبر فيه الكفاءة هو ابتداء عقد الزواج ولا يضر زوالها بعده، فلو تزوجها كفء لها ثم طرأ على الزوج ما ينقص كفاءته بعد ذلك فلا يؤثر على العقد لأن العقد نشا صحيحا [5]

ولا خلاف بين الفقهاء في ذلك إذ لو اشترط استمرار الكفاءة في المستقبل لأدى ذلك إلى عدم استقرار الحياة الزوجية ، ولان الزوجة لا يلحقها العار إذا تخلفت الكفاءة مستقبلا في عرف الناس وعاداتهم ، بل تكون محل تقديرهم واعجابهم فيها[6]،قال ابن عابدين: (فلو كان كفئا ثم فجر لم يفسخ) [7].

المطلب الخامس: آثار الكفاءة على الزواج

أولا: تخلف الكفاءة في العقد

اختلف الفقهاء في الأثر المترتب على فقد الكفاءة في عقد الزواج، وذلك حسب آرائهم في حكم الكفاءة، فإذا زوجت المرأة الكاملة ألأهلية نفسها من غير كفء، قد اختلف الفقهاء:

1: فمن رأى أن الكفاءة شرط صحة في الزواج وهو رواية عن أبي حنيفة في الرواية المختارة للفتوى وقول عند الحنابلة في غير المشهور عنهم قالوا: النكاح باطل[1].

---

[1] : المغني30/7

[2] : المغني30/7

[3] : صحيح البخاري195/3 صحيح مسلم 134/1

[4] : الضوابط الشرعية لحماية الزواج 9

[5] : البحر الرائق :3/ 139، تبيين الحقائق: 128/2، القواعد لابن رجب: 96تحفة المحتاج: 349/7.

[6] : حاشية ابن عابدين92/3، الشرح الصغير400/2،المغني480/6

[7] : حاشية ابن عابدين 92/3

قال ابن قدامة(لأن التزويج مع فقد الكفاءة تصرف في حق من يحدث من الأولياء بغير اذنه فلم يصح كما لو زوجها بغير اذنها)[2]، وقال السرخسي(لأنها الحقت العار بالأولياء،،، ولا يكون التفريق بذلك إلا عند القاضي لأنه فسخ للعقد بسبب نقص [3].

2: ومن رأى أن الكفاءة شرط نفاذ، فتخلف أي شرط من شروط النفاذ يجعل العقد صحيحا موقوفا ، فإن أجازه صاحب الحق صار العقد صحيحا ، أما إذا لم يجزه من له الحق فيكون العقد باطلا.

3: أما الذين قالوا أن الكفاءة شرط لزوم ، فالعقد بدونها يكون لازما ويقع صحيحا غير لازم ، وانه قابل للفسخ ، حيث يجوز لولي المرأة أن يرفع الأمر إلى القضاء ليفسخ العقد والقاضي يجيبه إلى طلبه ما لم تكن الزوجة حاملا أو أنها وضعت طفلا وذلك للمحافظة على ألولد وبه قال الحنفية والشافعية والحنابلة في المشهور عنهم[4]

قال السرخسي(إذا زوجت المرأة نفسها من غير كفء فللأولياء أن يفرقوا بينهما ، لأنها الحقت العار بالأولياء فانهم يتعيرون بأن ينسب اليهم بالمصاهرة من لا يكافئهم ، فكان لهم ان يخاصموا لدفع ذلك عن انفسهم) [5]

والراجح هو القول الثالث والله اعلم حيث رجحنا هذا القول عند الكلام عن حكم الكفاءة وفي هذا قال الشافعي: (ليس نكاح غير الاكفاء محرما فارده بكل حال ، وانما هو نقص على المزوجة والولاء، فإذا رضيت المزوجة ومن له الأمر معها بالنقص لم اردە)[6]

ثانيا: إذا زوج الأولياء المرأة البالغة

ا: حكم رضاء بعض الأولياء دون بعض

اختلف الفقهاء على قولين:

القول الأول: يسقط حق الباقين وهو قول أبي حنيفة ومحمد وهو مذهب الشافعي ومالك ورواية عن أحمد[7]

القول الثاني: لا يسقط حق الباقين وهو قول أبي يوسف ورواية عن أحمد وقول للشافعي[8]

---

[1] : المغني 26/7، المبسوط:26/5.

[2] : المغني 26/7

1: المبسوط:26/5.

[4] : بدائع الصنائع574/3،المغني26/7، الام30/5

[5] : المبسوط 26/5

[6] : الام30/5

[7] : بدائع الصنائع 574/3 ، المغني 26/7

[8] : بدائع الصنائع 574/3 ، المغني 26/7

أدلة القول الأول:

1: حديث المرأة التي رفعت أمرها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ـأن أباها زوجها من غير كفئها فخيرها ولم يبطل الزواج من أصله[1]

2: إن العقد وقع بأذنها والنقص الموجود لا يمنع صحته ، وإنما يثبت الخيار

3: أن هذا حق واحد لا يتجزأ فقد ثبت بسبب لا يتجزأ وهو القرابة واسقاط بعض ما لا يتجزأ إسقاط لكله لأنه لا بعض له فإذا أسقط واحد منهم لا يتصور بقاؤه في حق الباقين كالقصاص إذا وجب لجماعة فعفا احدهم عنه انه يسقط حق الباقين[2]

أدلة القول الثاني:

1:إن حقهم في الكفاءة ليس مشتركا بين الكل فإذا رضي به أحدهم فقد أسقط حق نفسه، فلا يسقط حق الباقين، قياسا على الدين إذا وجب لجماعة، فأبرأ بعضهم فانه لا يسقط بذلك حق الباقين

2: إن رضا احدهم لا يكون أكثر من رضاها، فإن زوجت نفسها من غير كفء بغير رضاهم لا يسقط حق الأولياء برضاها، فلئن لا يسقط برضا أحدهم أولى[3]

ج: تزويج الولي الصغيرة

إذا كان الولي هو الأب أو الأخ أو الابن معروفين بحسن التصرف وزوجوا موليتهم الصغيرة فإن الزواج صحيح ولا يحق للصغيرة بعد أن تبلغ الاعتراض على هذا الزواج وهذا لا خلاف فيه[4] قال ابن المنذر (اجمع كل من نحفظ عنه من اهل العلم ان نكاح الأب ابنته البكر الصغيرة جائز إذا زوجها من غير كفء ويجوز له تزويجها مع كراهيتها وامتناعها)[5] وكذلك لأن الأولياء القريبين يسعون إلى سعادة موليتهم وهم أعرف بذلك،

أما إذا كان الأولياء المذكورين معروفين بسوء التصرف فالعقد موقوف على رضا المولية بعد البلوغ ومن حقها أن تختار سواء كان الصغير ذكرا أو أنثى ومن حقه أن يطلب فسخ العقد لأن الحق مشترك بينهما

أما إذا زوجها الولي البعيد فإن من حق من كانت تحت ولايته الاعتراض وفسخ العقد حتى لو كان الولي معروفا بحسن التصرف[6]، مع العلم أن الشيعة الإمامية يرون أن حق الكفاءة ثابت للمرأة فقط دون الأولياء[7].

---

[1] : سنن ابن ماجة602/1ـــ 603 ، سنن النسائي86/6

[2] : الضوابط الشرعية لحماية الزواج 17

[3] : المصدر نفسه

[4] : المغني30/7

[5] : المصدر نفسه

[6] : احكام الاسرة في الفقه الاسلامي المقارن(احكام النكاح والزواج)، الاستاذ الدكتور نظام الدين عبد الحميد،57

[7] : الاحوال الشخصية للذهبي 120

د: تساوي الأولياء في الدرجة

إذا تفاوتوا في الدرجة كانت الكفاءة حق الولي الأقرب ، كالأب مع الأخ، فإن للاب حق الاعتراض عند عدم الكفاءة دون الأخ، وإن تساووا في الدرجة كأخوة وأعمام ، كان الحق للاقوا قرابة ، فالأخ الشقيق أحق بالاعتراض من الأخ لاب ، والعم لأب وأم أولى من العم لأب، وإن تساووا في الدرجة وقوة القرابة كالأخوة الأشقاء فقد اختلفوا فيها على قولين:

القول الأول:

إن رضا الواحد منهم يسقط حق الآخرين في الاعتراض ، واعتبر رضاه رضى منهم جميعا وهو مذهب أبي حنيفة ومحمد وقول عند الشافعي ورواية عند أحمد[1].

القول الثاني:

إن رضى الواحد لا يسقط حق الآخرين ، وعليه لا يقبل رضى أحدهم حتى يرضى البقية وهو قول أبي يوسف و القول الثاني للشافعي ورواية عن أحمد[2]

أدلة القول الأول:

1: عن ابن بريدة عن أبيه قال: جاءت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته قال: فجعل الأمر إليه فقالت: قد أجزت ما صنع أبي ولكن اردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء [3]

وجه الدلالة: إن تخيير النبي صلى الله عليه وسلم المرأة وعدم إبطال الزواج دليل على ـن رضا ـحدهم يسقط حق الآخرين

2: إن هذا حق واحد لا يتجزأ ، فقد ثبت بسبب لا يتجزأ ، وهو القرابة، وإسقاط بعض ما لا يتجزأ إسقاط لكله لأنه لا بعض له ، فإذا أسقط واحد منهم لا يتصور بقاؤه في حق الباقين كالقصاص إذا وجب لجماعة فعفا احدهم عنه انه يسقط حق الباقين[4]

أدلة القول الثاني:

1: إن رضى أحدهم لا يكون أكثر من رضاها ، فإن زوجت نفسها من غير كفء بغير رضاهم لا يسقط حق الأولياء برضاها ، فلان لا يسقط برضا أحدهم أولى

---

[1] : بدائع الصنائع 574/3 ، اسهل المدارك 77/2، حاشيتا قليوبي وعميرة 233/3، المغني 26/7، كشاف القناع 70/5، الكفاءة في الزواج مقارنا بقانون الاحوال الشخصية 44ـــ 45

[2] : المصادر نفسها

[2]: سنن النسائي 86/6 ، سنن ابن ماجة 602/1ـــ 603 وقال في الزوائد: اسناده صحيح

[4] : الضوابط الشرعة لحماية الزواج 17

2: إن حقهم في الكفاءة ثبت مشتركا بين الكل فإذا رضي به أحدهم فقد أسقط حق نفسه فلا يسقط حق الباقين قياسا على الدين إذا وجب لجماعة فابرأ بعضهم، فانه لا يسقط بذلك حق الباقين [1]

والراجح عندي هو ما ذهب إليه اصحاب القول الأول لعدم امكان تجزئة الحق

ه: تزويج المرأة نفسها

وهذا مبني على صحة تزويج المرأة نفسها من غير الولي عند الحنفية،

فهي إما أن تزوج المرأة نفسها من كفء أو من غير كفء

1: إذا زوجت المرأة نفسها من كفء

ذهب الحنفية إلى صحة الزواج ولو كان المهر دون مهر المثل[2]

وذهب جمهور الفقهاء من الشافعية والمالكية والحنابلة والظاهرية إلى عدم صحة هذا العقد [3]

والحجة لهم: آيات وأحاديث منها

قال تعالى (وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم)[4]

2: إذا زوجت المرأة نفسها من غير كفء

ذهب الحنفية إلى صحة عقد الزواج إلا أنه يحق للولي فسخ العقد [5]

ومذهب جمهور الفقهاء الشافعية والحنابلة والمالكية عدم صحة العقد وذلك لأن الولي من شروط صحة العقد[6]

---

[1] : المصدر نفسه

[2] : بدائع الصنائع 574/3، شرح فتح القدير 391/2، الكفاءة في الزواج مقارنا بقانون الاحوال الشخصية 55

[3] : مغني المحتاج 253/4 المغني 7/ 23، الشرح الصغير387/3، المحلى451/9

[4] : سورة النور اية 32

[5] : بدائع الصنائع 574/3، شرح فتح القدير 391/2، الكفاءة في الزواج مقارنا بقانون الاحوال الشخصية 55

[6] : مغني المحتاج 353/4 المغني23/7 الشرح الصغير 387/3

الخاتمة

بعد أن انتهيت من ذكر الكفاءة وأثرها على الزواج تبين لي:

1: أن الكفاءة هي حق للمرأة وللأولياء

2: اتفاق الفقهاء على صفة التدين متفق عليها بين الفقهاء وان الإسلام هو من شروط الانعقاد فلا يصح زواج المسلمة من غير المسلم حتى لو وافقت على الزواج أو وافق الأولياء على ذلك

3: إن أغلب صفاة الكفاءة عدا التدين راجعة إلى العرف ، وعليه إذا تغير العرف في مكان أو زمان يمكن ان تغير هذه الصفاة ، بل ويمكن ان تضاف صفاة اخرى إذا عدها العرف منقصة للبنت أو الأولياء

4: إن الكفاءة لا تتعارض مع احكام الإسلام بالمساواة بين الناس بل هي زيادة استقرار وأمان للأسرة

5: إن الإسلام يسعى من وراء ذلك إلى الحفاظ على ديمومة الاسرة واستقرارها لأن الاصل في الزواج هو الاستمرار والبقاء إلا لضرورة

6: تظهر مكانة المرأة في الإسلام من خلال وضع بعض الشروط والصفاة لحماية المرأة واحترامها

المصادر

1: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ) ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م

2: احكام الاسرة في الفقه الاسلامي المقارن، الاستاذ الدكتور نظام الدين عبد الحميد، دار المناهج، ط1 1432ه ـــــ 2011م

3: الاختيار لتعليل المختار، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي البلدحي، مجد الدين أبو الفضل الحنفي (المتوفى: 683هـ)، عليها تعليقات: الشيخ محمود أبو دقيقة ، الناشر: مطبعة الحلبي - القاهرة (وصورتها دار الكتب العلمية - بيروت، وغيرها)، تاريخ النشر: 1356 هـ - 1937 م

4: أسهل المدارك شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك لجامعه الفقير لرحمة ربه أبي بكر بن حسن الكشناوي، المكتبة العصرية

5: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: 587هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م

6: البناية شرح الهداية، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م

7: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية

8: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشِّلْبِيِّ، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (المتوفى: 743 هـ)

9: تحفة المحتاج في شرح المنهاج، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، روجعت وصححت: على عدة نسخ بمعرفة لجنة من العلماء، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، الطبعة: بدون طبعة، عام النشر: 1357 هـ - 1983 م

10: التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م

11: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م

12: الحاوى الكبير ـ الماوردى، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، دار النشر / دار الفكر ـ بيروت

13: دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ) عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م

14: دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: 1051هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1993م

15: الذخيرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى، 1994 م

16: رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، (المتوفى: 1252هـ) الناشر: دار الفكر-بيروت، الطبعة: الثانية، 1412هـ - 1992م

17: روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- عمان، الطبعة: الثالثة، 1412هـ / 1991م

18: سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت275ه)، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: الكتبة العلمية

19: سنن الدار قطني، الامام الحافظ علي بن عمر الدار قطني(ت385هـ)علق عليه وخرج احاديثه مجدي بم منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية،ط2 1424هـ ـــ 2002م

20: السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة: الطبعة: الأولى ـ 1344 هـ

21: سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي، النسائي الناشر: دار الكتب العلمية

22: شرح فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي ت 681هـ، الناشر دار الفكر مكان النشر بيروت

23: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م

24: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1414 - 1993

25: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، الناشر: دار الشعب– القاهرة، الطبعة: الأولى 1407-987

26: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)

المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

27: الكليات، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت العرف واثره على حقوق الزوج في الفقه الاسلامي، رهيفة سليمان حمادة، رسالة ماجستير

28: العين ،أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال

29: الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ (الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها)، أ. د. وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلاميّ وأصوله بجامعة دمشق - كلّيَّة الشَّريعة، الناشر: دار الفكر - سوريَّة – دمشق، الطبعة: الرَّابعة المنقَّحة المعدَّلة بالنِّسبة لما سبقها (وهي الطبعة الثانية عشرة لما تقدمها من طبعات مصورة)

30: القاموس الفقهي ، سعدي أبو جيب، الناشر: دار الفكر. دمشق - سورية

الطبعة: تصوير 1993 م الطبعة الثانية 1408 هـ = 1988 م

31: الكافي في فقه أهل المدينة، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، المحقق: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1400هـ/1980م

32: كشاف القناع عن متن الإقناع منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق هلال مصيلحي مصطفى هلال، الناشر دار الفكر، سنة النشر 1402 ، بيروت

الكفاءة في الزواج مقارنا بقانون الاحوال الشخصية، حسن محمد عبد الحميد الكردي، رسالة ماجستير

33: لسان العرب ، ابن منظور، المحقق : عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي، دار النشر : دار المعارف، القاهرة

34: المبسوط، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: 483هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: بدون طبعة

الحاشية: شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس بن إسماعيل بن يونس الشِّلْبِيُّ (المتوفى: 1021 هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية - بولاق، القاهرة الطبعة: الأولى، 1313 هـ

35: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: 458هـ]، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م

36: المحلى، ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن جزم(ت456ه)، تحقيق لجنة احياء التراث العربي، دار الجيل،

37: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م

38: مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركين، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م

39: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت

40: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر عام النشر: 1399هـ - 1979م.

41: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرةن، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة

42: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م

43: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م

44: المغني، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى : 620هـ)، طبعة: دار الفكر، الطبعة: الأولى، 1405هـ ـ1984م

45: مغني المحتاج إلى شرح الفاظ المنهاج، شمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني، قدم له ورقم كتبه وابوابه عماد زكي البارودي، خققه وخرج احاديثه طه عبد الرؤوف سعد، راجعه محمد عزت، مطبعة، المكتبة التوفيقية،

46: المهذب في فقة الإمام الشافعي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: 476هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية

47: النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)

الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي

نحو تفعيل منظومة القيم العليا من خلال علم التزكية: مقاربة تربوية

Towards activating the system of higher values through the science of sponsorship: an educational approach

د. محمد إلياس المراكشي
Dr. Marrakchi Mohamed Ilyass
أستاذ بجامعة عبد المالك السعدي – تطوان
Professor at Abdul-Malik Al-Saadi University – Tetouan
Dr.ilyass_marrakchi@outlook.com

ملخص البحث

تتحدد القيم الكبرى في الإسلام في "التوحيد والتزكية والعمران"، فهي تشكل مرجعية مقاصدية لفهم الغاية من الوجود، وبيان غاية الحق من الخلق، كما أنها بمثابة منظومة معيارية تنبثق عنها القيم الرئيسة والفرعية، ويسعى هذا البحث في مقاربة تربوية إلى بيان مكانة منظومة القيم العليا في الفكر الإسلامي، ودراسة سبل تفعيلها من خلال علم التزكية، مع استشراف آفاق التوسع في بحثها، وتحديد أهم آثارها على الفرد والمجتمع، خصوصا ما يتعلق بمدى إسهامها في ترميم صرح الحضارة الإسلامية والإنسانية.

Résumé

Les valeurs fondamentales de l'Islam sont déterminées à travers «Le Monothéisme, la Purification et l'Urbanisme», elles représentent une référence pour comprendre la raison de l'existence, et mettre en évidence le but de la Création. Ainsi, elles sont considérées comme un système normatif d'où émergent les valeurs principales et subsidiaires.

Cette étude cherche, dans une approche pédagogique, à montrer l'importance de ce système de valeurs dans la pensée islamique, et étudier les moyens de sa mise en œuvre à travers l'éducation spirituelle, tout en explorant les perspectives d'expansion de ses recherches, et en déterminant ses effets importants sur l'individu et la société, notamment ce qui concerne sa contribution à la restauration de l'édifice de la civilisation islamique et humaine.

مـــــقـــــدمـــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد: تعيش الأمة الإسلامية أزمات قيمية وأخلاقية عديدة، نتجت عنها انتكاسة حضارية خطيرة، وما لم يتعمق أفرادها في فهم العوامل التي تبني الحضارات وترقيها أو تهدمها وتفنيها، فلن تستطيع أن تجد الحلول المناسبة لأزمتها الحضارية.

ولما كان السياق المعاصر يفرض على المتخصصين في كل مجال أن يستحضروا أنه "لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"، فإن المهتمين بالعلوم الإنسانية، مطالبون أن ينظروا إلى الواقع نظرة بالغة الدقة، وأن يبحثوا الفرضيات المحتملة للإجابة عن التساؤل الآتي: ما الذي تحتاجه الأمة لبناء ثقافة مجتمعية إسلامية تسهم في ترسيخ أسس النهضة الحضارية المنشودة، بعيدا عن التطرف والانحلال؟

لعل من سديد الأفكار الموجّهة لبحث هذا الموضوع، أن نهضة الأمة من جديد لا تتطلب سوى توفر الشروط والظروف التي نشأت فيها حضارتها أول مرة، والتي تفاعلت بفضل خطاب كان يستمد نوره من بيان القرآن والسنة وتأثيرهما، ليسهم في ترسيخ العقيدة السليمة، التي تثمر العمل الصالح المتقن والفعال.

ولما كان تغير الزمان وتطوره، يفرض على كل أمة الاجتهاد في تجديد فكرها وثقافتها من أجل تصحيح رؤيتها إلى العالم، فإن من بين ما يحتاج إلى التجديد في عصرنا، تجديد النظر إلى "علم التزكية" والاستفادة مما يشتمل عليه من رصيد فكري ومخزون قيمي، يروم الكشف عن أحوال القلوب، ويهدف بالأساس إلى تحقيق التربية الروحية من خلال تطهير النفوس وتصفيتها من النقائص والدناءات، وتحليتها بالفضائل والكمالات.

ومعلوم أن القيم الإسلامية الكبرى وما يتفرع عنها من قيم فرعية، تتمحور حول **الإيمان** بوحدانية الله سبحانه واليقين في أنه الخالق المدبر، **والإيمان** بأنه سبحانه أجرى هذا الكون وفق سنن وقوانين قابلة للفهم والاكتشاف، لتيسير عمارة الأرض بالخير والصلاح والرشاد، **والإيمان** بأن عمارة الإنسان للأرض إنما تتحقق بتزكية النفس وتزكية نظام المجتمع.

وبالتالي تتحدد القيم الكبرى في الإسلام، حسب عدد من المفكرين المعاصرين، ومنهم إسماعيل الفاروقي، وطه جابر العلواني وفتحي حسن ملكاوي في "التوحيد، والتزكية، والعمران"، فهي تشكل مرجعية مقاصدية لفهم الغاية من الوجود، وبيان غاية الحق من الخلق، كما أنها بمثابة منظومة معيارية تنبثق عنها القيم الرئيسة والفرعية.

إن التوحيد والتزكية هما أساس العمران الحضاري في الإسلام، فالتوحيد حقيقة مطلقة يقود إليها التفكر والتأمل السليم قبل أن يتعزز بأدلة النقل والعقل، أما التزكية فهي عملية ارتقاء بالنفس الإنسانية وسمو بها، وتطهير للمجتمع من ألوان الفساد والانحراف، وتعزيز لمؤشرات المسؤولية والتكافل الاجتماعي، والعمران سعي

بشري لتوظيف طاقات الإنسان في بناء حياة عامرة بالخير، تحقق مقاصد الخلافة في الأرض بما يطور الحضارة البشرية ويرشدها، وهكذا تستكمل عناصر رؤية العالم في التصور الإسلامي فيما يتعلق بالله والإنسان والكون[1].

ولا شك أن الحديث عن القيم المعيارية باعتبارها منظومة، يحمل في ثناياه إشارات واضحة إلى مدى التكامل بينها في تشكيل الفكر الإسلامي المستنير بهداية الوحي، وصناعة الإنسان القاصد، وبناء الحضارة الراشدة.

ويسعى هذا البحث في مقاربة تربوية إلى بيان مكانة منظومة القيم العليا "التوحيد والتزكية والعمران" في الفكر الإسلامي، ودراسة سبل تفعيلها من خلال علم التزكية، مع استشراف آفاق التوسع في بحثها، وتحديد أهم آثارها على الفرد والمجتمع، خصوصا ما يتعلق بمدى إسهامها في ترميم صرح الحضارة الإسلامية والإنسانية.

ومن مسوغات اختيار هذا الموضوع الذي يربط بين "منظومة القيم" و"علم التزكية" و"بناء الحضارة"، محاولة التنبيه إلى خطورة منهج الاستلاب الفكري الذي يستولي على عدد من الشباب، والذي تتجلى آثاره إما في الانشغال بأمجاد الماضي وتراث السلف والانصراف عن العمل للحاضر والمستقبل، وإما في الدعوة إلى قطع الصلة بالتراث الإسلامي والانشغال بمظاهر الحضارة الغربية المعاصرة.

إن الفكر الإصلاحي المستنير القاصد إلى صناعة جيل مؤثر فاعل في المجتمع، يقوم أساسا على تحديد الوجهة والمقصد وضبط الوسائل والأدوات، وهنا تكمن قيمة التوجيهات التي يقدمها علماء التزكية، رغبة في ترسيخ معنى التعايش مع الجماعة، ومعنى الجهاد في مخالفة النفس وتسخير طاقاتها لخدمة الوطن والأمة والإنسانية جمعاء.

ولا شك أن النفس الإنسانية عندما تكتسب منطق الفكرة الإصلاحية من خلال القيم الإسلامية الكبرى "التوحيد والتزكية والعمران"، يتولد لديها منطق العمل الاجتماعي، الذي يتفاعل فيه الإنسان مع مكونات محيطه في إطار الزمن الذي يعيشه، ليسهم في التغيير بلسان حاله ومقاله.

وإذا كانت أهمية الموضوع تتجلى من خلال ما تقدم وما سيأتي بسطه وتفصيله لاحقا، فإن من الأهداف التي يسعى البحث إلى تحقيقها:

- ترسيخ أهمية إعمال الفكر والانشغال بالذكر وسائر الأعمال الصالحة، ومقاومة كل مظاهر الغفلة والعطالة الفكرية والسلوكية.

- التأكيد على أهمية الانفتاح على العلوم الشرعية والإنسانية والاجتماعية والاقتصادية وسائر العلوم والمناهج الكونية نظرا لما بينها من التفاعل والتكامل، ومناهضة كل مظاهر الجهل بثقافة التعدد والتنوع.

1- منظومة القيم العليا، د فتحي ملكاوي، ص: 14 المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2013م.

- بيان الأهمية التربوية لعلم التزكية الذي يشتمل على منهج ينطلق من الأخلاق ليصل إلى الفاعلية الاجتماعية، ودراسة مدى التماهي بين مبادئه وبين منظومة القيم العليا التي تنشد العمران انطلاقا من التوحيد ومرورا بتزكية النفس.

ومن أجل استيفاء حيثيات الموضوع وإيلائها ما تستحقه من الدراسة، تم اعتماد مجموعة من المناهج العلمية، في مقدمتها المنهج الاستقرائي لبحث وتحديد القيم العليا التي تندرج تحتها سائر القيم الإسلامية والإنسانية، ثم المنهج التحليلي للوقوف على أهميتها ومكانتها، ثم المنهج التركيبي لبيان التجليات التربوية لتلك القيم ودراسة سبل تفعيلها من خلال علم التربية والتزكية.

ولأجل بيان ذلك على الوجه الأفضل، تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث، يتناول الأول منها قيمة التوحيد وتجلياتها التربوية، ويتناول الثاني التجليات التربوية لقيمة التزكية، وخصص الثالث لتجليات قيمة العمران، وقد تم التقديم للموضوع بهذه المقدمة كما ذيل بخاتمة تشتمل على أبرز النتائج والخلاصات، فاستقرت خطة البحث على النحو الآتي:

- مقدمة

- المبحث الأول : قيمة التوحيد وتجلياتها التربوية

- المبحث الثاني : قيمة التزكية وتجلياتها التربوية

- المبحث الثالث : قيمة العمران وتجلياتها التربوية

- خاتمة

❖ **المبحث الأول : قيمة التوحيد وتجلياتها التربوية**

التوحيد أساس الدين، وجوهر رسالة الله إلى الأنبياء والرسل، وهو حقيقة مطلقة تقود إليها الفطرة من خلال التفكر والتأمل، وهو كذلك رؤية عامة إلى الكون والزمان والمكان والتاريخ الإنساني والمصير، كما أنه تعبير عن الغاية النهائية من جميع المساعي الفكرية للإنسان المسلم.

وتبدأ المنظومة القيمية في الإسلام بتوحيد الخالق عز وجل، ويعقبه العمل على تزكية النفس ثم السعي في تعمير الكون، ومن هذه المنظومة المتكاملة والمترابطة يمكن اشتقاق القيم الأخرى، فقد نصت آيات من القرآن على ما أودعه الله في الناس من فطرة التوحيد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا**﴾ [2]، وبذلك كانت صحة التوحيد وسلامته والعلم بوحدانية الله مما استقر في الفطرة، وما من نفس إلا وهي تشعر به، لكن قد تغالبها بعض العادات المتوارثة أو تتأثر ببعض الإيديولوجيات المنحرفة[3].

لذلك أكد العلماء على أهمية بناء وترسيخ بعض المفاهيم والقيم المنبثقة من صميم التوحيد، والتي تشكل محور عقائد الإسلام وتشريعاته، من أهمها "السماحة، والحرية، والحق"، فهي تعبير عن الاعتدال والتوسط والمساواة والعدل، كما أن نقيضها من الغلو والتقصير والظلم والاستبداد.. إنما ينشأ عن انحراف في فطرة التوحيد[4].

وحين كان المجتمع الإسلامي واعيا بمركزية هذه القيم في مجالات الحياة، كان متصفا بالتماسك والممانعة، وحينما احتل مراكز القيادة من لم ينشؤوا على هذه القيم، ومن لا يرون من سبل البناء الحضاري إلا ما أُروا من رواد الفكر الغربي، انتشر التبشير بالقيم المادية بوصفها معيارا للحضارة والتقدم، فارتبطت أحلام الشباب بها، واختلت المنظومة التي كانت تمثل مرجعية التصور والسلوك، واختلطت على الناس الرؤى وبدأ المجتمع يفقد هويته، خصوصا تلك المرتبطة بالجانب التزكوي الذي من أجله تعددت الطرق وتنوعت مناهجها التربوية وفي سبيله أنشأت المساجد والرباطات والزوايا[5].

ومن المقرر لدى العلماء، أن منهج التزكية منهج تربوي ذوقي لا يتعارض مع كليات الشرع أو بدهيات العقل، ولا مجال فيه لإنكار للفقه أو للعقيدة، أو تعمد مخالفة مقتضياتهما، وهو ما يفسر التماهي بين العقيدة والفقه والسلوك منذ زمن النشأة والتأسيس، بالنظر إلى ما كان عليه أئمة الفقه ومنهم الإمام مالك (ت179ه) من نسك

2- سورة الأعراف: 172.

3- التحرير والتنوير، ابن عاشور (9/ 170، 171) و(10/ 82).

4- مقاصد الشريعة، ابن عاشور، ص: 114.

5- منظومة القيم العليا، ملكاوي ص: 14-15.

وتعبد، وما أظهره الإمام أبو القاسم الجنيد (ت297ه) من معرفة بالفقه وعلم الكلام[6]، وما كان عليه الإمام الأشعري (ت324ه) من انتساب فقهي وما تجلى عليه من آثار التزكية[7].

إن مسوغات الحديث عن التلازم بين علم التزكية والتوحيد، لا تنحصر فيما يقتضيه التكامل المعرفي أو المنهجي بين العلوم، بل هو استجابة لدعوة قرآنية للحياة وفق منهج متكامل، تجلت في قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ [8]، وها هو ذا رسول الله ﷺ بعدما علَّمَ الصحابة الفرق بين الإسلام والإيمان والإحسان، قرر ورسخ مفهوم التكامل والتلازم بينها، بقوله لعمر بن الخطاب ﷺ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[9]، أفلا يكون هذا الحديث دعوة نبوية إلى الحياة !

لقد بين الشيخ أحمد زروق (ت899ه) استنادا إلى هذا الحديث أن علم التزكية هو روح العقيدة والفقه، وأنهما له كالجسد، لا كمال لهما إلا به، كما لا ظهور له بدونهما، فهما شرط صحته، كما أنه شرط في كمالهما[10].

ولا يخفى اهتمام الحسن اليوسي (ت1102ه) بقضايا التوحيد من خلال عدد من المؤلفات، كما نجده يوجه تلامذته إلى تصحيح التوحيد قبل سلوك طريق التزكية، في عدد من رسائله، مثل قوله في إحداها: «وعليكم بالتعلم والسؤال عما لا تعلمون، ولا تكتفوا بعقولكم، وقلدوا الفقهاء في الأحكام الشرعية من الديانات والحلال والحرام، والمتكلمين من أهل السنة في العقائد الدينية، ولا تقلدوا في الآداب وصلاح القلب إلا أرباب القلوب»[11].

وقد استرسلت وتوالت في القرن الهجري الأخير، التآليف التي أنتجها علماء التزكية حول التوحيد، فقد ألف جعفر بن إدريس الكتاني (ت1323ه) كتابا في الرد على الطاعنين في المذاهب الأربعة والعقيدة الأشعرية والسلوك الجنيدي سماه: "الفجر الصادق المشرق المفلق في إبطال ترهات الثرثار المتشدق المتفيهق"[12]، وألف الاحسن البعقيلي (ت1368ه)، كتابا في العقيدة والسلوك والتزكية سماه "سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستار"[13].

ولم تقتصر إسهاماتهم في هذا المجال على التنظير والتأصيل، بل شملت حتى النقد والتوجيه فيما يتعلق بما صدر عن بعض علماء التزكية مما يوهم ظاهره تجاوز حدود الشريعة أو مخالفة ضوابط التوحيد، وكذلك صنع

6- مرآة الجنان، اليافعي (2/ 174).

7- تبيين كذب المفتري، ابن عساكر ص: 141.

8- سورة الأنفال: 24.

9- صحيح مسلم (1/ 36، ح 08).

10- اغتنام الفوائد، زروق ص: 27 - إعانة المتوجه المسكين، زروق ص: 27.

11- رسائل أبي علي اليوسي (2/ 409).

12- تحقيق: عدنان زهار، دار الكتب العلمية، 2009م.

13- الشركة التونسية 2009م.

محمد المنالي الزبادي (ت1209ه) وأحمد بن عجيبة (ت1224ه) مع بعض مقولات أبي يزيد البسطامي[14]، وكذلك الشأن بالنسبة لمحمد بن عبد الكبير الكتاني (ت1327ه) الذي سعى إلى تأسيس منهج في التعاطي مع أذواق العارفين وأعلام التزكية، لُحْمَته "حسن الظن" وسَدَاه "حسن التأويل"، فكان يؤكد على ضرورة تأويل ما صدر عنهم مما يتوهم من ظاهره مخالفة مقتضيات التوحيد، تحسينا للظن بهم وسدا لباب الإنكار عليهم، وصونا لدمائهم وتحفظا من تكفيرهم[15].

وفي تجل آخر من تجليات اهتمام علماء التزكية بحقيقة التوحيد، وهو التجلي السلوكي والتربوي، ما يذكر من ترجمة علي الإلغي الدرقاوي (ت1328ه) أنه كان لا يستقر في زاويته، ويخرج إلى القرى يعلم الناس التوحيد، وأحكام العبادات، وكان من عادته إذا أقبل على قرية من القرى، يرفع هو ومن معه أصواتهم بكلمة التوحيد، ثم يأمر من ينادي في الناس ليجتمعوا في المسجد، ثم يشرع في الوعظ جامعا بين الترغيب والترهيب، التبشير والإنذار، وتعليم وأمر ونهي[16].

ولما كان من مدلولات التزكية، تصفية القلب وتخليته من كل ما سوى الله تعالى، فإن القصد من ذلك أن يصبح محلا ليستقر فيه التوحيد، وينتقل إيمان صاحبه من التصديق العقلي إلى التصديق القلبي، وتمتزج الأدلة العقلية على التوحيد بالأدلة الوجدانية، التي تشكل غاية مفهوم الإحسان، وبهذا يتفاضل إيمان المؤمنين، وفي طلب مداه ينبغي أن يتنافس المتنافسون، وهو ما فاق به الصديق ﷺ الصحابة وسائر المؤمنين، لذلك أثر عن بكر بن عبد الله المزني قوله: «مَا فَضَلَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِفَضْلِ صَوْمٍ وَلا صَلاةٍ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي قَلْبِهِ»[17].

إن قيمة التوحيد في مجال التزكية تتجلى بشكل واضح في جمع القلوب على غاية واحدة، هي المعرفة بالله تبارك وتعالى، وهي مسبوقة بمعرفة فضل مقام رسول الله ﷺ، وذلك ما يتحقق بصحبة ومتابعة الشيخ المربي المقتفي لأثر رسول الله ﷺ، الأمر الذي يستلزم الاعتراف والإقرار أولا بمفهوم الإمامة في الدين التي تتفرع عنها الإمامة في شؤون الدنيا وتدبير شؤون الرعية.

لذلك اعتبرت "الإمامة العظمى" إحدى المفاهيم الأساس في البناء المجتمعي، وإحدى الواجبات الدينية، التي تؤدى عن طريق البيعة الشرعية التي توثق العهد بين الراعي والرعية، لتدبير شؤون الدين والدنيا لضمان الأمن والاستقرار لأمة التوحيد.

---

[14]- انظر: سلوك الطريق الوارية، محمد المنالي الزبادي ص: 76 - الفتوحات الإلهية، ابن عجيبة ص:261.

15- البحر المسجور، الكتاني ص: 93 - الكشف والتبيان، الكتاني، ص: 180.

16- المعسول (1/ 234 و 259) - الترياق المداوي، السوسي (2/ 124).

[17]- المقاصد الحسنة، السخاوي ص: 584 - كشف الخفاء، العجلوني (2/ 190).

❖ **المبحث الثاني : قيمة التزكية وتجلياتها التربوية**

اشتمل القرآن الكريم على معجم واسع لألفاظ التزكية، منها قول الله سبحانه في جواب أطول قسم في القرآن في مطلع سورة الشمس: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ [18]، وقوله عز من قائل: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى، وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى، جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى**﴾ [19].

والتزكية مفهوم مركزي من المفاهيم القرآنية، وبتعدد مدلولاتها القرآنية يتبين أنها ليست مجرد مسألة مشاعر وخواطر نفسية يتم تهذيبها، كما لا تقتصر على مستوى الإصلاح الفردي، بل تدخل في صميم البناء الاجتماعي والعمران البشري، والتزكية في القرآن لا تقتصر على أن تكون فعلا مكتسبا للإنسان، بل تكون أحيانا فعلا لله سبحانه: ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [20]، كما قد تكون من مهام رسول الله ﷺ، قال سبحانه: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [21].

ولاشك أن هناك ارتباطا بين فاعل التزكية وبين منظومة القيم المشار إليها آنفا، فإن التزكية بما هي فعل لله تعالى، هي هداية وتوفيق للتوحيد الخالص، وهنا تتجلى قيمة التوحيد. أما التزكية بما هي مهمة للرسول ﷺ، فهي تهذيب لنفوس أفراد الأمة، من خلال التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل. أما التزكية باعتبارها فعلا للإنسان، فإنها تقتضي منه تحصيل ما يتوصل به إلى أداء أمانة إعمار الأرض، وهنا تتجلى قيمة العمران.

والحالة الوحيدة التي تكون فيها التزكية أمرا مذموما في القرآن، هي حين يقصد بها المبالغة في المدح والثناء على النفس، وفي ذلك ورد قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا، انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا**﴾[22]، وقوله: ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾[23]، وقد وسعت السنة النبوية هذا المعنى ليشمل حتى الإفراط في تزكية الغير[24].

وقد ارتبطت التزكية بعلم السلوك ولازمته في كل مراحل تطوره إلى اليوم، إذ بعد تزايد مظاهر الاحتفاء بالدنيا وتواتر الفتن السياسية في القرن الأول الهجري، برز ميل إلى الزهد باختيار نمط من السلوك الاجتماعي أقرب إلى

---

[18]- سورة الشمس: 9-10.

[19]- سورة طه: 74-75.

[20]- سورة النور: 21.

[21]- سورة آل عمران: 64.

[22]- سورة النساء: 49.

[23]- سورة النجم: 32.

[24]- انظر: صحيح البخاري (176/3، ح 2662).

السلامة في العلاقة مع مختلف التيارات الاجتماعية، تطور بعد ذلك إلى منهج يروم التقلل من الدنيا والانشغال عنها بالذكر والعبادة.

ولما كان هذا النمط من السلوك يشكل منهجا من مناهج الحياة عموما، فقد سلكه أناس عبر التاريخ من الأديان والثقافات السابقة، ولا تزال أخبارهم وحكمهم ومواعظهم محفوظة لدى أممهم وأتباعهم، وبعد انفتاح الأمم على بعضها بدأت النظريات والمصطلحات تهاجر من ثقافة إلى أخرى، الأمر الذي اضطر علماء الإسلام إلى التنظير لأصول السلوك والتزكية.

ومن شدة الحرص على التأصيل السني لعلم التزكية القائم أساسا على حديث جبريل ﷺ في بيان الإسلام والإيمان والإحسان، جاءت كثير من المصطلحات في ثلاثيات مترابطة ومتلازمة، تتكامل بينها في ترسيخ منظومة القيم الثلاثية العليا (التوحيد والتزكية والعمران)، ومن هذه الثلاثيات: الشريعة والطريقة والحقيقة، الجمال والجلال والكمال، التخلي والتحلي والتجلي...

لكن بعض علماء التزكية جعلوا من التجلي ومن طلب الحقيقة أصلا قائم الذات، فإذا تحقق لم يكن لما قبله من قيمة، وهؤلاء هم أصحاب المنهج العرفاني من أهل الحقائق، غير أن التحقيق العلمي لدى أعلام المنهج السلوكي يجعل تلك الثلاثيات وما تعبر عنه من مستويات متكاملة ومتلازمة، تتحقق بصورة تصاعدية متراتبة، لا يتم فيها الانتقال من واحدة إلى الأخرى تجاوزا وتركا، بل يتم من خلال الانتقال بها ومعها إلى ما فوقها، فالارتقاء إلى التجلي والشهود إنما يحصل مع دوام التخلي والتحلي، والارتقاء إلى الحقيقة يكون بملازمة الشريعة الإسلامية والطريقة المحمدية، كما أن السعي نحو الكمال في التوحيد والتزكية إنما يكون لمن جمع بين الجمال والجلال.

ومن مظاهر تزكية النفس في الإسلام، التوبة والإقلاع عن المعاصي، والإقبال على الآخرة بالعمل الصالح، والإعراض عن الدنيا بالزهد فيها وترك التشوف إليها، والانشغال عنها بذكر الله وعمارة الوقت بطاعته سبحانه، والتحلي بمجموعة من الصفات في مقدمتها الزهد ، الذي يعد رأس الأخلاق وأفضل فضائل الأعمال وجميل الأفعال، ومن معانيه: "خلو الأيدي من الأملاك، والقلوب من التتبع"، وهو ترك فضول متاع الحياة الدنيا، وترك طلب شهواتها، والرضى بالقليل والقناعة باليسير من الذي لابد منه[25].

إن الزهد ليس هروبا من حمل الأمانة، أو عجزا عن القيام بالمسؤولية في ابتغاء فضل الله تعالى من الكسب الحلال والإسهام في الإنتاج، وتلبية متطلبات الواقع السياسي والاجتماعي، كما أنه ليس رهبانية تحرم على النفس ما أحل الله، لذلك وضع علماء التزكية ضوابط لهذا الزهد، قاموا بصياغتها تحت مسمى "التجريد" وهو على ثلاثة أقسام: تجريد الظاهر: وهو ترك كل ما يشغل الجوارح عن الله. وتجريد الباطن: وهو ترك كل ما يشغل القلب عن الله. وتجريدهما: وهو إفراد القلب والقالب لله[26].

25- موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، د رفيق العجم ص: 440.

26- انظر: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، د رفيق العجم ص: 161.

يقول أبو بكر بناني(ت1284ه): «التجريد عبارة عن الجلوس على بساط الفقر حسا ومعنى، إذ التجريد عند أهله هو التحقق بأوصاف العبودية والقيام بوظائف الربوبية، والعبودية كلها فقر وفاقة وذل واضطرار لا غير، كما أن الربوبية بضد ذلك، فكلما تَحَقَّقْتَ بوصفك، أمدك الحق بأوصافه، وعلى قدر التخلي يكون التحلي»[27].

إن تزكية النفس ليست مجرد رؤى معرفية أو أفكارا نظرية، بل هي ألوان من الجهاد والمجاهدة، جهاد ضد الشيطان وسائر أعداد الدين، ومجاهدة للعدو الأكبر وهو النفس البشرية الأمارة بالسوء، الطامعة الراغبة في شهوات الدنيا المحبة لملذاتها.

ومن الآيات القرآنية التي تشير إلى وسائل تزكية النفس، قول الله سبحانه: ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾ [28]، وهنا نجد الأمر بإقامة الصلوات المفروضة في وقتها، مع الحرص على النوافل والتهجد بالقرآن، ثم نجد البشارة بالمقام المحمود، وكثير ممن فسروا القرآن الكريم قصروا هذا المقام على سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وهو أحق به. لكن المؤمن المقتدي به ﷺ القائم بهذه الأعمال، ألا يكون له نصيب من هذا المقام المحمود؟

الجواب في الحديث القدسي الذي يقول فيه الله تبارك وتعالى: «..وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»[29]، وهذه المحبة من الله تعالى للعبد المحافظ على الفرائض والمكثر من النوافل، أليست مقاما محمودا له في الدنيا يبعث عليه يوم القيامة؟، فأي وسيلة وأي تزكية أعظم وأكبر من هذا.

وحين يتساءل المرء عن الوسائل التي اعتمدها علماء السلوك للتزكية، يجد أن الإطار العام الذي حددوه لضبطها هو "التخلي والتحلي"، التخلي عن العلل والأمراض التي تصيب القلب مثل: الرياء والعجب والكبر والحسد..، والتحلي بأضدادها من الإخلاص والتواضع والمحبة والتعايش والرحمة... وذلك لا يتم إلا من خلال القيام بالفرائض والإكثار من النوافل، وتعاهد القرآن بالقرآءة والتفكر والتدبر، والتحلي بالتقوى، وكثرة الذكر ومحاسبة النفس وذكر الموت...ولنستعرض أبرز هذه الوسائل على النحو الآتي:

- أولا : القرآن الكريم

ليس تمة تزكية لا تبدأ بالقرآن ولا تنتهي إليه، وقد أيقن المربون المسلمون أن تزكية النفس لا تتحقق إلا من خلال القرآن الكريم فكانوا يواظبون على تلاوته ويحثون تلامذتهم على المحافظة على وردهم اليومي من القرآن،

27- مدارج السلوك، بناني ص: 52.

28- سورة الإسراء: 78- 79.

29- صحيح البخاري (8/ 105، ح6502).

والأمثلة والأدلة على هذا أكثر من أن تحصى كثرة[30]، فمنها أن العربي الدرقاوي(ت1239ه) كان يحفظ القرآن الكريم بالقراءات السبع[31]، كذلك تلميذه أحمد بن عبد المومن الغماري(ت1262ه)، حفظ القرآن الكريم حتى أتقنه بالقراءات السبع[32]. كما كان عبد الواحد الدباغ (ت1271ه) يكتفي بربط التلاميذ والفقراء بالقرآن الكريم والسنة، لمعرفة أوامر الله لامتثالها، ومعرفة النواهي لاجتنابها، فلا الطالب ولا الشيخ في وسعه مخالفة ما أمر الله تعالى به، وكان يقول إن «مجال التربية على يد المشايخ، يقتصر على المباحات التي تعين المريدين على تصفية بواطنهم وظواهرهم، وذلك عن طريق الأذكار والمجاهدات المتنوعة، دون التشويش عليهم بإشارات قد تشغلهم عما هم فيه»[33].

- ثانيا : الذكر والفكر

ويراد به ذكر الله تعالى بأسمائه وصفاته، والتفكر والتدبر في آياته المتلوة والمرئية على صفحات الكون، مع حضور القلب خشوعا ومشاهدة، وبهذا الحضور يترقى الإنسان إلى مرتبة الإحسان التي بين الإمام النووي المراد من معناها الوارد في حديث جبريل ﷺ بقوله: «فمقصود الكلام الحث على الإخلاص في العبادة ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى، في إتمام الخشوع والخضوع وغير ذلك، وقد ندب أهل الحقائق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من تلبسه بشيء من النقائص، احتراما لهم واستحياء منهم، فكيف بمن لا يزال الله تعالى مطلعا عليه في سره وعلانيته»[34].

وقد اجتهد أعلام التزكية في إلزام طلبتهم بأعداد محددة من الأذكار، في سبيل الاستجابة لله تعالى الذي أمر بالإكثار من الذكر في آيات كثيرة، منها قوله سبحانه: ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ**﴾[35]، وقوله تعالى: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ**﴾[36]، وقوله عز وجل: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾[37].

ولا يخفى أن النفس التي لم تتذوق حلاوة الذكر، قد تتوهم العدد القليل استجابة وإكثارا، لذلك اجتهد مشايخ التربية في تحديد العدد، الذي اعتبروه من المباحات علما أنه لم يقل أحد بتحريم أو كراهة الزيادة على العدد المحدد، بل حذروا من النقصان، لأن القصد هو الإكثار من الذكر ما أمكن، ولا يقتصر الغرض منه على تكرار

30- المعسول، السوسي (6/208-220) و(6/244).

31- موسوعة أعلام المغرب (7/ 2516- 2517) - المطرب، التليدي ص: 205.

32- موسوعة أعلام المغرب (7/2577)- سلوة الأنفاس (3/ 471، ترجمة 1818)- المطرب ص: 235.

33- النور القوي، ابن القاضي الورقتان: 08-09.

34- المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي (1/ 157- 158).

35- سورة آل عمران: 41.

36- سورة الأحزاب: 35.

37- سورة الأحزاب: 41.

الكلمات وترادها في مواعيد وحالات ومواقف محددة، بقدر ما يراد منه استشعار الحضور الدائم لله تعالى في العقل والقلب، وما يعقب ذلك من مراقبة ومحاسبة.

ومن العبث أن يدعي بعضهم أن علماء التزكية يشرعون للناس ما لم ينزل به سلطانا، أو أن من منهجهم التكليف بما لا يطاق، بل هو لعمر الحق تحقيق لمعنى العبودية لله سبحانه، نعم قد يتطلب الأمر مجاهدة للنفس في البدايات مصحوبة بشيء من المشقة، لكن سرعان ما يصبح ذلك عادة محببة، فيصير الذكر والحضور طبعا في النفس بعد أن كان تطبعا.

- ثالثا : صحبة الصالحين

من أهم وسائل التزكية، صحبة الصالحين الذين يستعان بصحبتهم على الطاعة والجد في العلم والعمل، وعلى الثبات على الحق والصبر على البلاء، ومعلوم أن أعمال الصالحين قد تكون أحيانا أفصح من أقوالهم، فمجرد رؤيتهم تذكر بالله، وقربهم يبعد عن المعصية، فهم قدوة فيما يعملون وناصحون فيما يقولون.

ولا مرية أن خير الصحبة صحبة المسجد، إذ يقول سبحانه: ﴿**وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**﴾ [38]، غير أنه لما كانت المساجد غير متاحة في كل الأوقات، أنشأ أعلام التزكية الزوايا لتقوم بوظيفة المسجد إضافة إلى ما تتيحه من وظائف مثل الاجتماع على الذكر وطلب العلم، والضيافة والتكافل...

إن ما يُروج له اليوم في بعض الأوساط المنتسبة إلى الثقافة، من حديث حول فشل منهج التزكية لدى علماء السلوك، وضرورة تنحيتهم من الحياة الاجتماعية، بسبب ما يقع فيه بعضهم من المخالفات، هو كلام يُبرز مدى خطورة السطحية في تشخيص الأمراض التي تعانيها الأمة، ولا يكاد يخلو عصر من منتحليه والقائلين به، فقد نقم كبار الفقهاء باليمن على الشيخ أحمد بن إدريس الإدريسي[39] (ت1253ه) أيام إقامته بينهم، أن من أصحابه وتلامذته، من يأتي بأمور منكرة، ثم إنهم يخضعون له خضوعا تاما، فانتقدوا ذلك عليه في مناظرة جرت بينهم، فبين لهم أن العصمة مرتفعة عن غير الأنبياء عليهم السلام، وأن مع الخيرية التي شهد بها الله تعالى لأصحاب النبي ﷺ، إلا أنه سبحانه خاطبهم في آيات بقوله ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَه**﴾[40]، ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ**

[38]- سورة لقمان: 15.

[39]- انظر ترجمته في: موسوعة أعلام المغرب (7/ 2555) - شجرة النور (1/ 396) - المطرب ص: 227 - ترجمة بعنوان: السيد أحمد بن إدريس في سطور، لعبد العزيز بن هاشم الإدريسي، في كتاب "المناظرة الكبرى بين السيد أحمد بن إدريس وفقهاء الوهابية"، مراجعة: عبد العزيز الإدريسي، ص: 73 مكتبة أم القرى (د ت).

40- سورة النساء: 14.

إِلَّا بِالْحَقِ﴾[41]، ﴿**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ**﴾[42]، وقد نزلت هذه الآيات على أسباب ووقائع، ولم تكن مجردة[43].

أما في شأن تعظيم المشايخ فإنما هو لما يحملونه في صدورهم من الشرع الحنيف، والنبي ﷺ يقول: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّه**»[44].[45]

وبذلك يمكن القول إنه لا يخلو عصر من وجود فئات من أدعياء العلم، لا يزنون الأمور بموازينها المنطقية والعقلية، ولا يطرحون أفكارهم إلا خارج السياق العام، دون مراعاة للثقافات السائدة وحاجات الناس المتجددة، ولا يستحضرون ضرورة تكامل المجهودات التي تبذل في كل المجالات العلمية والمعرفية والأخلاقية والصناعية والتكنولوجية والفنية، وفي هذا السياق يقول مالك بن نبي: "إنه لا يجوز لأحد أن يضع الحلول والمناهج مغفلا مكان أمته ومركزها، بل يجب أن تنسجم أفكاره وعواطفه وأقواله وخطواته مع ما تقتضيه المرحلة التي فيها أمته، أما أن يستورد حلولا من الشرق أو الغرب، فإن في ذلك تضييعا للجهد ومضاعفة للداء، إذ كل تقليد في هذا الميدان جهل وانتحار"[46].

إن علماء السلوك يسعون إلى تحقيق التزكية لكل نفس حسب قدرتها واستطاعتها، ومقصودهم هو العمل والاجتهاد حتى تحقيقها، وقد لا تنجح بعض النفوس في ذلك، كما قد ينتسب إلى مجالهم بعض الأدعياء من البطالين أو الدجالين الذين لا يعرفون من التزكية إلا الاسم دون المسمى، لذلك أفاض العلماء في بيان أوصافهم ودعاويهم تحذيرا للناس منهم.

41- سورة الأنعام: 151.

42- سورة المائدة: 74.

43- المناظرة الكبرى ص: 52.

44- جزء من حديث "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ"، ذكره السخاوي في "المقاصد الحسنة"، ص: 565.

45- المناظرة الكبرى ص: 40.

46- شروط النهضة، مالك بن نبي ص: 53.

❖ **المبحث الثالث : قيمة العمران وتجلياتها التربوية**

العمران قيمة تحدد فقه العمل في الحياة الدنيا، لا سيما عمل المجتمع المتعلق بنظم الإدارة والرعاية لشؤون الناس، بتيسير سبل الحياة لهم، ورفع الحرج والمشقة عنهم، وكما يتجلى فقه العمران في الجوانب المادية لحياة المجتمع، من أبنية وطرق وزراعة وصناعة...يتجلى كذلك في الجوانب المعنوية لحياة المجتمع في استتباب الأمن وإقامة العدل وممارسة الشورى...[47]

وقد جاءت دلالات العمران في القرآن، بما يفسر سكنى الإنسان في المكان، والعيش فيه، وتعميره وإصلاحه والاستقرار فيه، وتوظيف طاقاته وإمكاناته، وأداء حق الله سبحانه في إقامة الحياة البشرية وفق مقاصد شريعته وهدي نبيه ﷺ.[48]

ومن معاني العمران في القرآن، الإقامة والاستقرار في الأرض، وبناء المساكن وتشييد القصور والأخذ بأسباب الحضارة، ومنها قول الله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا**﴾ [49]، ومنها كذلك معنى النسك والعبادة، ومنها معنى عمران المساجد وبنائها وخدمتها، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾[50]، ولا يقابل العمران في القرآن الكريم إلا الفساد وسفك الدماء والهدم والتدمير والخراب.

إن قيمة العمران مرتبطة ارتباطا مباشرا بالحياة على هذه الأرض، ولا حياة للناس إلا بحياة قلوبهم بالطاعة، لذلك قال الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾[51]، ولقد كان محور اشتغال علماء التزكية -ولا يزال- متركزا حول حياة القلوب وعلاج أدوائها وعللها، إيمانا منهم بأن في صلاحها صلاح سائر الأعضاء والجوارح التي يستعملها الإنسان في جلب الخير ونشره في مجتمعهّ، وهذا هو أساس عمارة الأرض.

ولا يخفى أن الحياة الطيبة التي ينشد الإسلام تحقيقها لأتباعه، تتحقق بسعادة النفس وصلاح البال وعموم الخير، واجتماع الناس على الألفة والمودة، وشيوع الأمن وتحقق التعارف والتعاون، وتوفر أسباب الرغد، وذلك حين يعمرها العمل الصالح صلاحا وإصلاحا.

وقد اجتهد المفكر مالك بن نبي في وضع معادلة تجمع العناصر المتدخلة في تحقيق قيمة العمران، من خلال البناء الحضاري للحياة الطيبة في المجتمع وهي:

---

[47]- منظومة القيم العليا، ملكاوي ص: 127.

[48]- المرجع السابق ص: 153.

49- سورة الروم: 9.

50- سورة التوبة: 18.

51- سورة الأنفال: 24.

الإنسان + التراب + الوقت ← الحضارة

غير أنه أكد أن هذه العناصر الثلاثة، لا تنتج بالضرورة حالة حضارية إلا إذا توفرت الطاقة الروحية أو الشعلة القادرة على استثمار هذه العناصر.

ومعلوم أن النبي ﷺ في تربيته للصحابة الكرام، كان يوجههم إلى الارتباط بمنهجه أكثر من ارتباطهم بشخصه -وإن كان الارتباط بشخصه ﷺ مطلوبا من باب المحبة والتعظيم والاقتداء- لأن من حكمة الله تعالى أن كتب الاستمرار للمناهج والأفكار دون الأشخاص، لذلك قال أبو بكر الصديق بعد التحاق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى: "**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ**"[52]، فكلما ارتبط الناس بالمنهج الرباني ووجهوا وجهتهم نحوه، كلما تحرروا من عبادة الأصنام، وأخطرها أصنام الشهوات التي يصنعها الذهول عن المنهج الإسلامي في عمارة الأرض.

لذلك حرص مشايخ التربية على الدلالة على الله بلسان الحال والمقال، وما كان يشغلهم شاغل عن تقييد تلامذتهم بالمنهج النبوي، وربما يشددون عليهم في مرحلة من مراحل الترقي، حتى يؤهلوهم إلى الاستقامة على منهج الحياة الرباني في كل مجالات الحياة.

وبذلك يمكن القول إن علم التزكية كان ولا يزال أحد أهم عناصر البناء الحضاري للأمة، حتى في الفترة التي عانى فيها المغرب مثل سائر البلاد الإسلامية تحت وطأة الاستعمار، واستفحلت آثاره بسبب بعض النفوس المنهزمة التي تقبلت الخضوع والذلة وتخلت عن روح التسامي. سهر علماء التزكية على بث روح التحرر والنهضة والبناء في النفوس من جديد، متجاوزين كل الصعوبات التي كان يعانيها المجتمع من فقر وجهل وأمية، لأن التحرر ينطلق من النفس لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ [53].

ولما آمنت فئات عريضة من الناس بفكرة التغيير نحو الأفضل، قدمت التضحيات تلو الأخرى في سبيل النهوض بالأمة، إذ تنبهت لا إلى مجرد أعراض الداء بل إلى الداء نفسه، وإلى موطنه الحقيقي وهو النفس البشرية التي أُفرغت بفعل عوامل عديدة من محتواها الأخلاقي والقيمي استعدادا لتلقيها وقبولها لكل دخيل.

فكان الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني(ت1327ه) لا يتوانى عن الصدع بمواقفه الرافضة للاحتلال الفرنسي لشرق المغرب، ولمدينتي وجدة والدار البيضاء، مع دعوته إلى الجهاد ضد المستعمر، حتى إنه كان يقدم الدعم المادي والمعنوي لبعض الجرائد المتخصصة للرد على الهجوم الفكري الغربي[54].

وحين أنشأ المستعمر الفرنسي مدرسة لنشر أفكاره المناهضة للإسلام بمدينة طنجة، ألقى الشيخ محمد بن الصديق(ت1354ه) خطبة عظيمة بليغة مسهبة بالزاوية الناصرية، حذر فيها المسلمين من إدخال أولادهم إليها،

52- صحيح البخاري (6/ 13، ح 4452).

53- سورة الرعد: 11.

54- انظر: منطق الأواني، حمزة الكتاني ص: 140.

وذكر أن هذه أول لبنة يضعونها للقضاء على القرآن ودين الإسلام، وإفساد أولاد المسلمين. كما كان يخرج بنفسه إلى القبائل الغمارية والجبلية يحرض أهلها على جهاد الإسبان ويأمرهم بالصمود، كما يُذكر أنه كان من المساعدين للزعيم عبد الكريم الخطابي في حركته بالمال والرجال[55].

ولم تقتصر تجليات قيمة العمران عند أعلام التزكية بالمغرب على العمران الاجتماعي بإنشاء وبناء الزوايا وتسخيرها للجهاد وخدمة المجتمع، بل اهتموا كذلك بالعمران الفكري والثقافي، من خلال التفاني في طلب العلم والحث عليه، فقد كان الشيخ أحمد البدوي زويتن(ت1275ه) -على سبيل المثال- يأمر تلامذته بقوله: «على كل من أراد الاقتداء بنا في سلوك الطريقة، أن لا يضع قدمه في سلوكها حتى يعقد عقدة الصدق مع ربه في كل حال سرا وعلانية، ثم ينسلخ من حوله وقوته، ويعتمد اعتمادا كليا على محض وسع رحمة ربه وكرمه وفضله، ثم يعلم ما وجب عليه من الأمر والنهي ويعمل به، ويكون مع ذلك مقيِّداً أقواله وأفعاله وأخلاقه وأحواله عبادة وعادة بقيد آداب عزائم السنة المحمدية، والرخص دائما لديه مطوية إلا لضرورة شرعية..»[56].

كذلك الشيخ أحمد الإدريسي(ت1253ه)، الذي اشتهر بالإقبال بالكلية على تدبر معاني كتاب الله، وإطالة التفكر في استجلاب أسرار معانيه، حتى فتح الله تعالى عليه[57]، فانعكس انشغاله الكبير بالقرآن الكريم وبمختلف العلوم على تربيته لتلامذته ومريديه، فكان يأمرهم بدوام قراءة كتب العلم بالإضافة إلى كتب التزكية[58].

أما الشيخ الحسن التيملي الإيرازاني(ت1308ه)، فيُذكر أنه اشتغل بالإرشاد والوعظ وتعليم العلم أكثر من خمسين عاما، ولم يُرَ مستندا إلى حائط ولا منحرفا عن القبلة[59].

ومن تجليات العمران الثقافي كذلك ما تميز به علماء التزكية من الحرص على التأليف والتنظير للعلوم الإسلامية المتنوعة من تفسير وفقه وحديث وغيرها، والخزانة المغربية والإسلامية شاهدة على غزارة الإنتاجات العلمية في كل المجالات.

55- المطرب، التليدي ص: 247.

56- المناجاة الفردية الإلهية في تبين معالم الطريقة المحمدية، أحمد البدوي ص: 24.

57- حلية البشر، البيطار(208/1) - المختار المصون (3/ 1557).

58- رسالة الأوراد الإدريسية، محمد بن علي بن إدريس، ص: 22.

59- المعسول، السوسي (19/ 54-55).

خـــــاتمـــــــــة

إن الأمة الإسلامية في أمس الحاجة إلى إحياء منظومة القيم العليا "التوحيد والتزكية والعمران"، واعتمادها مصدرا لسائر القيم الرئيسة والفرعية، حتى تتمكن من معالجة الخلل الذي تسرب إلى رؤيتها وعقيدتها، مما أدى إلى انحسار حضارتها.

فالتوحيد قيمة مركزية من قيم الإسلام، وهو حقيقة مطلقة يستخلصها العقل السليم من التأمل والتفكر والتدبر في نظام الكون، قبل أن يتعزز ويطمئن بأدلة النقل والعقل، أما التزكية فإنها ارتقاء بالنفس الإنسانية إلى مصاف الصديقين، وسمو بها عن رذائل الأقوال والأفعال والأحوال، كما أنها تطهير للمجتمع من أنواع الفساد والانحراف، وترسيخ لمفاهيم عدة مثل الرشاد والمسؤولية والتكافل الاجتماعي، وأما العمران فهو سعي نحو توظيف مؤهلات الإنسان وإمكاناته، في بناء حياة عامرة بالخير والصلاح، تحقق مقاصد الخلافة في الأرض بما ينتج عنه من تطوير للحضارة البشرية وترشيد لها.

ولا يخفى أن الأمة الإسلامية تمتلك من مقومات النهضة وعوامل الرقي الحضاري، ما يمكنها من أن تقود العالم إلى بحر التعايش والتكافل والتراحم، من خلال تحقيق الأمن الروحي والسلامة النفسية التي لا يضمنها إلا علم التزكية المقيد بالكتاب والسنة، والقائم على التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل، فهو الذي تتجلى من خلاله أسمى معاني الرحمة للعالمين.

إن الذي تحتاجه الأمة اليوم ليس هو إقفال الزوايا والقضاء على مناهج التزكية المتعددة والمتنوعة، بل إن الأمة بحاجة إلى تجديد خطاب التزكية المعاصر، من خلال تقييده بالفقه في الدين، وضمان انفتاحه على العلوم الكونية، فإن ذلك كفيل بأن يحول رجال الفطرة السليمة المحبين للذكر، الذين أشربت قلوبهم محبة الصالحين، إلى صناع الحضارة والرقي، من خلال تصريف طاقاتهم الإيجابية فيما يعود بالنفع عليهم وعلى أمتهم كل حسب مجاله وتخصصه، إذ التوازن الأخلاقي والقيمي في العصر الحاضر ما عاد يناسبه الترويج لمفاهيم التجريد والتخلي عن الأسباب الشرعية في طلب العلم وطلب الرزق، ولبس المرقعات الملونة، وغيرها من المظاهر التي قد تقبل في حالات نادرة -لتغيير عادات النفس- لا أن تكون ثقافة مجتمعية كما تحاول بعض وسائل الإعلام الترويج له.

ثم إن قيمة التوحيد التي تمثل جوهر الحياة الدينية في الإسلام، وأساس البناء الحضاري الإسلامي، تبقى فاعليتها حبيسة في الجانب النظري إذا لم تنبثق عنها تزكية في نفس المُوَحِّد وفي معاملاته ومختلف أنماط سلوكه، كما أن تزكية النفس إذا لم ترتبط بأساس التوحيد ولم تحدد علاقتها وارتباطاتها ببناء المجتمع وعمرانه الحضاري، فإنها تتحول إلى انسحاب من الحياة العامة وعزلة كلية عن المجتمع، لذلك لا يقبل إلا في إطار مرحلة من مراحل تربية النفس وتزكيتها.

وللأسف يحاول بعض المتعاملين مع التراث انتقاء بعض النماذج المنحرفة وتسليط الضوء على بعض الاستثناءات، ومحاولة تضخيمها وتعميمها والحكم من خلالها على علم قائم الذات من علوم الإسلام، بل يوصف بأنه روحها وجوهرها، وبسبب تعدد أنواع الالتباس الفكري في المجتمعات الإسلامية، أضحى بعض الشباب

المتدين لا يجد حرجا في دراسة الفكر الغربي ومطالعة الإنتاجات الغربية-وهو أمر مطلوب-، بقدر ما يتحرج من دراسة ومطالعة كتب التزكية التي تشرح مصطلحاتها، وتبين هويتها وقواعدها ومناهجها واتجاهاتها، بدعوى التخوف من تسرب الأفكار المنافية للتوحيد والمخالفة للسنة ونحو ذلك.

والحقيقة كما تقدم تؤكد أن الفكر التزكوي، فكر تربوي سني شديد الارتباط بالقرآن والسنة، متشبع بالقيم ملازم لها ومرتبط بها، وقد لاحظنا أثر ذلك في تجليات قيمة التوحيد، من خلال الحث على تصحيح العقيدة قبل تزكية النفس، والتزام مبدأ "حسن الظن" بالعارفين و"حسن التأويل" لما صدر عن بعضهم مما يوهم تجاوزا لضوابط التوحيد، مع تقدير أهمية الإمامة العظمى التي توحد الفكر والشعور عبر البيعة الشرعية.

وكذلك من خلال التجليات التربوية لقيمة التزكية التي تعتمد أساسا على التخلية والتحلية استنادا إلى المنهج الرباني الذي جاء به القرآن وبينته السنة النبوية بكيفية عملية، عن طريق مداومة الذكر والفكر وتحري صحبة الصالحين والاقتداء بهم.

وأيضا من خلال تجليات قيمة العمران في الفكر التربوي، بالنظر إلى مجالات عدة منها العمران المعرفي والثقافي، والعمران الاجتماعي ونحوهما.

وبذلك يتأكد أن النفس البشرية عندما تكتسب منطق البناء الحضاري والإصلاح الاجتماعي من خلال القيم الإسلامية الكبرى "التوحيد والتزكية والعمران"، يتولد لديها منطق العمل الاجتماعي، الذي يتفاعل فيه الإنسان مع مكونات محيطه في إطار الزمن الذي يعيشه، ليسهم في التأثير في مجتمعه بلسان حاله ومقاله.

والمؤكد أن جهود علماء التزكية في إحياء القيم في المجتمع، من شأنه أن يسهم في نقل الأمة الإسلامية من حالة الغياب إلى حالة الشهود الحضاري، حتى تصبح مهوى أفئدة المتطلعين إلى الحضارة الحقة التي تحفظ للإنسان إنسانيته وللمجتمع تماسكه.

وانطلاقا من مبدأ التكامل الشامل الذي يطبع الحياة البشرية بكل مجالاتها وجوانبها المتقابلة، مثل تكامل الجسد والعقل والروح، وتكامل العمل للدنيا والعمل للآخرة، وتكامل العلم والعمل، وتكامل الفرد والجماعة...نستخلص أن قيمتي التوحيد والتزكية لا تظهر آثارهما إلا بالتكامل مع قيمة العمران التي تضع المحددات للوجود البشري، والتفاعل الإنساني مع هذا العالم.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

* المصحف الشريف، برواية الإمام ورش عن الإمام نافع.

- الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب (1204ه-1330ه)، د أحمد بوكاري، مطبعة فضالة المحمدية، ط1، 1427ه/ 2006م، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ثلاثة أجزاء: • الأول: الدرقاوية والإحياء الصوفي الشاذلي.
• الثاني: التجانية الشاذلية والمختارية القادرية. • الثالث: الإحياء الديني وقضايا المجتمع والعصر.

- إعانة المتوجه المسكين إلى طريق الفتح والتمكين، أحمد زروق الفاسي، تحقيق: علي فهمي خشيم، الدار العربية للكتاب، تونس 1979م.

- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي الدمشقي (ت 1396ه)، دار العلم للملايين، ط5، 1980م.

- اغتنام الفوائد في شرح قواعد العقائد (للإمام الغزالي)، أحمد زروق الفاسي، اعتنى به: نزار حمادي، دار الإمام ابن عرفة، تونس، ودار الضياء، الكويت 1435ه.

- البحر المسجور في الرد على من أنكر فضل الله بالمأثور، و"سلم الارتقاء في منشأ التصوف ووجوب شيخ التربية"، محمد بن عبد الكبير الكتاني، تقديم ومراجعة: د محمد حمزة الكتاني، تحقيق ودراسة: د إسماعيل المساوي، دار الكتب العلمية، 2005م.

- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، أبو القاسم علي ابن عساكر، دار الكتاب العربي بيروت، ط3، 1404ه.

- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر تونس، 1984هـ.

- الترياق المداوي في أخبار الشيخ سيدي الحاج علي السوسي الدرقاوي، محمد المختار السوسي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 1430ه/ 2009م.

- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق: محمد بهجة البيطار، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دار صادر بيروت، ط2، بيروت 1413ه/ 1993م.

- الديوانة في وقت ثبوت الفتح للذات المحمدية، محمد بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: د إسماعيل المساوي، دار الكتب العلمية، ط1، 1425ه/ 2004م. ومعه:
• الكشف والتبيان عما خفي على الأعيان في سر آية ﴿ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان﴾.
• السانحات الأحمدية والنفثات الروعية في مولد خير البرية.
• رسالة في أبوته ﷺ للمومنين وأن كل رسول أب لأمته.

- رسائل أبي علي اليوسي، جمع وتحقيق ودراسة: فاطمة خليل القبلي، دار الثقافة، ط1، 1401ه/ 1981م.

- رسالة الأوراد الإدريسية، تأليف: محمد بن علي بن أحمد بن إدريس، تحقيق: الشيخ صالح الجعفري، دار جوامع الكلم، القاهرة ط 2، 1428ه/ 2007م.

- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، تحقيق: ذ عبد الله الكامل بن محمد الطيب الكتاني، د حمزة بن محمد الطيب الكتاني، د محمد حمزة بن محمد علي الكتاني، دار الثقافة الدار البيضاء، ط1، 2004م/ 1425ه.

- سلوك الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزاوية، محمد المنالي الزبادي، دراسة وتحقيق: ذ نعيمة بنونة، د أحمد الشرقاوي بوكاري، المطبعة والوراقة الوطنية، ط 1، 2010م.

- سوق الأسرار إلى حضرة الشاهد الستار، الاحسن البعقيلي (ت1368ه)، الشركة التونسية للنشر ط2، 1430ه/ 2009م.

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، المطبعة السلفية، القاهرة 1349ه.

- الشرب المحتضر والسر المنتظر من معين أهل القرن الثالث عشر، الشريف جعفر بن إدريس الكتاني (ت 1323ه)، تحقيق الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، دار الكتب العلمية ط1، 2004م/ 1425ه ومعه كتاب:
• منطق الأواني بفيض تراجم عيون أعيان آل الكتاني، تأليف الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني.

- شروط النهضة، مالك بن نبي، دار الفكر دمشق، ط 10، 2011م.

- صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422ه.

- صحيح مسلم: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.

- الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، أحمد بن عجيبة، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، مطبعة عالم الفكر ميدان سيدنا الحسين، الأزهر الشريف، القاهرة مصر(دت).

- الفجر الصادق المشرق المفلق في إبطال ترهات الثرثار المتشدق المتفيهق، وهو رد على الطاعنين في المذاهب الأربعة والعقيدة الأشعرية والتصوف، جعفر بن إدريس الكتاني (ت1323ه)، تحقيق: عدنان زهار، دار الكتب العلمية، ط1، 2009م.
- قوت القلوب، مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز الإمام الجنيد للدراسات الصوفية، الرابطة المحمدية للعلماء، العدد المزدوج: 5و6، شوال1436ه/غشت 2015م.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، مكتبة القدسي القاهرة، طبعة 1351هـ.
- المختار المصون من أعلام القرون، مختارات تسعة عشر كتابا من القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر، اختيارات وفهرسة: محمد بن حسن بن عقيل موسى، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع جدة، ط1 1415ه/ 1995م.
- مدارج السلوك إلى مالك الملوك، أبو بكر بناني، اعتناء: د عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، ط1، 2012م.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1417هـ/ 1997م.
- المطرب بمشاهير أولياء المغرب، عبد الله بن عبد القادر التليدي، دار الأمان الرباط، ط4، 1424ه/ 2003م.
- المعسول في الإلغيين وأساتذتهم وتلامذتهم وأصدقائهم السوسيين، محمد المختار السوسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1380ه/ 1961م.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي بيروت، ط1، 1405هـ/ 1985م
- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس 2001م.
- المناجاة الفردية الإلهية في تبين معالم الطريقة المحمدية، أحمد البدوي، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم: 1869د.
- المناظرة الكبرى بين السيد أحمد بن إدريس وفقهاء الوهابية، مراجعة: عبد العزيز بن هاشم الإدريسي، مكتبة أم القرى، (د ت).
- منظومة القيم العليا: التوحيد والتزكية والعمران، فتحي حسن ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1434ه/ 2013م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت676ه)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392ه.
- موسوعة أعلام المغرب، تنسيق وتحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1417ه/ 1996م، ضمنها:
  - دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، محمد بن عسكر الشفشاوني.
  - نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، محمد بن الطيب القادري.
  - إتحاف المُطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، عبد السلام ابن سودة.
  - تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وأحداث السنين، عبد الكبير بن المجذوب الفاسي.
  - سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال، عبد السلام ابن سودة.
- موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، د رفيق العجم، مكتبة لبنان، ط1، 1999م.
- النور القوي في ترجمة مولاي عبد الواحد الدباغ وشيخه مولاي العربي الدرقاوي، محمد المهدي بن محمد بن القاضي، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم: 2301-ك.

مسكن ممارسة الحضانة كأحد إشكالات فك الرابطة الزوجية
-دراسة قانونية وفق التشريع الجزائري-

The abode of foster care as one of the problems of breaking the conjugal bond
A legal study according to the Algerian legislation

د. نبيل ونوغي
Dr. Ounnoughi Nabil
أستاذ محاضر صنف أ بمعهد الحقوق والعلوم الاقتصادية
المركز الجامعي سي الحواس بريكة الجزائر
ounnoughi_nabil@yahoo.com
ذ. عبد المالك أحمد رقاني
reggani abdelmalk ahmed
طالب دكتوراه بجامعة البليدة 2 ـ الجزائر
reggani.droit@gmail.com

ملخص:

نظم المشرع الجزائري بعض أحكام الحضانة في قانون الأسرة المستمد من الشريعة الإسلامية، مراعياً المصالح المختلفة لكل أطراف العلاقة الأسرية وكذا الآثار التي تنجم خاصة في حالة الطلاق والتي تمتد إلى الأبناء، وتعد أحكام الحضانة إحدى هذه الآثار.

ذلك أن مؤسسة الأسرة التي كانت تلم شمل أولئك الأطفال قد انهدمت جزئيا، ويحتاجون إلى فترة رعاية قد تطول حتى يشتد عودهم، ويصبحون قادرين على تحمل مسؤولياتهم، ومن ثم وجدت مجموعة أحكام ونظم خاصة بتنظيم الحضان، وهذا للاهتمام بهذا الجانب الذي يلقى نقاشا حادا من قبل القانونيين والإعلاميين والاجتماعيين والجمعيات المهتمة بالمرأة والطفل.

حيث تهدف هذه الدراسة لتسليط الضوء على أهم وأبرز إشكالات فك الرابطة الزوجية حال ممارسة الحضانة؛ ألا وهي مشكلة مسكن ممارسة الحضانة، إذ أن الأم المطلقة التي ستغادر مسكن الزوجية ولا تجد من يؤويها تعجز بالتالي عن تولي مهمة حضانة صغارها التي هي أولى بها شرعا وقانونا، ومن ثمة يثور البحث عن السبل القانونية لتوفير مسكن الحضانة.

الكلمات المفتاحية: الأسرة، الحضانة، الرابطة الزوجية.

Abstract: The Algerian legislator has regulated some of the custody provisions in the family law derived from the Islamic Sharia, taking into account the different interests of all parties

to the family relationship, as well as the effects that result, especially in the event of divorce, which extend to children, and custody provisions are one of these effects.

This is because the family institution that used to reunite these children has been partially destroyed, and they need a period of care that may be prolonged until their return strengthens, and they are able to assume their responsibilities, and then a set of provisions and systems for organizing foster care have been found. Legal, media and social workers and associations concerned with women and children.

As this study aims to shed light on the most important and prominent problems of breaking the marital bond when practicing custody. It is the problem of the custody home, as the divorced mother who will leave the matrimonial home and does not find those who house her will be unable to take over the task of custody of her young children, which is the first legally and legally, and hence the search for legal ways to provide the custody home.

.Key words: family, nursery, marital bond

مقدمة:

أمر وحبب الإسلام إلى الزواج كما شرع الطلاق، واعتبارا لذلك نظم المشرع الجزائري أحكامهما في قانون الأسرة المستمد من الشريعة الإسلامية، مراعياً المصالح المختلفة لكل أطراف العلاقة الأسرية وكذا الانعكاسات التي تنجم خاصة عن حالة الطلاق والتي تمتد إلى الأبناء والتي تعد أحكام الحضانة أحداها.

ذلك أن مؤسسة الأسرة التي كانت تلم شمل أولئك الأطفال قد انهدمت جزئيا، ويحتاجون إلى فترة رعاية قد تطول حتى يشتد عودهم، ويصبحون قادرين على تحمل مسؤولياتهم، ومن ثم وجدت منظومة أحكام خاصة بتنظيم الحضانة للاهتمام بهذا الجانب الذي يلقى نقاشا حادا من قبل القانونيين والإعلاميين والاجتماعيين والجمعيات المهتمة بالمرأة والطفل.

وتقع مشكلة السكن في قلب مشكلة الحضانة، إذ أن الأم المطلقة التي ستغادر مسكن الزوجية ولا تجد من يؤويها تعجز بالتالي عن تولي مهمة حضانة صغارها التي هي أولى بها شرعا وقانوناً، ومن ثمة يثور البحث عن السبل القانونية لتوفير مسكن الحضانة، مما يدفعنا لطرح الإشكالية الأتية: **ما مفهوم مسكن ممارسة الحضانة؟ وما حدود السلطة التقديرية حال اسناد ممارسة مسكن الحضانة؟**

وللإجابة على هذه الإشكالية تقتضي الدراسة تقسيم هذه الورقة البحثية إلى مطلبين على النحو الأتي؛ فالمبحث الأول يكون بمثابة إطار مفاهيمي يتم من خلاله التعريف بمسكن ممارسة الحضانة فصوره وأنواعه وخصائصه وطبيعته القانونية، على أن يتم التطرق في المبحث الثاني للسلطة التقديرية للقاضي حال اسناده لمسكن ممارسة الحضانة.

المبحث الأول: مفهوم مسكن ممارسة الحضانة : سنتناول في هذا المبحث المقصود بالمسكن وأنواعه، والمواصفات الشرعية بأن يكون مناسبا و مستقلا في المطلب الأول ثم نتطرق إلى مواصفاته و طبيعته القانونية في المطلب الثاني.

المطلب الأول : تعريف السكن و أنواعه: يتبادر في الوهلة الأولى أن المسكن له معنى واحد ونوع واحد، إلا أن هناك إختلافات كما سنبينه، كما سيتم الحديث عن أنواعه ثانياً.

الفرع الأول: تعريف المسكن و أنواعه: يقصد بها الدار أو المنزل، تفيد في تعيين "DOMUS" إن المسكن هو كلمة لاتينية مكان الإقامة الثابت، و يسمح بتحديد مكان الشخص من الناحية الجغرافية و كلمة مسكن لها مفهومين، أحدهما لغوي و الآخر اصطلاحي.

أولاً: المفهوم اللغوي: يقصد به المكان المشغول فعلا بالسكنى[1]. مصداقاً لقوله تبارك وتعالى:" **حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** "[2]، و قوله تعالى أيضًا: " **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ** "[3] ، كما يطلق على الدار والبيت مصداقاً لقوله تبارك وتعالى: " " **وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ** "[4].

ثانياً: المعنى أو المدلول الإصطلاحي للمسكن:

أ- التعريف القانوني للسكن: عرفه المشرع في المادة 355 من قانون العقوبات على أنه : " يعد منزلا مسكونا كل مبنى أو دار أو غرفة أو خيمة أو كشك و لو متنقل متى كان معداً للسكن وإن لم يكن مسكوناً...".

ب- التعريف الفقهي للسكن: وردت له تعريفات عدة ، فقد يراد به المكان الثابت والمخصص للسكن على الدوام، حيث عرفه الأستاذ بن رقية بن يوسف أنه " ذلك المحل الذي يستعمل في النهار والليل للسكن والإستراحة أو الإستحمام أو العمل، وهو المأوى بصفة عامة مثل الفيلا، الشقة بالعمارة، فيجب أن يكون المحل المخصص للسكن بصفة دائمة، و لذا نجد القضاء قد رفض حق البقاء في مسكن صيفي، و ذلك لأنه كان يستعمل للمتعة في المواسم دون السكن المستمر"[5].

الفرع الثاني: أنواعه: يمكن تقسيم المسكن إلى قسمين حسب الوظيفة أو الحالة التي يكون عليها المستخدمين له : مفهوم السكن حال قيام الحياة الزوجية أو الرابطة الزوجية، مفهوم المسكن عقب الطلاق.

أولاً: مفهوم المسكن حال قيام الحياة الزوجية: عرفته الدكتورة هجيرة دنوني على أنه " نقطة التقاء عناصر مادية معنوية بالإضافة إلى اعتبارات أخرى من النظام القانوني، الاجتماعي و الإنساني"، و يجب أن يستجيب المسكن

---

[1] محمد عزمي البكري، موسوعة الفقه القضائي في الأحوال الشخصية، ص 75.

[2] سورة النمل ، الاية 18..

[3] سورة سبا، الاية 15

[4] سورة النحل، الاية 68.

[5] بوقرة أم الخير، مسكن الزوجية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، ص 79. نقلا عن : عيسيو أسماء، حق المطلقة الحاضنة في مسكن الزوجية وإشكالاته المثارة أمام القضاء، مذكرة نهاية التكوين، المعهد الوطني للقضاء، مديرية التربص، الدفعة الثانية عشر، 2001-2004، ص 19.

أضافت قائلة حسب رأي الفقيه HEBRAUD : " للشروط اللازمة حتى يأوي العائلة بشرف "و حسب رأيها " فإن تحديده يفترض تقديراً مادياً و معنويًا بالنسبة للأثاث الذي يتكون منه ".و يقوم المسكن على عناصر ثلاثة:

أولاً : عنصر بشري يتمثل في الزوجين و الأولاد.

ثانياً: عنصر معنوي يتمثل في الروابط و العلاقات التي تجمع الزوجان

و أولادهما بقصد تحقيق المودة و الرحمة بين الزوجين.

ثالثاً: عنصر مادي و يتمثل في الأثاث و اللوازم الضرورية للمعيشة، بحسب العرف و العادة، وبقدر سد حاجيات الأسرة العامة[6].

وقد ميز الفقه القانوني في مجمله بين عدة مصطلحات فيما يخص مصطلح المسكن الزوجي.

01-المسكن الفعلي: وهو المحل الحقيقي لإقامة الزوجين و الأولاد، فقد يكون هذا المسكن منزلا مستقلا، و قد يكون شقة، و قد يكون حجرة في شقة، و الحجرة في الشقة ليست مسكناً شرعياً لأن المسكن الشرعي يجب أن يكون مستقلاً.

02-المسكن الشرعي: يراد بالمسكن الشرعي حسب تعريف الفقهاء، المسكن المكتمل المرافق بين جيران مسلمين، خالي من سكنى الغير، و يكون مستقلا بمرافقه، تنفرد الزوجة بالسكن فيه للإستتار عن العيون.

إلا أن بعض الفقهاء عارض فكرة التمييز بين المسكن الفعلي و المسكن الشرعي عند الحديث عن مسكن الزوجية، فكل مسكن ترضاه الزوجة مكانا تقيم فيه مع زوجها فهو مسكن شرعي، ذلك لأن الأمر إنما يتوقف على رضى الزوجة بالمسكن الذي يعده لها زوجها، و قبولها الزواج يعكس بالضرورة قبولها الوضع المادي للزوج ولو كان متوسط أو فقير الحال.

03-المسكن العائلي: وهو المكان المخصص لسكن العائلة – أي الزوجين والأولاد لتحقيق واجب الحياة المشتركة[7].

وهناك من يضيف ما يسمى بمسكن أو **بيت الطاعة** وهو مصطلح غير موجود في التشريع الجزائري لكنه مصطلح شائع الاستعمال في مصر و يقصد به المسكن الذي يدعو الزوج زوجته بطاعته فيه عن طريق الإنذار بالطاعة[8].

ثانياً: مفهوم المسكن بعد إنتهاء أو إنقضاء الحياة الزوجية: بعد فك الرابطة الزوجية بالطلاق يفقد المسكن الزوجي وصفه كمسكن يأوي الزوجين وأولادهما ليتمحور في الغالب إلى :

01- مسكن المطلق: وهو المسكن الذي كان يقيم فيه الزوج و زوجته و أولادهما إقامة معتادة وقت الطلاق، و هو ما كان يسمي قبل الطلاق بمسكن الزوجية.

---

[6] بوقرة أم الخير، مسكن الزوجية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، ص 11.

[7] أسماء عيسيوا، المرجع السابق، ص 20.

[8] بوقرة أم الخير، المرجع نفسه، ص 12.

ب-مسكن العدة: يقصد بمسكن العدة منزل الزوجية الذي كانت تعيش فيه الزوجة قبل الفرقة فليس للزوجة إن طلقت، أن تخرج منه حتى تنقضي عدتها من زوجها و لو أذن لها بالخروج أو السفر ولا يملك الزوج إبطاله، لأنه حق الله تعالى مصداقاً لقوله عز وجلّ" **لا تخرجوهن من بيوتهن** "[9] ، وهو المعبر عنه المشرع الجزائري بمصطلح السكن العائلي في المادة 61 [10]من قانون الأسرة[11] بإعتباره السكن الذي كان يأوي الزوجين والأولاد حال قيام العلاقة الزوجية.

ج-مسكن الحضانة: وهو محل الدراسة هو ذلك المسكن المخصص للقيام بواجب الحضانة، من رعاية و تربية و حفظ الولد صحة و خلقا .و مسكن الحضانة طبقا للقانون الجزائري غالباً ما يكون مسكن الزوجية، أي المسكن الذي أعده الزوج للإقامة فيه مع زوجته و أولاده قبل الطلاق، و ذلك في حالة ما إذا وقع طلاق الرجل لزوجته تعسفا، و لم يكن للمطلقة الحاضنة ولي يقبل إيواءها، فتعدد الأولاد المشمولين بالحضانة، و ثبت وسع ملكية الزوج المطلق لأكثر من مسكن واحد حسب المادة 52 من ق أ ج قبل التعديل ، أما في حالة عدم توافر الشروط المنصوص عليها في هذه المادة ، فإن مسكن الحضانة هو المسكن البديل الذي يلزم الزوج المطلق بإعداده.

المطلب الثاني : موصفات وخصائص بيت الحضانة وطبيعته القانونية: يقسم هذا المطلب حسب عنوانه لمواصفات المسكن، فطبيعته القانونية.

الفرع الأول: مواصفات وخصائص بيت ممارسة الحضانة : أكد فقهاء الشريعة الإسلامية وتاسياً بهم المشرع الجزائري على وجوب توفير مسكن للزوجة وهو إلتزام يقع على الزوج أثناء قيام الزوجية مراعيا في ذلك وسعه ويمتد هذا الإلتزام إلى ما بعد انقضاء تلك العلاقة الزوجية إذا كان لديهم أبناء وأسندت الحضانة للأم، لكن المشرع الجزائري لم يذكر المواصفات الشرعية لمسكن الحضانة، فقد جاء لفظ ملائماً في نص المادة 72 من قانون الأسرة عاماً، إلا المواصفات التي ينبغي توفرها هي:

أولاً- مواصفاته:

01 أن يكون مناسباً: أن يكون مناسبا للمحضون و الحاضنة سواء، لتتمكن الحاضنة من أدائها لواجباتها نحو محضونيها على أكمل وجه، فينبغي أن يتم تزويده بكل متطلبات المعيشة من منقولات ، والتناسب يتلاءم و يسار الأب، إن كان يتعين أن اختياره للمسكن، لا يكون بقصد الإضرار بالحاضنة ووضعها الاجتماعي[12].

02- أن يكون مستقلاً: ويراد به المسكن الذي لا يشارك فيه آخرون مع المحضونين والحاضنة، ويعتبر شرعا مسكن قائم بذاته ولو كانت مرافقه الأخرى مشتركة، وضرورة استقلالية مسكن الحضانة، يراعى من خلالها مصلحة المحضون بحفظه صحة و خلقا، مما ينبغي عليه إسكانه في مكان آمن و بين جيران صالحين، خاصة إذا كان المحضون أنثى.

ويلحظ أن المشرع المصري من بين التشريعات العربية المقارنة التي تطرقت للمسكن المستقل والمناسب طبقاً لنص المادة 18 مكرر 3 /2/1 الملحق بقانون رقم:1985/100 المعدل لبعض أحكام الأحوال الشخصية.

---

[9] سورة الطلاق، الاية 1.

[3] تنص المادة 61 من قانون الأسرة على أنه : " لا تخرج الزوجة المطلقة ولا المتوفى عنها زوجها من **السكن العائلي** ما دامت في عدة طلاقها أو وفاة زوجها...."

[4] القانون رقم: 84-11 المؤرخ في: 09 رمضان 1404هـ الموافق لـ: 09 يونيو 1984م والمتضمن قانون الأسرة, (ج ر، العدد 31، السنة 1984)، المعدل والمتمم بالأمر رقم: 05-02 المؤرخ في: 18 محرم 1426هـ الموافق لـ: 27 فبراير 2005 (ج، ر العدد 15 السنة 2005).

[1] محمد عزمي البكري :موسوعة الفقه و القضاء في الأحوال الشخصية، ص687.

ثانياً: خصائصه : يتميز سكن الحضانة بالخصائص التالية.

01-حق نسبي : ومعنى ذلك أن المطلقة الحاضنة ملزمة باستعمال و استغلال المسكن بغرض الحضانة فقط دون إتيانها لأي تصرف من شأنه أن يمس بحق الزوج المطلق في المسكن، فيمنع عليها استعماله لأي غرض آخر حتى و لو كان مشروعاً فلا يجوز لها أن تسمح لوالديها أو لأقاربها بالسكن معها فيه، أو بأن تتزوج و يقيم زوجها معها فيه، و لو كان الزوج ذي رحم محرم من الصغير، كما لا يجوز لها استعماله في غير أغراض السكنى كاستعماله للحصول على ربح، ومن أمثلة ذلك إستعماله كمكتب مهندس، محامي،... إلخ أو لممارسة مهنة أو حرفة أخرى[13].

02-حق مؤقت: إن شغل الحاضنة لمسكن الحضانة مقرون بمدة الحضانة، حيث يكون لها حق الانتفاع بالسكن للقيام بشؤون الحضانة طوال تلك الفترة، و طبقا للمادة 65 من قانون الأسرة، فإن مدة الحضانة تنقضي ببلوغ الذكر عشر سنوات و الأنثى سن الزواج، مع جواز تمديدها بالنسبة للذكر إلى سن 16 سنة.

وقد تقتضي مصلحة المحضون تمديد الحضانة أن تستمر الحاضنة في شغل مسكن الحضانة؟ مما يطرح إشكالات منها، هل لها أن تشغل هذا المسكن فترة الحضانة الوجوبية دون فترتها الجوازية ؟

لكن المشرع الجزائري في تقريره لحق السكن للحاضنة لم يقيده صراحة بمدة الحضانة القانونية، غير أن الاجتهاد القضائي استقر على أن حق السكن الممنوح للحاضنة ليس له صيغة نهائية بل ينتهي بانتهاء مدة الحضانة[14].

و ما يمكن استنتاجه أنه ما دام مسكن الحضانة مقررا قانونا للمحضون كحق مستقل عن باقي النفقات المعيشية، و أن الحاضنة تسكن بالتبعية مع المحضون ، فإن الحق في شغل المسكن يستمر إلى حين انتهاء مدة الحضانة الوجوبية والجوازية على حد سواء، لأن القاضي يراعى في ذلك مصلحة المحضون[15].

الفرع الثاني: طبيعته القانونية: سيتم الحديث عن الطبيعة القانونية لهذا الحق ، إضافة إلى خصائصه.

أولاً: طبيعة حق مسكن الحضانة: ذهب بعض الفقهاء إلى أن حق السكن حق عيني، إلا أن الفقيه الدكتور عبد الرزاق السنهوري يرى خلاف ذلك، فعند تعريفه للحق الشخصي يقول: " أن الحق الشخصي أو الإلتزام هو رابطة ما بين شخصين، دائن و مدين، بمقتضاه يطالب الدائن المدين بإعطاء شيء أو القيام بعمل أو الإمتناع عن عمل".[16]

وانطلاقا من هذا التعريف نجد أن حق السكن هو حق شخصي، لأن حق السكن المسند للحاضنة مقرر لها بحكم قضائي لممارسة الحضانة وليس حَقا عينيا يقع على العقار بمفهوم أن الحق العيني هو سلطة يعطيها القانون لشخص على عين بالذات[17].

---

[13] عيسيو أسماء، المرجع السابق، ص ص46 47.

[14] محمد عزمي البكري، المرجع السابق، ص 775.

[15] بوقرة أم الخير، المرجع السابق، ص 124.

[3] عبد الرزاق أحمد السنهوري، مصادر الحق في الفقه الإسلامي، ص 13.

[17] السنهوري، المرجع نفسه، ص 15.

وهو ما رجحته المحكمة العليا في إحدى قراراتها أن حق الإسكان لممارسة الحضانة هو حق شخصي و أن هذا الحق لا يمكن اعتباره بأي حال من الأحوال من الحقوق التي تنتقل مع الملكية، وعلى المستفيد من هذا الحق استعمال طرق التنفيذ القانونية للحصول عليه.

فالشخص فيه محل إعتبار – الحاضنة- دون غيرها.

وعليه؛ فلو فرضنا أن الزوج المطلق لديه مسكنا مملوكًا له، وبعد الطلاق و بموجب حكم قضائي تقرر للحاضنة إسنادها هذا المسكن لممارسة الحضانة بعدها قام مطلقها ببيع ذلك المسكن لشخص آخر فهل يجوز له ذلك ؟ و هل يمكن للحاضنة أن ترفع دعوى على مطلقها لإبطال عقد البيع، و خاصة أنه من جهة لدينا عقد ملكية المسكن للمطلق، و من جهة أخرى حكم قضائي يقضي بإسناد مسكن الحضانة للحاضنة ؟

إلا أن هناك من يرى أنه لا يجوز للمطلق بيع هذا المسكن، ذلك ببيعه للمسكن تكون نيته في ذلك هي حرمان المطلقة الحاضنة من الإنتفاع بالمسكن المسند إليها بموجب حكم قضائي وهي حالة تشبه الحالة التي أصدرت المحكمة العليا قرارا يذكر فيه أن مطلقة قد منحت سكنا لممارسة الحضانة، فقيام الزوج بهبة هذا المسكن لوالديه بعد صدور الحكم بالطلاق يعتبر تهربا واحتيالا قصد حرمان الحاضنة من حقها[18] مخالفا بذلك المادة 52 من ق.الأسرة.

المبحث الثاني : السلطة التقديرية للقاضي في إسناد مسكن ممارسة الحضانة : سيتم التركيز في هذا المبحث عن طبيعة السكن الذي يمكن ممارسة الحضانة فيه من جهة ، على أن يتم الحديث على بدل الإيجار في حال تعذره أو إنعدامه. على أن يخصص المطلب الثاني للقواعد العامة للدعوى وما أحدثه المشرع الحضانة التي يعد المسكن أحد مرتكزاتها.

المطلب الأول: السلطة التقديرية للقاضي حسب صور مسكن الحضانة وأنواعه:

إذا كان المشرع يشترط في المرأة شروط وذلك، خاصة قبل التعديل كعدم وجود من يأويها، وتعدد المحضونين، وان لا يكون مسكن الزوجية وحيداً ، والتي تخلى عن بعض منها في التعديل رقم:05-02، فإن هناك صور لحال المسكن الذي يجب أن تمارس فيه الحضانة وهو ما سيتم تناوله ، وذلك بالوقوف ما إذا المسكن ملكاً أو في حال بدل الإيجار.

الفرع الأول: بإعتبار ملكية أو إيجار مسكن الحضانة:

أولاً: إذا كان المسكن ملكا لأحد المطلقين: فإذا كان المسكن ملكاً لأحد الزوجين فإذا كان المسكن الزوجي ملكا للزوجة ملكية تامة، احتفظت به لنفسها و تكون بذلك قد ضمنت إيواء أولادها بعد طلاقها.

أما إذا كان المسكن الزوجي مملوكا للزوج ملكية تامة، استوجب استثناءه من عملية الإسناد إذا كان وحيدًا طبقا للمادة 52 ق أ ج، والمادة 467 ق م ج، لأن هذا النوع من السكن لا يجوز لأي كان التصرف فيه لأنه ملكية صاحبه، وهذا كله قبل التعديل.

ثانياً: أما إذا كانت الملكية للغير: ففي هذه الحالة يفرق بين ما إذا كان المسكن الذي خصص للإقامة الزوجية، فإذا كان ملكاً لأهل أحد الزوجين ويقيم فيه الزوج على سبيل التسامح أو الإعارة.

[1] المحكمة العليا، ملف رقم: 179558، 1998/3/17، مؤرخ في : ، ، عدد خاص، 2001 المجلة القضائية .

01- إذا كانت ملكية المسكن الزوجي تعود لأهل الزوج، كأب الزوج أو أمه أو أخته، يستثنى من عملية الإسناد، لأن هذا النوع من السكن، أمر التصرف فيه لممارسة الحضانة لا ينسجم لا مع نصوص قانون الأسرة، ولا مع نصوص القانون المدني، و لا مع الأخلاق و العادات والتقاليد، بحيث لا يعقل أن تطلق امرأة من رجل و تبقى تمارس حضانة أولادها عند أهله،

02- و نفس الوضع ينطبق على مسكن الزوجية إذا كان مملوكا لأهل الزوجة[19].

الفرع الثاني: المسكن الزوجي المستأجر: إذا كان المسكن الزوجي مستأجرا، تطرح على القاضي عملية الإسناد الصعبة، فإذا فصل في قضية الطلاق و الحضانة استوجب عليه تعيين من ينتفع من به من الزوجين بإعتبار أن مسكن الزوجين أحد توابع الطلاق.

وهو ما سلكته المحكمة العليا في إحدى قراراتها في: 1984/12/31 والذي جاء فيه [20] ما يلي : " متى كانت أحكام المادة 467 ق م صريحة في النص على اختصاص القاضي الذي يفصل في دعوى الطلاق و الفصل في موضوع سكن الحضانة و تقرير بحق الانتفاع، و نتيجة لذلك فإنه ليس لأي قاض أن يحكم من جديد بتقرير حق الانتفاع بالسكن أو باستبداله أو مراجعة الحكم الذي فصل فيه القاضي الذي قضى بالطلاق، خاصة و أن الحكم بتقرير حق السكن كان أثراً من آثار الطلاق، ومن ثم فإن القضاء بما يخالف ذلك يعد انتهاكا لأحكام المادة المشار إليها و خرقا لمبدأ قوة الشيء المقضي به و تجاوزا للسلطة في نفس الوقت".

01 شغل المسكن بسبب الشغل: كتلك المساكن التي تعطيها الدولة لموظفيها أو تعطيها الشركات للعاملين فيها أثناء فترة عملهم مثال القضاة، الضابط، المعلمين، .... الخ .

ففي هذه الصورة فلا حق في البقاء بالأمكنة للأشخاص الذين كانوا يشغلونها بموجب سند تابع لعقد العمل ثم انتهى ذلك العقد. و المادة 8/517 من القانون المدني استعملت عبارة سند تابع لعقد العمل، فما هو الحكم إذا كان الشخص موظفا ؟

02-شغل المسكن بسبب التوظيف: ، تنص المادة 8 من المرسوم رقم:10/89 المؤرخ في 7 فيفري 1989 والمتعلق بالسكنات الوظيفية: " على أن عملية التنازل عن هذه السكنات هي مؤقتة، يمكن سحبها في أي وقت كما أن مدة الإنتفاع بها مؤقتة، لأنها مرتبطة بالوظيفة...".

وعليه؛ فببقاء المطلقة الحاضنة في المسكن الزوجي متى كان للزوج المطلق مسكن ثانٍ لا ينطبق على المسكن المشغول بسبب العمل، كونه ليس ملكاً ولا حتى مؤجرًا، و تقرر للمطلق بوصفه موظفا له حق السكن فيه فحسب و السكن في هذه الحالة مرهون بالعمل الذي يؤديه الموظف، وهو في الحقيقة امتداد لمكان العمل أي منح للموظف شخصيا ليكون عن مقربة من العمل ليتمكن من أداء عمله كما ينبغي، وبالتالي فقده للسكن متى تم تسريحه ، أو فصله، توقفه عن العمل بالتبعية[21].

الفرع الثالث: سلطته في معايير تحديد أجرة بدل الإيجار: في حالة تعذر إسناد المسكن للحاضنة و هو الأصل يتعين على القاضي إلزام الزوج المطلق بأدائه للحاضنة أجرة مسكن الحضانة مراعيا احترام الشروط الواردة ، وذلك أن المشرع قد ألزم أب المحضون بتوفير مسكن الحضانة أي تنفيذ التزامه عينا طبقا للمادة 72 من قانون الأسرة بعد

---

[19] عيسيو أسماء، المرجع السابق، ص 37.

[20] المحكمة العليا ، ملف رقم: 34849 مؤرخ في :1984/12/31، م ق، 1989، عدد4، ص 111.

[21] أسماء عيسيو ، المرجع السابق، ص ص 39 40.

التعديل، **فإن تعذر عليه ذلك فعليه دفع بدل الإيجار** ، المطابقة لنص المادة 52 قبل التعديل من القانون نفسه لكن السؤال الذي ينبغي طرحه ما هي المعايير التي يستند إليها القاضي حال تقديره لأجرة المسكن ؟

أولاً: المعايير المعتمدة في تحديد بدل الإيجار: وهي ثلاثة معايير في الغالب :

01-المعيار المادي: يعتبر هذا المعيار أكثر المعايير إنتشاراً وذلك لتميزه بالطابع الكمي – الحساب- لما قد يترتب عنه أو لما يؤثره أو يحدثه في المعايير الأخرى، يقصد به الحالة المادية للأب، إذ يجب أن تتناسب أجرة المسكن و درجة يساره دون النظر إلى المقدار الفعلي للأجرة الشهرية و بذلك يكلف الأب في حدود طاقته فقط، إمتثالاً لقوله تبارك وتعالى: " لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتيه الله"[22].

و لا يجوز أن يكون تقدير أجرة مسكن الحضانة فيه إثراء للحاضنة والمحضون على حساب الوالد، حتى لا يكون سببا في الإضرار بأبيه، لقوله تعالى : " لا تضار والدة بولدها و لا مولود بولده "[23]. وعليه فالقاضي عليه أن يراعي مختلف الظروف لما يُعين الأجر الذي يتحمله الولي دون إكراه أو اضرار.

02-المعيار المكاني: قد تكون الأجرة مرتفعة أو متوسطة القيمة بحسب المكان المتواجد به المسكن، مثلا المسكن المتواجد بوسط المدينة كالعاصمة ووهران وقسنطينة أجرته تفوق بكثير أجرة المسكن المتواجد بقرية نائي، ولو أن الإيجارات عرفت إرتفاعاً باهضاً على مستوى الوطن.

03-المعيار الزماني: طبقا للقاعدة العامة في تقدير النفقة تستحق الأجرة من يوم رفع الدعوى مع جواز الحكم بها لمدة لا تتجاوز سنة قبل رفعها، وكذا مراجعتها بعد مضي سنة من الحكم بها عملاً بنص المادة 79 من قانون الأسرة، وذلك نظراً للمستجدات التي قد تطرأ أو تشمل مختلف الظروف الإقتصادية للحياة.

[22] سورة الطلاق ، الاية 7.

[23] سورة البقرة، الأية 233 .

المطلب الثاني السلطات القضائية في إسناد المسكن للحاضنة:

تخضع النزاعات القضائية في شؤون الأسرة لاختصاص المحاكم والمجالس القضائية، وبالتحديد إلى قسم شؤون الأسرة، وغرفة الأحوال الشخصية، وفقا للإجراءات المنصوص عليها في قانون الإجراءات المدنية والإدارية كقاعدة عامة، مع بعض النصوص الخاصة التي جاء بها أيضا قانون الأسرة في الجانب الإجرائي؟.

حيث سيتم التطرق لدعاوى الحضانة المتعلقة بالسكن عموماً والتي تأخذ الشكل العادي عن طريق رفع الدعاوى بصورة إعتيادية أمام الجهة المختصة، كما تأخذ شكل النزاع المستعجل الذي يرفع بالطرق والإجراءات الخاصة بالقضاء الاستعجالي، فالأوامر على العرائض.

الفرع الأول: إجراءات رفع الدعوى: تخضع شروط رفع دعوى الحضانة والذي يعد مسكن ممارستها أحد توابعها هي نفسها الشروط العامة المقررة لرفع الدعوى، حيث تنص المادة 13 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية على أنه: " لا يجوز لأي شخص التقاضي ما لم تكن له **صفة** وله **مصلحة قائمة** أو **محتملة** يقرها القانون .يثير القاضي تلقائيا انعدام الصفة في المدعي أو المدعى عليه".

أولا: شروط رفع الدعوى:

01 الصفة: ونعني بالصفة أن يكون للمدعي صفة المطالبة بالحق، كأن يكون صاحب الحق أو نائبا عنه بأن يكون وكيلا عنه أو وصيا أو بصفة عامة ممثله القانوني[24].

وبالرجوع إلى نص المادة 72 ق أ فيجب أن يتوفر في الحاضنة الصفة، بمعنى أن تكون هي أم المحضون، وفي هذه الحالة يجب أن يكون هناك حكم قضائي بإسناد الحضانة لها وكذلك نسخة من عقد الزواج.

وتعتبر الصفة من النظام العام يثيرها القاضي من تلقاء نفسه، وفي حالة انعدام الصفة يؤدي ذلك إلى عدم قبول الدعوى شكلا، كما يشترط أيضا في المدعي ا رفع الدعوى الذي يتقدم إلى المحكمة أن تكون له مصلحة، بمعنى أن له فائدة ى ا رد تحقيقها من و ا رء رفع الدعوى، أو هي الفائدة العملية المشروعة التي يراد تحقيقها بالالتجاء إلى القضاء، وينبغي أن تكون قائمة وبتعبير آخر فالمصلحة هي المنفعة التي يحققها صاحب المطالبة القضائية وقت اللجوء إلى القضاء، هذه المنفعة تشكل الدافع و ا رء الدعوى والهدف من تحريكها، فلا دعوى من دون مصلحة [25].

02 المصلحة: هي المنفعة التي يحققها صاحب المطالبة القضائية وقت اللجوء إلى القضاء، هذه المنفعة تشكل الدافع وراء الدعوى والهدف من تحريكها، فلا دعوى من دون مصلحة، كما أن المصلحة تختلف بحسب نوع الدعوى، سواء كانت دعوى المطالبة بتوفير السكن أو تمديد الانتفاع به أو المطالبة بأجرة السكن أو استبداله، وأخيراً دعوى الأب الرامية إلى إنهاء الانتفاع بالسكن أو دفع بدل الإيجار.

ثانياً: قيد الدعوى وتبليغها للأطراف:

01 قيد الدعوى : ترفع الدعوى بواسطة طلب مكتوب يتقدم به المدعي إلى المحكمة، فيقوم الطالب بتحرير عريضة افتتاحية بنفسه أو عن طريق وكيله بموجب وكالة توثيقية خاصة قصد عرض وقائع قضيته وتحديد طلباته للمحكمة، وتودع أمام قسم شؤون الأسرة المختصة إقليمياً.

[1] خليفي سارة، حق الحاضنة في السكن، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الحقوق، تخصص: أحوال شخصية، قسم الحقوق، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر- بسكرة، السنة الجامعية: 2014/ 2015، ص 45.

[2] عبد الرحمان بربارة، شرح قانون الإجراءات المدنية والإدارية، دار بغدادي، الجزائر، 2009، ص 38.

وهي التي تقع بمكان ممارسة الحضانة أو مكان تواجد أهل الحاضنة ، كما يجب أن تحتوي على البيانات اللازمة المنصوص عليها في المادة 14 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية التي جاءت كالتالي:" ترفع الدعوى أمام المحكمة بعريضة مكتوبة موقعة ومؤرخة تودع بأمانة الضبط من قبل المدعي أو وكيله أو محاميه بعدد من النسخ يساوي عدد الأطراف".

02 تبليغها للأطراف: يقوم أمين الضبط بالمحكمة بتسجيل العريضة في السجل المخصص لتسجيل الدعاوى بتاريخ إيداعها ويعطيها رقما يميزها عن غيرها من الدعاوى المماثلة لها، ثم يقوم المدعي من الزوجين بتبليغ النسخة الثانية من العريضة إلى الزوج المدعى عليه وذلك بواسطة المحضر القضائي الموجود مكتبه بدائرة اختصاص المحكمة المختصة والمرفوعة أمامها الدعوى، حيث يجب على هذا الأخير أن يحرر محضراً بتكليف المدعى عليه بالحضور إلى الجلسة المعنية، وذلك كله وفقا للأوضاع والأشكال المنصوص عليها في المادتين 13 و 22 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية[26] .

وتجدر الإشارة أن عدم تكليف المدعى عليه بالحضور إلى الجلسة المحددة في التاريخ المعين، وعدم تبليغه نسخة من العريضة لإعداد دفاعه ولتمكينه من الرد عليها يجعل الدعوى كأن لم ترفع، وأن الخصومة لم تنعقد[27].

بعد الحديث عن الدعوى المتعلقة بمسكن الحضانة في القواعد العامة، يجدر بنا الوقوف عما أحدثه المشرع بخصوص هذه الدعوى أو بالأحرى، **الدعوى الإستعجالية** وصولاً **لأوامر العرائض.**

الفرع الثاني: الدعوى الاستعجالية:

يراد بالدعوى الاستعجالية : " هي دعوى مؤقتة يرمي المدعي من ورائها إلى الحصول على إجراء مؤقت، وحالة الاستعجال تحول دون المرور بالإجراءات العادية لرفع الدعوى لأنه لو تم إتباع الإجراءات العادية لأدى إلى وقوع خطر، وتخضع هذه الأخيرة للتدابير المؤقتة الخاصة بالحق في السكن بتقديم عريضة مسببة وموقعة أمام قلم كتابة ضبط المحكمة التي توجد بدائرة اختصاصها موطن ومقر الزوج.

هذا؛ ولم ينص قانون الأسرة قبل تعديل 2005 على الإجراءات والتدابير الاستعجالية المتعلقة بمسائل النفقة وحضانة الأولاد والسكن، إلا أنه بالتعديل الأخير لقانون الأسرة رقم:05-02.

وبالرجوع للقانون القديم- الإجراءات المدنية- لم يشهد مثل هذا الإجراء، بحيث كانت الزوجة تنتظر فصل المحكمة في دعوى الطلاق أن ترفع دعوى مستعجلة بموجب المادة 183 من قانون الإجراءات المدنية لتطلب من رئيس المحكمة بصفته قاضي الأمور المستعجلة أن يأمر بإسناد حضانة الأطفال إليها بصفة مؤقتة، وأن يخصص لكل واحد منهم نفقة مؤقتة، ريثما تفصل المحكمة في حكم الطلاق.

وهذه الإجراءات أصبحت وفقا لنص المادة 57 مكرر من قانون الأسرة يأمر بها رئيس المحكمة على وجه السرعة بموجب أمر على عريضة دون حاجة إلى دعوى استعجالية.

وعليه فقد تدخل المشرع الجزائري عن طريق المادة 57 مكرر من قانون الأسرة من أجل ضمان المأوى للمرأة المطلقة التي من المحتمل أن تصبح حاضنة والتي غالبا ما تطرد من مقر الزوجية فتجد نفسها مع أولادها في الشارع، وبالتالي

[26] عبد العزيز سعد، قانون الأسرة الجزائري في ثوبه الجديد، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 117.

[27] سارة خليفي، المرجع السابق، ص 48.

تحتاج إلى مسكن تلجأ إليه ليأويها، لذلك كان لابد من اللجوء إلى القضاء الاستعجالي ريثما يتم الفصل في موضوع النزاع[28].

أولاً: سلطة القاضي في منح مسكن الحضانة تبعا لأنواع الدعاوى: تعتبر دعاوى الحضانة من الدعاوى المدنية، فقد تكون مستقلة بذاتها، أو قد تكون دعوى تبعية تبعا لدعوى الطلاق، ويقع الفصل فيها مع الفصل في دعوى الطلاق بحكم واحد، أما الدعاوى المتعلقة بسكن الحضانة فتكون دعوى تبعية، إما بالطلاق أو بإسناد الحضانة أو بتمديدها أو إسقاطه، وذلك عملاً بقاعدة " الخصومة ملك للأطراف". وخاصة ونحن بصدد الحديث عن حكم قضائي الذي بموجبه تسند الحضانة للمطلقة بتوفر شروطها[29] وبالتبعية مسكن ممارسها.

01 دعوى توفير السكن أثناء سير الدعوى: يعد الفصل في مسألة الحضانة في حالة الطلاق فصلا في دعوى تبعية، وينعقد الإختصاص فيها القاضي المكلف بقسم شؤون الأسرة هو المختص بالنظر في الدعوى، وهذا ما نصت عليه المادة 1/423 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية[30]، وقد استقر الاجتهاد القضائي على أن الحق في السكن يحكم فيه في الوقت الذي يحكم فيه بالطلاق والحضانة[31]، وعليه؛ فيحق للمطلقة الحاضنة المطالبة بتوفير سكن لممارسة الحضانة أثناء سير دعوى الطلاق.

02 دعوى تمديد الإنتفاع بمسكن الحضانة : بالرجوع لنص المادة 65 من ق .أ فإنه: "تنقضي مدة حضانة الذكر ببلوغه عشر سنوات والأنثى سن الزواج وللقاضي أن يمدد الحضانة بالنسبة للذكر إلى ستة عشر سنة إذا كانت الحاضنة أما ولم تتزوج ثانية على أن يراعي الحكم بانتهائها مصلحة المحضونين".

قد تقتضي الضرورة والمصلحة تمديد ممارسة الحضانة وبالتبعية البقاء في السكن لممارستها، حيث يخضع هذا الحق لشروط وأنها تنتهي بمدة معينة، إذن لها أن تستمر في شغل مسكن الحضانة أو المطالبة بأجرته مادامت الحاجة قائمة ومصلحة المحضون تنادي بذلك فالوجوب مستمر، وبالتالي تقوم الحاضنة التي لم تتزوج ثانية برفع دعوى للمطالبة بتمديد الحضانة وتمديد الانتفاع بمسكن الحضانة أمام المحكمة التي يوجد الطفل المحضون بإعتبارها محل ممارسة الحضانة بصريح المادة 4/426 من ق إج م وإد.

03-دعوى المطالبة بأجر المسكن: بالاطلاع على قرارات المحكمة العليا الصادرة في دعاوى الحضانة بصفة عامة يمكن استخلاص مجموعة من القواعد التي رسمتها هذه المحكمة لدعوى المطالبة بأجر المسكن كالتالي:

أ-الحكم ببدل إيجار سكن ممارسة الحضانة مقيد بممارستها في الجزائر، حيث(...) يتبين أن قضاة المجلس قضوا بإلزام الطاعن بتوفير المسكن لممارسة الحضانة وفي حالة التعذر يكون ملزما بدفع بدل الإيجار بالدينار الج ا زئري، والحال وأن الأب كان ملزما بتوفير السكن الملائم لممارسة الحضانة أو دفع بدل الإيجار وفقا لنص المادتين 72 و 78

---

[28] مرجع نفسه، ص ص 49 50.

[2] تنقسم شروط الحضانة: شروط العامة المنصوص عليها بداية من المادة 66 إلى غاية المادة 70 من الأمر رقم: 02/05 السالف الذكر، أما الشروط الخاصة التي كانت تنص عليها المادة 3/52 بموجب الأمر رقم: 11/84 قبل التعديل وهي: زواج المطلقة، أو ثبوت إنحرافها والتي أُلغيت بموجب الأمر رقم: 02/05.

[3] القانون رقم:09/08 مؤرخ في: 18صفر1429 الموافق 25 فبراير2008 يتضمن ق إج م وإد. والتي جاء فيها: "ينظر قسم شؤون الأسرة على الخصوص في الدعاوى التالية :الدعاوى المتعلقة بالخطبة والزواج والرجوع إلى بيت الزوجية وانحلال الرابطة الزوجية وتوابعها حسب الحالات والشروط المذكورة في قانون الأسرة".

[4] المحكمة العليا، قرار رقم: 24148 مؤرخ في 1980/12/2، م ق، 1981، ص 83. مشار إليه : خليفي سارة، حق الحاضنة في السكن، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الحقوق، تخصص: أحوال شخصية، قسم الحقوق، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر- بسكرة، السنة الجامعية: 2014/ 2015، ص 40.

من قانون الأسرة فإن ذلك مقيد بأن تمارس الحضانة في الجزئر لا في الخارج، ومتى كانت الحاضنة تمارس الحضانة بفرنسا فإن الأب لا يكون ملزما لا بتوفير السكن ولا ببدل الإيجار[32].

ب-تسري مدة بدل الإيجار من تاريخ الحكم الناطق بإسناد الحضانة[33].

ج- توفير سكن ملائم للأم للممارسة الحضانة يحول دون مطالبتها ببدل الإيجار "وحيث أن المادة 72 من قانون الأسرة تنص بأنه في حالة الطلاق يجب على الأب أن يوفر لممارسة الحضانة سكنا ملائما للحاضنة وإن تعذر ذلك فعليه دفع بدل الإيجار. وحيث أنه لذلك يجب على قضاة المجلس التطرق إلى عرض الطاعن فيما يخص سكن ممارسة الحضانة، لأن الإلزام الأول الواقع على الطاعن المطلق هو توفير سكن لممارسة الحضانة وفي حالة تعذر ذلك عليه ينتقل الإلزام إلى بدل الإيجار ولا يحكم إلا بواحد منهما وليس بالخيار"[34].

04- دعوى استبدال مسكن الحضانة بمسكن آخر: تستطيع الحاضنة أن تقوم برفع دعوى ضد الأب للمطالبة باستبدال مسكن الحضانة بمسكن آخر، خاصة إذا كان السكن الحالي لا يتوفر على المستلزمات الضرورية للعيش وهذا ما يتوافق ونص المادة 72 من ق أ ج.

وعليه؛ يمكن المطالبة لمصلحة المحضونين، وهو ما ذهبت إليه المحكمة العليا في إحدى قراراتها والذي جاء فيه: "حيث متى ثبت لقضاة الموضوع بمجلس قضاء ولاية البليدة أن المحضونين يقيمون ببلدية القليعة حيث ولدوا وترعرعوا بها يزاولون دراستهم وأن زعزعتهم منها من شأنه المساس باستقرارهم لأن العوامل والمعطيات السابقة هي التي تحقق مصلحة المحضونين التي أخذوها بعين الاعتبار ومن ثم صرفوا النظر عن مسكن بلدية الأربعاء تبعا لما سبق ذكره وأخذوا ببدل الإيجار وفق ما توجبه المادتان 72 و 78 من قانون الأسرة بمبلغ قدره ستة آلاف دينار جزائري ليتناسب مع مستوى الأسعار (الإيجارات) المعمول بها في المنطقة والذين هم أدرى بها وبتقديرها ومن ثم يكون ما يدعيه الأب بهذين الوجهين غير قائم على أساس يتعين رفضهما وتبعا لذلك رفض الطعن"[35].

ثانياً: سلطة القاضي في تقدير مصلحة المحضون لمنح مسكن ممارسة الحضانة:

تسعى كل التشريعات الحديثة إلى ضمان حقوق الطفل والتكفل به ، لأجل ذلك قامت بوضع بعض الحلول التي من خلالها يستطيع القاضي حماية الطفل ورعاية مصالحه ، وأهم حل وضعته التشريعات هي قاعدة مراعاة مصلحة الطفل المحضون ، وقد لقيت هذه القاعدة إهتمام كبير من طرف القانونين إلى درجة أصبحت هي القاعدة الوحيدة التي على ضوئها يفصل القاضي في موضوع الحضانة حسب سلطته التقديرية. وعليه نحاول تحديد معنى هذه القاعدة وما اعتمده المشرع الجزائري في هذه القاعدة و إلى أي حد يقوم القاضي بتقدير هذه المصلحة.

[1] المحكمة العليا، قرار رقم: 622754، بتاريخ:2011/05/12، م ق، 2012، عدد1، ص 304.

[2] المحكمة العليا، قرار رقم: 460137، بتاريخ: 2009/1/14، م ق، 2009، عدد1، ص 251.

[3] المحكمة العليا، قرار رقم:566381، بتاريخ:2010/9/16، م ق، 2010، عدد2، ص 268 .

[1] المحكمة العليا، قرار رقم: 477191، بتاريخ:2009/1/14، م ق، 2009، عدد 2، ص275.

01-معنى قاعدة مراعاة مصلحة المحضون ومميزاتها:

أ- **قاعدة مراعاة مصلحة المحضون:** تعد الشريعة الإسلامية سباقة للعمل والأخذ بها فهي قاعدة قديمة[36]، وهو ما سلكه المشرع جعل قاعدة مراعاة مصلحة المحضون هي الأسمى و فوق كل اعتبار، مراعياً في ذلك العواقب، غير أن مراعاة هذه المصلحة أعطيت للقاضي الذي له كامل الصلاحيات للوصول إلى ما فيه مصلحة للطفل من خلال المسكن الذي تمارس فيه الحضانة.

وكذلك الشأن بالنسبة للقاضي حيث إسناده للحضانة وجب عليه مراعاة مصلحة المحضون حاله حال المشرع ، ورغم عدم وضع تعريف لقاعدة مراعاة مصلحة المحضون يضبطها، إلا أنه هناك

ب- مميزات و خصائص تنفرد بها يمكن إبرازها:

- أن قاعدة مراعاة مصلحة المحضون هي ذاتية و شخصية، بمعنى تتعلق بكل طفل على حدى وعلى هذا الأساس ينظر القاضي إلى كل طفل على حدى و يحدد مصلحته، فما كان يصلح لطفل حديث العهد بالولادة لا يصلح بالضرورة إلى الطفل البالغ السادسة أو السابعة من العمر.

- قاعدة مراعاة مصلحة المحضون ليست قاعدة ثابتة ، بل هي قابلة للتغيير، فما كان يصلح للمحضون في وقت معين قد لا يصلح له في زمان آخر ، و على هذا الأساس وضع المشرع حالات من خلالها يمكن إسقاط الحضانة على الحاضن من أجل مراعاة مصلحته[37].

02-سلطة القاضي في منح سكن ممارسة الحضانة: حتى يستطيع القاضي تكوين قناعته التامة و تقدير مصلحة المحضون بصفة دقيقة له في ذلك اللجوء إلى عدة وسائل من خلالها يقدر و يصدر حكمه و من ذلك:

03- الإستماع إلى أفراد العائلة : للقاضي أن يطلب حضور أقارب الخصوم أو أصهاره أو زوج أحد الخصوم بالإضافة إلى إخوة و أخوات وأبناء عمومة الخصوم ؛ من أجل جمع أكبر قدر من المعلومات التي بها يستطيع ترجيح رأيه في حين أنه لا يتم سماع شهادة الأبناء لأنهم لا يستطيعون تقدير ما هو أصلح لهم، بالإضافة إلى أنه قد تدلى شهادتهم بنوع من الخوف أو تحت تأثير الضغط ، وهذا بدوره قد يؤثر على الإختيار الأصوب، وفي هذا صدر نقض من المجلس الأعلى المحكمة العليا حاليا في قرار عن مجلس قضاء قسنطينة بتاريخ: 1982/10/21، والذي اعتمد على رفض المحضونين الإلتحاق بأمهما وعلى رغبتهما في البقاء عند جدهما لأبيهما، فإعتبر المجلس الأعلى هذا الموقف مخالف لقواعد الشريعة الإسلامية و قواعد القانون الوضعي"[38].

04-**الإستعانة بالمرشدة الإجتماعية:** وهو ما سلكته المحكمة العليا في إحدى قراراتها والذي جاء فيه : " من المستقر عليه قضاءًا أن الحضانة تمنح حسب مصلحة المحضون، ولما كان ثابتا في قضية الحال أن الحضانة أسندت

---

[2] وكان ساري بها العمل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وتبعه الصحابة رضوان الله عنهم ، ومن المواقف الإسلامية ما حدث بين أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، فقد روي أن عمر بن الخطاب كان قد طلق إمرأته من الأنصار بعد أن أعقب منها ولده عاصما، فرآه في الطريق فأخذه فذهبت جدته أم أمه ورائه وتنازعا بين يدي أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فأعطاها إياه وقال لعمر : "ريحها ومسها ومسحها وريقها خير له من الشهد عندك".

[1] حسيني عزيزة، الحضانة في قانون الأسرة، رسالة الماستير قضاء الأحوال الشخصية و الفقه الإسلامي .جامعة الجزائر بن عكنون، 2001، ص 78.

[2] المحكمة العليا، قرار رقم: 32594 بتاريخ: 02/ 04/ 1984.

إلى الأب مراعاًة لمصلحة المحضون إعتمادا على تقرير المرشدة الإجتماعية التي تؤكد ذلك، فإن قضاة الموضوع إعمالا لسلطتهم التقديرية قد طبقوا القانون"[39].

05-التحقيق والمعاينة:

أ- التحقيق: للقاضي الإستماع إلى أطراف التراع سواء الأب أو الأم، وتحديد أيهما أصلح لمراعاة مصلحة المحضون ، كما له في ذلك الإعتماد على الوثائق المقدمة له من كلا الطرفين و الموازنة بينهما في الإثبات حتى يستطيع تكوين قناعته للمسكن الأصلح للمحضون

ب-الإنتقال للمعاينة : وهذا إلى المكان الذي تمارس فيه الحضانة و معرفة الظروف المحيطة بذلك الوسط الذي يعيش فيه المحضون، ومن هذه الظروف : ضيق المسكن أو اتساعه، كذلك حالة الحي الذي يعيش فيه ، كذلك مدى قرب السكن من المدرسة و بعده ، فهذه كلها يدخلها القاضي في الحسبان عند تقريره إسناد الحضانة إلى أحد مستحّقيها، فالقاضي الجزائري حال إسناده لمسكن ممارسة الحضانة متمسك بقاعدة مراعاة مصلحة المحضون دون الخروج عن أحكام الشريعة الإسلامية.

[3] المحكمة العليا، قرار رقم: 153640، بتاريخ: 1997/2/18، م ق، ص39.

الخاتمة:

يكتسي موضوع مسكن الحضانة أهمية بالغة ضمن القضايا المتصلة بالحضانة، وهو لا يقل أهمية عن المواضيع الأخرى التي تناولتها العديد من الدرا سات الخاصة بالحضانة على عمومها، كمسألة ترتيب الحاضنين وتنظيم حق الزيارة والرؤية ومصلحة المحضون، وأهميته النظرية والعملية في آن معا نظراً للمشكلات التي يطرحها، والتي تناولتها هذه الورقة بالتحليل، ويمكن إجمال نتائجها كما يلي:

- بخصوص المادة 72 المعدلة والتي نصت على أن تبقى الحاضنة في بيت الزوجية إلى غاية تنفيذ الأب للحكم القضائي المتعلق بالسكن، حيث أنه لا يمكن تصور قيام نزاع بين الزوجة وزوجها يصل إلى حد الطلاق وأن الزوجة ما زالت في مسكن الزوجية إلى غاية صدور حكم الطلاق أو الحكم المتعلق بمسكن الحضانة، وهذا يكاد يكون في حكم المستحيل، وذلك لأن الزوجة إما أن تكون قد خرجت أو أخرجت من بيت الزوجية؛ لأن كلا الزوجين أو إحداهما لم يطق الجلوس أوالإقامة مع الزوج الآخر أثناء فترة النزاع .

- إمتداد سلطة القاضي في كل ما يتعلق بالحضانة لمصلحة المحضون بداية من 62 إلى المادة 72 من قانون الأسرة ، بما في ذلك مسكن ممارستها لمن أسندت إليه الحضانة. بل على القاضي منح الولاية لمن أسندت له الحضانة ؟

-كما أن القاضي أعطى هذا الحق – السكن- للمطلقة الحاضنة- ولم أقف أو لم أطلع على حد علمي المتواضع على قرار اسندت له الحضانة للمحضونين الاخريين متى أسقط هذا الحق على صاحبه الأصيل – وهي المطلقة -.

- العمل على إيجاد حلول تعمل على التقليل من أفة الطلاق لما يرتبه من أثار وخيمة على الفرد والمجتمع، لمساسه بمختلف جوانب الحياة الدينية الإجتماعية الإقتصادية...

- تفعيل دور أليات الإصلاح الأسري وخاصة الحكمين للتقليل من الأرقام الفلكية الرهيبة والمرعبة للطلاق، بحيث تجاوزت التقارير ما يزيد عن 55 الف حالة طلاق منها 14 الف خلع.

- تفعيل دور صندوق النفقة بموجب القانون رقم: 01/15 الذي تم إنشاؤه ومدى إمكانية تعديله لفائدة الآباء الذين يعجزون عن دفع بدل الإيجار، على أساس أن من مشتملات النفقة المسكن وخاصةً في حال عدم قدرة الأب على توفير السكن أو دفع بدل الإيجار، وهو أمر واقع بسبب أزمة السكن والبطالة، مما يستدعي إيجاد أليات تعمل على حل هذه المعضلة والتخفيف من حدتها.

تدريس الفلسفة للأطفال باستخدام مقاربة الدراما في التعليم
نحو فلسفة تكوّنيّة

د. نعيم محمد حيماد
Naim Mohamed HAIMAD

أستاذ الفلسفة بوزارة التربية الوطنية ـ المغرب
naimn134@gmail.com

ملخص البحث:

يُعد الأطفال في كل مجتمع من المجتمعات، الجيل الذي تُكرّس لأجله الطاقات، وتشحذ الهمم، لاستكمال رحلة تقدم الحضارة الإنسانية. وأي انشغال عن تعليم الأطفال لأجل طفولة أكثر إبداعية وتحررا، وتشبعا بالقيم العليا، سيقود نحو هدر الطاقة الإنسانية، وإعادة إنتاج أسباب الفشل الشخصي، والضياع الاجتماعي، مع أن حل المسألة، لا يتطلب أكثر من بذل الجهد، لفهم آليات التعامل مع الطفل، ومشاركته انشغالاته، ووضعه في سياق متوازن للتنشئة الاجتماعية والنفسية، وتربيته على الانفتاح على العالم المتغير.

يقتضي الأمر منا، إذا أردنا أن نمضي قدما في مهمتنا، أن نطور مقاربة جديدة لتعليم الفلسفة لأطفالنا، مقاربة تحفز الخيال، وتُعلّم القيم، وتُحرر الأطفال من النظرة النمطية للعالم ولذواتهم. ولأن عملي سينصب على خيال الأطفال، فإنني سأحاجج في هذا البحث، على قدرة مقاربة الدراما في التعليم[1]، على رسم الخطوط العريضة لكيفية تشييد تعليم متحرر من عناصر التعليم التقليدي (الذي يعيد إنتاج الصور الخيالية السائدة، بعد أن فقدت خاصيتها الخيالية، واكتسبت صفة الحقيقة الخالدة)، وأن تعليم الأطفال الفلسفة في نظري، يفجر الأسئلة بدل تقديم الحلول، ويترك المهمة للأطفال ليشيدوا عالمهم المتخيل، ويقدموا نظرتهم الخاصة للحياة. إن السؤال الرئيس الذي سيكون محور بحثي هو: كيف نهتدي بمقاربة الدراما في التعليم، نحو تدريس للفسفة، أكثر تحررا و إبداعية؟ هذا السؤال سيقودني إلى ابتكار مفهوم الفلسفة التكوّنية، الذي أعتقد أنه يمتلك القوة لجعل تدريس الفلسفة للأطفال في الوضع الآمن للتعلم. ولأكون عمليا، سيقدم بحثي تمارين تطبيقية مبنية على قصة ودراما تكونية[2] أو ما يسمى الدراما الصفية[3]، بهدف تسليط الضوء على الانعطاف الدرامي في تدريس الفلسفة للأطفال.

[1] مقاربة الدراما في التعليم هي مقاربة تشتمل إعداد بيئة درامية مبتكرة، يتعلم فيها الطلاب موضوعات المنهاج الدراسي عبر لعب الأدوار، واستعمال تقنيات درامية أخرى أثناء عملهم الاستقصائي. و ينظر إلى الدراما في هذه المقاربة كوسيط للتعليم و التعلم. ويكمن سبب تمسك المنظرين بهذه المقاربة، في كون الدراما تشد المتعلمين، حيث تبني على العفوية، وتصنع فعل التصديق الخاص باللعب الدرامي و تُبئر على عناصر المستوى الملموس بدل المجرد.

[2] نوع من الدراما يكون فيه الأداء موجها للجمهور الداخلي. فالمشاركون في الدراما التكونية يشكلون مع المعلمة المجموعة المسرحية فينخرطون في الدراما ليصنعوا المعنى لأنفسهم.

[3] الدراما الصفية هي نشاط يعايش عبره الطلاب المواقف لأجل أنفسهم بدل توجيهها للجمهور الخارجي. ويُعرف هذا النشاط بشكل واسع بالدراما الخلاقة، ويأخذ كذلك أسماء أخرى مثل الدراما في غرفة الصف. والدراما التعليمية، والدراما الارتجالية. وأيّا كان الإسم الذي يطلق عليها فإن الدراما المقصودة هنا هي دراما تنبثق بشكل عفوي من قبل المشاركين الذي يؤدون مهام التأليف ومعايشة عناصرها التي تدفع بالدراما نحو التقدم.

المفاهيم الرئيسة: التفكير الفلسفي، الفلسفة التكوّنية، الدراما التكوّنية، الأطفال، الحماية

Abstract

Teaching Philosophy to Children Using Drama in Education Approach Towards Process Philosophy

Societies that aspire to have an impactful role in the development of human civilizations should dedicate most of their energies and forces to the young generation. Hence, ignoring preparing for a more creative and liberated future childhood that respects human basic values will waste human forces and reproduce the causes of individuals' failure and social alienation. The key solution requires making an effort to master strategies of dealing with children and hearing their concerns. The idea of teaching philosophy to children requires placing them in an environment that keeps the balance between social and psychological uprising. Moreover, teaching them to be open-minded toward the ever-changing world. Consequently, if we want to fulfill this purpose, we have to promote a new approach for teaching philosophy to children. An approach that motivates their imagination, teaches them values and liberates them form the typical point of view toward the world and themselves. Since my work focuses on children's imagination, in my paper, I will argue that drama has an effect on teaching children. It can define the highlights of establishing an education that is liberated from traditional teaching (the one that reproduces the typical images that have lost their imaginary nature and gained the nature of absolute facts). In my point of view, teaching philosophy to children will generate questions instead of solutions and will leave the mission for children to establish their own imaginary world. The main question in my paper is: How can 'drama in education' approach guide us to a liberated and creative teaching of philosophy to children؟

This question leads me to create the concept of 'process philosophy'. I believe it has the power to facilitate teaching philosophy to children in a secure and safe environment. Practically, my research will introduce samples of practical activities based on stories and 'process drama' in order to illustrate the dramatic turn in teaching philosophy to children.

Keywords: philosophical thought, process philosophy, process drama, children, protection.

توطئة

يمتاز الأطفال بقدرتهم الوافرة على تعلم طرق التفكير الفلسفي، لأنهم ببساطة أطفال. فهم يستطيعون أن يتخيلوا المواقف في عالم الخيال القصصي، ويخمنوا تبعاتها، ويُغيّروا العالم، متجنبين في الوقت ذاته انعكاساتها السلبية على عالمهم الواقعي. وبخوض الأطفال رحلة متخيلة بمساعدة معلمهم في دور[1]، سيشعرون بأن مساءلة السياقات الاجتماعية فعل متاح، بوصفه أحد ركائز التفكير الفلسفي.

من الخطأ القول إن فعل التفلسف تولّد من العالم التجريدي للفلاسفة، لأن هذه الممارسة الفكرية، كغيرها من الممارسات، ذات نزوع نفعي. لذلك فكل الأفعال التي تتولد من العالم الخيالي للدراما، تعمل لأجل تحسين المواقف المعروضة على الأطفال، بعيدا عن السياقات الفعلية، لكنها تعود للتأثير فيها. فيكون كل نقاش حول العدالة، والحرية، والمساواة، والخير، والشر، وغيرها من القيم الإنسانية، هادفا وذا مغزى.

في هذا البحث، أفترض أن بإمكان الأطفال تطوير ميلهم الفطري نحو طرح الأسئلة، داخل أطر درامية. فعادة ما نلقى الأطفال، وهم يتساءلون عن خَلْقهم، وحياتهم، ومماتهم، ونحن لا نكف عن بذل الجهد لنضع حدا لتساؤلاتهم، وبالتالي لخيالهم الفلسفي، مُدّعين أنهم لا يزالون صغارا. إن مهمتنا بصفتنا معلمين ومربين هي مساعدة أطفالنا ليرسموا صورة ذواتهم، عبر وضعهم في سياقات اجتماعية متخيلة، لاختبار أفكارهم ومعاينة أثرها عليهم، في العالم المتخيل، ومن ثم الواقعي.

تضطلع الفلسفة بتحقيق هدفنا التعليمي والتربوي، فهي تفتح نوافذ في عقول الأطفال، وتدعهم يختبرون، الواقع في عوالم ممكنة، ويستكشفون التفاصيل النوعية للوضع الإنساني. هذا هو مبرر انعطافنا نحو الدراما في تدريس الفلسفة للأطفال. وسنعتمد في بسط موضوعنا على مواقف بعض الفلاسفة، التي تنبني على ضرورة التفكير فيما وراء المظاهر، ومساءلة الأسباب الداخلية والخارجية للمواقف الإنسانية. والمقاربة الفلسفية التي سأسير على وفقها، هي الشك الديكارتي. فكما نعلم أن ديكارت استخدم الشك كمنهجية للوصول إلى اليقين. في بحثنا لن يكون المقصد هو اليقين في ذاته، بل خلخلة عناصر الواقع والخيال معا.

1- الارتباط بين الدراما والفلسفة

اتباعا لتعريف إدوارد بوند للفلسفة بكونها في معناها العميق دراما (Bond, 2014) فإننا نكون على مشارف فلسفة جديدة تتغذى من الفعل الدرامي. وبالتالي يكون تدريس الفلسفة مرتبطا بإعداد شروط سياقية، تحفز الفعل لدى الأطفال، عبر مواقف درامية مبتكرة. وأعتقد أن الدرس الفلسفي هو درس درامي بامتياز.

قد يكون من المفيد أن نطلب من الأطفال كتابة قصة متخيلة لبدء درس الفلسفة، والتي ستتحول عبر مجموعة من استراتيجيات[2] الدراما، إلى ممارسة فلسفية، تتجسد في تساؤلات الأطفال حول الشيء وكيفه وعلته. هذه الأسئلة التي تركز على أحداث درامية مبتكرة، قادرة على إثارة الوعي بما يجري في القصة. مثال ذلك، اعتراض أحد الأطفال على حكم غير منصف، باستخدام أدوات الاستفهام في دور (لعب إيهامي).

[1] يُعبّر عنه في أبسط مظاهره، بأخذ المعلم/القائد دورا في الدراما مع بقية المشاركين.

[2] الاستراتيجيات هي كيفية تنفيذ الدراما مع الطلاب، ونظرا لصعوبة تصنيف الاستراتيجيات بشكل واضح بالنظر إلى عددها الهائل، فإن التصانيف الأربعة المؤطرة لها هي؛ بناء السياق، وبناء الحكاية، وتعميق التجربة والتفكير بالدراما (التأمل). ويعود للمعلم قرار اختيار الاستراتيجيات والتقنيات والأنشطة لخلق أفضل التجارب الدرامية.

ويتلاءم تدريسنا الفلسفة للأطفال مع توظيف التمثيل التجسيدي، وهو الأكثر فعالية في تعلم الأطفال حسب تصنيف برونر، لأنه يجعلهم أشد التصاقا بالواقع الملموس. وفي مقاربة الدراما في التعليم، يمنح هذا التمثيل الأطفال القدرة على تجسيد مواقف الدراما، وبناء سياقات ملموسة، بمساعدة المعلم خارج الدور، واستقصاء الأفعال داخل الدور. وبالتالي فالاستقصاء عبر تجسيد الوقائع، ومعاينتها، وطرح الأسئلة، يعد أحد عوامل جذب الأطفال إلى التفكير في كل جزء من الدراما، بمزيد من التوتر، بوصفه وجودا معطى. فالفلسفة لا وجود لها حيث يغيب التوتر، والتوتر علامة الدراما الأساسية. وما يصنع التوتر في الفلسفة والدراما على حد سواء، هو التقابلات. يقول إدوارد بوند "هدف الدراما هو الاعتراف بأن معنى الحياة أهم من الحياة ذاتها" (Bond, 2014)، وفي منظورنا أن المعنى يتشكل عبر تقابلات الحياة: نقتل لأجل الحماية، ونكره في سبيل الحب، ونكذب لأجل الفوز، وغيرها. مهمة الفلسفة في السياق الدرامي، الذي يزود الأطفال بأدوات لمقاربة أسئلة الحياة، هي جعلنا نعرف كيف ولماذا نعيش في قلب التقابلات، التي تثيرها أسئلة الفلسفة. إن تخيل الواقع هو الذي يعيد بناء هيكل المجتمع، بإحداث ثغرات في معاني مواقف الدراما، وردمها بمعاني أخرى. وهنا يتجلى دور الفلسفة حين تتحد مع الدراما؛ طرح أسئلة جذرية، للتشكيك في معاني المواقف المعطاة، وإحداث الثغرات، وردمها بمعاني بديلة. وباتباع هذا المسار، فإننا نشدد على الإبداعية في أقسام الفلسفة للأطفال. وهنا تكمن خطورة الفلسفة وفائدتها في الوقت ذاته.

2- حساسية الأطفال تجاه القضايا الفلسفية والحاجة إلى الحماية[3]

سبق أن تطرقنا إلى التوتر الذي تولده القضايا الفلسفية، ولهذا نحن بحاجة إلى توفير الحماية في أثناء معالجة تلك القضايا مع الأطفال. إن الدراما تقدم وسائل لخلق مسافة بينما يندمج الأطفال في قضايا الفلسفة. ويعد الاضطلاع بالدور على وفق مستويات مختلفة، وبناء سياقات ملموسة عبر كل مراحل الدراما، وإبطاء الأشياء، من الاستراتيجيات التي تشكل وسيطا حمائيا. لذلك فكل تخطيط لدرس الفلسفة، يحتاج إلى اعتبار هذا الجانب المهم لتعليم الدراما، وإلا فإن فتح نقاش مباشر حول الميلاد، والموت، واللاعدالة والحرب، وغيرها، قد يكون صادما وذا نتائج ارتكاسية.

لا شك في أن التوتر والانفعال مطلوبان في درس الفلسفة، وكل نقاش إلا ويرتبط بالمواقف التي يتخيلها الأطفال ويجسدونها. ونشير هنا إلى تمييز رائدة الدراما في التعليم دروثي هيثكوت بين الحماية من الانفعال والحماية في أثناء الانفعال. وهذا النوع الأخير للحماية هو الذي يشكل الأرضية الأساسية للدراما التكونية[4] التي أحاجج في هذا البحث على أنها فلسفة تكونية[5]. يقول كارل ياسبرز "نحن دائما في مواقف معينة. تتغير المواقف وتظهر الفرص، إذا فقدناها لا تعود أبدا، أستطيع بنفسي العمل على تغيير الموقف، لكن بعض المواقف تظل جوهريا هي ذاتها حتى لو أن جانبها اللحظي يتغير، وقوتها التدميرية تتسم بالغموض: لا مفر لي من الموت، لا مفر لي من الألم، لا مفر لي من الكفاح، أنا تابع للحظ، وأورط نفسي بشكل حتمي في الشعور بالذنب (Jaspers

[3] يُعدّ من المفاهيم المفتاحية لتعليم الدراما، ويترابط بشكل كبير مع مفهوم التماسف بمعناه السيكولوجي، بوصفه استراتيجية تحمي من "الواقع"، وفي أدبيات تعليم الدراما يُنظر إلى التماسف كاستراتيجية وقائية في الدراما الصفية. حيث توضع القضايا التي تُستكشف في الدراما على مسافة، وتُختبر بوصفها أقل تهديدا عبر حفظ الفعل بداخل الفعل المحمي المنقول من مواقف الحياة الواقعية.

[4] هي مؤشرات للطريقة التي يتفاعل بها الزمن والحيز والحضور الإنساني، وتتشكل لإنتاج أنواع مختلفة من المعنى الكامن في الدراما.

[5] مجال لتدريس الفلسفة للأطفال ينطوي ضمنيا على الأعراف والعناصر التي تستخدمها الدراما التكونية كأسلوب في التدريس. الهدف من ابتكاري لهذا المفهوم هو الدمج بين الفلسفة والدراما في تدريس الأطفال الفلسفة من أجل ممارسة فلسفية تتكون فيها الرؤى بينما تتقدم الدراما الصفية بفضل التلاميذ الذين يضطلعون بدور المشاركين والجمهور معا.

(Jaspers 1954, 20). ما يهم في مقولة ياسبرز هو إدراكه السمة الثابتة للمواقف الإنسانية مع هامش ضئيل لمراوغتها. والمراوغ متوتر ومنفعل ويحتاج وهو يستقصي الوجود إلى وسيط يبدد ثقل القضايا ليحتويها الأطفال قبل أن تحتويهم. هذا الدور الحمائي ضروري لإدامة الفرص أمام الأطفال لتحدي الوجود وتغيير حقيقته.

في الفلسفة التكوّنية لا نفقد الفرص، إننا نضع الأطفال في مواقف قصوى، لتجسيد واستكشاف أفعالهم وأفكارهم ومشاعرهم، والجوانب الأخرى لشخصيتهم. وما يجنيه الأطفال من العيش عبر مواقف الحياة المتخيلة هو التعرف على الجوانب القصوى لحياتهم، ضمن إطار جمالي مستوحى من الشكل الفني للدراما[6]. فالفني هو ما ينبغي له أن يحتوي العقلي في تدريس الفلسفة للأطفال، حتى يستمتعوا بالتفلسف ويتوقعوا التبعات، ويتماهوا مع المواقف، ويكتسبوا المعرفة في سياق تخيلي محمي. مع الإشارة إلى أن بعض المواقف العارضة تؤثر على شخصية الأطفال حتى دون أن يدركوها، لذلك فوظيفة الفلسفة التكونية، هي أن تجعلهم مدركين لها من خلال اللعب الإيهامي، بأن يستكشفوا أفعالهم في سياق اللعب، وينتبهوا لظروفهم، ويناقشوا البدائل.

3- قصص بسيطة وقضايا كبرى

ينخرط الأطفال معا في القصة، وهذا الانخراط هو في حد ذاته مؤشر على التعلم المفيد. ومهما تكن القصة التي اختاروها، فقد تكون مدخلا لمناقشة القضايا الأساسية. ويُعدّ التعاون مؤشرا آخر على التعلم المفيد، عبر بنائهم أرضية مشتركة تخدم كنقطة بدء جاذبة: بناء سياق القصة باستخدام أعراف الدراما[7] (التي ابتكرتها دوروثي هيثكوت وطورها جونوثان نيلاندس وآخرون). ويظل الأطفال يستمتعون بالقصة، ولا يتوقفون عن طرح الأسئلة طيلة السرد. إنهم يجسدون القصة، وينفتحون على قضايا فلسفية بمجرد اضطلاعهم بالأدوار، لكنهم يظلون هم أنفسهم، بينما يتصرفون تبعا لأفكارهم، ومشاعرهم، وأجسادهم. فتصير قضايا القصة قضاياهم، ويعملون سويا مع المعلم، لاستكشاف تفاصيل كل جزء من القصة.

في قصة "الطفل والضفدع"[8] تقتل الأم الضفدع لحماية طفلها، الذي وجد المتعة في مشاركته اللعب. إن هذه القصة مرتبطة بما يفضل الطفل القيام به، وهو اللعب مع الحيوانات. ويشكل اللعب بدوره العالم الحميمي للطفل، وقتلُ الضفدع في القصة أفشل عملية اللعب، وعلّم الطفل بأن اهتماماته لا معنى لها في عالم الكبار. لذلك عندما يتساءل الطفل عن سبب قتل الأم للضفدع، فإن سؤاله يتحول إلى سؤال وجودي، وينطلق باحثا عن أجوبة ليس من الكبار، بل من أقرانه بمساعدة المعلم. إن الصراع بين عالم الصغار وعالم الكبار ينتج عالما هجينا يفسد عالم الصغار. أما إذا قبلنا تفسير الصغار لعالمهم، بمنحهم فرصة استكشاف رغباتهم، وأفكارهم، وآمالهم، فسيصير عالمهم أفضل من عالم الكبار، ومؤسسا له. فالطفل قد يستنتج من القصة أن عالم الحيوانات يستحق الاحترام، حيث يمكنه أن يجسد الضفدع، يلعب دوره وينظر بعينيه. وأعتقد أن العلاقة بين الحيوان والإنسان ستحظى بما تستحقه من خلال هذا الموقف. فحتى لو أن الأطفال يميلون إلى المواقف الملموسة، إلا أنهم سيجدون أنفسهم يواجهون قضايا مجردة. وستقودنا الفلسفة التكونية، إلى الشعور العميق بالموقف، والتفكير فيه. وكما يقول ياسبرز: "على طول التساؤل والشك، فإن الوعي بهذه المواقف القصوى هو الأصل الأعمق للفلسفة. في حياتنا اليومية عادة ما نتجاهلها بأن نغلق أعيننا كما لو أنها غير موجودة" (Jaspers 1954, 20).

---

[6] تنحو الدراما كشكل فني إلى التبئير على تطوير مهارات مسرحية و تنمية الذوق المسرحي و شحذ مهارات الأداء المطلوبة لإخراج مشهد في مسرحية تتجسد فيه شخصية الطلّاب، وتعتمد في ذلك أدوات المسرح.

[7] أعراف الدراما هي أفعال نوعية وتقنيات تستخدم في الدراما بهدف إنتاج تأثير دراميي.

[8] الأخوين جريم (2016) الطّفل والضفدع (ترجمة وسيم الكردي). عمان: مطبعة الأهلية للنشر والتوزيع.

بينما الأطفال في درس الفلسفة التكونية، لن يتجاهلوا هذه المواقف. وحتما سينتبهون لها، لأن أرواحهم تعشق السؤال. فنحن بصفتنا كبارا، نبذل الجهد لتدريس الأطفال، وترسيخ القيم فيهم، وإرشادهم طوال الوقت، وننسى أن التدريس سيرورة تتداخل مع الطفولة المبكرة للأفراد في المجتمع. ولهذا السبب، أشارت ميشيل سوي في مقالتها عن تدريس الفلسفة للأطفال، إلى فكرة عميقة قائلة: "عندما بدأت إدارة ورش عمل الفلسفة لأطفال المدارس الابتدائية، رأيت بسرعة أن الأطفال أيضاً لديهم المقدرة على الاستقصاء فلسفيا في سن مبكرة. إنهم يتسمون بالذكاء في اللعب بالأفكار وبالمهارة في البناء على حجج بعضهم البعض. إنهم فضوليون إلى ما لا نهاية، يتساءلون حول القيم ("ما هو الشيء الأكثر عظمة في العالم؟")، الميتافيزيقيا ("هل وجود الأرض مصادفة؟")، اللغة ("إذا انطلق رجال الكهف فقط" أخ، أخ، أخ"، كيف تعلمنا أن نتكلم؟ ") ونظرية المعرفة (" بما أنه يمكنك أن تحلم وسط الحلم، كيف يمكنك أن تعرف متى تحلم؟ "). وتجادل بأن "الاستقصاء الفلسفي في المدارس الابتدائية سيعزز بالتأكيد تطوير الحجة المنطقية ومهارات التفكير الأعلى تنظيما" باستخدام تقنية نقاش المجموعة الصغيرة.

ومع ذلك، بما أن مناقشات الأطفال تسعى إلى اكتساب ممارسة منطقية، فإنها تضعف خيالهم، لأنهم يتعلمون أن المنطق أكثر أهمية من الحياة نفسها. يشبه ذلك شخصا يسير على رأسه، ويفقد القدرة تدريجياً على إدراك دور العوامل السياقية الأخرى. هذا هو السبب في أننا بحاجة إلى القصة.

4- الفلسفة كوسيلة للاستكشاف بدلا من تعليم الحقائق

تجادل الفلسفة على امتداد تاريخها، بأنها تسعى إلى الحقيقة كنتيجة للنشاط العقلاني، الذي يستخدم على سبيل المثال منطق أرسطو. على المستوى الاجتماعي، عندما يتحدث اليمين السياسي في الولايات المتحدة الأمريكية، عن التعليم، فإنه "يعدد ما يعتبره حقائق مألوفة وواضحة، ويأسف أنها لم تعد تترسخ في عقول اليافعين" (Rorty, 1999, 114). تبعا لهذا التأكيد، نفترض أن تعليم الحقائق للأطفال يشكل أزمة وجودية، تشبه إلى حد ما حتمية كانط، التي تتجاهل ظروف الواقع.

وبالمقابل، سيكون تدريس الاستكشاف للأطفال أكثر ملاءمة لمفهومنا للفلسفة. فالاستكشاف هو السفر عبر الأحداث الدرامية، لمعرفة المزيد عن الحياة. والغرض من الفلسفة التكونية كمجال للمساءلة، هو استكشاف الأشياء والمعاني، في علاقتها بالأفكار، والمشاعر. ومن الواضح أن بإمكاننا أن نقول، إن الأطفال من خلال لعب الدور، الذي يضطلعون به، يحصلون على إمكانية طرح الأسئلة، والتعرف على ما تنطوي عليه المواقف من معاني صريحة وضمنية، ومناقشتها. ويمكنني أن أميز أدناه الاختلافات الأساسية الموجودة بين تدريس الحقائق و تدريس الاستكشاف، كمعبر أساسي إلى الفلسفة التكونية.

	تعليم الحقائق	تعليم الاستكشاف
الغرض	- ترسيخ الحقائق لدى النشء - إبقاء المجتمع بمنأى عن التغيرات - المجتمع نتيجة لمبادئ العقل.	- حالتشكيك في المعطى القائم - جعل المجتمع موضوعا للاستقصاء - المجتمع نتيجة لتحولات الخيال.
الوسيلة	- عرض الحقائق الفلسفية - إيضاح الحقائق وإيصالها وقبولها	- السفر عبر الأحداث القصصية لإثارة أسئلة الشك المحايثة. - تجسيد المواقف واستقصاؤها ومساءلتها

وباستخدام طبقات المعنى الخمسة (الفعل، والحافز، والاستثمار، والنموذج، والموقف)، المستلهمة من دوروثي هيثكوت، سنركز على الجوانب المختلفة للفعل، ووجهات النظر. وبالتالي ستبدو طبقات المعنى في قصة الطفل والضفدع، على الشكل التالي:

من الطفل

الفعل	ما تمّ فعلُه	اللعب مع الضفدع
الدافع	السبب المباشر	تحقيق المتعة
الاستثمار	لماذا يُعدّ هذا الأمر مُهمّا /ما قيمته؟	يريد أن يعيش طفولته
النموذج	تمّ تعلّمه من خلال (نموذج إيجابي/سلبي)	كل الأطفال يفعلون الشيء نفسه
النظرة إلى الحياة	كيف ينْبغي للحياة أن تكون أو أن لا تكون؟	إلى أي مدى يمكن للأطفال أن يكونوا أحرارا؟

من الأم

الفعل	ما تمّ فعلُه	قتل الضفدع
الدافع	السبب المباشر	حماية الطفل
الاستثمار	لماذا يُعدّ هذا الأمر مُهمّا /ما قيمته؟	إبعاد الأذى عن العائلة
النموذج	تمّ تعلّمه من خلال (نموذج ايجابي/سلبي)	من الأفضل أخذ الاحتياطات
النظرة إلى الحياة	كيف ينْبغي للحياة أن تكون أو أن لا تكون؟	هل يمكن أن تكوني الأم التي ترغبين فيها بالنظر إلى المجتمع الذي نعيش فيه؟

يحاجج ديفيد ديفيس *(Davis, 2014)* بأن الدراما تسمح باستكشاف طبقات المعنى الخمسة[9] مع الأطفال، بمجرد ما يبدأون بتمييز المستوى النفسي، والاجتماعي، والتاريخي، والكوني للفعل. مهمتنا نحن المعلمون هي قيادة الأطفال إلى موقع هذه المستويات، باستخدام أعراف الدراما، وتوسيع خيالهم لخلق مواقف قصوى.

في قصة الطفل والضفدع، مرض الطفل ومات، فشعر الأطفال والأم والجيران بقساوة الموقف. هل يعني هذا أن الطفل يعرف ما هو الأفضل له؟ هل هناك فرق بين قتل الضفدع ورميه خارج المنزل، مثلا في الغابة؟ وغيرها من أسئلة الاستقصاء كثير. فالانتقال من مستوى إلى آخر، كما هو مبين أعلاه، يشبه إلى حد ما الانتقال من الملموس إلى المجرد. العملية ذاتها تسير بموازاة مع الفلسفة التكونية.

وقد عبرت معلمة عن قناعتها بأن تغيير التوجه نحو العنصرية في المجتمع، يمكن أن ينجح، إذا أدرج برنامج إعادة التأهيل في المدارس مع أطفال الأربع سنوات(Bolton, G. and Heathcote, D, 1999). في صفوفنا نسعى إلى نبذ العنصرية عن طريق النصح مع الأطفال الأكبر سنا، والأمر في الحقيقة يحتاج إلى بناء مواقف تكشف عن ميلهم العنصري. وهنا تتجلى خطورة أن نتحدث مباشرة مع الأطفال عن العنصرية، أو عن ما هو صحيح، أو خاطئ، خارج مواقف السياق الخيالي. علاوة على ذلك، كلما كان الأطفال أصغر سناً، كلما كان موقفهم

[9] هي طبقات تفسير الفعل الدرامي. وتسمى أيضا مستويات الفعل الخمسة، وتُستخدم في الدراما التكونية كاستراتيجية لفهم الفعل الدرامي، بهدف تغيير المواقف في قضية ما. (الفعل، الحافز، الاستثمار، النموذج، القيمة).

أصيلا. و"تيم تايلور" عندما قدم لنا تعريف عباءة الخبير[10] قال: "هذه دعوة للأطفال للدخول إلى عالم خيالي، وتولي دور حراس الحديقة. إنه عرض لطيف، دعوة "إذا كنت ...". لا توجد مطالب، ولا ضغوط، ولا إمكانية لكونها صواب أو خطأ، مجرد عرض لتخيل الأشياء بطريقة مختلفة " (Taylor 2016, P. 24).

إن التخيل والتفكير بطريقة مختلفة، يموقع الأطفال داخل الخيال ليلعبوا دور شخصية معينة في الموقف، ويبدأوا بتوقع ما سيحدث وكيفية التعامل معه. فالعالم الخيالي يتمتع بالقدرة على تحسين الوعي بالعالم الحقيقي من خلال تأثير الميتاكسيس[11].

5- الفلسفة التكونية لأجل التعلم

سينصب هذا المحور حول ما يتعلمه الأطفال عبر الفلسفة التكونية. إن الأمر يتعلق بطبقات المعاني الخمس تباعا، بدءا من الفعل، وانتهاء بالنظرة إلى الحياة. دعونا نبدأ من الفعل نفسه. إن للفعل قيمة من منظور الطفل، وهذا ما ندركه عندما نتقاسم معه تجربته. بينما من منظور الخطاب العادي، يبدو لعب الطفل مبتذلا. وبالتالي إذا رغبنا في الحصول على تعلم حقيقي، علينا أن نتقاسم مع الأطفال أفعالهم (اهتماماتهم)، منطلقين نحو الطبقة الثانية للمعنى (مثلا: لماذا يلعب الطفل مع الضفدع؟). إن توقع استجابة الطفل ممكن نسبيا. وإذا أردنا وضع خطاطة محتملة لاستجابتهم، ومجال تعلمهم، فستكون على الشكل التالي:

الفعل	الحافز	الاقتضاء
اللعب مع الضفدع	1- تحقيق المتعة 2- يحب الضفدع 3- الضفدع يحب اللعب مع الطفل 4- الضفدع يقدم هدايا إلى الطفل 5- الطفل يحب إطعام الضفدع.	1- الضفدع شيء لتحقيق المتعة 2- إمكانية إقامة علاقة جيدة مع الضفدع 3- الضفدع يبحث عن معاملة جيدة 4- الضفدع لديه دائما ما يقدمه 5- الطفل لديه نية حسنة تجاه الضفدع.

تعليق: يمكن للمعلم في هذا المستوى أن يدير نقاشا مع الأطفال حول الأسباب المباشرة الكامنة وراء فعل اللعب مع الضفدع. كل حافز يقدم لنا اقتضاء يقودنا إلى مقاربة قضايا فلسفية، باستخدام أعراف الدراما. إذا تعاملنا مع الضفدع كشيء يحقق المتعة، فمن المحتمل أن يكون مجتمعنا غير منصف. وإذا أدرك الطفل أن الضفدع ليس "شيئا" لتحقيق المتعة، فبإمكانه استيعاب كيف أن الكائنات الحية تستحق منا تعاملا جيدا. ومع استمرار النقاش، فإن بقية الاقتضاءات سيتم معالجتها كما هو مبين أدناه:

[10] عباءة الخبير هي مقاربة تعليمية قائمة على الاستقصاء الدرامي .ابتكرتها دوروثي هيثكوت من داخل الدراما بهدف جعل التعلّم مفعما بالحيوية، ودافعا نحو استكشاف وجهات النظر المختلفة.

[11] مصطلح استخدمه أفلاطون وأرسطو للإحالة على حالة الما بين التي تُعدّ إحدى خصائص الكائن الإنساني. ويستخدم في الدراما لوصف مستويات التحرّك بين الواقع والخيال.

الفعل	الاستثمار	الاقتضاء
اللعب مع الضفدع	1-يريد أن يعيش طفولته 2-يرغب في تقاسم ممتلكاته مع الضفدع 3-يبحث عن من يصغي إليه.	1- الطفولة مرحلة تستحق أن تعاش 2- استجابة الضفدع لتقاسم الممتلكات 3- الضفدع يسمح للطفل بتقديم وجهة نظره.

تعليق: الطفولة قضية مهمة، وهي ليست خالية من المعنى. في هذه المرحلة نركز على الاستثمار لبسط رهان الطفولة. وسيقودنا النقاش إلى حاجات الطفل في الحياة، وخاصة الحاجة إلى التفاعل مع عالم الحيوانات.

الفعل	النموذج	الاقتضاء
اللعب مع الضفدع	1- كل الأطفال يفعلون الشيء نفسه 2- زار محلا لبيع الحيوانات البلاستيكية.	1- الرغبة في اللعب مع الحيوانات غريزة مشتركة 2- إدراك السوق بأن الأطفال يحبون امتلاك ألعاب الحيوانات.

تعليق: كل فعل يتبع نموذجا. والنقاش مع الأطفال في هذا المستوى سيقودهم إلى الانفتاح على عالم الرغبات والتفاعل مع النظام الاقتصادي السائد. سيكشف المعلم كيف ينظر الأطفال إلى ثقافتهم. إن الأمر يخص نقاشا فلسفيا متقدما مادام أنه استقصاء تاريخي.

الفعل	النظرة إلى الحياة	الاقتضاء
اللعب مع الضفدع	1- إلى أي مدى يمكن للأطفال أن يكونوا أحرارا؟ 2- هل يسمح للأطفال بفرصة للانفتاح على التنوع البيئي؟	1- يحتاج الأطفال ليكونوا أحرارا 2- وجود تنوع بيئي نحتاج أن ننفتح عليه.

تعليق: ترتبط القضايا العميقة بخلق النظرة إلى الحياة. وعلى الأطفال أن يكونوا قادرين على مناقشة وجودهم كمستقلين في جانب، ومتفاعلين مع محيطهم في جانب آخر.

6- اندماج الأطفال ولا اندماجهم في أحداث الدراما في أثناء ممارسة الفلسفة التكونية

أثناء فتح نقاش مع الأطفال حول بعض القضايا، فإننا نعتزم دمجهم بشكل عام في الحدث الدرامي كوسيلة تعليمية، من أجل تحقيق التعلم الفعال لما ينبغي أن يتعلموه. ومع ذلك، قد يكون دمج الأطفال في حدث درامي غير مثمر. وبالتالي فسؤالنا سيدور حول الطريقة التي يجب اتباعها في ما يتعلق بدمجهم أو عدم دمجهم في الموقف.

يدافع معظم المعلمين على أهمية دمج الأطفال في الموقف الدرامي من أجل تطوير فهم أكثر لجوانب الوجود الخاصة بهم. ومع ذلك، فإن الأطفال يندمجون في لعب أدوار مُموَّهة، وبدلاً من استقصاء الموقف، فإنهم يقبلون ما يطلق عليه فيتجنشتاين "لعبة اللغة". على سبيل المثال، عندما يعترف الأطفال بوجود الجنيات التي تتدخل فجأة

لمساعدة ساندريلا، سيكونون ضحايا الاعتقاد في الجنيات. فإطار قصة ساندريلا ليس بريئا، ودور الطفل في الفلسفة التكونية سيكون هو التشكيك في وجود الجنيات، وإلا سيصبح الإطار عامل فشل لهذه الفلسفة.

قد يكون لبعض التوجيهات تأثير إيجابي أثناء الانفتاح مع الأطفال على قضايا فلسفية. وطالما أننا نناقش، يجب أن نعلن "يمكن أن تشك في كل شيء" ، كأحد المبادئ الأساسية للفلسفة عند ديكارت. مع الأطفال، فإن الرهان هو "التفكير فيما وراء المعطى" ولكن في داخل المعطى. هذا التحول من المعطى إلى ما وراءه، يمتلك في حد ذاته القدرة على تغيير وضع الأطفال من "الاندماج في" إلى "الانفصال عن". وكلاهما يُسهم في استحضار الموقف الفلسفي. إن المسألة هنا أشبه بـأن أكون ولا أكون في نفس اللحظة، مادمت أستخدم وسائل للانفلات من شباك الموقف، كي أتمكن من التفكير فيه ومراقبة تأثيراته. فأنا لا أنفصل إلا داخل الاندماج. ولا أتموقف إلا وأنا في الموقف. لا أقطع القصة كما يفعل بريخت، ولا أتورط كليا في الحدث إلى حد التماهي. إن ما يتعلمه الأطفال هو كيف يسائلون وجودهم من خلال وجودهم.

7- تخطيط درس الفلسفة التكونية استنادا إلى دراما مبتكرة حول الهوية والذاكرة

في هذا التخطيط، اعتمدت نموذج تخطيط دراما تكونية، لباميلا بويل و بريان إس هيب. والهدف من اعتماد هذا التخطيط، هو إبراز مدى إمكانية توظيفه، للإشتغال على قضايا فلسفية عميقة مع الأطفال.

عناصر التخطيط	توضيح المطلوب	مثال
الموضوع	بأي مجال من مجالات الخبرة الانسانية أريد أن يشترك التلاميذ؟	ما الذي يجعل الناس يتشبثون بذكرياتهم؟

تعليق:

يعد طرح سؤال وجوديّ، أساسا لفتح نقاش مع الأطفال، حول القيم التي تحملها الأشياء بالنسبة للبشر. ويمكن للقضية الرئيسة أن تكون مجرد معبر لقضايا كبرى، تبعا لطريقة الاشتغال معهم. ففي هذا التخطيط إشارة إلى اتصال الناس بذاكرتهم، لأنها المدخل للتعرف على ذواتهم، إلا أن التشبث بالذكريات لا يفسر دائما بنفس الأسباب، بل يُعطى تفسيرات من وجهة نظر الفرد المعني. ويمكن لتجريب الأطفال لعب أدوار شخصيات مختلفة، أن يجعلهم ينظرون بالعين الأخرى، و يلمسوا التعدد الذي تنطوي عليه المواقف الانسانية.

السياق	أية ظروف محددة سوف تخلقها الدراما لاستكشاف الموضوع؟	إخلاء مبنى آيل للسقوط يسكنه عجوز معمّر

تعليق:

ما يصنع الفلسفة التكونية هو سياقها الدرامي، الذي يصلح كبداية لاجتراح المواقف الإنسانية. والخلفية النظرية المؤسسة هنا، هي أن التعلم، يتحرك من الاجتماعي نحو الفردي. وقد جعلنا من "إخلاء مبنى آيل للسقوط يسكنه عجوز معمر"، سياق درسنا في الفلسفة التكونية، التي نخوض فيها الآن. فالمبنى هو قبل كل شيء مأوى، نترعرع فيه، نبني فيه علاقات، نتعرف فيه على ذواتنا. وإذا كان آيلا للسقوط، فالأمر لا يعنيه هو، بل يعني الناس الذين

يسكنونه. ويمثل العجوز المعمر ارتباطا راسخا بالمبنى، وذاكرة عميقة. واجتماع المبنى الآيل للسقوط مع العجوز المنهك القوى، يخلق سياق جذب مهم للأطفال، ويولد المواقف والمواقف المضادة[1] لأجل تعلم أفضل.

الأدوار	من هم التلاميذ والمعلمة الذين سيكونون في الدراما؟	أدوار التلاميذ	أدوار المعلم
		- لجنة إخلاء المباني الآيلة للسقوط -العجوز أحيانا	- العجوز - مساعد مدير مكتب إخلاء المباني

تعليق:

ينبغي للأطفال المشاركة في الفلسفة التكونية، عبر الأدوار التي يضطلعون بها. وهي أدوار تُختار بعناية لخلق التوتر المطلوب للتعلم. ويعد تجريب الأطفال للأدوار نظرا بالعين الأخرى، ومعايشة مواقف الحياة اليومية بوتيرة الدراما، عن طريق إبطاء الأحداث، والتفكير فيها، والخروج منها، ومعاودة الدخول إليها. بهذا الأسلوب، يتمكن الأطفال من تطوير قدراتهم العقلية والانفعالية، والتعرف على أنفسهم، وتشكيل وجهة نظر حول القيم، وما تعنيه.

الإطار	أية وجهة نظر سوف تمتلكها الأدوار لخلق توتر في الدراما؟ وإلى مدى تحتاج الأدوار إلى التماسك؟	- رفض العجوز إخلاء منزله الآيل للسقوط و محاولة الطاقم إقناعه بالاخلاء - حساسية وضعية العجوز والمبنى على حد سواء لذلك من الضروري الاحتفاظ بالمسافة.

تعليق:

يساعدنا تحديد الإطار، على وضع الأطفال في بؤرة الأسئلة، التي تتولد عن العقل والشعور معا. ففي درسنا، وجد الأطفال أنفسهم أمام منطقين، منطق العقل، ومنطق الشعور. وهو ما ولد لديهم أسئلة فلسفية عميقة، من مثل، لماذا يتشبث العجوز بمنزل آيل للسقوط؟ هل يحق لنا إخراجه من المنزل بالقوة؟ هل نستجيب لرغبة العجوز أم لقانون إخلاء المباني الآيلة للسقوط؟ وهذه الأسئلة يطرحها الأطفال، ويجيبون عنها، انطلاقا من اختبار الأدوار التي سيلعبونها.

الإشارة[2]	أية مواد وأشياء شخصية وأصوات وصور وغير ذلك سوف أحتاج إليها لأضفي أهمية على أحداث الدراما ؟	تعبيري	أيقوني	رمزي
		- صورة ثابتة للعجوز في حوار مع الطاقم. - حوار بين الطاقم والعجوز.	-عرض صورة مبنى آيل للسقوط. - شريط فيديو لخبر حملة اخلاء المباني -صورة آليات الهدم. - صور أغراض العجوز	- رسائل العجوز.

[1] تتعارض مواقف التلاميذ حين يستحضرون قيمهم وأفكارهم ومشاعرهم الحقيقية وهم يلعبون أدوارهم في الدراما.

[2] تتضمن الإشارات مواد، وأشياء شخصية، وأصوات، وصور، وغيرها مما نحتاج إليه لإضفاء أهمية على أحداث الدراما.

تعليق:

لأجل تعلم أفضل، تُوظف الإشارات بجميع أنواعها. فكل نوع له مخرجات خاصة، حسب أهداف المنهاج الدراسي. ومن الإشارات ما يصنعه المعلم، وما يصنعه الطفل، وما يصنعانه معا. وأدوار الإشارات هي الجذب، وخلق التوتر، والتعبير، وبناء السياق والحكاية، وغيرها. إنها عالم الأشياء الدالة والملغزة، وبها تكتمل المواقف، وتتشكل الأسئلة الفلسفية.

تعليق:

تتعلق الاستراتيجيات بالطرق التي يختار المعلم استخدامها، وحسب طبيعة الأسئلة التي يريد توليدها من الأطفال. وتمثل الاستراتيجيات تمفصلات الفلسفة التكونية، وهي أشبه بحبكة القصة من ناحية جذب الأطفال، وإشراكهم في العمل. وتأتي مخرجات الاستراتيجيات حسب المواقف الوجودية التي يعايشها الأطفال، ويفكرون فيها، ويختبرون معطياتها.

الاستراتيجيات	أية طرق عمل سوف أستخدم؟ في أية مجموعة؟ ولأي هدف؟	- بعد عرض صورة المباني الآيلة للسقوط، طلبت من الطلاب توضيح ما يرونه في الصورة، والقيام بعملية استمطار للأفكار. - بعد تدوين الملاحظات انتقلنا إلى صورة عجوز وتدوين ما يراه الطلاب. بعدها استكشفنا العلاقة الممكنة بين البيت الآيل للسقوط والعجوز. - بعدها، انتقلنا إلى عرض شريط لخبر تم الإعلان عنه لاخلاء المنازل الآيلة للسقوط، وأن على مالكي المباني تقديم طلبهم للسلطات المعنية. - بعد استيعاب مضمون الخبر والاستماع إلى الطلاب، اتفقنا على أن يلعبوا دور طاقم إخلاء تلك المباني، و أن أحدها سيكون بيت العجوز الذي تعرفنا عليه سابقا وشاهدنا بيته. - بقبولهم لعب دور لجنة إخلاء المباني سأخبرهم أن لدي تقرير عن عملهم، مضمونه أنهم أخلوا جميع المباني باستثناء مبنى العجوز. - ولوضعهم أمام الأمر الواقع قلت لهم: لم أكن أعرف أنكم ستخفون عني أمرا كهذا متسائلا: ماذا لو سقط المبنى قبل أن تقرروا إخباري بذلك؟ على الأقل كنا أنهينا العمل، لقد تحملتم المسؤولية والآن أطلب منكم الإدلاء بأسباب فشلكم. إنه رجل عجوز وأنتم مسؤولون عن الوضع. - بدأ الطلاب يقدمون الأسباب ويتناقشونها. لقد كان أمرا رائعا أن يصير طلابي في مستوى المسؤولية. - اقترحت عليهم القيام بمحاولة جديدة وجدية لاقناع العجوز بالعدول عن قراره، ذهبنا إلى بيت العجوز؛ بدأوا يطرحون عليه الأسئلة و يجيب وهو مرتبك، منذ الطفولة وهو يعيش في نفس المنزل ولم يبق من عمره إلا القليل، فلماذا يترك البيت، إنه يرى أن بيته لا يزال متينا.

المخرجات:

يتعلم الطفل عبر مراحل الفلسفة التكونية القدرة على مساءلة المواقف، وتقصي المعلومات، وقراءة الإشارات، من وجهات نظر مختلفة. ويمكن إجمالا ملاحظة أن الطفل:

- ينمو عقليا وشعوريا، بالتفاعل مع الأشياء والأشخاص، من داخل الأدوار التي يضطلع بها، ومن خارجها.
- يلمح الإشارات، ويلتقط الأصوات، ويبحث عن دلالتها داخل سياق الفلسفة التكونية.
- ينمو لغويا، من خلال السياقات المتحولة، والخطابات المتعددة.
- يطرح الأسئلة الفلسفية، والوجودية، والمنطقية، والقيمية، ويتعقب الأجوبة.
- يشكل وجهة نظره الخاصة، ويتماسف مع تقاليد مجتمعه، ليتمكن من قراءتها، انطلاقا من براءته.

هكذا تكون مخرجات الفلسفة التكونية ظاهرة، وقابلة للقياس. وبتمكن الأطفال من آليات المشاركة، والتفكير، والشعور، يتأكد لديهم الشعور بالمسؤولية عن التعلم وتشكيل أسس المجتمع.

خاتمة:

يُعدّ تدريس الفلسفة التكونية للأطفال ضرورة تعليمية وتربوية. تخيلوا ما قد نجنيه من هذا المشروع الوجودي: مستمعين جيدين، عقولا سريعة البديهة، وأرواحا متعطشة للمعرفة. باستخدامنا للفلسفة التكونية، سنتمكن من التصدي لفساد المجتمع ولا عدالته. ولقد بات واضحا أن تدريس الفلسفة التكونية، باستخدام استراتيجيات الدراما، يتمتع بالقوة لجعل الأطفال يفكرون في أفعالهم عقليا، وشعوريا، من أجل استكشاف طبقات وجودهم، والتصرف بفعالية في المواقف القصوى.

استخدمت طوال المقالة مفهوم الفلسفة التكوّنية، الذي ارتأيت في ابتكاره، ربط تدريس الفلسفة للأطفال بالسياق الخيالي، كوجود يستدمج أدوات الدراما، ويعفينا من استخدام الدراما كوسيط لتدريس الفلسفة. ذلك لأن الفلسفة التكونية تقتضي وفق مخططنا سياقا دراميا، يكون فيه الطفل جمهورا لذاته، يسائلها في مواقف معينة، وفق مسار تكوّني، يقود نحو الحدود القصوى للتفكير والشعور. إن أسئلة الطفل من هذا المنظور هي أسئلة في أثناء الفعل، سواء خارج الدور أو داخله، عبر حلقات الفلسفة التكونية المتعددة المتسلسلة.

ولعل تطوير أدوات تدريس الفلسفة التكونية، سيكون عملا، يأتي بعد سنوات التمرس مع الأطفال، في تدريس هذا المجال. والفكرة الجوهرية في ابتكار الفلسفة التكونية، أن الأطفال بأسئلتهم، يخترقون أطر المجتمع. لذلك، من يجب أن يصغي، هم الكبار، وأكثر من ذلك، عليهم أن يوفروا الحماية لاستمرار الأطفال في المساءلة، والاستقصاء، والبحث. إنها الضامن لتحرر الأطفال والمجتمع معا من الأفكار البائدة. وعلى العكس، إن نحن شددنا على أن عالم الكبار يجب أن يزحف على كل الأصعدة، بما فيها صعيد الخيال، فإن الطفل سيتحدث باسم الكبار، ويفكر بطريقتهم، ونضيع على أنفسنا ثمار أهم ميزة للأطفال، وهي، أن بمقدورهم تقييم الخبرات التي راكمناها لقرون. إن الأمر أشبه بما قالته دوريس ليسينغ، يجب دائما أن نفكر في كيف سينظر إلينا الآتون من المستقبل (Lessing, 1987).

لائحة المراجع

المراجع العربية

- بويل، ب. هيب، ب. إس (2009) **تخطيط الدراما التكونية** (ترجمة عيسى بشارة).رام الله: مؤسسة عبد المحسن القطان. (العمل الأصلي نشر في عام 2001).
- الأخوين جريم (2016) الطّفل والضفدع (ترجمة وسيم الكردي). عمان: مطبعة الأهلية للنشر والتوزيع.
- مورغان، ن. جوليانا، س.ساكستن (2012) **تدريس الدراما: عقل لتساؤلات كثيرة** (ترجمة عيسى بشارة). رام الله: مؤسسة عبد المحسن القطان. (العمل الأصلي نشر في عام 1987).
- دوروثي، هـ. بولتن، غ (2013) **مختارات في الدراما و التعلم** (ترجمة عيسى بشارة، منال عيسى، رامي سلامة). رام الله: مؤسسة عبد المحسن القطان.
- دوروثي، هـ. (2012) **الدراما من أجل التعلم** (ترجمة عيسى بشارة). رام الله: مؤسسة عبد المحسن القطان. (العمل الأصلي نشر في عام 1995).

المراجع الأجنبية

- Bolton, G. (1979). Towards a theory of drama in education. London: Longman.
- Bolton, G. and Heathcote, D.(1999). SO YOU WANT TO USE ROLE PLAY? a new approach in how to plan. London: Trentham Books Limited.
- Bond,E. The Mind Field. A paper for the National Association of the Teachers of Drama - 14 May 2014.
- *Davis,D. (2014). Imagining the real*: towards a new theory of drama in education. London: Bloomsbury.
- Fleming, M. (1995). Starting drama teaching. London: David Fulton Publishers.
- Heathcote, D. and Bolton, G. (1994). Drama for Learning. Dorothy Heathcote's mantle of expert approach to education. Portsmouth: Heinemann.
- Gökçen Özbek, Drama in education: key conceptual features, Journal of Contemporary Educational Studies/Sodobna Pedagogika . Mar2014, Vol. 65 Issue 1, p46-61.

- Jaspers, K. (1954), Way to Wisdom. Ralph Manheim, trans. New Haven: Yale University Press.
- *Lessing, D. (*1987), *Prisons we choose to live inside*. *Prisons we choose to live inside*. New York: Harper & Row Publishers.
- O'Neill, C. (1995). Drama worlds: A framework for process drama. Portsmouth: Heinemann.
- Rorty, R. (1999). Philosophy and social hope. London: penguin books.
- Sowey, M. Teaching philosophy to children? It's a great idea, https://www.theguardian.com/commentisfree/2013/nov/21/teaching-philosophy-to-children-its-a-great-idea
- Taylor, T. (2016).A Beginner's Guide to Mantle of the Expert, A transformative approach to education. UK: Singular Publishing.
- Winston, J. Drama, Narrative and Moral Education: Exploring Traditional Tales in the Primary Years.P. Taubman - 1999 - Journal of Moral Education 28:99-101
- *Planning Process Drama. - Can drama and learning styles improve education? 4* th. Semester. HIB 3.1.2. Written by: Signe Illum Honoré Larsen. Ida Nygaard Mottelson. Anders Emil Wulff Kristiansen. Supervisor: Stephen Carney. https://core.ac.uk/download/pdf/12519475.pdf

الفقر كظاهرة اجتماعية ترفع من معدلات التسرب المدرسي في الجزائر
دراسة ميدانية على عينة من العائلات القاطنة بالأحياء القصديرية
(حي بوعباز) بسكيكدة- الجزائر

د. عبيد مزيان طاوس
Dr. ABID MEZIANE TAOUS
أستاذة مساعدة جامعة 20 أوت 1955- سكيكدة – الجزائر
mosbax16@yahoo.fr

ملخص

حاولت الدراسة الحالية البحث والتقصي حول العلاقة بين ظاهرتي الفقر والتسرب المدرسي لدى الأطفال في الجزائر، باعتبار أن الفقر كظاهرة اجتماعية تحمل في طياتها كل معاني الحرمان والألم وانتشارها له عواقب وخيمة وآثار سلبية على الفرد، الأسرة والمجتمع، ففي غمرة الأزمات التي تمر بها البلاد طفحت إلى السطح آفات دخيلة عن المجتمع غريبة عن الأسرة الجزائرية مصدرها الأساسي الفقر، فأرهقتها وعمقت من جروحها كالتسرب المدرسي الذي بلغ معدلات تدعو للقلق، لذلك وجب علينا دق الناقوس للحد من انتشارها والتحذير منها كظاهرة سلبية تغمس بالنسيج الاجتماعي في الجهل والأمية وتعرقل تطور المجتمع وازدهار اقتصاد البلاد.

من هذا المنطلق ورغبة منا في إطراء هذا الموضوع حاولنا استعراض دراسة ميدانية، حيث تم الاعتماد على منهج دراسة حالة لدراسة المجتمع المتمثل في بعض العائلات الفقيرة، أين اختيرت العينة بطريقة قصدية شملت سبعة عشر (17) عائلة قاطنة بالأحياء القصديرية بمدينة سكيكدة، وضمنها تمكنا من جمع البيانات بالاعتماد على تقنيتي المقابلة والملاحظة كأداتين تتناسبان مع هذا النوع من الدراسات.

وفي محاولة للإجابة على التساؤل المركزي الذي تمحور حول: هل يساهم الفقر في بلوغ ظاهرة التسرب المدرسي معدلات عالية؟، وبعد المناقشة والتحليل توصلت الدراسة إلى نتيجة مفادها أن الفقر كظاهرة اجتماعية تؤثر على الأطفال وتجبرهم على ترك مقاعد الدراسة، وبذلك فالفقر يرفع من معدلات التسرب المدرسي، وهذا من خلال توجه الأطفال إلى العمالة نتيجة إهمال احتياجاتهم، كذلك عدم الترفيه عنهم واستغلال أوقاتهم يدفع بهم إلى مخالطة رفقاء السوء وكذا الدور الذي تلعبه قساوة الظروف وقلة الإمكانيات في فقدان التركيز لدى الطفل.

الكلمات المفتاحية: الفقر، البطالة، التعليم، التسرب المدرسي، عمالة الأطفال.

Abstract

the relationship between The present study attempt to search and investigate the phenomenon of poverty and school dropouts among children in Algeria, as poverty as a

social phenomenon carries all the meanings of deprivation and pain, as the spread of the phenomenon has serious consequences and negative effects on the individual, the family and society. In the midst of the crises that the country is going through, exotic scourges have surfaced that are alien to the society strange about the Algerian family, which the main source is a poverty, that she was exhausted and deepened her wounds, such as school dropout which reached alarming rates, therefore we must ring the bell to limit their spread and warn against them as a negative phenomenon that immerse the social fabric in ignorance and illiteracy, also it impedes the development of society and the prosperity of the country's economy.

From this point, interest of us to complement this subject, we have tried to review a field study. A case study approach was endorsed to study the society of some poor families; the sample was selected intentionally and had included seventeen (17) families, we were able to collect data using the two techniques of observation and interview as appropriate tools to this kind of studies.

In an attempt to answer the central question: “Does poverty contribute to high school dropout rates?”.

After discussion and analysis, the study concluded that poverty as a social phenomenon affects children and forces them to leave school, thus increasing the dropout rate, through the orientation of children in employment because because of neglect of their needs, Also not to entertain them and not to exploit their time leads them to mingle with bad friends, so the role played by the harsh conditions and the lack of means to lose focus on the child.

Keywords: Poverty, Unemployment, Teaching, School Dropout, Child Labor.

مقدمة:

لقد عاشت العائلات الجزائرية لعقود تحت وطأة الفقر، إلا أن تأثيره كظاهرة اجتماعية زادت حدتها بتغير بنية الأسرة التي ضلت ثابتة لفترة من الزمن، وهذا نتيجة التكنولوجيا الحديثة ومحاولة مواكبتها عبر مختلف ميادين الحياة، لتجد العائلات الجزائرية نفسها اليوم أمام تحديات ورهانات كبيرة، أي بعبارة أخرى نقول بأن الفقر قد انتشر بشكل واسع داخل المجتمع نتيجة التكنولوجيا التي مست مختلف مجالات الحياة، مما حال بينها وبين العائلات الفقيرة وحتى المتوسطة من مواكبة هذه التكنولوجيا ومسايرة التطور وتحصيل جزء منها، فالأسرة التي كانت بالأمس تعد من العائلات المتوسطة أصبحت اليوم في منزلة الفقراء، لأنها غير قادرة على تلبية حاجيات الأبناء من لباس ونقل ومستلزمات الدراسة...إلخ، وقد نتج عن ذلك تفشي بعض الآفات كالسرقة وبروز الانحراف، كذلك مغادرة الأطفال مقاعد الدراسة...إلخ، هذه الظاهرة التي تعرف بالتسرب المدرسي قد بلغت معدلات عالية في الجزائر، الأمر الذي يستلزم على كل الشرائح التدخل من أجل الحد منها، وهذا لما لها انعكاسات سلبية وخطيرة على المجتمع، إذ أن الاستمرارية في غض الأعين عنها والسكوت من شأنه أن يكون دافعا لأبنائنا في اختيار هذا التوجه السلبي، فيغرق المجتمع في مستنقع الجهل والظلام، وما علينا إلا اتخاذ التدابير الوقائية والاحتياطات اللازمة للتصدي لمثل هذه الظواهر الخطيرة، فالمؤكد بأن التعلم هو غاية الجميع باعتبار أنه القاعدة التي تبنى عليها الدول والمجتمعات، وهو مفتاح التقدم والازدهار، كذلك هو درب أسلافنا وأجدادنا الأولين وقد حثنا ديننا الحنيف على القراءة والتعلم، وعليه من خلال هذه الورقة البحثية سنحاول الوقوف عند ظاهرتي الفقر والتسرب المدرسي ومحاولة تحديد العلاقة بينهما، وذلك في دراسة ميدانية على بعض العائلات الفقيرة القاطنة بالأحياء القصديرية، وتحديدا بحي بوعباز بمدينة سكيكدة.

أولا: الإطار النظري والمفاهيمي للدراسة:

1. الإشكالية:

الفقر ظاهرة متعددة الأبعاد واجهتها كافة المجتمعات القديمة والحديثة، فبغض النظر عن تفاوتها في الدرجة والطبيعة والمعدل إلا أنها تبقى القاسم المشترك لكل المجتمعات البشرية، ويبقى الفقر أحد أكبر العقبات التي تواجهها التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ويمثل أحد أبرز التحديات التي تعترض الأسر والمجتمعات، ويشار إلى مستويات الفقر عن طريق مؤشرات الحرمان والحاجة، إذ يمثل تحقيق الاحتياجات الضرورية للعيش المستوى المعيشي الأدنى أو الأساسي للفرد أو الأسرة، ويمكن كذلك قياس هذا الحرمان ومعرفة مستواه إما من حيث الافتقار إلى الموارد مثل الدخل والأساسيات كاللباس، الأكل والمسكن، أو من حيث القدرات مثل التكنولوجيا، وبالطبع هذا لا ينطبق على الأسر فحسب بل يتعدى إلى المجتمعات، فالمجتمع الفقير هو المجتمع الذي تنعدم فيه التكنولوجيا ومختلف مرافق الحياة المريحة، حيث تنتشر به الأحياء القصديرية وتنعدم فيه التهيئة، وتكثر في شوارعه الأوساخ والقاذورات وتقل مظاهر التحضر والتقدم، فبعبارة مماثلة قد أصبح الفقر شبحا يخيم على الدول والمجتمعات وصار مشكلة كبيرة من شأنها أن تؤدي إلى اختلالات اقتصادية، بل وعائق يقف أمام مسار

التنمية والتطور وسببا في بروز الكثير من الظواهر السلبية داخل المجتمعات وانتشار الآفات، ولعل التسرب من التعليم يمثل أحد أهم النتائج الوخيمة لظاهرة الفقر في العالم بصفة عامة.

والمجتمع الجزائري ليس في منأى عن مثل هذه المشاكل، فقد أشارت الإحصائيات إلى تزايد تدريجي في معدلات الفقر، حيث سجلت نسبة 12.2% سنة 1988 من السكان يعيشون تحت خط الفقر، وقفزت النسبة إلى 22.6% سنة 1993، أي ما يعادل 6.36 مليون نسمة، وهذا بحسب تقرير البنك الدولي لعام 1997[1]. وبالرغم من الجهود التي تبذلها الحكومة للتخفيف من حدة الفقر ومحاربة ظاهرة التسرب المدرسي، إلا أن النتائج تضل بعيدة عن التوقعات والتنبؤات التي يصرح بها المسؤولون عبر مختلف المنابر، سواء القنوات الفضائيات أو مواقع التواصل الاجتماعي، أو حتى من خلال خرجاتهم الميدانية، حيث أصبح الشغل الشاغل للأفراد البحث عن فرص العمل لتوفير مختلف متطلبات الحياة خاصة الآباء منهم، لأن الفقر والعوز قد يدفع بالأبناء إلى مغادرة مقاعد الدراسة والتوجه إلى سوق العمل من أجل مساعدة آبائهم، أو ما تسمى بعمالة الأطفال، ولعل تفشي ظاهرة التسرب المدرسي وانتشارها على نطاق واسع من شأنه أن تؤدي إلى افتقاد العلم في المجتمع وقلة المثقفين، فتُتاح الفرصة أمام الأمية لاعتلاء الهرم ويرمي الجهل بظلاله على الأمة، فيصبح تصديق الأساطير أكثر من تصديق الحقائق العلمية، وقد تنتشر الفوضى وتقل فرص العمل بقلة المؤسسات والكفاءات، ويصير الأفراد غير قادرين على الابتكار والإبداع، فيُفتح المجال لتتوسع رقعة الفقر ويزيد عدد العائلات الفقيرة، وهكذا يتواتر انتقال الأمية والجهل بين الأجيال.

وإذا كان تقدم الأمم يقاس بمستوى التعليم، فإن ظاهرة التسرب المدرسي تعد من أخطر القضايا التي تواجه الدول العربية والبلدان النامية، بحيث تتفاقم الظاهرة بشكل مخيف يستوجب تكاتف الجهود لمحاصرة الظاهرة، من خلال إحداث التكامل بين الجانبين التعليمي والاجتماعي[2].

على هذا الأساس نعتقد بأن ظاهرتي الفقر والتسرب المدرسي تسيران جنبا إلى جنب، يزيد تأثيرهما السلبي على الأفراد والمجتمع كلما كانت لديهم قابلية ببقاء الوضع، وفي هذا الصدد نطرح الإشكالية التالية:

هل يساهم الفقر في بلوغ ظاهرة التسرب المدرسي معدلات عالية؟

ويتفرع عن التساؤل المركزي تساؤلات فرعية ثلاثة تتمثل في:

1- هل اهمال احتياجات الطفل تدفع به إلى اللجوء إلى العمالة؟
2- هل عدم الترفيه والترويح عن الطفل من شأنه أن يؤدي به إلى مخالطة رفقاء السوء؟
3- هل الظروف الصعبة وقلة الإمكانيات التي يعيشها الطفل تساهم في التقليل من تركيزه؟

[1] النمو الاقتصادي والتنمية المستدامة في الدول العربية: سياسات التنمية وفرص العمل دراسات قطرية لمجموعة مؤلفين، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، بيروت،2013.

[2] التسرب من التعليم لمحمود إيمان، وكالة الصحافة العربية ناشرون، ط1، مصر، 2011، ص-ص 05-06.

-4

شكل رقم 01: معالم الإشكالية البحثية

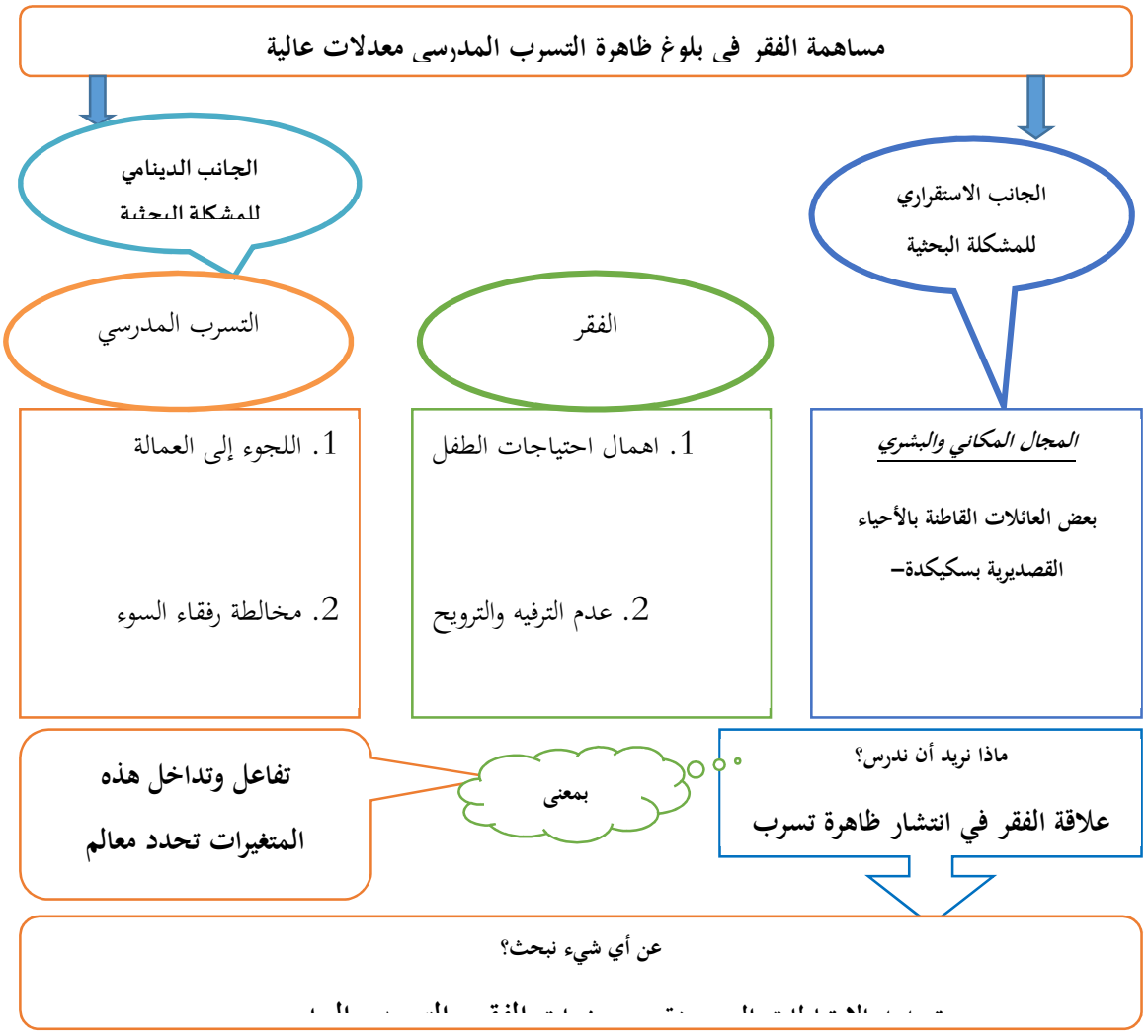

المصدر: من إعداد الباحثة عبيد طاوس

2. **الفرضيات:** تأسيسا على إشكالية الدراسة لأجل بلوغ الغايات البحثية التي تشكل أفقا لها، فإننا سنعمل على تجنيد الفرضيات التالية:

الفرضية العامة: التي مفادها " **يساهم الفقر في بلوغ ظاهرة التسرب المدرسي معدلات عالية** "

وقد انبثق عن هذه الفرضية العامة فرضيات جزئية ثلاث تتمثل فيما يلي:

- ✓ اهمال احتياجات الطفل يدفعه إلى اللجوء إلى العمالة
- ✓ عدم الترفيه والترويح عن الطفل من شأنه أن يؤدي به إلى مخالطة رفقاء السوء
- ✓ الظروف المعيشية الصعبة للطفل وقلة الإمكانيات تساهم في التقليل من تركيزه

3. **دوافع ومبررات اختيار الموضوع:** لقد كان الفقر وسيبقى كذلك ينخر في المجتمعات، ولكن الفرق بين الماضي والحاضر يكمن في درجة التأثير على الأفراد والأسر، كون أن الظاهرة أصبحت مصدرا لبعض الآفات الاجتماعية وكذا الأمراض الجسدية والنفسية للأفراد، أيضا صارت من الأسباب الرئيسية لتسرب الأطفال من المدارس وحتى الانقطاع عنها في سن مبكرة، كل هذا دفعنا إلى محاولة البحث والتقصي عن الظاهرة، وقد وجدنا منفذا من خلال هذه الدراسة للتطرق إلى موضوع الفقر كظاهرة تساهم في تسرب الأطفال من المدارس.

بالإضافة إلى دوافع أخرى تمثلت فيما يلي:

- امكانية البحث والتقصي حول موضوع الدراسة ميدانيا
- قلة البحوث والدراسات التي تناولت الموضوع ونخص بدرجة كبيرة علاقة الفقر بالتسرب المدرسي في الجزائر.
- تبيين أهمية العلم والتعلم بالنسبة للأسرة والمجتمع.

4. **أهمية الموضوع:** لقد غيرت التحولات العالمية والإقليمية من خريطة العالم وملامحها، وتأثرت الشعوب والمجتمعات تأثرا كبيرا من هذا التطور الحاصل، فتقلب الحال من السيء إلى الأسوأ عند الكثير من العائلات التي عانت من مشاكل عديدة، على غرار مشاكل البطالة، أزمة السكن، الفقر...، وباعتبار أن الفقر ظاهرة اجتماعية قديمة عرفتها أغلب الشعوب إلا أن تأثيرها قد تفاوت من مجتمع لآخر، وانعكاساتها قد تباينت من أسرة لأخرى، وما لا يمكن التكتم عليه في عصر تطورت فيه العلوم وانتشرت التكنلوجيا هو أثره السلبي على تعليم أبنائنا، فالتسرب المدرسي هو نتاج مجموعة من الأسباب، لعل أبرزها عدم قدرة الآباء على توفير مستلزمات التعليم للطفل، لذلك نأمل الإحاطة بالموضوع في محاولة منا لمعرفة ظاهرتي الفقر والتسرب المدرسي في الجزائر، وهذا من خلال دراسة ميدانية تشمل عينة من العائلات القاطنة بحي بوعباز القصديري بمدينة سكيكدة، واقتراح بعض التوصيات أملا في إيجاد حلولا مستعجلة للحد من تأثير ظاهرة الفقر على التعليم.

5. **أهداف الدراسة:** أردنا تسليط الضوء على اثنين من الظواهر الهامة في المجتمع الجزائري بل وتهم كل المجتمعات دون استثناء، ألا وهما ظاهرتي الفقر والتسرب المدرسي.

وكان هدفنا الرئيسي متمثل في الاجابة عن التساؤل المطروح حول موضوع دراستنا الراهنة، أي معرفة علاقة الفقر في بلوغ ظاهرة التسرب المدرسي معدلات عالية، بالإضافة إلى بعض الأهداف التي لا تقل أهمية المتعلقة بمعرفة انعكاسات عدم تلبية احتياجات الطفل على اللجوء إلى العمالة، كذلك التأكد من أن قلة الترفيه والترويح عن الطفل قد يؤدي به إلى مخالطة أصحاب سيئين، وأيضا معرفة مساهمة الظروف الصعبة التي يعيشها الطفل مع قلة الإمكانيات في فقدان التركيز.

6. تحديد ومناقشة المفاهيم: قبل الشروع في أي بحث لا بد من شرح مختلف المفاهيم، إذ لا يمكن التطرق إلى الموضوع مباشرة وسرد التفاصيل دون ذكر الدلالة اللغوية لبعض المفاهيم عند بعض العلماء والباحثين، وقد حرصت هذه الدراسة على ذلك، وسنحاول عرض تعريف أو تعريفين على الأكثر لكل مصطلح.

✓ **الفقر:**

لغة: هو العوز والحاجة، والفقير من لا يملك إلا أقل القوت[3].

اصطلاحا: يعرف الباحثان "**سارج أغوستينو ونيكوا ديفار**" "**Duvert Serge d'Aghostino et Nicole**" الفقر على أنه ظاهرة بموجبها يكون الأفراد غير قادرين على تلبية حاجياتهم وتحقيق الاكتفاء لقلة الموارد المادية والثقافية والاجتماعية التي تضمن لهم العيش في مستوى مقبول، والفقر ظاهرة متعددة الأبعاد باعتبارها لا ترتبط بقلة الموارد المالية فحسب، بل تعكس أيضا أوجه القصور الاجتماعية كالعلاقات، الصحة، الترفيه والتعليم...إلخ[4].

بمعنى كل شخص غير قادر على ضمان ضروريات الحياة لأفراد عائلته يعد من الطبقة الفقيرة، فحسب الباحثان عدم اشباع الحاجيات يرجع لقلة الموارد وتتجلى انعكاساتها على صحة الأفراد والتعليم وغيرهما، إلا أننا نعتقد بأن ظاهرة الفقر نسبية تختلف من مجتمع لآخر، وهذا حسب المستوى المعيشي لأفراد المجتمع، فقد يُعتبر فرد من المجتمع الألماني فقير في حين أنه لا يعد كذلك في المجتمع الجزائري.

أما "**ميشال مولات**" "**Michel Mollat**" مؤرخ العصور الوسطى فيرى بأن الشخص الفقير هو الذي يجد نفسه بشكل دائم في حاجة وحرمان من مختلف المتطلبات والوسائل، وينتابه إحساس بالضعف والاذلال، ويختلف باختلاف المجتمعات ووفقا للأوقات، كذلك القوة، المال، العلوم والقدرات الفكرية[5].

✓ **البطالة:**

اصطلاحا: تعرف الباحثة احسان عباس إبراهيم البطالة على أنها ظاهرة سوسيو-اقتصادية وجدت منذ وجود الانسان، وتفاقمت في العصر الحديث خاصة في الدول النامية، والشخص البطال هو العاطل عن العمل لعدم توفر منصب بالرغم من رغبته وقدرته على ممارسة ومزاولة العمل[6].

---

[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1989، ص 477.

[4] La pauvreté de S. d'Agostino et N. Duvert, Bréal, France, 2008, P12.

[5] Microfinance et Pauvreté: Quantification de la Relation sur la population de Tlemcen de A. Smahi, thèse de Doctorat en science économique, université Abou Bekr Belkaid, Tlemcen, 2010, P17.

أي أن البطالة تعني عدم امتهان أي مهنة مقابل أجرة أو مدخول، وهذا طبعا ليس لعدم قدرة الشخص على ممارسة العمل ضمن وظيفة محددة أو عدم رغبته في ذلك، بالرغم من وصوله إلى سن قانوني تسمح له بالعمل، ولكن الأمر يتعلق بعدم وجود مناصب للعمل لسبب أو آخر.

وقد تفاقمت هذه الظاهرة وزادت حدتها في السنوات الأخيرة نتيجة مزاحمة المرأة للرجل في شتى الميادين بالإضافة إلى ضعف الاستثمارات وهذا ما أثبتته بعض الدراسات الميدانية على غرار دراسة الباحثة "**لامياء بن حبيب**" أثناء استعراضها لموضوع البطالة وسوق العمل في الجزائر[7].

✓ **التعليم:**

لغة: مشتق من الفعل تعلم بمعنى عرف وأتقن، والعلم بالشيء هو إدراكه بحقيقته ويقينه[8].

اصطلاحا: تعرف الباحثتان في الشؤون الاجتماعية التربية "**هناء محمد جمال الدين وعائشة بليهش العمري**" التعلم على أنه عملية نفسية يتم فيها التفاعل بين التلميذ أو الطالب والمادة المتعلمة، بحيث يؤدي إلى تغيير السلوك، ولتعليم هو اتصال مخطط ومنظم في شكل مناهج ومقررات دراسية صمن نظام تربوي معين، تقوم هيئة معينة بالتخطيط له وينفده المعلمون والموجهون على مدى فترة معينة، تعرف بالفترة الدراسية[9].

والتعلم بمفهومه الواسع يعبر عن اكتساب معارف وأفكار وطرق جديدة من شأنها أن تعدل أو تغير سلوك الفرد المتعلم، وتمكنه كذلك من اكتساب الخبرة، والتعليم بمفهومه الأكاديمي يعني مجموعة المقررات والبرامج المسطرة من طرف الهيئات المعنية والمتبعة من أجل تزويد التلاميذ بالمعارف، تبعا للمستوى التعليمي والفئة العمرية.

✓ **التسرب المدرسي:**

عرفت منظمة اليونسكو المتسرب بأنه "التلميذ الذي يترك المدرسة قبل السنة الأخيرة من المرحلة الدراسية التي سجل فيها، أما المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فعرفت التسرب بأنه صورة من صور الفقر التربوي في المجال التعليمي، وترك الطالب الدارسة في إحدى مراحلها المختلفة، وبمعنى شامل هو كل طالب يترك

---

[6] البطالة مفهومها...أنواعها، بطالة الخريجين نموذجا، مجلة كلية التربية للبنات لانتصار عباس إبراهيم الحسناوي، المجلد 27، العدد 04، جامعة النهرين، 2016، 1297.

[7] L. BENHABIB, Chômage des jeunes et inégalités d'insertion sur le marché du travail algérien : analyses multidimensionnelles et expérimentation, Thèse de Doctorat, université de Paris-Est, France, 2017, P 138.

[8] المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2004، ص 624.

[9] المدخل إلى تقنيات التعليم لهناء محمد جمال الدين وعائشة بليهش العمري، دار الزمان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2008، ص68.

المدرسة لأي سبب من الأسباب قبل نهاية المرحلة التعليمية، مما يمثل هدرا لطاقات المجتمع المستقبلية، ومن الناحية الاقتصادية فهو يمثل خسارة للعملية التعليمية"[10].

ومن الباحثين من اعتبر أن عملية التسرب المدرسي تعني الانقطاع الجزئي عن مزاولة الدراسة أي الامتناع عن الذهاب إلى المدرسة لأيام أو أسابيع، في حين يرى البعض الآخر أنها تدل على الانقطاع الكلي للطفل عن مواصلة دراسته قبل إتمام مرحلة معينة من التعليم.

✓ **عمالة الأطفال:**

جاء في تعريف منظمة العمل الدولية أنه "هو العمل بأجر أو بدون أجر، والقيام بالنشاطات التي تؤثر على الأطفال جسديا وعقليا واجتماعيا، وتحرمهم من حقهم في التعليم وتكون خطيرة عليهم، وهو العمل الذي يضع أعباء ثقيلة على الطفل ويهدد سالمته وصحته ورفاهيته، والعمل الذي يستفيد من ضعف الطفل وعدم قدرته عن الدفاع عن حقوقه، وهو العمل الذي يستغل عمالة الأطفال كعمالة رخيصة وبديلة عن عمل الكبار، والذي يستخدم وجود الأطفال ولا يساهم في تنميتهم، والذي يعيق تعليم الطفل وتدريبه ويغير حياته ومستقبله"[11].

وما يمكن الإشارة إليه هو كون هؤلاء الأطفال قد يعملون بموافقة من أسرهم من أجل المساعدة في تلبية مختلف المتطلبات المعيشية، أو من دون علم أهاليهم وبالاتفاق مع أرباب العمل وهنا قد يكون الغرض من عمل الطفل هو اشباع بعض الرغبات الشخصية الخاصة به.

تنص المادة 32 من الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل على أن الدول الأطراف تعترف بحق الطفل في الحماية من الاستغلال الاقتصادي وفي التحرر من أي عمل ينطوي على خطر أو من المحتمل لإضعاف تعليمه أو الإضرار بصحته أو تطوره البدني أو العقلي أو الروحي أو المعنوي أو الاجتماعي، إلا أنه يوجد حوالي 152 مليون طفل في العالم محرومون من طفولتهم لأنهم يمارسون مهن وأنشطة، والأسوأ من ذلك أن 115 مليون منهم يمارسون أنشطة خطيرة ومرهقة[12].

7. **الدراسات المشابهة:** نظرا لتقيدنا في هذه الدراسة بعدد محدود من الصفحات ومن باب الالتزام وجب علينا ألا نطيل الحديث عند التطرق لبعض النقاط، لذلك ارتأينا أن نستعرض دراستين فقط.

❖ **الدراسة الأولى[13]:**

[10] عمالة الأطفال وعلاقتها بالتسرب المدرسي- دراسة ميدانية لعينة من الأطفال العاملين المتسربين بمدينة زريبة الوادي ببسكرة لرابح بن عيسى، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، تخصص علم اجتماع التربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2016، ص 18.

[11] المرجع نفسه، ص 14.

[12] https://www.unicef.fr/dossier/exploitation-et-travail-des-enfants.

[13] إشكالية الفقر في الجزائر في ظل البرامج التنموية للجزائر للفترة الممتدة 2005-2014 لحاجي فطيمة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في العلوم الاقتصادية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014.

للباحثة "**حاجي فطيمة**" تحت عنوان " **إشكالية الفقر في الجزائر في ظل البرامج التنموية للجزائر للفترة الممتدة 2005-2014**"، وقد خصت هذه الدراسة موضوع الفقر في الجزائر.

- **الإشكالية الرئيسية للدراسة:** جاءت الإشكالية بالصيغة التالية " **ما انعكاسات البرامج التنموية في الجزائر خلال الفترة 2005-2014 على معدلات الفقر؟**"

وقد انبثق عن هذا التساؤل الرئيسي مجموعة من التساؤلات الفرعية المتمثلة فيما يلي:

- ما حجم مشكلة الفقر في الجزائر، وما هي أهم محدداته؟
- ما دور السياسات الاقتصادية في مكافحة الفقر في الجزائر؟
- ما دور السياسات الاجتماعية وصندوق الزكاة في مكافحة الفقر في الجزائر؟
- ما مدى استفادة ا الجزائر من تجربة كل من ماليزيا، والصين، وبنغلاديش في خفض معدلات الفقر؟
- ما هي الإجراءات والسياسات التي يجب إتباعها للتقليل من نسبة الفقر؟

- **فرضيات الدراسة:** تبلورت للباحثة العديد من الفرضيات صيغت كالتالي:

- هناك علاقة بين التنمية البشرية والحد من مشكلة الفقر.
- تؤدى السياسات الاقتصادية في الجزائر إلى دفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية وبالتالي تخفيض نسبة الفقر في الجزائر.
- تلعب كل من السياسات الاجتماعية وصندوق الزكاة دورا كبيرا في مكافحة الفقر في الجزائر.
- هناك إمكانية كبيرة لاستفادة الجزائر من تجارب الدول في مواجهة مشكلة الفقر.
- إن نجاح الجزائر بخفض معدلات الفقر مرتبط باستقرار السياسة الاقتصادية الكلية للجزائر، مع ضرورة تبني حزمة من السياسات والإصلاحات المؤسسية والتنظيمية.

استعانت الدراسة أكثر ببناء نموذج قياسي بسيط للتنبؤ بظاهرة الفقر، وتحديد أهم المتغيرات المؤثرة عليها، وكان فرضيات المنهج القياسي كما يلي:

- توجد علاقات ارتباط متباينة القوة والاتجاه وذات دلالات معنوية بين الفقر وبين لمتغيرات المفسرة والمؤثرة عليه.
- توجد علاقات ارتباط متباينة القوة والاتجاه وذات دلالات معنوية بين لمتغيرات المفسرة.
- في حالة التحقق من صدق الفرضين السابقين يمكن التوصل إلى نموذج انحدار يتصف بقدرات تفسيرية وتنبؤية وذات دلالات معنوية يمكن الاعتداد بها

- **أهداف الدراسة:** حسب دراسة الباحثة "**حاجي فطيمة**" تهدف هذه الدراسة إلى المساهمة في إلقاء الضوء على جوانب مشكلة الفقر وزيادة الوعي والمعرفة بعناصرها المختلفة، وهي لذلك ستتناول القضايا الرئيسية التالية بالبحث والدراسة:

- تحليل ظاهرة الفقر باعتبارها مشكلة تواجه البلدان النامية خاصة، ومنها الجزائر وما يتعين فعله.

- عرض سمات وخصائص هذه الظاهرة ومكوناتها ومفاهيمها ومحدداتها، حيث تكتسب مسألة تشخيص المحددات الرئيسية للفقر أهمية بالغة، ذلك أن هذه العملية تمثل الشوط الضروري لرسم السياسات الصحيحة، فإذا كانت المحددات في غير موضعها جاءت حصيلة السياسات المطبقة للتخفيف من الفقر متواضعة، إن لم تكن معدومة.
- قياس معدل الفقر في الجزائر، ووضع المعطيات التي تلخص مستوى الفقر وهيكله وديناميكيته، بالإضافة إلى تحديد مسبباته.
- استعراض وتقييم السياسات والاستراتيجيات المتبعة للحدّ من مشكلة الفقر
- بناء نموذج قياسي للتنبؤ باتجاه ظاهرة الفقر في المستقبل، وذلك لاتخاذ السياسات والبرامج اللازمة للتخفيض منها.

➢ **المنهج المتبع:** اعتمدت الدراسة على منهجين هما المنهج الوصفي التحليلي والمنهج القياسي.

➢ **عينة الدراسة:** أشارت الدراسة إلى الحدود المكانية وتتمثل في الجزائر، ماليزيا، الصين وبنغلادش، إلا أنها لم تشر إلى العينة.

➢ **نتائج الدراسة:** توصلت دراسة الباحثة إلى النتائج التالية:

- إن مؤشر خط الفقر المطلق يختلف عن مؤشر خط الفقر المدقع في قياس الفقر بأي مجتمع، كما أن اختلاف حجم فجوة الفقر من مجتمع إلى آخر، يرجع بطبيعة الحال إلى طبيعة النمو الاقتصادي، وآليات توزيع ثمار هذا النمو في المجتمع.
- تبيّن الدراسة أن هناك بعض المؤشرات الاقتصادية والاجتماعية التي يمكن الاعتماد عليها واستخدامها للحكم على الفقر.
- وجود علاقة وثيقة بين نظريات النمو والفقر من جهة أخرى.
- يعتبر الإقراض متناهي الصغر أداة تنموية قوية يمكنها الوصول إلى أفقر الفقراء، ورفع مستوياتهم المعيشية والإسهام في نمو الاقتصاد، إلاّ أن دوره في الجزائر يبقي ضعيفا.
- كانت معدلات الفقر النقدي والفقر البشري مرتفعة بشكل كبير في الجزائر خلال الفترة الممتدة 1988-1995 نتيجة تراجع أسعار النفط، والانتقال إلى اقتصاد السوق وتطبيق سياسات الإصلاح.
- معدلات الفقر انخفضت مع بداية الألفية وخلال تطبيق الب ا رمج التنموية للفترة 2005-2011 ووصلت في المتوسط إلى 5.31%، كما انخفض معدل الفقر البشري نتيجة تحسن مؤشراته، ووصل خلال نفس الفترة نسبة 16.36%.
- استطاعت الجزائر أن تحقق أغلب أهداف الألفية قبل موعدها المحدد في سنة 2015، حيث نجد أن الجزائر حققت هدف تخفيض عدد السكان الذين يعيشون على أقل من دولار يوميا للفترة 1990- 2015 سنة 2004، كما تناقص عدد الفقراء الذين يعيشون على أقل من 1.25 دولار إلى النصف، ويتوقع أنه بحلول عام 2015 عدم وجود سكان يعيشون تحت هذا الخط .غير أنه عند أخذ عتبة الفقر عند 2 دولار نجد أن الج ا زئر حققت معدلات 0.7 % للفترة ما بين 1988- 2004، وبالتالي نجد أن الجزائر ما زلت بعيدة عن تحقيق هدف، 2015 كما أنها ما ا زلت بعيدة عن تحقيق الهدف الخاص بمؤشر خفض نسبة الأطفال الأقل من خمسة سنوات ناقصي الوزن.

- عموما نجد أن الانخفاض في معدل الفقر يبقي مؤقتا وغير مستداما، نتيجة مواصلة الجزائر بالاعتماد على مورد واحد في إي إرادتها وهو البترول كما أن التحسن الذي سجل في معدلات البطالة لم يكن نتيجة إنشاء مناصب دائمة، حيث أن نسبة كبيرة من مناصب الشغل الجديدة هي مناصب مؤقتة.

- **تقييم الدراسة وكيفية توظيفها:** اتسمت هذه الدراسة على العموم بتقديمها معلومات قيمة حول موضوع الفقر، الذي أصبح يجلب اهتمام الباحثين بالنظر إلى انعكاساته الخطيرة على المجتمع واقتصاد البلدان، وقد استعرضت الباحثة الأسباب التي تقف وراء انتشار ظاهرة الفقر، كذلك أساليب قياسه وطرق مكافحته، كما تطرقت إلى واقع الفقر في الجزائر والسياسات المتبعة للقضاء على هذه الظاهرة، من ناحية أخرى أشارت الباحثة إلى تجارب بعض الدول في القضاء على الفقر على غرار ماليزيا، الصين والبنغلادش، وزما كذلك ما يميز هذه الدراسة هو دعم الأفكار المطروحة والمضامين المقدمة بالأدلة والبراهين، من خلال الاستدلال بآراء ودراسات الباحثين الذين اهتموا بدراسة المواضيع المرتبطة بظاهرة الفقر.

وقد استعانت الباحثة على الملاحظة والمقابلة كأداتين لجمع البيانات، كما اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي والمنهج القياسي، إلا أننا نعتقد بأن منهج دراسة حالة هو المنهج الملائم لمثل هذه المواضيع خاصة في ظل غياب معلومات دقيقة حول مجتمع الدراسة، وما يؤكد ذلك عدم تطرقها للعينة المدروسة وكأن عينة الدراسة هي الدول الأربع التي تم ذكرها عند التطرق للحدود المكانية للدراسة.

ومن ناحية أخرى اعتمدت الباحثة على المقابلة إلا أنها لم توثق دليل المقابلة، حيث اكتفت بتوثيق الأسئلة التي وجهت للرئيس الماليزي الأسبق "**مهاتير محمد**" فقط، في حين اعتمدت على المعطيات والإحصائيات الموجودة بالنسبة للصين والبنغلادش وكذا الجزائر، إذ كان من المفروض أن تعتمد على مقابلة بعض المسؤولين بالجزائر أو حتى توزيع استمارة عليهم، خاصة وأنها استخدمت المنهج الوصفي.

ساعدتنا هذه الدراسة في فهم بعض النقاط المتعلقة بموضوع الفقر، كذلك تم الاستعانة بها كمرجع لدراستنا وساهمت في تصميم أداة القياس المتمثلة في المقابلة.

❖ **الدراسة الثانية**[14]:

قدمت من طرف الباحث "**رابح بن عيسى**" في إطار التحضير لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الموسومة "**عمالة الأطفال وعلاقتها بالتسرب المدرسي – دراسة ميدانية لعينة من الأطفال العاملين المتسربين بمدينة زريبة الوادي ببسكرة**"، وقد تطرقت هذه الدراسة إلى ظاهرة التسرب المدرسي.

➢ **الإشكالية الرئيسية للدراسة:** تمحورت الإشكالية حول موضوع العلاقة بين عمالة الأطفال والتسرب المدرسي، وجاءت بالصيغة، **ما هي العلاقة بين عمالة الأطفال والتسرب المدرسي؟**

وقد تفرع عن هذا التساؤل المركزي مجموعة من التساؤلات الجزئية المتمثلة فيما يلي:

- هل سهولة حصول الأطفال على مهنة يؤدي بهم إلى التسرب من المدرسة؟
- هل مساعدة الأطفال لآبائهم في أعمالهم أثناء أوقات الفراغ يؤدي إلى تسربهم من المدرسة؟
- هل كثر ة تغيب الطفل عن المدرسة يساهم في التحاقه بسوق العمل مبكرا؟

[14] رابح بن عيسى، مرجع سابق.

- هل طبيعة المناخ المدرسي السائد يعتبر عاملا مهما في خروج الطفل إلى العمل؟

➢ **فرضيات الدراسة:** صيغت الفرضية الرئيسية للدراسة كالآتي:

- هناك علاقة تأثير وتأثر متبادلة بين عمل الأطفال وتسربهم من المدرسة.

وقد تفرعت عنها بعض الفرضيات الجزئية المتمثلة فيما يلي:

- زيادة فرص حصول الأطفال على مهنة تناسبهم تدفع بهم إلى ترك المدرسة.
- مساعدة الأطفال المستمرة لآبائهم في العمل تؤدي إلى تسربهم من المدرسة.
- يؤدي التغيب المدرسي دورا مهما في خروج الطفل إلى سوق العمل.
- يساهم المناخ المدرسي غير السوي في دفع الطفل للخروج إلى سوق العمل.

➢ **أهداف الدراسة:** هدفت الدراسة إلى:

- الوقوف على معرفة العلاقة الموجودة بين المتغيرين معا، فعمالة الأطفال والتسرب المدرسي يحتمل أن يكون أحدهما تابع والآخر مستقل في الوقت نفسه.
- الوقوف عل معرفة طبيعة الأسباب التي تدفع الطفل إلى الانسحاب من المدرسة والتوجه نحو العمل والتخلي عن حقوق طفولته الطبيعية، والتوجه إلى عالم الشغل الذي لم يمد إليه بصلة.
- جلب الاهتمام أكثر فأكثر إلى أنظار السلطات والشركاء الاجتماعيين وأولياء الأمور إلى مدى خطورة هاتين الظاهرتين، ومحاولة القضاء عليهما أو الحد منهما.
- محاولة التواصل المباشر مع الأطفال العاملين في أماكن عملهم والوقوف على الأسباب الحقيقية التي أدت بهم إلى الهروب من عالمهم والولوج إلى عالم الكبار.

➢ **المنهج المتبع:** اعتمدت الدراسة لمعالجة الموضوع المنهج الوصفي.

➢ **عينة الدراسة:** طبقت الدراسة على عينة قدرها 122 طفل عامل ممن تتراوح أعمارهم بين 8 سنوات و16 سنة، وشملت العينة الجنسين.

➢ **أدوات جمع البيانات:** اعتمد الباحث على ثلاث أدوات لجمع البيانات تتمثل في الملاحظة، المقابلة والاستمارة.

➢ **نتائج الدراسة:** نتوجه مباشرة لذكر النتائج العامة لفرضيات الدراسة، وهذا حرصا منا على مراعاة شروط البحث في جانبها الخاص بعدد الصفحات حيث جاءت النتائج كالتالي:

- 86.7% من أفراد العينة صرحوا بأن المهن متوفرة ومتعددة في الوسط الذي يعيشون فيه، وهذا ما يدل على إمكانية الحصول على مهنة بسهولة.
- 89.9% من أفراد العينة أكدوا على أنهم مارسوا أعمال وهم يزاولون دراستهم، حيث كانوا يساعدون آباءهم في العمل، وهو الأمر الذي يبين أن مساعدة الأسرة في العمل ساهمت بشكل كبير في خروج الطفل من المدرسة والتوجه نحو العمالة.
- 76.7% من المبحوثين أقروا بأنهم كانوا يتغيبون عن مقاعد الدراسة، مما يؤكد على أن تغيب التلميذ كان سببه التوجه نحو العمالة.
- 55.5% من أفراد العينة أكدوا أن مستوى التحصيل المتدني كان سببه عدم التوافق وتكيف الطفل داخل بيئة المدرسة، ما اضطرهم إلى التوجه نحو العمل وترك المدرسة.

وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن الفرضيات الجزئية التي وضعها الباحث قد تحققت، وعليه فالفرضية العامة التي مفادها "هناك علاقة تأثير وتأثر متبادلة بين عمل الأطفال وتسربهم من المدرسة " قد تحققت.

- **تقييم الدراسة وكيفية توظيفها**

يعد موضوع الدراسة من المواضيع التي تمس بشكل مباشر الأسرة والمجتمع، حيث بينت هذه الدراسة العلاقة الموجودة بين عمالة الأطفال وظاهرة التسرب المدرسي، ومن دون شك أن الطفل غالبا ما يلجأ إلى العمالة عندما لا تلبي عائلته مختلف احتياجاته، وبشكل عام فإن الباحث قد أعطى صورة مفصلة عن الظاهرتين، إلا أنه لم يبين المتغير المستقل من التابع، حيث جعل عمالة الأطفال تارة متغير مستقل وتارة أخرى متغير تابع، والشيء نفسه بالنسبة للتسرب المدرسي، وهذا ما تبينه الفرضية الأولى والثالثة، وكان الأجدر به أن يقوم بتحديد المتغيرين منذ البداية وعند ذكر النتائج حتما أنه سيتوصل إلى أنهما يؤثران ويتأثران ببعضهما البعض، أي كل واحد سبب ونتيجة في الوقت نفسه، ما يعاب كذلك على الباحث هو عدم التعقيب على الدراسات السابقة، كذلك اعتماده على دراسات لم يذكر تصنيفها من حيث الدرجة العلمية، أيضا لاحظنا بأن بعض الصفحات شبه فارغة والفراغ الموجود بين الأسطر كبير، وبالنسبة للمراجع فمعظمها تقريبا مراجع عربية في حين كان من المفروض أن يتجه إلى الاستعانة بالمراجع الأجنبية خاصة في مرحلة تحديد المفاهيم والأطر النظرية، باعتبار أن أغلب العلماء والباحثين من الغرب.

وقد ساعدتنا هذه الدراسة في فهم بعض النقاط المتعلقة بموضوع التسرب المدرسي واستخلاص بعض المؤشرات، كذلك تم الاستدلال بها واستخدامها كمرجع لدراستنا.

ثانيا: الإطار المنهجي للدراسة

1. حدود الدراسة

-**الحدود المكانية:** هو المكان الذي تمت فيه هذه الدراسة بمعنى ذكر جميع الأماكن أو المؤسسات المعنية بهذه الدراسة وقد وقع الاختيار على عينة من العائلات الفقيرة القاطنة بحي بوعباز القصديري بمدينة سكيكدة.

-**الحدود البشرية:** بالنظر إلى الخصوصية البيداغوجية للبحث وارتباطه بظاهرتي الفقر والتسرب المدرسي، فقد اهتمت دراستنا بعدد محدود من العائلات الفقيرة التي تخلى بعض أبنائها عن الدراسة.

-**الحدود الزمنية:** المقصود به المدة الزمنية المستغرقة لإجراء الدراسة، وقد قمنا بزيارة بعض العائلات على مدار خمسة عشر (15) يوما تقريبا، وكان هذا خلال شهري أوث وسبتمبر 2019.

2. **المنهج:** تفرض طبيعة الموضوع على الباحث اختيار منهج معين من أجل الوصول إلى نتائج علمية موثوقة، ونظرا لطبيعة موضوع دراستنا والذي يهدف إلى معرفة العلاقة الموجود بين ظاهرة الفقر وزيادة معدلات التسرب المدرسي في الجزائر، من خلال دراسة ميدانية على عينة من العائلات القاطنة بالأحياء القصديرية (حي بوعباز) بسكيكدة، فإن ذلك يفرض علينا الاستعانة بمنهج دراسة حالة، حيث يعد هذا المنهج من أكثر المناهج استعمالا

في العلوم الاجتماعية، وهو طريقة يقوم على تصوير الظاهرة كميا عن طريق جمع معلومات مقننة عن المشكلة وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة، كما يسمح هذا المنهج بتوفير البيانات والحقائق عن المشكلة موضوع البحث.

3. **العينة:** تعبر عن نموذج يشمل جانبا أو جزءا من وحدات المجتمع الأصلي المعني بالبحث، تمثله وتحمل صفاته المشتركة، هذا الجانب أو الجزء يغني الباحث عن دراسة المجتمع ككل، خاصة في حالة صعوبة أو استحالة دراسة كل أفراد المجتمع، وقد وقع اختيارنا على عينة بطريقة عشوائية طبقية سبعة عشر (17) عائلة معوزة تقطن بالحي القصديري بوعباز بمدينة سكيكدة.

4. أدوات جمع البيانات

- **المقابلة:** تم الاستعانة بتقنية المقابلة لما تتوفر عليه من مرونة وتزيد من اهتمام وراحة لدى المستجوبة، حيث بإمكانها سرد التفاصيل وسماع الكلام الذي لا يمكن إخراجه إلا بالوقوف وجها لوجه أمام المبحوثين، وكذا يمكنه من التعبير عن كل الأفكار العميقة، وقد اخترنا إجراء المقابلات مع أفراد العينة حتى نستطيع جمع بيانات ومعطيات ثرية، وهذا من أجل القيام بتحليل كيفي يكشف عن أدق التفاصيل التي تمس موضوع الدراسة.

- **الملاحظة:** اعتمدت الدراسة الحالية على الملاحظة كأداة ثانية تلازم المقابلة، وهذا بحكم زياراتنا لمنازل الأسر التي طبقت عليهم الدراسة، حيث شاهدنا بأعيننا ولاحظنا الكثير من الأمور التي سنرويها خلال مناقشة النتائج.

5. أساليب الاحصاء والتحليل:

تتنوع الأساليب والطرق التي يعتمد عليها الباحث في جمع وتحليل البيانات، وفي ضوء النتائج المتحصل عليها بغرض الاجابة عن الاشكالية العامة ومختلف التساؤلات بغية تحقيق الهدف العام، وقد اعتمدت الدراسة الراهنة على الأسلوب الكيفي، الذي يمثل قراءة كيفية للمعطيات الكمية أو هي ترجمة الأرقام المتحصل عليها إلى دلالات سوسيولوجية، ثم ربطها بالإطار النظري والإجابة عن مختلف تساؤلات الاشكالية البحثية بغرض استخلاص النتائج.

ثالثا: ظاهرة الفقر في الجزائر

1. واقع ظاهرة الفقر في الجزائر:

الفقر ليس بالظاهرة الحديثة النشأة بل هي قديمة عرفتها جل المجتمعات عبر العصور، وفي الوقت الحالي أصبحت مشكلة إنسانية وعقبة أمام تطور المجتمعات، فبعدما كان الفقر يقترن بتأمين الاحتياجات من الغذاء واللبس والمسكن، تعدى الأمر إلى الحرمان من الصحة والتعليم وجوانب اجتماعية أخرى.

إن الفقر متأصل في الجزائر منذ أيام الاستعمار، ويعتقد أن ما بين 65% إلى 85% من سكان الجزائر كانوا قبل الاستقلال يعيشون في فقر مدقع، إلا أن جهود التنمية في مرحلة ما بعد الاستقلال ساهمت على خفض مستويات الفقر بسرعة[15].

ثم ما لبثت الأوضاع أن تستقر حتى زادت حدة الفقر في سنوات الثمانينات من القرن الماضي بفعل الأزمة المختلقة في القطاع الاقتصادي مما أدى إلى انهيار أسعار المحروقات، فتأثر الاقتصاد الجزائري وتدنى المستوى المعيشي للسكان، وانتشر الفقر وزادت حدة البطالة، وبعد احتلال العراق ارتفعت أسعار البترول مما أتاح فرصة أمام البلدان المصدرة للمحروقات من استغلال الوضع من أجل الاستثمار وتحسين المستوى المعيشي وكذا الأوضاع الاجتماعية للأفراد، لكن ما قامت به الدولة كان غير كافي من أجل القضاء على ظاهرة الفقر، خاصة وأن الكثير من الأموال صرفت في مشاريع فاشلة، وجزء منها نهب من قبل بعض المسؤولين، أما خلال السنوات الأخيرة فقد زادت حدة الفقر بشكل مقلق نتيجة نقص التنمية الاقتصادية لتخلي الحكومة عن الكثير من المشاريع ذات الطابعين الاقتصادي والاجتماعي، أيضا ارتفاع أسعار المواد الأساسية والثانوية نتيجة انهار قيمة العملة الوطنية، وبهذا تضاعفت الخسائر وانتشرت البطالة.

وحسب الإحصائيات التي قدمها المسؤولون فقد انتقلت نسبة الفقر سنة 1995 من 22% إلى 17% سنة 1999، لتنخفض إلى 7.5% سنة 2009، ثم تنخفض كذلك سنة 2013 لتصل 5.03%، والدراسة التي قام بها الباحث "**حاج قويدر قورين**" على عينة من الأسر مست 5080 أسرة جزائرية، أظهرت النتائج أن ولاية تيارت هي الأفقر بنسبة 36% تليها ولاية غيليزان بنسبة 32%، وفي المقابل بلغت نسبة الفقر في الطارف نسبة 11% أين اعتبرت أغنى ولاية، إلا أن الخبراء يؤكدون على أن نسبة الفقر في الجزائر تتخطى عتبة 40% [16].

2. **أسباب تفشي الفقر في الجزائر:** أسباب عديدة تقف وراء انتشار الفقر في مجتمعنا إذ تعد الأسباب الاقتصادية الأهم والأبرز، بالإضافة إلى بعض الأسباب الاجتماعية، الثقافية والتاريخية، ففي هذا السياق نحاول ذكر الأسباب المتعلقة بالبلد وهي كالتالي:

- تقلص الصادرات وزيادة الواردات مما أثر على حجم العملة الصعبة للبلد.
- سوء استغلال الموارد المتاحة بشكل اقتصادي من أجل إحداث توازن بين الاستهلاك والإنتاج.
- ارتفاع معدلات البطالة بسبب عدم توفر مناصب للعمل خاصة في ظل الأزمة التي تمر بها البلاد.
- قلة إنتاجية العمال داخل المؤسسات وتدني مستوياتهم.
- سوء توزيع الثروات بين الأفراد.

[15] Trends of poverty in Algeria during 1962- 2013 de F.Louali, Donnish Journal of African Studies and Development, Vol 02, N°01, January 2016, P 01.

[16] ظاهرة الفقر في الجزائر وآثارها على النسيج الاجتماعي في ظل الطفرة المالية، البطالة والتضخم لحاج قويدر قورين، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 12، جوان 2014، ص 19.

- الأعمال الإرهابية التي مارستها الجماعات المسلحة ضد الشعب، حيث أجبرت السكان على النزوح وترك ممتلكاتهم وأراضيهم مما صرف الكثير من الفلاحين على التوجه للمدينة وترك الفلاحة وتربية المواشي.
- نقص المؤسسات الاقتصادية وضعف البرامج التنموية التي سطرتها الدولة للنهوض بالاقتصاد.
- النمو الديموغرافي وزيادة عدد السكان الذي فاق 40 مليون نسمة سنة 2017، وبذلك يزيد الاستهلاك.

أما على مستوى الأسر فمن دون شك أن الأسر تتأثر بالحالة الاقتصادية للبلد وبالظروف العامة، بالإضافة إلى أسباب تتعلق بالأفراد أهما ما يلي:

- قلة الدخل على مستوى الأسرة، حيث يمثل 18000 دج الحد الأدنى للأجر وهذا منذ 2011، في حين قفزت أسعار بعض المواد إلى الضعف، كما أنه ليومنا هذا هناك من العمال من يقتضي أقل من الأجر الأدنى المذكور، كالأجراء في القطاع الخاص وحتى أصحاب عقود ما قبل التشغيل.
- عجز بعض الآباء عن العمل بسبب المرض كالمصاب بالعمى، المعاق حركيا...إلخ
- كثرة الأرامل واليتامى في المجتمع، وكذا كثرة حالات الطلاق.
- تدني المستوى التعليمي للآباء مما يضطرهم للعمل في مناصب معينة ومحدودة الدخل.

كذلك استخدم "**لويس أوسكار**" "**Louis Oscar**" مصطلح ثقافة الفقر الذي يعني أن الفقر ظاهرة ثقافية تتوارثها الأجيال عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة[17].

أي أن ظاهرة الفقر لها بعد ثقافي تتوارثها الأجيال لذلك يقال فلان من عائلة فقيرة وكأن الفقر ميراث يرثه الابن عن الأب.

3. انعكاسات ظاهرة الفقر على المجتمع الجزائري: إن التفشي الواسع لظاهرة الفقر في المجتمع سبب مشاكل كبيرة ونجم عنه آثار وخيمة نلخصها فيما يلي:

- انتشار الجرائم كالسرقة، القتل والتهريب وغيرها، وقد بين تقرير أمني سنة 2013 أن معدل الجريمة زاد بنسبة 14% مقارنة مع 2012، فالفقر من بين العوامل الرئيسية التي ساهمت في زيادة الجريمة في الجزائر خاصة في ظل غياب فضاءات علمية وترفيهية تستوعب طاقات الشباب البطال[18].
- بروز الانحراف لدى الأطفال نتيجة التخلي عن القيم والمناهج السليمة داخل الأسرة والمجتمع، مما يدفع بهم إلى الشارع وتناول المخدرات والمؤثرات العقلية ومختلف أنواع المشروبات الكحولية.
- انتشار الطلاق وكثرة المشاكل العائلية وتشرد الأطفال نتيجة تخلي الآباء عن مسؤولياتهم والتزاماتهم اتجاه الأسرة وبخاصة توفير احتياجات الأبناء.
- تفشي ظاهرة الهجرة الغير شرعية وركوب قوارب الموت في سبيل الوصول إلى الضفة المقابلة، إذ ما يداع من أرقام عن موت المهاجرين الغير شرعيين وغرقهم في البحر ليس بالأمر الذي يستهان به.
- تدني صحة الأشخاص نتيجة سوء التغذية وعدم تنويع الأكل، كذلك عدم تمكن العائلات المعوزة من المتابعة الصحية لدى الأخصائيين لارتفاع التسعيرة وغلاء الأدوية.
- التسرب المدرسي وانخفاض المستوى التعليمي للأطفال.

[17] ثقافة الفقر "دراسة في الأنثروبولوجيا الحضرية" لمحمد حسين الغامدي، المركز العربي للنشر والتوزيع، الأسكندرية، مصر، 1980، ص22.

[18] ظاهرة الفقر في الجزائر وآثارها على النسيج الاجتماعي في ظل الطفرة المالية، البطالة والتضخم لحاج قويدر قورين، مرجع سابق، ص 22.

- انتشار عمالة الأطفال وهذا بغرض مساعدة العائلة وتوفير بعض المتطلبات.

4. ظاهرة الفقر والتسرب المدرسي للطفل: تشجع الحكومة الجزائرية على التعليم وهذا من خلال كونه مجاني، وتلعب الأسرة دورا بارزا في الرفع من المستوى التعليمي للأبناء، من خلال توفير مناخ مناسب داخل البيت وتلبية كل المتطلبات الضرورية التي يحتاج إليها الطفل المتعلم، إلا أن مختلف التكاليف التي تتعلق ببعض الاحتياجات كالنقل، الملبس والأدوات المدرسية قد أثقلت كاهل بعض الأسر الفقيرة، مما يجعلها تتخبط في مشاكل عدة، فيضطر الكثير من الأطفال البحث عن العمل خارج أوقات الدراسة لمساعدة عائلاتهم، وسرعان ما يبدأ الطفل في التأخر والتغيب عن المدرسة لينتهي به المطاف إلى مغادرة مقعده الدراسي، خاصة إذا تعددت الأسباب كالاكتظاظ في القسم، وجود مشاكل مع المعلم، صعوبة بعض المواد التي يستعصي فهمها...إلخ، وبهذا يجد لنفسه دوافع وأعذارا يتحجج بها وينقص من قيمة العلم والتعلم، ونعتقد بأن استمرارية ظاهرة التسرب المدرسي سيؤدي حتما إلى انتشار الجهل والأمية داخل المجتمع.

حسب الإحصائيات التي أفادت بها المنظمة العالمية للطفولة بعد دراسة قامت بها سنة 2012 بالمنطقة العربية، فإن ما يقارب 13 مليون طفل يعملون منهم 3.1 مليون طفل بالجزائر تتراوح أعمارهم بين 8 إلى 13 سنة، تمثل نسبة 15.4% من الأطفال الأيتام، وقد أثبتت الدراسة أيضا أن أغلب أمهات هؤلاء الأطفال لهن مستوى تعليمي محدود ومنخفض جدا، وفي السياق نفسه كشف مدير التوجه المدرسي بالجزائر أنه تم تسجيل أكثر من نصف مليون حالة تسرب من المدرسة سنويا[19].

ومن جهته أفاد رئيس الهيئة الوطنية لحماية الصحة وتطوير البحث "**مصطفى خياطي**"، أن ظاهرة التسرب المدرسي تزداد تفاقا بالمدارس الجزائرية يوما بعد يوم، حيث أوضح أن أرقام مجلس ثانويات الجزائر كشفت عن رقم 500 ألف تلميذ يتركون مقاعد دراستهم سنويا، وهو ما يعادل 10 مليون تلميذ خلال الـ 20 سنة الماضية[20].

وفي السياق ذاته تؤكد الأبحاث والتقارير أن الدول الغربية ليست في منأى، بل هي بدورها عرضة لظاهرة التسرب المدرسي، إذ تشير الاحصائيات أنه في فرنسا يغادر ما يقارب مئة وأربعين ألف تلميذ المدارس دون الحصول على شهادة منها، وبالنسبة لعلماء الاجتماع لا يمكن تحديد فئة معينة من المتسربين تجمعهم الخصائص نفسها[21].

ولعل لتفشي ظاهرة التسرب المدرسي انعكاسات سلبية على الطفل والمجتمع، إذ أن أفراد المجتمع ينظرون إلى المتسرب نظرة استصغار ويعتقدون أن مساهمته غير فعالة في بناء المجتمع الذي يتطور ويزدهر بالعلم والتعلم، كما أن المتسرب أكثر عرضة لارتكاب الجرائم وتعاطي المخدرات والمهلوسات، والتوجه نحو السرقة والاحتيال، ومن جهة أخرى فالظاهرة تؤثر على اقتصاد البلد، إذ يعد الاستثمار في المورد البشري الأهم من بين كل

---

[19] المرجع نفسه، ص 22.

[20] https://www.ennaharonline.com/?p=703510.

[21] Le décrochage scolaire : diversité des concepts et unité de la problématique, A. Memaï, revue de la recherche en éducation éditée par l'INRE Algérie, N° 14, Algérie, 2016, P-P 15-16.

الاستثمارات، لذلك لا يمكن الاعتماد على الطبقة الغير متعلمة، لا نقول لاستحالة تلقينها وتوجيهها لكن لصعوبة التواصل معها من جهة وضعفها في اكتساب المعارف والخبرات من جهة أخرى، وهذا قد يؤدي إلى زيادة الفقر داخل المجتمع لافتقاره على المهارات والخبرات التي تقوم على أساس التعليم والقدرة على استعمال التكنولوجيا، مما يضطرنا إلى دفع أموال طائلة وبالعملة الصعبة في سبيل الحصول على اليد العاملة الفنية من خارج الوطن، وهذا من شأنه أن يضعف الاقتصاد الوطني.

وقد أكد المجلس الإقليمي لمقاطعة (île de France) في تقريره حول التسرب المدرسي، أن التلميذ المتسرب يفقد ثقته بنفسه ويقل احترامه بين أفراد المجتمع، ويكون أكثر عرضة للبطالة من غيره[1].

من ناحيته أثبت الباحث "**طلعت حسيني إسماعيل**" في دراسته الميدانية حول معرفة العلاقة بين الفقر والتعليم أن هناك علاقة تبادلية بين الظاهرتين، إذ يعد الفقر عامل رئيسي في حدوث بعض المشكلات التعليمية كالغياب، الرسوب والتسرب المدرسي، وفي المقابل أكد على أن تدني المستوى التعليمي للأفراد هو سبب رئيسي لجنوح ظاهرة الفقر في الأسرة والمجتمع، وأن كل المؤشرات تؤكد على أن هناك علاقة طردية بين الأمية والفقر[2].

والفقر[2].
هي واحدة من الدراسات الكثيرة التي أكدت على أن الأمية والفقر يسيران جنبا إلى جنب والارتباط بينهما يشير إلى تلازم الظاهرتين، لذلك نعتقد أن محاربة الفقر تستوجب توعية الأفراد بضرورة التعلم، ومن أجل أن يتعلم الفقراء يجب مساعدتهم ماديا خاصة في ظل الأزمة التي مست قطاع التعليم في بلادنا باعتماد التلاميذ على الدروس الخصوصية، إذ أنها ليست في متناول الأسر الفقيرة.

أيضا نعتقد بأن أغلب المنحرفين هم أشخاص لم يكملوا تعليمهم، وأكثرهم بعيدين عن الالتزام بتعاليم الدين وتطبيقها، وهذا الأمر يزيد من معاناة الأفراد في المجتمع، فالمفروض أن وجودنا مقترن بعبادة الله وإقامة الدين الإسلامي، قال سبحانه وتعالى «**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**» (**الطور: 56**)

فالأفضل أن نعبد الله على علم حتى يتسنى لنا القيام بمختلف العبادات على الوجه الصحيح.

رابعا: عرض وتحليل البيانات ومناقشة النتائج

1. الخصائص الديموغرافية لعينة الدراسة:

نقصد بها كل المواصفات المتعلقة بالعينة وهي السن، المستوى التعليمي، الحالة العائلية...إلخ، حيث تمكنا من مقابلة سبعة عشر (17) عائلة، وقد تم تلخيص كل المعلومات في الجدول رقم (01) كالتالي:

[1] Communication sur le décrochage scolaire, V. PECRESSE, rapport pour le conseil régional, CR N° 2019-032, île de France, 2019, P 04.

[2] الفقر والتعليم "دراسة تحليلية لمؤشرات العلاقة التبادلية" لطلعت حسيني إسماعيل، مجلة دراسات تربوية ونفسية، العدد 85، الجزء 02، كلية التربية بالزقازيق، مصر، 2014، ص-ص 270-271.

الجدول رقم (01): يمثل المواصفات الديموغرافية للعينة

عدد أفراد العائلة	سن المتسرب	المستوى التعليمي للأم	جنس الطفل المتسرب	الحالة العائلية للأم
04 أفراد (عائلة)	23.53٪ من أفراد العينة تقل أعمارهم عن 11 سنة، 35.29٪ تنحصر أعمارهم بين 11-13 سنة، و41.18٪ تنحصر بين 13-16 سنة	70.59٪ لديهن مستوى ابتدائي أو أقل، مقابل 29.41٪ لديهن المستوى المتوسط	23.53% بنات مقابل نسبة 76.47% من الذكور	17.65% مطلقة، 23.53% أرملة، مقابل 58.82% أزواجهن على قيد الحياة.
05 أفراد (04 عائلات)				
06 أفراد (05 عائلات)				
07 أفراد (04 عائلات)				
08 أفراد (عائلتين)				
09 أفراد (عائلة)				

المصدر: من إعداد الباحثة بناء على المعلومات المستقاة من

من خلال الجدول نلاحظ بأن أغلب العائلات يزيد أفرادها عن خمسة، حيث نجد أن 23.53% عدد أفرادها خمسة (05) أفراد، ونسبة 29.41% عدد أفرادها ستة (06) أفراد، 23.53% عدد الأفراد سبعة (07)، وبالنسبة للعائلات التي تتكون من ثمانية (08) أفراد فقد سجلنا نسبة 11.76% ، كذلك نلاحظ بأن 58.82% من الأطفال المتسربين من الدراسة تقل أعمارهم عن 13 سنة، مقابل 50٪ الذين تزيد تنحصر أعمارهم بين 13-16 سنة.

وفيما يخص المستوى التعليمي للأم تظهر النتائج أن أغلب الأمهات لديهن المستوى الابتدائي أو ما دون ذلك، وهذا بنسبة 70.59%، مقابل 29.41% لديها المستوى المتوسط، وهذا ما يدل على أن المستوى التعليمي للأم يؤثر على الأبناء ورغبتهم في اكمال الدراسة، فالأم المثقفة أو المتعلمة تعمل جاهدة على مرافقة أبنائها عبر مختلف الأطوار التعليمية، وتقوم بمساعدتهم وتقويمهم أثناء مراجعة الدروس كذلك تشجعهم وتحفزهم على الدراسة.

وعن الحالة العائلية لهن فقد أفرزت النتائج أن 17.65% مطلقة ونسبة 23.53% منهن فقدت زوجها أي أرملة، في حين تعيش البقية مع أزواجهن وأبنائهن.

كذلك نشير بأن 76.47% من المتسربين من جنس الذكور مقابل 23.53 % من جنس الإناث، وهذا ما يعكس الصورة التي صارت عليها جامعاتنا اليوم، حيث فاق عدد الإناث عدد الذكور بشكل واسع.

2. مناقشة النتائج في ضوء فرضيات الدراسة.

عينة البحث كما تم الإشارة من قبل يمثلون مجموعة الأسر التي تسكن في بيوت قصديرية، غالبا ما يميزها الضيق وقلة الغرف، كذلك تكون باردة جدا في الشتاء وحارة في فصل الصيف، وتنتشر حولها الأوساخ والقاذورات والروائح الكريهة بشكل يجلب الجردان ومختلف أنواع الحشرات، وقد شاهدنا ذلك عن قرب وسجلنا كل هذه الملاحظات، وخلال الدراسة الامبريقية قمنا بطرح جملة من الأسئلة على الأبناء المتسربين وكذلك الأمهات، فمن جهة أردنا التأكد من بعض الإجابات التي أدلى بها الأطفال، ومن جهة أخرى كانت بعض الأسئلة خاصة بالأطفال المتسربين وأخرى خاصة بالآباء.

1.2. مناقشة النتائج في ضوء الفرضية الأولى: التي مفادها أن "اهمال احتياجات الطفل يدفعه إلى اللجوء إلى العمالة"

تم التركيز في البداية على معرفة مدى قدرة الآباء على توفير احتياجات الأبناء خاصة المتعلقة بالدراسة، وبعد التحليل توصلنا إلى أن أغلب العائلات لا تستطيع أن تلبي متطلبات الأبناء بشكل كلي، وهذا يرجع للبطالة أو الدخل البسيط الذي يتقاضاه الآباء حيث لا يتعدى 20000 دج بالنسبة لأغلب العائلات، وأمام كثرة المصاريف التي تشمل الأكل واللباس، الصحة والنقل، التعليم ...إلخ، فأغلب العائلات لا تستطيع تحمل كل هذه الأعباء والتكاليف، خاصة تلك العائلات التي لديها أبناء كثر.

وفي السياق نفسه أردنا معرفة إن كان هناك من يساعدهم في بعض المصاريف، وقد تم التأكد من أن بعض الأطفال المتسربين يقومون بالعمل من أجل مساعدة أوليائهم، كالعمل في المحلات، البيع على الأرصفة، في البناء والحمالة...إلخ، في حين كانت إجابة احدى النساء وهي مطلقة بثلاثة أطفال أنها عاملة نظافة تلقى مساعدات من بعض الموظفين في المؤسسة التي تعمل بها خاصة في المناسبات كعيد الأضحى، رمضان، الدخول المدرسي، إلا أن هذه المساعدات تظل قليلة مقارنة بكثرة المصاريف، من جهتها أكدت إحدى الأرامل وهي تعيل خمسة من أبنائها أن الراتب الشهري الذي تتقاضاه بعد موت زوجها لا يكفي العائلة لأسبوع واحد، مما اضطرها للعمل في صناعة بعض أنواع الحلويات، وعلمنا منها أيضا أن أحد أبنائها ترك دراسته في سن الثالثة عشر من أجل مساعدة أمه وإخوته وهذا قبل أن تتوجه أمه للعمل بسنتين.

وعن عمالة الأطفال المتسربين فقط خلصت النتائج أنه من بين سبعة عشر (17) حالة المدروسة، تم التوصل إلى أن 29.41% منهم غادروا مقاعد الدراسة من أجل التوجه للعمل ومساعدة عائلاتهم.

ويمكن الاعتقاد بأن اهمال حاجيات الطفل قد يدفعه إلى السرقة واتباع طرق ملتوية، غير شرعية وغير قانونية في سبيل الحصول على ما تشتهيه نفسه، خاصة إذا كان بعيدا عن تعاليم الدين غير مبالي بالكسب الحرام لا يهمه الوازع الديني، لتصبح السرقة مهنته التي يمتهنها من أجل توفير متطلباته الضرورية والغير ضرورية.

وعلى هذا الأساس يتأكد لنا صحة الفرضية الأولى.

2.2. **مناقشة النتائج في ضوء الفرضية الثانية:** التي مفادها أن "عدم الترفيه والترويح عن الطفل من شأنه أن يؤدي به إلى مخالطة رفقاء السوء"

كانت إجابة المبحوثين من الأمهات والأبناء حول السؤال المتعلق بالأماكن التي يجد فيها الطفل بعض الراحة والترويح، كالتنزه والسفر إلى أماكن سياحية، والتنقل إلى مراكز الألعاب الخاصة بالأطفال، فقد كانت الإجابة صادمة حيث سجلت نسبة 100% ممن أكدوا أنهم محرومون كليا من زيارة مثل هذه الأماكن، ما عدا الذهاب أحيانا إلى البحر في فصل الصيف، وقد لقينا بعض الإجابات الأخرى من قبل الأطفال كالذهاب للعب كرة القدم، أو إضاعة الوقت في لعب الدومينو والميسر، أو التسكع في الشوارع والأزقة، ومن جهة أخرى علمنا أن بعض الأطفال المتسربين من الدراسة يدخنون السجائر ويضعون الشمة، وقد بدئوا التدخين وهم في المدرسة حيث سجلنا تسع (09) حالات أي بنسبة 52.94%، من بينهم أربع أطفال يتعاطون المخدرات والمهلوسات أي بنسبة 23.53% من أفراد العينة، وعن السبب الذي أوصل هؤلاء الأطفال إلى ذلك كانت إجابة أغلبهم تدور حول مصاحبة بعض الشباب المنحرف ومخالطتهم، وبالنظر لصغر سنهم وعدم درايتهم واطلاعهم على المحيط الخارجي بصورة جيدة، تم استغلالهم من قبل بعض الشباب المنحرف من أجل بيع السجائر وكذلك ترويج المخدرات والأقراص المهلوسة.

فنحن كباحثين نرجع السبب إلى الوالدين بدرجة كبيرة، فالواجب على الآباء مرافقة ومتابعة أبنائهم ومحاولة تنشئتهم تنشئة سليمة تقوم على قواعد الدين والتربية الصحيحة، فالأبناء مسؤولية ثقيلة والتنصل من هذه المسؤولية من شأنه أن يؤدي إلى كوارث وانعكاسات خطيرة على الطفل والأسرة، وكذلك على المجتمع.

وقد علمنا كذلك أن إحدى الأسر تتكون من تسعة أفراد أن خمسة من أبنائها لم يكملوا دراستهم وغادروا المدرسة في المرحلة الابتدائية، أربعة منهم الآن في سن الشباب (بنتان وولدان)، كما علمنا أن الشابين من خريجي السجون الأول بتهمة السرقة والثاني بتهمة حيازة المخدرات، طبعا هذه مجرد إضافة باعتبار أن الدراسة لم تشمل هؤلاء الأربعة بل مست الطفل المتسرب الخامس.

ومما تقدم يتأكد لنا صحة الفرضية الثانية.

3.2. **مناقشة النتائج في ضوء الفرضية الثالثة:** التي مفادها أن "الظروف المعيشية الصعبة للطفل وقلة الإمكانيات تساهم في التقليل من تركيزه"

أما عن الظروف التي تعيشها هذه العائلات فقد وقفنا عليها ورأينا مدى حرمانهم ومعاناتهم من قلة الإمكانيات، إذ يكفي أنهم يعيشون تحت القصدير ومع الجردان والحشرات، وأغلبهم يخافون فصل الشتاء خاصة عند تساقط

الأمطار بغزارة خوفا من دخول المياه إلى الداخل أو وقوع الأسقف، ناهيك عن الانقطاع المستمر للكهرباء والمعاناة من أجل جلب الماء، أيضا صعوبة التنقل من البيت إلى الطريق والكثير من الظروف القاسية، وقد عبرت نسبة 100% من المبحوثين عن قساوة الظروف التي يعيشونها، وفي المقابل أقر أغلب أفراد العينة (الأمهات والأبناء) أن قلة الإمكانيات والجري المستمر وراء تحسينها قد أرهق الأبناء وأنقص من تركيزهم واهتمامهم بالدراسة، حيث يحكي أحد الأطفال المتوقف عن الدراسة في سن التاسعة (09 سنوات) وعمره الآن ثلاثة عشر سنة، قال بأنه في كل يوم عليه المشي لمسافة 300 متر لجلب عشرات اللترات من الماء، وكذلك الذهاب إلى المحل لشراء الحليب والخبز وبعض المستلزمات الأخرى، ويضيف أنه يجد صعوبة في الشتاء خاصة نتيجة تراكم الأوحال والانزلاق، وأنه لا يستطيع التركيز عند مراجعة الدروس أو التحضير للامتحانات، فقساوة الشتاء والانقطاع المستمر للكهرباء والظروف الغير صحية التي تحيط به حال بينه وبين التركيز.

وقد وقفنا على حالة أخرى لطفل متسرب أخبرنا بكل صراحة عن سبب مغادرته المدرسة، حيث أكد أن جميع الظروف اجتمعت ضده لتدفع به خارج أسوار المدرسة، فالأب مريض والمسؤولية كبيرة على الأم، وأمام قلة الإمكانيات والظروف الصعبة لم أجد حلا إلا التضحية بنفسي من أجل عائلتي، فتركت المدرسة في سن الثانية عشر وامتهنت البيع على الأرصفة لتلبية حاجيات العائلة، يقول الطفل وهو في السادسة عشر من عمره الآن، أربع سنوات وأنا أعيل عائلتي بالشيء القليل لأوفر لهم الخبز والحليب وكل ما هو ضروري من أجل البقاء على قيد الحياة.

في حين أكدت نسبة 64.70% أن هذه الظروف أثرت على الأبناء وكانت من بين الدوافع الرئيسة التي أجبرتهم على ترك مقاعد الدراسة، وأكدوا على أنهم لم يكونوا ليغادروا المدرسة لو كانت ظروفهم أحسن.

كذلك قمنا بتوجيه ملاحظة لبعض الأطفال، حيث اعتقادنا أن التعليم وتحصيل شهادة من شأنه أن يضمن لهم الحصول على منصب شغل مريح وبراتب يلبي كل الاحتياجات، إلا أن إجابة المبحوثين انقسمت إلى رأيين، هناك من ساندنا واتفق معنا حول هذه النقطة، وهناك من قال بأن الآلاف من خريجي الجامعات يعانون من البطالة ومنهم من يعمل في المقاهي والمحلات وحافلات النقل والكثير من الأعمال التي لا تتطلب شهادة جامعية، لذلك يمكن اختصار الطريق والتوجه نحو العمل منذ الصغر بدل إضاعة الوقت في المدارس والجامعات.

للأسف وقفنا كذلك على ما خلفته الأمطار التي تهاطلت بغزارة على ولاية سكيكدة يومي 02/01 سبتمبر 2019، وقد زادت من معاناة هذه العائلات التي فقدت بعض الأثاث، وسقطت بعض الأسقف وغمرت المياه بعض المنازل، كما انقطعت الكهرباء لثلاثة أيام كاملة، مما اضطر سكان الحي لغلق الطريق عن السيارات من أجل المطالبة بتحسين أوضاعهم المزرية.

وفي الأخير كان تساؤلنا حول العمارات التي تبنى حاليا بالحي والمفروض أنها موجهة لأصحاب البيوت القصديرية والبيوت الهشة المصنفة في الخانة الحمراء (الآيلة للسقوط)، حيث أوشكت المؤسسة المكلفة بالبناء من الانتهاء، أردنا معرفة إن كانت هذه العائلات ستستفيد من سكن يضمن لها عيشا كريما، إلا أن أغلب العائلات لا تعلم إن

كانت ستستفيد أم لا، وكان جوابهم بالأغلبية أن المسؤولين قد قدموا لهم وعودا بترحيلهم مباشرة بعد الانتهاء من الأشغال بشكل كلي، أما حاليا فما عليهم إلا الصبر والانتظار.

وبهذا يتضح لنا صحة الفرضية الثالثة.

3. النتيجة العامة للدراسة:

بناء على عرض ومناقشة النتائج التي تم التوصل إليها في ضوء خصائص العينة وفي ضوء الفرضيات الثلاث، حيث تم التحقق من صحة الفرضيات الفرعية لذلك يمكن اثبات الفرضية الرئيسية التي مفادها "**يزيد الفقر من انتشار ظاهرة تسرب الأطفال من المدرسة**"، وبذلك تمت الاجابة على التساؤل المركزي الذي مفاده " **هل يساهم الفقر في بلوغ ظاهرة التسرب المدرسي معدلات عالية**؟"، وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن الفقر كظاهرة اجتماعية تؤثر على الأطفال وتجبرهم على ترك أماكنهم في المدرسة، وبذلك فهو يرفع من معدلات التسرب المدرسي.

5- توصيات:

نتطلع بعد قيامنا بهذه الدراسة إلى مساهمة الحكومة في الحد من ظاهرة الفقر والبطالة من جهة، والرفع من نسبة التمدرس وخفض نسبة الأمية من جهة أخرى، ويمكن تلخيص أهم التوصيات والاقتراحات على النحو التالي:

- مساعدة الأسر الفقيرة لتغطية مختلف متطلباتها خاصة النفقات المتعلقة بدراسة الأبناء.
- توعية الآباء والأبناء على حد سواء بضرورة التعليم وإبراز أهميته.
- ندعو الطبقة الغنية في المجتمع إلى التكفل بأطفال العائلات الفقيرة وتمكينهم من مواصلة الدراسة.
- توفير مناصب شغل للعائلات الفقيرة.
- يجب على الفقراء الإكثار من الاستغفار وحسن التوكل على الله لأنهما بابان من أبواب الرزق.
- مراجعة الحكومة لتوزيع الدخل بشكل عادل والعمل على زيادة الدخل الفردي للفقراء وزيادة الاستثمار.
- يجب على الحكومة تسطير برامج تنموية ووضع استراتيجيات فعالة من أجل التصدي لظاهرة الفقر.
- العمل على تطوير وتنمية مختلف القطاعات وتنشيط التجارة الداخلية والخارجية للبلد.
- انشاء برامج استثنائية للعائلات التي تعاني من فقر مدقع تشمل سياسة دعم السلع، الحماية عن طريق التأمينات (التأمين عن البطالة، الاستفادة من الأدوية، التكفل بتعليم الأبناء)
- كذلك نطلب من المعلم والأستاذ أن يحسن معاملة هؤلاء الأطفال وأن يؤدي دوره بأمانة واتقان، وذلك باستخدام أحسن السبل وأفضل الطرق.
- يجب تظافر كل الجهود وتكاثفها، فكل يلعب دوره ويتحمل مسؤوليته من أجل القضاء على الظاهرتين.
- تزويد المدارس بأطباء نفسانيين لمساعدة التلاميذ على تجاوز مشاكلهم النّفسيّة.
- متابعة غياب الطلبة بشكل مستمر ومعرفة الأسباب والعمل على معالجتها بشكل نهائي.

خاتمة:

يعتبر الفقر سبب بروز الكثير من المشاكل داخل المجتمع، ومصدرا لظهور بعض الآفات الدخيلة والظواهر الغريبة عن مجامعنا الجزائري، على غرار التسرب المدرسي الذي بلغ معدلات عالية في السنوات الأخيرة، وقد كانت قناعتنا كبيرة بوجود علاقة بين الفقر وظاهرة التسرب المدرسي، لذلك قمنا بالولوج إلى الموضوع وربط الظاهرتين ببعضهما، حيث استطاعت هذه الدراسة في الأخير اثبات العلاقة الموجودة والتوصل إلى أن الفقر يرفع ويزيد من معدلات التسرب المدرسي، انطلاقا من أن اهمال احتياجات الطفل يدفعه إلى اللجوء إلى العمالة والبحث عن مصدر للرزق، وكذا يؤدي عدم الترفيه والترويح عن الطفل به إلى مخالطة رفقاء السوء واتباع الصحبة السيئة، كذلك الظروف الصعبة والغير ملائمة من شأنها اجبار الطفل على جعل الدراسة في ذيل الاهتمام، وتكون حافزا قويا يبرر به مغادرته المدرسة.

ومن جهة أخرى تم التأكد ولو بصورة غير مباشرة إلى أن التعليم يساهم في الحد من ظاهرة الفقر، وبذلك إذا زادت الأمية زاد الفقر وهذا ما يوحي بوجود علاقة طردية بين الفقر والتسرب المدرسي، وكأن الأمية داء يصاب به الفقراء، وهذا الأمر يستوجب علينا محاربة إحدى الظاهرتين من أجل القضاء على الظاهرة الثانية، فالدول الغنية والمتقدمة تقل فيها الأمية ومعدلات التسرب المدرسي، وفي المقابل تعاني الدول الفقيرة والمتخلفة من معدلات مرتفعة من ظاهرة التسرب المدرسي، والجزائر واحدة من الدول النامية التي تسعى إلى محاربة الفقر ومكافحة ظاهرة التسرب المدرسي، إلا أن هشاشة الاقتصاد الوطني والاعتماد الكلي على عائدات المحروقات حال دون إمكانية القضاء على الفقر من جهة، ومن جهة أخرى سيطرة القطاع العام وعدم الاعتماد على القطاع الخاص بالرغم من امكانية مساهمته في تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية للأفراد، وكذا الحد من انتشار ظاهرة الفقر.

ولم تتوقف نظرتنا كون الفقر ظاهرة ترتبط بمجموعة من الظواهر ذات الطابع الاجتماعي، بل يمتد ليشمل الجوانب الاقتصادية والثقافية وحتى التاريخية، لذلك نأمل بمستقبل زاهر والتطلع لمساهمة الحكومة في الحد من ظاهرة الفقر والبطالة، والرفع من نسبة التمدرس وخفض نسبة الأمية وغيرها من المؤشرات الإيجابية التي تدل على صدق النية وقوة المساهمة، ليبقى الطموح والارادة عاملين أساسين للارتقاء والتقدم، ومن جهة أخرى ندعو طبقة الأغنياء داخل المجتمع بالتكفل التام بالأطفال الفقراء من أجل إكمال دراستهم ، وكذا إبعادهم عن الرفقة والمصاحبة السيئة.

قائمة المصادر والمراجع

1- **المصادر**

- **القرآن الكريم**

2. **المراجع**

1.2. **المراجع العربية**

- إشكالية الفقر في الجزائر في ظل البرامج التنموية للجزائر للفترة الممتدة 2005-2014 لحاجي فطيمة، رسالة دكتوراه علوم غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014.
- البطالة مفهومها...أنواعها "بطالة الخريجين نموذجا" لحسناوي انتصار عباس إبراهيم، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد 27، العدد 04، جامعة النهرين، 2016.
- التسرب من التعليم لإيمان محمود، وكالة الصحافة العربية ناشرون، ط1، مصر، 2011.
- ثقافة الفقر "دراسة في الأنثروبولوجيا الحضرية الغامدي محمد حسين، المركز العربي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 1980.
- ظاهرة الفقر في الجزائر وآثارها على النسيج الاجتماعي في ظل الطفرة المالية "البطالة والتضخم" لحاج قويدر قورين، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد 12، (2014).
- عمالة الأطفال وعلاقتها بالتسرب المدرسي "دراسة ميدانية لعينة من الأطفال العاملين المتسربين بمدينة زريبة الوادي ببسكرة "عيسى بن رابح، أطروحة دكتوراه علوم غير منشورة، كلية علم اجتماع التربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2016.
- الفقر والتعليم "دراسة تحليلية لمؤشرات العلاقة التبادلية" لطلعت حسيني إسماعيل، مجلة دراسات تربوية ونفسية، العدد 85، الجزء 02، كلية التربية بالزقازيق، مصر، 2014.
- المدخل إلى تقنيات التعليم لبليهش العمري عائشة وهناء محمد جمال الدين، دار الزمان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، 2008.
- المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1989.
- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2004.
- النمو الاقتصادي والتنمية المستدامة في الدول العربية : سياسات التنمية وفرص العمل دراسات قطرية لمجموعة مؤلفين، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، بيروت، 2013.

2.2. **المراجع الأجنبية**

- Communication sur le décrochage scolaire, V. PECRESSE, rapport pour le conseil régional, CR N° 2019-032, île de France, 2019, P 04.
- Chômage des jeunes et inégalités d'insertion sur le marché du travail algérien : analyses multidimensionnelles et expérimentation de Lamia BENHABIB, Thèse de Doctorat, université de Paris-Est, France, 2017.
- Le décrochage scolaire : diversité des concepts et unité de la problématique, A. MEMAÏ, revue de la recherche en éducation éditée par l'INRE Algérie, N° 14, Algérie, 2016
- La pauvreté de S. Agostino et N. Duvert, Bréal, France, 2008.
- Microfinance et Pauvreté : Quantification de la Relation sur la population de Tlemcen de A. Smahi, Thèse de Doctorat, faculté de la science économique, université Abou Bekr Belkaid, Tlemcen, 2010.
- Trends of poverty in Algeria during 1962- 2013 de F. Louali, Donnish Journal of African Studies and Development, Vol 02, N°01, 2016.

3. **مواقع الأنترنيت**

- https://www.unicef.fr/dossier/exploitation-et-travail-des-enfants.
- https://www.ennaharonline.com/?p=703510.

فاعلية استخدام تقنية الحرية الانفعالية الروحية في خفض الغضب كسمة لدى الفتيات ذوات الإعاقة السمعية

د. زهير عبد الحميد النواجحة
Dr. Zuhair Abdel Hamid EL Nawajha
عضو هيئة تدريسية غير متفرغ بجامعة القدس المفتوحة فرع رفح
nawajha307@hotmail.com

الملخص:
تهدف الدراسة الحالية, إلي التحقق من فاعلية استخدام تقنية الحرية الانفعالية الروحية في خفض الغضب ؛ كسمة لدى الفتيات ذوات الإعاقة السمعية، وأجريت الدراسة على عينة قصدية تجريبية واحدة، بلغ قوامها (10) فتيات من ذوات الإعاقة السمعية، اللواتي حصلن على درجات مرتفعة على مقياس الغضب كسمة، وتحقيقاً لأهداف الدراسة, قام الباحث بتصميم تقنية الحرية الانفعالية الروحية، واستخدام مقياس الغضب كسمة من إعداد عبد الرحمن, و عبد الحميد (1998)، وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات القياس القبلي, والبعدي للمجموعة التجريبية في مقياس الغضب كسمة لصالح القياس البعدي، وعدم وجود فروق بين متوسطات درجات أفراد المجموعة التجريبية في القياسين البعدي, والتتبعي على مقياس الغضب كسمة .

الكلمات المفتاحية: تقنية الحرية الانفعالية الروحية، سمة الغضب، الفتيات ذوات الإعاقة السمعية.

The Effectiveness Using of Spiritual Emotional Freedom Technique in Reducing Anger as Feature of Girls with Hearing Impairment

Dr. Zuhair Abdel Hamid EL Nawajha

Abstract:
The Current Study aimed to verify the effectiveness using of spiritual emotional freedom technique in reducing anger as feature of girls with hearing impairment ,and the Study was Conducted on a Single Experimental Sample of (10) girls with hearing impairment, who Obtained high scores on the anger as feature scale, To achieve the aims of the study, the researcher designed a program based on spiritual emotional freedom a technique, and using anger as feature scale prepared by Abdul Rahman and Abdul Hamid (1998), and the results of the study showed that there were statistically significant differences between averages of scores of the pre and post measurement for the experimental group in the anger as a feature scale in favor of the post measurement, The results also indicated that there were no statistically differences between the averages of scores for the experimental group's members in the post and tracer measurement on the anger as a feature scale.

Key Words: Spiritual Emotional Freedom Technique, Anger as Feature, Girls with hearing impairment

مقدمـــة الدراســـة:

اهتم القرآن الكريم بتقديم حاسة السمع، على حاسة البصر، و بقية الحواس، وقد جاء هذا التقديم في آيات عديدة، منها قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78]، فالمتدبر لتلك الآيات يجد أن هذا التكرار, والتقديم جاء كدلالة على أهمية هذه الحاسة، باعتبارها المدخل إلى الفهم، والإدراك، واكتساب اللغة، وتطور الحصيلة المعرفية، وزيادة التفاعل والتواصل الاجتماعي.

وتعد حاسة السمع واحدة من أهم الحواس التي يعتمد عليها الفرد في تفاعلاته مع الآخرين خلال مواقف الحياة المختلفة، نظراً لكونها بمثابة بوابة الاستقبال المفتوحة لكل المثيرات، والخبرات الخارجية، ومن خلالها يستطيع الفرد التعايش مع الآخرين. ومن ثم تعتبر الإعاقة السمعية من أشد، وأصعب الإعاقات الحسية التي تصيب الإنسان؛ إذ يترتب عليها فقدان القدرة على الكلام بجانب الصمم الكلي، ولذا يصعب على الأصم اكتساب اللغة, والكلام, أو تعلم المهارات الحياتية المختلفة. وأياً كان نوع الصمم سواء أكان كلياً، أو جزئياً، حسياً، أو نفسياً، إرادياً، أو إجبارياً، فهو من البلاء الأكبر على الإنسان. (البوبي، 2010: 6)

إن المتأمل في أدبيات التربية الخاصة يجد أن فئة ذوي الإعاقة السمعية تعاني الكثير من المشكلات، منها ما هو متعلق بطبيعة الإعاقة، ومنها ما هو متعلق بالعوامل البيئية المحيطة بالمعاق سمعياً، وفي هذا السياق يذكر عبد العزيز الشخص (1992) أن حرمان المعاق سمعياً من حاسة السمع، بالإضافة إلى الاتجاهات السلبية نحوه من المحيطين به تجعله أكثر عرضة لكثير من المشكلات، حيث يجد نفسه لزاماً عليها أن يكافح للتغلب على ما يواجهه من مشكلات مع أقرانه العاديين ممن لا يفهمون ظروفه, وطبيعته، أو لا يستطيعون التواصل معه بنجاح، الأمر الذي قد يدفعه إلى الحد من مستوى طموحه تجنباً للفشل, والإخفاق. (حنفي، 2002: 37).

ومن أبرز المشكلات, والاضطرابات، التي يعاني منها ذوي الإعاقة السمعية نوبات الغضب, فقد خلصت دراسة رفعت (2003) إلى نتيجة مفادها، أن المعاقين سمعياً يتسمون بعدم القدرة على ضبط النفس في نوبات الغضب، والثورات الانفعالية الشديدة مع الاندفاعية, والتهور, والعدوانية الموجهة للغير, وللنفس الناتجة عن الشعور بالنقص, والقلق, والإحباط, والحرمان. (الصايغ، 2016: 196).

ويعتبر الغضب من أهم الانفعالات, وأكثرها تأثيراً في حياة الإنسان بصفة عامة، وفي حياة ذوي الإعاقة بصفة خاصة، ويمكن أن يتولد عن طريق مصادر مختلفة، وتأثيره واسع فقد ينعكس على الجوانب البيولوجية، والنفسية، والاجتماعية، والروحية، وتتراوح حدة الغضب من تهيج بسيط / إزعاج عابر (الغضب كحالة) إلى الغضب الشديد, والمتكرر (الغضب كسمة) كما قد يكون الغضب نتيجة عوامل جوهرية داخلية مثل الأفكار اللاعقلانية، والمعتقدات غير المنطقية، والتوقعات المتأخرة، والشعور بالإحباط, وكذلك نتاج عوامل خارجية مثل الإهمال، والغزو، وخرق الثقة، والشتم، وسوء المعاملة. Shahsavarani,et.al.2016: (355)

ويعرفه الحمدان (1430هـ: 11) بالإثارة العاطفية التي تتبدى بحماس قوي؛ بسبب زيادة إفراز هرمون الأدرينالين، إما بتعبير حركي, أو لفظي, أو بميل عدواني يصعب في أغلب الأحيان ضبطه, والسيطرة عليه.

و يعد متغير الغضب من المتغيرات التي استحوذت على عناية, واهتمام العلوم السيكولوجية، والاجتماعية، حيث تجلت تلك الجهود، بتصميم برامج إرشادية، بهدف المساعدة، على التكيف، والتأقلم، وخفض معدلات الغضب، ومعالجة, وإدارة نوباته، فالمتتبع للبحوث, والدراسات التجريبية، يجد أن هناك تنوع

في البرامج الإرشادية التي استهدفت خفض حدة الغضب، فقد تقصت دراسة خضر (2000) فعالية الارشاد النفسي الديني, والتدريب على المهارات الاجتماعية, والدمج بينهما في خفض حدة الغضب، في حين تحققت دراسة عليان, وعسلية (2006) من فعالية العلاج القائم على المعنى, والتدريب على المهارات الاجتماعية في خفض حدة الغضب، وقدم البحيري (2008) برنامجاً لخفض الغضب بالتشريط تحت العتبة الإدراكية البصرية لتعديل السلوك اللاتكيفي، وتحققت دراسة القراش، وعبد الخالق (2017) من فاعلية فنيات تعديل السلوك في خفض الغضب؛ لتحسين التواصل الاجتماعي، وبحثت دراسة الخوالدة (2017) فاعلية برنامج إرشاد جمعي معرفي سلوكي في خفض الغضب, وتحسين التكيف النفسي، كما سعت دراسة علاء الدين (2018) للكشف عن أثر برنامج إرشاد جمعي في خفض أعراض الغضب.

والباحث في التربية الإسلامية يجد أن استراتيجيات إدارة الغضب، وخفض حدته متجذرة، ومتأصلة في القرآن الكريم, والسنة النبوية المطهرة، وفي كتابات العديد من العلماء المسلمين، وفي هذا الإطار قد قدم الغزالي منهجاً فعالاً؛ لخفض حالة الغضب يتضمن عدة طرق, وأساليب منها: علاج الغضب قبل وقوعه، ويكون بالتعرف على أسبابه, والقضاء عليه، وعلاج الغضب بعد وقوعه؛ فإنه يقوم على محورين أساسيين هما: العلم، والعمل، أو بمعنى أخر الاعتماد على الجانب التفكيري، والجانب النزوعي العملي في الإنسان. (الشناوي:2001: 354-355)

وفي هذا السياق أقر عدد من علماء النفس, أهمية الدين في حفظ توازن النفس, وعلاجها، ووقايتها من الأمراض، والاضطرابات النفسية؛ فالدين يجعل لحياة الإنسان معنىً، وهدفاً، فالمرء الذي عُمق إيمانه بالله، خليق بألا تُعكر طمأنينته التقلبات السطحية المؤقتة، فالرجل المتدين حقاً عصي على القلق محتفظ باتزانه مستعد دائماً لمواجهة ما قد تأتي به الأيام من صروف، ويؤكد نجاتي أن في القرآن الكريم طاقة روحية هائلة ذات تأثير بالغ الشأن في نفس الإنسان، فهو يهز وجدانه، ويرهف أحاسيسه، ومشاعره، ويصقل روحه، ويوقظ إدراكه، وتفكيره، ويجلي بصيرته؛ فإذا بالإنسان بعد أن يتعرض لتأثير القرآن يصبح إنساناً جديداً. (نجاتي،2005: 266)

ويعد الدين الإسلامي من أقوى الأديان، وأهمها شأناً في حياة الإنسان، واستقرار المجتمع، إذ تشمل تعاليمه السمحة العديد من القواعد, والضوابط المنظمة للحياة الإنسانية، فالعبادات، والأدعية والأذكار، هي بمثابة تدريبات، يتعلم خلالها الفرد استحضار القلب, والخشوع، والتدبر، والإدراك، كما تمده بطاقة روحية تبعث في نفسه العزيمة، والشعور بالطمأنينة، والسكينة، والهدوء، والصفاء الروحي، كما أن لها أثراً علاجياً في خفض الشعور بالقلق، والتوتر، والغضب، والحزن، والتخلص من الاكتئاب.

وفي الآونة الأخيرة ظهرت تدخلات إرشادية, وعلاجية عدة، تستهدف خفض الاضطرابات الانفعالية، ومن بين أبرز هذه التدخلات تقنية الحرية الانفعالية Emotional Freedom Techniques، والتي تركز على التحرر من الانفعالات السلبية، وذلك من خلال الربت على مسارات الطاقة المعطلة في جسم الإنسان، وهي طريقة علاجية قائمة على المساعدة الذاتية، وقد أثبتت العديد من الدراسات فعاليتها في خفض المشاعر السلبية من قبيل الحزن، والغضب، الخوف، والقلق، والإحباط، والاكتئاب، وتقوم تقنية الحرية الانفعالية على تدخل موجز، يجمع بين عناصر التعرض للعلاج المعرفي، والتحفيز الجسدي لمسارات الطاقة بالوجه، والجسم، وعادة ما يتم تقييم مستوى الشدة النفسية للفرد قبل تطبيق تقنية الحرية الانفعالية، وبعدها، وذلك من خلال مقياس يبدأ تدرجه من (صفر)، وتمثل هذه الدرجة الحد الأدنى للشدة، وينتهي بالدرجة (العاشرة)، وتعبر عن أقصى قدر من الشدة.

(Bach, Groesbeck, Stapleton, Sims, Blickheuser, & Church, 2019: 2)

ومن المؤشرات الحيوية الفسيولوجية الدالة على فاعلية تقنية الحرية الانفعالية، انخفاض نشاط الجهاز الحوفي، وهذا ما أظهرته نتائج فحص التصوير بالرنين المغناطيسي، كما كشفت تسجيلات التخطيط الكهربائي للدماغ، انخفاض استثارة القشرة الأمامية اليمنى للدماغ، وانخفاض مستويات الكورتيزون، وهو (هرمون التوتر) بنسبة (24٪) بعد التعرض لتقنية الحرية الانفعالية.(Clond, 2016: 389)

والمتتبع للتطور التاريخي لعلاج الأمراض، والاضطرابات النفسية، في الحضارة الإسلامية، يجد أن هناك أساليب علاجية، تحاكي إلى حد كبير تقنية الحرية الانفعالية، منها: الرقية الشرعية، والتي تتلخص في قراءة آيات من القرآن الكريم، وترديد أذكار، وأدعية مأثورة، ومسح تدليك مصادر الألم في الجسم، وكان الرسول صل الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، وقرأ المعوذات. (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)، و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)، و (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)، ثم مسح بهما ما أستطاع من جسده، حيث يبدأ بهما على رأسه, ووجهه، وما أقبل من جسده.

مشكلـــة الدراســـة, وتساؤلاتها:

تعد الإعاقة السمعية من الإعاقات ذات التأثير السلبي، والخطير على مجمل جوانب الشخصية، ففقدان حاسة السمع قد ينتج عنها العديد من المشكلات من قبيل: المشكلات التربوية، والاجتماعية، كما قد تكون سبباً في ظهور العديد من الاضطرابات، السلوكية، والانفعالية، من قبيل: العدوان، ومشاعر اليأس، والقلق، والاكتئاب، والتوتر، والتشاؤم، والإحباط، والشعور بالنقص، والتمركز حول الذات، والخوف من الشفقة، ومن أكثر الاضطرابات الانفعالية شيوعاً نوبات الغضب، فهناك الكثير من العوامل التي قد تسبب الغضب كعدم القدرة على التعبير عن المشاعر، والإفصاح عن الذات، والتفاهم, و التواصل مع الآخرين، ومفهوم الذات السلبي، والاعتقاد بسوء الحظ، وندرة فرص الزواج، والعمل، و العجز في بلوغ الأهداف المنشودة، وتحقيق الذات، وإشباع الحاجات، وقد تزداد, وتتضاعف تلك المشكلات, والاضطرابات الانفعالية لدى الفتيات ذوات الإعاقة السمعية، لعوامل يعود بعضها إلى نظرة المجتمع السلبية للفتاة المعاقة، وفي ضوء معايشة الفتيات ذوات الإعاقة السمعية لظروف الشدة, والكرب النفسي، قد يتحول انفعال الغضب من حالة إلى سمة متأصلة بالنفس، كما قد ينتج عن هذه الحالة العديد من الإشكاليات المعرفية، والاجتماعية، والعاطفية، وتأسيساً على ما سبق ذكره فالحاجة ماسة, وملحة إلى تعلم طرائق, وأساليب إرشادية سهلة التطبيق، تتناسب مع خصوصية الفتيات ذات الإعاقة السمعية، كتقنية الحرية الانفعالية الروحية المستخدمة بالدراسة الحالية، فهذه التقنية ذات تراكيب متعددة، تجمع في طياتها جوانب معرفية، وروحية، وأدائية، وعليه تتحدد مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس الآتي: ما فاعلية استخدام تقنية الحرية الانفعالية الروحية في خفض الغضب كسمة لدى الفتيات ذوات الإعاقة السمعية؟ وينبثق عن السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية.

1- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات رتب أفراد المجموعة التجريبية في القياسين القبلي، والبعدي على مقياس الغضب كسمة؟
2- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات رتب أفراد المجموعة التجريبية في القياسين البعدي، والتتبعي على مقياس الغضب كسمة؟

أهـــداف الدراســـة:

تهدف الدراسة إلى ما يلي:

1- الكشف عن الفروق بين متوسطات رتب أفراد المجموعة التجريبية في القياسين القبلي، والبعدي على مقياس الغضب كسمة.

2- الكشف عن الفروق بين متوسطات رتب أفراد المجموعة التجريبية في القياسين البعدي، والتتبعي على مقياس الغضب كسمة.

أهمية الدراسة:

تتضح أهمية الدراسة الحالية في الآتي:

- تكمن أهمية الدراسة من أهمية متغير انفعال الغضب، فهو من الانفعالات التي لا يمكن تجاهلها، كونه يشكل مصدر قلق، وإزعاج على الصعيد الشخصي، والأسري، والمجتمعي، ومصدر تواتر الجرائم، وأعمال العنف، وتدني مستوى الشعور بجودة الحياة.
- تكمن أهمية الدراسة الحالية بندرة الأدلة التجريبية في البيئة العربية، التي حاولت فحص فاعلية استخدام تقنية الحرية الانفعالية الروحية في خفض حدة الغضب كسمة، وذلك في حدود علم الباحث، وبالتالي فإن الأهمية التطبيقية تأتي في سياق التحقق من فاعلية تلك التقنية، وتطبيقها على عينة تجريبية؛ لتعزيز القدرة على ضبط النفس، وإدارة، ومعالجة مشاعر الغضب، وتقليل من الميل للانخراط في السلوك السلبي، وبهذا فقد تكون تلك الدراسة مدخلاً مهماً في اعتمادها كاستراتيجية علاجية يمكن تطبيقها بسهولة.
- تتجلى أهمية الدراسة الحالية في تأصيلها لطريقة علاجية نفسية، نشأت في بيئات أجنبية، وطبقت في بيئات عربية، وعليه تكمن أهمية تقنية الحرية الانفعالية بربطها، بمرجعية إسلامية، وإعادة صياغتها بمحتوى ديني إسلامي، وذلك من خلال استخلاص بعض الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، وبعض الأدعية, والأذكار ، والاستفادة من اجتهادات العلماء المسلمين، وتضمينها في جلسات تقنية الحرية الانفعالية، والتي تنسجم مع ثقافة, وفلسفة المجتمع العربي المسلم، حيث من شأنها زيادة الفاعلية في خفض حدة الغضب لدى أفراد العينة، وأيضاً من المؤمل أن تمهد هذه الدراسة الطريق أمام العلماء، والباحثين إلى تأصيل النظريات السيكولوجية الغربية، والبرامج العلاجية, والإرشادية المنبثقة عنها.
- كما تكمن أهمية الدراسة في استهدافها لعينة من الفتيات ذوات الإعاقة السمعية، وهي عينة لم تنل الاهتمام الكافي بالبحث، والدراسة، فالمتابع للجهود البحثية يجد أن هذه الشريحة لم تستحوذ على اهتمام الدراسات العربية, والأجنبية بالقدر المطلوب، وذلك في حدود علم الباحث.
- قد يستفيد من هذه الدراسة المختصون، والعاملون في مجال الإرشاد النفسي، في تطبيق تقنية الحرية الانفعالية الروحية المستخدمة بالدراسة الحالية، بهدف خفض الانفعالات السلبية لدى ذوي الاعاقات المختلفة.

حدود الدراســـة:

تتحدد حدود الدراسة بالآتي:

الحد الموضوعي: فاعلية استخدام تقنية الحرية الانفعالية الروحية في خفض الغضب كسمة لدى الفتيات ذوات الإعاقة السمعية.

الحد المكاني: محافظة رفح

الحد الزماني: الربع الثالث من عام 2020

تعريف المصطلحات:

تقنية الحرية الانفعاليةEmotional Freedom Technique هي عبارة عن تدخل نفسي فسيولوجي يجمع بين عناصر العلاج المعرفي السلوكي، والعلاج بالتعريض، والتحفيز الجسدي، وذلك باستخدام العلاج بالربت على نقاط الطاقة المنتشرة في مناطق محددة في جسم العينة (Clond , 2016: 388)، ويعرفها الباحث إجرائياً: تقنية الحرية الانفعالية الروحية : Spiritual Emotional Freedom Technique : بتقنية مركبة

تجمع بين استراتيجيات روحانية متمثلة في أشكال الوضوء، والصلاة، والتدبر، والخشوع، والأدعية، والأذكار، و مسح، وتدليك مسارات الطاقة النفسية، بهدف إزالة المشاعر السلبية، وتحسين الحالة المزاجية، والذهنية.

الغضب كسمة: Anger as Feature وتقاس بحسب تعريف سبيلبيرجير(1983) Spelperger بلغة الكم بعدد المرات التي يشعر فيها المفحوص بحالة الغضب في وقت محدد، والشخص مرتفع الغضب يميل للاستجابة لكل المواقف, أو غالبيتها للغضب (عبد الرحمن وعبد الحميد، 1998: 9)، ويعرفها الباحث إجرائياً بالدرجة التي تحصل عليها المستجيبة على المقياس المستخدم بالدراسة الحالية.

الإعاقة السمعية: Hearing Impairment ويعرفها القمش (2000: 27). بمستويات متفاوتة تتراوح بين الضعف السمعي البسيط، والضعف السمعي الشديد جداً.

الدراسات السابقة:

يعرض الباحث الدراسات ذات الصلة بمتغيرات الدراسة الحالية، في محورين هما:

أولاً: دراسات سابقة استخدمت تقنية الحرية الانفعالية:

1- دراسة Chatwin, Porter, Devine,& Sheldon (2016) هدفت إلى تقييم فعالية العلاج المعرفي السلوكي, و تقنية الحرية الانفعالية في علاج الاكتئاب, والقلق المصاحب، وأجريت الدراسة على ثلاث مجموعات: المجموعة التجريبية الأولى، والتي تدربت على العلاج المعرفي السلوكي، والمجموعة التجريبية الثانية، والتي تدربت على تقنية الحرية الانفعالية، والمجموعة الثالثة هي المجموعة الضابطة، وبلغ قوام أفراد عينة الدراسة (30) مراهقاً، بواقع (10) مراهقين لكل مجموعة من المجموعات الثلاث، وبينت النتائج انخفاض الاكتئاب, والقلق المصاحب لدى أفراد المجموعة التجريبية الأولى، والتي تدربت على العلاج المعرفي السلوكي، كما بينت النتائج انخفاض الاكتئاب، والقلق المصاحب لدى أفراد المجموعة التجريبية الثانية، والتي تدربت على تقنية الحرية الانفعالية، وأظهرت نتائج قياس المتابعة استمرارية أثر العلاج المعرفي السلوكي, وتقنية الحرية الانفعالية في خفض الاكتئاب, والقلق المصاحب.

2- دراسة بشرى (2017). هدفت التحقق من فاعلية تقنية الحرية النفسية في تخفيف الخواف الاجتماعي، وتم تطبيق مقياس الخواف الاجتماعي، وتقنية الحرية النفسية على عينة مكونة من (17) طالبة ممن حصلن على درجات مرتفعة على مقياس الخواف الاجتماعي، وأظهرت نتائج الدراسة، فاعلية تقنية الحرية النفسية في تخفيف الخواف الاجتماعي.

3- دراسة رياض (2018). هدفت الكشف عن درجة فاعلية تقنية الحرية النفسية في علاج الخوف من الإخفاق عند الموهوبين رياضياً، وطبقت أدوات الدراسة على عينة تجريبية بلغ قوامها (12) طالبة، وأظهرت نتائج الدراسة وجود فروق بين القياسين القبلي، والبعدي على مقياس الخوف من الاخفاق لصالح القياس البعدي.

4- دراسة (2018) Tedtman, Massie, &Goodwinهدفت التحقق من فاعلية تقنية الحرية الانفعالية في إدارة الضغوط لدى عينة تجريبية بلغ قوامها (33) من طلبة التدريب الرياضي، وأظهرت نتائج الدراسة وجود فروق بين متوسطات درجات الطلبة في القياسات القبلية، والبعدية على مقياس إدارة الضغوط لصالح القياسات البعدية.

5- دراسة (2020) İnangila, , Vuralb, Doğanb , & Körpe هدفت إلى تحديد فاعلية العلاج بالموسيقى, وبتقنية الحرية الانفعالية، في خفض القلق الظرفي (كحالة) لدى طلبة كلية التمريض، وتكونت عينة الدراسة من (90) طالباً موزعين على ثلاث مجموعات بالتساوي: المجموعة التجريبية الأولى تدربت على العلاج بالموسيقى، والمجموعة التجريبية الثانية تدربت على العلاج من خلال تقنية

الحرية الانفعالية، والمجموعة الثالثة فهي المجموعة الضابطة، وأظهرت نتائج القياس البعدي فاعلية العلاج بالموسيقى, وبتقنية الحرية الانفعالية في خفض القلق لدى طلبة كلية التمريض.

6- دراسة Xanthou (2020) هدفت التحقق من تجربة تقنية الحرية الانفعالية في خفض الرهاب، تكونت عينة الدراسة من (7) أشخاص بالغين بواقع خمس سيدات، ورجلين تتراوح أعمارهم من (32 -60 سنة)، تلقوا جلسات تدريبية على تقنية الحرية الانفعالية، وأوضحت النتائج أن تقنية الحرية الانفعالية طريقة علاجية فعالة، وعملية مساعدة ذاتية، في خفض الرهاب.

ثانياً: دراسات سابقة استخدمت برامج تدريبية في خفض الغضب

1- دراسة Avci&Kelleci (2016) هدفت إلى تحديد أثر استراتيجيات معرفية سلوكية في التغلب على غضب المراهقين, وعدوانهم, وأعراضهم النفسية, وأجريت الدراسة على (62) مراهقاً، وتم توزيعهم على مجموعتين بالتساوي الأولى تجريبية، والأخرى ضابطة، وأظهرت نتائج الدراسة فاعلية الاستراتيجيات المعرفية السلوكية في التغلب على الغضب، وخفض مستويات العدوان، ومجموعة من الأعراض النفسية باستثناء اضطراب الجسدنة.

2- دراسة ZareZadeh&Askari (2016) هدفت إلي تحديد فعالية برنامج معرفي سلوكي في إدارة الغضب, والسيطرة عليه, وأثره في تعزيز الصحة النفسية لطلاب المدارس الثانوية، تكونت عينة الدراسة من (25) طالب في المجموعة الضابطة، و(25) في المجموعة التجريبية، وأظهرت نتائج الدراسة فاعلية العلاج المعرفي السلوكي في إدارة الغضب، والتحكم فيه، كما بينت النتائج التأثير الكبير للعلاج المعرفي السلوكي في تعزيز الصحة النفسية.

3- دراسة Amin, Bibi& Khawar (2018) هدفت إلى استكشاف أثر التدريب على إدارة الغضب في الحد من العدوان بين طلاب كليات الطب، أجريت الدراسة على عينة مكونة من (96) طالبًا, حصلوا على درجات مرتفعة في كل من مقاييس الغضب، والعدوان، وتم تقسيم أفراد العينة إلى مجموعتين الأولى تجريبية (48) طالباً، والمجموعة الأخرى ضابطة بواقع (48) طالباً، وأظهرت النتائج أنه كان هناك اختلاف كبير في درجات الغضب, والعدوان لدى المشاركين في المجموعة التجريبية مقارنة بالمجموعة الضابطة بعد تلقي التدخل لصالح التجريبية، حيث كان للتدريب على إدارة الغضب تأثير كبير على حياة الطلبة, وتقليل حدة غضبهم, وعدوانهم.

4- دراسة Serin (2019) هدفت تحديد فاعلية برنامج قائم على إدارة الغضب الجماعي في خفض الغضب، والعدوان, وحل المشكلات لدى المراهقين، واشتملت الدراسة على عينة مكنة من (36) طالبا، بواقع (18) في المجموعة التجريبية، و (18) في المجموعة الضابطة، وقد تبين من النتائج تعلم الطلاب طرق مختلفة للتعبير، بشكل مناسب، وأفضل في فهم مفهوم الغضب، كما لوحظ أن العلاج المعرفي السلوكي المستخدم يقلل من الغضب, والسلوكيات العدوانية.

5- دراسة المكانين, والخوالدة (2020) هدفت الدراسة التعرف إلى فاعلية التدريب على إدارة الغضب في خفض السلوك العدواني، وتحسين المرونة النفسية لدى عينة من الأطفال ذوي الإعاقة السمعية، بلغت (22) طفلاً تم تقسيم العينة إلى مجموعتين بالتساوي، الأولى تجريبية، والأخرى ضابطة، وبينت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد المجموعة التجريبية، وأفراد المجموعة الضابطة في القياس البعدي على مقياس كل من إدارة الغضب، والمرونة النفسية لصالح أفراد المجموعة التجريبية.

6- دراسة Hong&Kim (2020) هدفت إلى تطوير برنامج قائم على استراتيجيات إدارة الحالة الانفعالية، والتحقق من أثره في خفض الغضب، وزيادة الشعور بالامتنان، والسعادة الذاتية، لدى عينة من المراهقين المتأخرين دراسياً للمراهقين المتأخرين، وتكونت عينة الدراسة من (52) مراهقاً، بواقع (26) في المجموعة التجريبية, و(26) في المجموعة الضابطة، فيما يتعلق بالسعادة الذاتية، وأظهرت نتائج الدراسة قدرة استراتيجيات إدارة الحالة الانفعالية في خفض حدة الغضب، وزيادة الشعور بالامتنان, والسعادة الذاتية.

إجـــراءات الدراســـة:

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهج شبه التجريبي، كونه من أنسب مناهج البحث العلمي لأهداف الدراسة الحالية، وقد استخدم الباحث أسلوب المجموعة التجريبية الواحدة، والمستند على القياس القبلي، والبعدي، والتتبعي.

عينة الدراسة: لانتقاء أفراد عينة الدراسة التجريبية قام الباحث بإجراء قياس تشخيصي على عينة بلغ قوامها (44) فتاة من الفتيات ذوات الإعاقة السمعية في محافظة رفح، ويأتي هذا الإجراء كوسيلة تشخيصية للوصول إلى عينة الدراسة الفعلية، وقد وقع الاختيار على (10) فتيات تتراوح أعمارهن من (21-23) سنة، ممن حصلن على درجات مرتفعة على مقياس الغضب كسمة، ونظراً لخصوصية طبيعة أفراد العينة، ولتيسير فهم، واستيعاب محتوى الجلسات، استعان الباحث بخبيرة متخصصة في لغة الإشارة خلال تطبيق جلسات التقنية.

أدوات الدراسة:

أولاً: مقياس الغضب كسمة:

وصف المقياس: استخدم الباحث في الدراسة الحالية مقياس الغضب كسمة من إعداد سبيلبيرجير، ولندن (Spielberger&London) تعريب, وتقنين عبد الرحمن, وعبد الحميد (1998), ويتكون هذا المقياس من (15) فقرة، وبإمكان المستجيبة، الإجابة على فقرات المقياس من خلال اختيار أحد البدائل الأربعة الموضوعة أمام كل فقرة من فقرات المقياس، وتصحح الإجابات على فقرات المقياس على النحو التالي: (يحدث دائماً= 4 درجات)، و(يحدث غالباً= 3 درجات)، و (يحدث أحياناً= 2 درجة)، و(لا يحدث إطلاقاً= 1 درجة)، وتبلغ الدرجة العظمى للمقياس (60 درجة)، وتبلغ الدرجة الصغرى للمقياس (15 درجة)، وللتحقق من الصدق الظاهري للمقياس، تم عرضه على عدد (5) من المختصين في المجال السيكولوجي، وقد تمت الاستجابة لملاحظات السادة المختصين بإجراء بعض التعديلات الطفيفة، والتي تمحورت في إعادة صياغة لبعض الفقرات. وللتأكد من الخصائص السيكومترية للمقياس قام الباحث بتطبيقه على عينة استطلاعية بلغ قوامها (30) من الفتيات ذوات الإعاقة السمعية، من خارج عينة الدراسة الفعلية، وللتحقق من الاتساق الداخلي، تم حساب معامل ارتباط كل فقرة مع الدرجة الكلية للمقياس.

الجدول 1 معاملات ارتباط الفقرات مع الدرجة الكلية للمقياس

م	الفقـــرات	معامل

.1	طباعي حادة وعنيفة.	**0.84
.2	أنا سريعة الانفعال.	**0.75
.3	أنا شخصية متهورة.	**0.68
.4	أغضب بشدة عندما يطلب مني توضيح أخطائي.	**0.77
.5	أغضب بشدة عندما ينتقدني الآخرين.	**0.82
.6	أغضب عندما يتم تعطيلي عن أمر ما.	**0.79
.7	أشعر بالغيظ عندما أعمل شيء جيد ثم أحصل على تقدير	**0.66
.8	ألقي ما في يدي عندما أغضب.	**0.76
.9	أشعر بالضيق عندما لا يقدر الآخرين أعمالي.	**0.84
.10	يضايقني الأشخاص الذين يعتقدون أنهم على حق.	**0.76
.11	أقول ألفاظ بذيئة عندما ينتابني الغضب.	**0.68
.12	أشعر بالسخط.	**0.74
.13	أشعر بالتوتر.	**0.69
.14	عندما أصاب بالإحباط أشعر كما لو كنت أريد أن أضرب شخصاً	**0.77
.15	أشعر أن دمي يغلي عندما أقع تحت الضغط.	**0.73

قيمة r الجدولية عند مستوى دلالة 0.01 ودرجة حرية (30-2) تساوي 0.496

قيمة r الجدولية عند مستوى دلالة 0.05 ودرجة حرية (30-2) تساوي 0.388

الثبـــات: تم حساب ثبات الأداة بطريقتين: معامل كرونباخ ألفا والتجزئة النصفية

الجدول (2) معامل الثبات بطريقة كرونباخ ألفا والتجزئة النصفية

	معامل كرونباخ ألفا	التجزئة النصفية	
		قبل التعديل	بعد التعديل
الدرجة الكلية	0.85	0.77	0.80

يتضح من الجدول (2) أن معامل كرونباخ ألفا يساوي (0.85)، كما أن معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية قبل التعديل بلغ (0.77) , وبلغ معامل الثبات بعد التعديل (0.80)، وهذا يدلل على أن مقياس الغضب كسمة يتمتع بدرجة ثبات مرتفعة، الأمر الذي يطمئن الباحث إلى النتائج المتحصل عليها.

ثانياً: تقنية الحرية الانفعالية الروحية: إعداد الباحث

القياس القبلي: تطبيق مقياس الغضب كسمة على أفراد المجموعة التجريبية	
الجلسة الأولى:	
أهدا ف الجلسة	التعارف المشترك بين الباحث, وأفراد المجموعة التجريبية، و إيجاد روح من التعاون, وخلق جو من الألفة, والثقة، وكسر حاجز الخوف ، والخجل، و التعرف على ماهية تقنية الحرية الانفعالية الروحية ، و مناطق الطاقة في الجسم، و المساعدة على تطبيق هذه التقنية للتخلص من المشاعر السلبية
مدة الجلسة	ساعة
• يستقبل الباحث " أفراد المجموعة التجريبية", ويرحب بهم، ويعرفهم بنفسه، ويخبرهم بأنه بصدد إعداد دراسة بعنوان " استخدام تقنية الحرية الانفعالية الروحية لخفض حدة الغضب لدى عينة من الفتيات ذوات الإعاقة السمعية "، ويوضح أن متطلبات هذه الدراسة تقتضي تصميم تقنية الحرية الانفعالية الروحية يتم تطبيقها على عينة تجريبية. • تهدف هذه التقنية التخلص من الانفعالات السلبية، وترى هذه التقنية، أن السبب في تكوين أي انفعال	

سلبي هو خلل في نظام طاقة الجسم، وعند زوال هذا الخلل، يتم التخلص من الاضطراب الانفعالي. هذه التقنية سهلة التطبيق، وذات مردود إيجابي سريع, ومدهش, ويتم التخلص من الانفعالات السلبية في وقت قصير، و لتنشيط نقاط الطاقة يلجأ المعالج إلى المس الخفيف بنهاية أصبع اليد على نقاط معينة في الجسم، فيتحقق ما نريده من العلاج.

• يوضح الباحث بالصور مناطق جسم الإنسان التي تبعث الطاقة الحيوية، مثل: الحاجب، و جانب العين، و تحت العين، و تحت الأنف ، وتحت الشفتين، وتحت عظمة الترقوة ، و تحت الذراعين ، ساعد اليد من الداخل ، ساعد اليد من الخارج "الجهة المقابلة" ، أعلى الرأس. (أنظر لصورة التوضيحية)

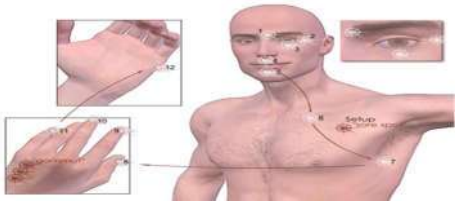

الجلسة الثانية :	
أهداف الجلسة	• التعرف على فوائد تقنية الحرية الانفعالية الروحية • المساعدة على تطبيق هذه التقنية. • التخلص من المشاعر السلبية
مدة الجلسة	ساعتان

- يعرض الباحث فوائد تقنية الحرية الانفعالية الروحية وهذه الفنية قوية وفعالة حيث تساعدك في إدارة الصحة النفسية. وتستطيع علاج وتخفيف الأعراض مثل الأوجاع والآلام والخوف المرضي والمخاوف والقلق والإجهاد، والغضب، وخفض حدة الضغوط النفسية، وهي أداة عملية تساعد الشخص ليساعد نفسه، وهي في واقع الأمر يمكن أن تطبق شخصياً(إذا تم إتقانها) أو عن طريق ممارس(متخصص).
- يشير الباحث أن الإنسان قد يمارس تطبيق تقنية الحرية الانفعالية الروحية بدون قصد، و بشكل لا شعوري، مثل أن يقوم بوضع يده على رأسه، أو فرك مناطق عديدة في الجسم كالرأس، والأنف، والوجه، والعينين، والرقبة، والصدر، والضرب على الطاولة باليد، ونلحظ أن هناك اشخاص قد تعودوا على إجراء هذه الممارسات، فتقنية الحرية الانفعالية الروحية ، تتلخص في أنها عبارة عن الربت على نقاط محددة بالجسم، باستخدام أصابع اليد مع ترديد آيات قرآنية، وأدعية, وأذكار.
- يوضح الباحث كيفية تفريغ الطاقة من الجسم، ومعالجة المشاعر السلبية الناتجة عن نوبات الغضب من خلال: الصلاة، فهي أفضل وسيلة لمعالجة تلك الاضطرابات, وتفريغ الطاقة هي: وضعية السجود على الأرض، فالله سبحانه وتعالى فرض الصلاة على عباده, وجعلها موقوتة بخمسة أوقات في اليوم، وهذا يشير إلى المعالجة المستمرة على مدار اليوم لما يعتري النفس, والجسد من اضطرابات، فالصلاة راحة للفرد من عناء الحياة؛ فالوضوء, والصلاة تحدث بالنفس طمأنينة, وهدوء, وتخشع الجوارح، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَسْبِغْ الْوُضُوءَ ثُمَّ اسْتَقْبِلْ الْقِبْلَةَ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ بِمَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنْ الْقُرْآنِ ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ

قَائِمًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا. (ابن ماجة، جـ1، صـ 336: حديث رقم 1060). كما أن الحركة البدنية تغير من وضعية الفرد المنفعل ، ولعل في هذا التغيير مساعدة الفرد على تغيير الجوانب البيولوجية في نفس الوقت، فان الفرد كلما ابتعد عن وضع الوقوف، ابتعد عن الإحساس بالقوة التي يستثيرها انفعال الغضب، فيجب على الغاضب الجلوس إن كان واقفاً, ويضطجع إن كان جالساً، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صل الله عليه وسلم وَإِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ تَتَوَقَّدُ أَلَمْ تَرَوْا إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذَلِكَ فَلْيَجْلِسْ أَوْ قَالَ فَلْيَلْصَقْ بِالْأَرْضِ. (الترمذي، جـ 4، صـ 483: حديث رقم 2191)

- يوضح الباحث تأثير عملية الوضوء على مناطق الطاقة في الجسم، حيث يتم من خلال تدليك النقاط الأساسية الموجودة في شبكة الطاقة، بالوجه, والساعدين, والرأس, والقدمين الأمر الذي يؤدي إلى حدوث تنشيط دائم لتلك النقاط في الجسم, وكلما كان ذلك التنشيط متجدداً على مدار اليوم، كان أفضل؛ فاستخدام الماء يغير من الموقف الذي يقف فيه الفرد، بالإضافة إلى آثاره على الجسم، مما يؤدي إلى تغيير الحالة الفيزيولوجية الناشئة عن الغضب.

الجلسات العملية

المرحلة الأولى: مرحلة الإعداد Set Up

- يبدأ الباحث بتهيئة أفراد المجموعة التجريبية على تنفيذ مراحل تقنية الحرية الانفعالية الروحية، وذلك بالطلب قبل إجراء المراحل العملية الوضوء، والصلاة بشكل جماعي.
- يقدم الباحث لأفراد عينة الدراسة أداة قياس تقدير ذاتي لتقدير حجم الغضب الذي يواجهونه، والآداة تتكون من تدرج يبدأ من درجة صفر- 10 , ويشكل قمة الغضب، وينتهي بالرقم, ويشكل انخفاض حدة الغضب.
- 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10
- يطلب الباحث من كل فرد من أفراد المجموعة التجريبية تقدير درجة الغضب لديه، وبعد ذلك يتم تطبيق إجراءات المرحلة الأولى وضع الإعداد Set Up بشكل جيد ، وذلك بتحديد نقطة المعاناة Pain Spot، والتدرب على ترديد الدعاء التالي 3 مرات: (لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات, ورب الأرض, ورب العرش الكريم، بسم الله الكبير، أعوذ بالله العظيم من شر عرق نعار، ومن شر حر النار).
- هنا نجد أن الغاضب يعيش بكيانه كله مع ربه، ويتطلع إليه في ثقة، ويتوجه إليه في حب؛ وأنه يصفه كأنه يراه ، ويحس وقع نعمه،وفضله عليه بقلبه, ومشاعره, وجوارحه.. إنه الاستسلام المطلق في طمأنينة، وراحة، وثقة، ويقين.
- يطلب الباحثان من أفراد المجموعة التجريبية إعادة تطبيق هذه المرحلة بشكل دقيق مع وضع الدرجة المناسبة على التقدير الذاتي بعد التطبيق. 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

المرحلة الثانية: الضغط على نقطة أعلى الرأس [النافوخ]

- يوضح الباحث أهمية نقطة أعلى الرأس، والتي تعمل على تنشيط الفصوص الأربعة للمخ، ويطلب من فرد من أفراد المجموعة التجريبية تطبيق المرحلة الأولى, وهي مرحلة الإعداد، والتي تتضمن تحديد المشكلة التي يواجهونها ثم تحديد حجم المعاناة على مقياس التقدير الذاتي.

- 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

- يطلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية النقر على منطقة أعلى الرأس باستخدام كلتا اليدين مع ترديد الدعاء التالي 3 مرات (بسم الله على عقلي، بسم الله على عصبي، بسم الله على قلبي، بسم الله على جميع بدني، بسم الله على كل شيء أعطاني ربي).
- يطلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية إعادة تطبيق هذه المرحلة بشكل دقيق مع وضع الدرجة المناسبة على التقدير الذاتي بعد التطبيق.

0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

المرحلة الثالثة: الضغط على نقطة الحاجب، جانب العين، وتحت العين.

- يقارن الباحث بين نقطة الحاجب ، نقطة جانب العين ، و نقطة تحت العين, ويطلب من أفراد المجموعة التجريبية تطبيق المرحلة الأولى، وهي مرحلة الإعداد، والتي تتضمن تحديد المشكلة التي يواجهونها ثم تحديد حجم المعاناة على مقياس التقدير الذاتي. 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10
- يطلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية التدرب على الضغط على نقطة جانب العين، و نقطة تحت العين باستخدام كلتا اليدين مع ترديد الدعاء ثلاث مرات (بسم الله أرفيني، من كل شيء يؤذيني، ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيني، بسم الله أرقيني)، يطلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية إعادة تطبيق هذه المرحلة بشكل دقيق مع وضع الدرجة المناسبة على التقدير الذاتي بعد التطبيق. 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

المرحلة الرابعة: الضغط على نقطة تحت الأنف.

- يعرف الباحث نقطة تحت الأنف، ويطلب من أفراد المجموعة التجريبية تطبيق المرحلة الأولى، وهي مرحلة الإعداد، والتي تتضمن تحديد الانفعال الذي يعتريهم, ثم تحديد حجم المعاناة على مقياس التقدير الذاتي.

- 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

- يطلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية التدرب على الضغط على نقطة تحت الأنف باستخدام أصابع اليد اليمين مع ترديد الدعاء التالي ثلاث مرات (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه)
- يطلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية إعادة تطبيق هذه المرحلة بشكل دقيق مع وضع الدرجة المناسبة على التقدير الذاتي بعد التطبيق. 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

المرحلة الخامسة: الضغط على نقطة تحت الشفة

- يعرف الباحث نقطة تحت الشفة، ويطلب من أفراد المجموعة التجريبية تطبيق المرحلة الأولى، وهي مرحلة الإعداد ، والتي تتضمن تحديد حجم المعاناة على مقياس التقدير الذاتي.

- 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

- يطلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية التدرب على الضغط على نقطة تحت الفم باستخدام أصابع اليد اليمين مع ترديد الدعاء التالي ثلاث مرات (أفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد).

- يطلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية إعادة تطبيق هذه المرحلة بشكل دقيق مع وضع الدرجة المناسبة على التقدير الذاتي بعد التطبيق. 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

المرحلة السادسة: الضغط على نقطتي الترقوة

- يحدد الباحث نقطتي الترقوة، وهي ملتقى القفص مع الترقوة مع الضلع الأول في الصدر، ويطلب من أفراد المجموعة التجريبية تطبيق المرحلة الأولى, وهي مرحلة الإعداد، والتي تتضمن تحديد المشكلة التي يواجهونها، ثم تحديد حجم المعاناة على مقياس التقدير الذاتي. 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

* يطلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية التدرب على الضغط على نقطتي الترقوة باستخدام أصابع اليد اليمنى واليسرى مع ترديد الآية القرآنية الكريمة (الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّـهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّـهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ). [سورة الرعد : 28]، وترديد الآية القرآنية التالية: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) [يونس: 57] يطلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية إعادة تطبيق هذه المرحلة بشكل دقيق مع وضع الدرجة المناسبة على التقدير الذاتي بعد التطبيق. 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

المرحلة السابعة: مرحلة: الضغط على نقطة ضربة الكاراتيه.

- يحدد الباحث نقطة ضربة الكاراتيه، ويطلب من أفراد المجموعة التجريبية تطبيق المرحلة الأولى، وهي مرحلة الإعداد، والتي تتضمن تحديد المشكلة التي يواجهونها ،ثم تحديد حجم الألم على مقياس التقدير الذاتي.
  0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10
- تقع نقطة ضربة الكاراتيه في منتصف اليد على الجزء الخارجي من كلا اليدين، بين المعصم, وبين قاعدة اصبع الخنصر، فبدلاً من تدليك نقطة الألم أن تجري الربت بقوة على نقطة ضربة الكاراتيه بأطراف أصابع السبابة، والوسطى من اليد الأخرى، وإذا كنت تستطيع استخدام نقطة ضربة الكاراتيه لكلا اليدين فإنه من الأنسب أن تستخدم نقطة ضربة الكاراتية لليد غير المستعملة, وتجري الاحتكاك باليد المستعملة، فلو إنك أيمن مثلاً، يمكنك استعمال نقطة ضربة الكاراتية لليد اليسرى، على أن تجري عملية الربت باليد اليمنى.
- يطلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية التدرب على الضغط على نقطة ضربة الكاراتية مع ترديد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم, وترديد الآية القرآنية (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) ، يطلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية إعادة تطبيق هذه المرحلة بشكل دقيق مع وضع الدرجة المناسبة على التقدير الذاتي بعد التطبيق. 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

المرحلة الثامنة: الضغط على نقاط أصابع اليد

- يحدد الباحث نقاط أصابع اليد، ويطلب من فراد المجموعة التجريبية تطبيق المرحلة الأولى، وهي مرحلة الإعداد، والتي تتضمن تحديد المشكلة التي يواجهونها، ثم تحديد حجم المعاناة على مقياس التقدير الذاتي.

0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

- يطلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية التدرب على الضغط على نقاط أصابع اليد مع تريد سبحان الله (3) مرة، والحمد لله (3) مرة، والله أكبر (3) مرة، كما يطلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية إعادة تطبيق هذه المرحلة بشكل دقيق مع وضع الدرجة المناسبة على التقدير الذاتي بعد التطبيق.

0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

المرحلة التاسعة : مرحلة الجاموت والإجراءات التسعة:

- يوضح الباحث منطقة نقطة الجاموت "The Gamut"، وهي تقع على ظهر اليدين اليمنى, أو اليسرى ، ولمعرفة مكان هذه النقطة، يمكنك وضع أحد أصابعك بين مفاصل إصبعي الخنصر, والبنصر، واضغط هناك ثم حركهما تجاه الرسغ، بعد نحو 1 سم من نقطة البداية عندها ستشعر بفراغ قد يعلق إصبعك به, هذه هي نقطة الجاموت.

- يشير الباحث إلى طريقة الضغط على نقطة الجاموت خلال تنفيذ الخطوات التسعة:
- يطلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية تطبيق المرحلة الأولى، وهي مرحلة الإعداد، والتي تتضمن تحديد المشكلة التي يواجهونها, ثم تحديد حجم المعاناة على مقياس التقدير الذاتي.

0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

- يطلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية البدء بتطبيق الخطوة الأولى من مرحلة الجاموت، وهي .
- الضغط على منطقة الجاموت مع فتح العينيين.
- الضغط على منطقة الجاموت مع غلق العينيين.
- تثبيت الرأس مع تحريك العينين لأسفل اليمين.
- تثبيت الرأس مع تحريك العينين لإسفل اليسار.
- تحريك العينين في اتجاه عقارب الساعة.
- تحريك العينين في عكس اتجاه عقارب الساعة.
- يتم ذكر الله، والصلاة على النبي صل الله عليه وسلم عشر مرات.
- الاستغفار ثلاث مرات.
- يطلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية عند البدء بكل خطوة من الخطوات المشار إليها أعلاه، قراءة المعوذات، كما يطلب الباحث من أفراد المجموعة التجريبية إعادة تطبيق هذه المرحلة بشكل دقيق مع وضع الدرجة المناسبة على التقدير الذاتي بعد التطبيق.

0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

- وفي نهاية التدريب يناقش الباحث مع افراد المجموعة التجريبية، ما تم استعراضه في الجلسات السابقة، ويتيح لهم فرصة الاستفسار عن أية نقاط قد تكون غير واضحة بالنسبة لهم.
- يطلب الباحث من كل فرد من أفراد المجموعة التجريبية تطبيق تقنية الحرية الانفعالية الروحية بشكل

كامل، ثم استخدام مقياس التقدير الذاتي كلما لزم الأمر.

- يخبر الباحث أفراد المجموعة التجريبية بأنه سوف يقوم بمتابعة أثر التقنية بعد نحو شهر للتأكد من استمرار فاعلية تقنية الحرية الانفعالية، وتقصي مدي تقدم, وتحسن وضعهم نحو الأفضل.
- وبالختام يجري الباحث تطبيق مقياس الغضب كسمة كقياس بعدي.

الأساليب الإحصائيـــة: لحساب صدق، وثبات أداة الدراسة استخدم الباحث المعالجات الإحصائية التالية: الاتساق الداخلي، والتجزئة النصفية، ومعامل كرونباخ ألفا، وللإجابة على أسئلة الدراسة استخدم الباحث اختبار ويلكوكسون (Wilcoxon) لعينتين مرتبطتين .

نتائـــج الدراســـة:

نص الســـــؤال الأول: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات رتب أفراد المجموعة التجريبية في القياسين القبلي، والبعدي على مقياس الغضب كسمة؟ وللإجابة عن هذا السؤال تم استخدام اختبار ويلكوكسون(Wilcoxon) لعينتين مرتبطتين، والجدول رقم (3) يوضح ذلك.

جدول (3) يوضح نتائج اختبار ويلكوكسون وقيمة (Z) للفروق بين متوسطات رتب درجات المجموعة التجريبية في القياسين القبلي والبعدي على مقياس الغضب كسمة.

المقياس	الـــرتب	العـــدد	متوسط الرتب	مجموع الرتب	قيمة Z	مستوى الدلالة
الغضب كسمة	الرتب السالبة	10	5.50	55	- 2.80	0.005
	الرتب الموجبة	0	0.00	0.00		
	الرتب المتعادلة	0				

يتضح من الجدول رقم (3) وجود فروق دالة احصائيا بين متوسطات رتب أفراد المجموعة التجريبية في القياسين القبلي, والبعدي على مقياس الغضب كسمة، لصالح القياس البعدي، وتشير هذه النتيجة إلى أن الفتيات اللواتي تعرضن لتقنية الحرية الانفعالية الروحية، أظهرن انخفاضاً كبيرًا في حدة الغضب، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (Puspitaningrum & Wijayanti ,2012), والتي أشارت إلى أثر تقنية الحرية الانفعالية, والروحية في خفض القلق, والاكتئاب، والضغوط، كما تتفق هذه النتيجة مع دراسة (Safitri & Sadif,2013), والتي خلصت نتائجها إلى انخفاض مستوى الاكتئاب، وتتسق هذه النتيجة إلى حد كبير مع دراسة2018 (Rosyanti, et.)، والتي أكدت على التأثير الكبير, والفوري لتقنية الحرية الانفعالية المدمجة بالقرأن الكريم في تحسين الحالة النفسية، والإدراكية، وتنسجم هذه النتيجة مع نتيجة دراسة Aftrinanto, Hayati, & Urbayatun,2018)), والتي بينت أهمية استخدام تقنية الحرية الانفعالية الروحية في تحسين جودة حياة النساء. كما تتسق هذه النتيجة مع دراسة (Fachrin, et. Al 2020) ، والتي أظهرت دور تقنية الحرية الانفعالية, والروحية في خفض متاعب العمل. ويعزو الباحث التأثير الإيجابي, والفعال إلى التدخل الإرشادي القائم على الدمج بين التطبيقات العملية لتقنية الحرية الانفعالية, والممارسات الروحانية، من قبيل : الوضوء، والإطالة

في إسباغ الماء، و التركيز على تدليك مركز الطاقة أثناء الوضوء، الأمر الذي قد يؤدي إلى إعادة التوازن، فمن الطبيعي أن تتأثر مسارات الطاقة في الجسم، وتنسجم هذه النتيجة مع حديث رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم القائل: " إِنَّ الْغَضَبَ مِنْ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنْ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ" ، كذلك يعزو الباحث هذه النتيجة إلى الدور المهم للصلاة , وما يتخللها من خشوع، وتدبر ، وإطالة في الركوع, والسجود؛ فالصلاة تُحدث في النفس حالة من الاسترخاء، و الطمأنينة والهدوء النفسي، والصفاء العقلي، وتساعد على التروي، والتأمل, والتفكير القائم على الحكمة، وتنسجم هذه الطريقة مع ما كان يفعله رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فكان إذا حزَبَه أمرٌ فَزِع إلى الصلاة، أو ما كان يقوله النبي صل الله عليه وسلم لسيدنا بلال: "أرِحنا بها يا بلال"، كذلك يرجع الباحث هذه الفاعلية القوية إلى المزج بين الممارسة العملية (الربت على مناطق الطاقة في الجسم)، وترديد الأذكار, والأدعية ، فبدلاً من ترديد عبارات الإثبات المعمول بها في تقنية الحرية الانفعالية, والتي تنص على (رغم أنني أشعر بهذا الغضب إلا أنني أجد نفسي على ما يرام)، أصبح يردد خلال عملية الربت على مسارات الطاقة بعض الآيات القرآنية، و الأذكار، والأدعية، فهذا التكامل, والمزاوجة بين فنيات تقنية الحرية الانفعالية, وتلك الآيات، و الأدعية، والأذكار، له أثر في خفض حدة الغضب، وتتسق هذه النتيجة مع قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد: 28]، ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾[سورة الشورى: 37]، ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[فصلت: 36]، كما تنسجم مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم , وحثه على التعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند الغضب " إِنِّي لأعلَمُ كَلِمةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عنْهُ مَا يجِدُ، لوْ قَالَ: أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ذَهَبَ منْهُ مَا يجِدُ"، كذلك يعزو الباحث هذه النتيجة إلى دور الدين الإسلامي، في إعادة صياغة مفهوم الذات الإيجابي نحو الإعاقة، والتعامل الإيجابي مع حالات الكرب, والشدة النفسية.

نص الســـــؤال الثاني: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات رتب أفراد المجموعة التجريبية في القياسين البعدي، والتتبعي على مقياس الغضب كسمة؟ و للإجابة عن هذا السؤال تم استخدام اختبار ويلكوكسون (Wilcoxon) لعينتين مرتبطتين، والجدول (4) يوضح ذلك.

جدول (4) يوضح نتائج اختبار ويلكوكسون وقيمة (Z) للفروق بين متوسطات رتب درجات المجموعة التجريبية في القياسين البعدي والتتبعي على مقياس الغضب كسمة.

المقياس	الـرتب	العـدد	متوسط الرتب	مجموع الرتب	قيمة Z	مستوى
الغضب كسمة	الرتب السالبة	3	3.50	10.5	- 0.816	0.414
	الرتب الموجبة	2	2.25	4.5		
	الرتب المتعادلة	5				

يتضح من الجدول رقم (4) عدم وجود فروق دالة احصائيا بين متوسطات درجات أفراد المجموعة التجريبية في القياس البعدي, والتتبعي على مقياس الغضب كسمة، وتدلل هذه النتيجة على استمرارية, وديمومة فاعلية تقنية الحرية الانفعالية الروحية، في خفض حدة الغضب، ويمكن تفسير هذه النتيجة في ضوء مجموعة من الأسس العامة التي تستند عليها البرامج الإرشادية، ومن أهم هذه الأسس: أن السلوك الإنساني يكتسب عن طريق

التعلم, والتدريب، وقابلية السلوك الإنساني للتعديل، والتغيير، والقدرة على استيعاب الخبرات، و المعلومات الجديدة, وتمثلها في البنية المعرفية، والعمل على تعديلها، وأيضاً الأساس الفلسفي، فالانسجام تام بين أنشطة التقنية مع الفلسفة الإسلامية لأفراد عينة الدراسة، وقد يعزو الباحث هذه النتيجة إلى أن تقنية الحرية الانفعالية الروحية من التقنيات الإرشادية سهلة التعلم, والتطبيق، وباستطاعة أي فرد تعلمها، وإتقانها، وتطبيقها في أي ظرف، وأي وقت متى شاء، وقد يمارسها الشخص نفسه دون الحاجة إلى أخصائي, أو مرشد، كما أنها وسيلة علاجية منخفضة التكاليف، كما يعزو الباحث هذه النتيجة إلى خصوصية أفراد العينة، فالمسلم يواظب، وبشكل يومي على الوضوء، والصلوات، والتسبيح، والاستغفار، والأذكار.

التوصيات:

انطلاقاً مما أسفرت عنه نتائج الدراسة الحالية يمكن التوصية بالآتي:

- اعتماد تقنية الحرية الانفعالية الروحية كاستراتيجية إرشادية، وتأهيل الأخصائيين النفسيين وإكسابهم المعارف والمهارات اللازمة لاستخدامها.
- دمج المنهج القرآني، والسنة النبوية في البرامج التدريبية السيكولوجية المختلفة، مما يزيد من فاعلية تلك البرامج في خفض الانفعالات السلبية بما فيها الغضب.
- تطبيق التقنية المستخدمة بالدراسة الحالية على ذوي الاعاقات المختلفة بهدف خفض حدة الغضب لديهم.

المصادر والمراجـــــع:

القرآن الكريم:

البحيري، محمد (2008). خفض الغضب بالتشريط تحت العتبة الإدراكية البصرية لتعديل السلوك اللاتكيفي لدي عينة من الأطفال المصابين بأعراض داون، *المجلة المصرية للدراسات النفسية*، 18، (59): 245- 298.

بشرى، صموئيل (2017). استخدام تقنية الحرية النفسية في تخفيف الخواف الاجتماعي لدى طالبات كلية رياض الأطفال، *مجلة كلية التربية جامعة الإسكندرية*، 27، (1)، 231- 270.

البوبي، عبد الرحمن (2010). *دور التعليم العالي في تأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة السمعية*، الإصدار السادس والعشرون، مركز الدراسات الاستراتيجية: جامعة الملك عبد العزيز.

الحمدان، فهد (1430هـ). *فن إدارة الغضب*، ط1، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

حنفي، علي (2002). مشكلات المعاقين سمعياً كما يدركها معلمو المرحلة الابتدائية في ضوء بعض المتغيرات، *مجلة كلية التربية ببنها*، 12،(53): 136- 181.

خضر، عبد الباسط (2000). فعالية الارشاد النفسي الديني, والتدريب على المهارات الاجتماعية, والدمج بينهما في خفض حدة الغضب لعينة من المراهقين، *مجلة كلية التربية جامعة عين شمس*، (24)، الجزء 3: 217- 252.

الخوالدة، سناء (2017). فاعلية برنامج إرشاد جمعي معرفي سلوكي في خفض الغضب, وتحسين التكيف النفسي لدى طلاب كلية الحقوق في جامعة فيلادلفيا، *مجلة دراسات - العلوم التربوية الجامعة الأردنية*، 44: 53- 70.

رياض، عاصم (2018). فاعلية تقنية الحرية النفسية في خفض الخواف من الإخفاق لدى عينة من طالبات الجامعة الموهوبات رياضياً، *المجلة المصرية للدراسات النفسية*، 28، (99)، 257- 290.

الشناوي، محمد محروس (2001). الإرشاد, والعلاج النفسي، (بحوث في التوجيه الإسلامي والعلاج النفسي)، القاهرة، دار غريب للطباعة, والنشر, والتوزيع.

الصايغ، فالنتينا (2016). برنامج فني مقترح قائم على الإرشاد السلوكي لخفض حدة الغضب لدى عينة من التلاميذ الصم ذوي النشاط الزائد، *مجلة دراسات تربوية, واجتماعية جامعة حلوان*، 22، (2): 193- 236.

عبد الرحمن، محمد, وعبد الحميد، فوقية (1998). *مقياس الغضب كحالة وسمة*، القاهرة، دار قباء للطباعة, والنشر, والتوزيع.

علاء الدين، جهاد (2018). أثر الإرشاد الجمعي في خفض أعراض الغضب لدى أطفال اللاجئين السوريين في الأردن، *المجلة الأردنية في العلوم التربوية*، 14، (1): 27-41.

عليان، محمد, وعسلية، عزت (2006). فعالية العلاج القائم على المعنى, والتدريب على المهارات الاجتماعية في خفض حدة الغضب لدى عينة من الأطفال، *مجلة القراءة, والمعرفة جامعة عين شمس*، (54): 130- 163.

القراش، نجاه, وعبد الخالق، شادية (2017). فاعلية فنيات تعديل السلوك في خفض الغضب؛ لتحسين التواصل الاجتماعي لدى تلاميذ مرحلة الشق الثاني من مرحلة التعليم الأساسي، *مجلة البحث العلمي في التربية جامعة عين شمس - كلية البنات للآداب, والعلوم, والتربية*، (18)، الجزء 4: 483- 510.

القمش، مصطفى (2000). *الإعاقة السمعية, واضطرابات النطق, واللغة*، الأردن: دار الفكر.

المكانين هشام, والخوالدة، محمد (2019). فاعلية التدريب على إدارة الغضب في خفض السوك العدواني, وتحسين المرونة النفسية لدى عينة من الأطفال ذوي الإعاقة السمعية في مدينة عمان، *مجلة العلوم النفسية, والتربوية جامعة البحرين*، 20(2): 43-72.

نجاتي، محمد عثمان (2005): القرآن, وعلم النفس، ط8، القاهرة: دار الشروق.

Avci, D.&Kelleci M. (2016). Effects of the Anger Coping Programme based on cognitive behavioral techniques on adolescents' anger, aggression and psychological symptoms, *International Journal of Nursing Practice*, 22(2): 189-196.

Aftrinanto, Z. Hayati, E.& Urbayatun.S.(208). the influence of Spiritual Emotional Freedom Technique in improving the quality of life in women who experienced landslide disaster in Purworejo*, Journal Studia Insania*,6, (1): 69-89.

Amin, R. Bibi, Z.& Khawar, R. (2018). Impact of anger management training in reducing anger & aggression among medical students, *Rawal Medical Journal* ,43(1): 151-155.

Bach, D., Groesbeck, G., Stapleton, P., Sims, R., Blickheuser, K., & Church, D. (2019). Clinical EFT (Emotional Freedom Techniques) Improves Multiple Physiological Markers of Health. *Journal of Evidence-Based Integrative Medicine,* 24. Pp 1-12; https://doi.org/10.1177/2515690X18823691

Chatwin, H. Porter, B Devine, Sh. Sheldon, T. (2016). The Effectiveness of Cognitive Behavioral Therapy and Emotional Freedom Techniques in Reducing Depression and Anxiety Among Adults: *A Pilot Study, Integrative Medicine*, 15, (2), 27-34.

Clond, M. (2016). Emotional Freedom Techniques for Anxiety A Systematic Review With Meta-analysis, *The Journal of Nervous and Mental Disease* (204), (5), 388- 395.

Clond, M. (2016). Emotional Freedom Techniques for Anxiety A Systematic Review With Meta-analysis, The Journal of Nervous and Mental Disease, 204,(5): 388- 395.

Fachrin, S. Amelia, R. Farinah, K. (2020). The Effectiveness of Spiritual Emotional Freedom Technique (SEFT) Therapy against the Reduction of Work Fatigue in PT WIKA Beton Makassar , *International Journal of Science and Healthcare Research,* 5, (3); 338- 344.

Hong, J.&Kim, M. (2020). Effects of a Psychological Management Program on Subjective Happiness, Anger Control Ability, and Gratitude among Late Adolescent Males in Kore, t*. J. Environ. Res. Public Health*, 17(2683): 2-11.

İnangila, D., Vuralb, P. Doğanb, S. & Körpe, G. (2020). Effectiveness of Music Therapy and Emotional Freedom Technique on Test Anxiety in Turkish Nursing Students: A Randomized Controlled Trial, *European Journal of Integrative Medicine*, 33, 1-7.

Puspitaningrum, I., & Wijayanti, D. (2012). Effectiveness of Spiritual Emotional Freedom Technique (SEFT) intervention in schizophrenia with depression anxiety stress. *Presented at Java International Nursing Conference*, October 6–7, 2012, Semarang. Retrieved from Diponegro University Institutional Repository: http://eprints.undip.ac.id/40379

Rosyanti, L. Hadi, I. Tanra, J. Islam, A. Hatta, M. Hadju, V. Idrus, F. Ibrahim, K. (2018). The Effectiveness of Spiritual Qur'anic Emotional Freedom Technique (SQEFT) Intervence Against the Change of Brief Psychiatric Rating Scale (BPRS) on Patient with Schizophrenia*, Health Notions Journal*. 2, (8): 895- 900.

Safitri, R.& Sadif, R. (2013). Spiritual Emotional Freedom Technique (SEFT) to Reduce Depression for Chronic Renal Failure Patients are in Cilacap Hospital to Undergo Hemodialysis, *International Journal of Social Science and Humanity*, 3, (3): 300- 303.

Serin, N. (2019). The Impact of anger management training on anger, aggression and problem-solving skills of primary school students. *International Online Journal of Education and Teaching* (IOJET),6(3):525-543.

Shahsavarani, A. Heyrati, S. Mohammadi, M. Mohammadi, A.& Sattari, A. (2016). Anger Management and Control in Social and Behavioral Sciences: A Systematic Review of Literature on Biopsychosocial Model*, International Journal of Medical Reviews,* 3, (1): 355- 364.

Tedtman, S. Massie, B. &Goodwin, S. (2018). Investigating the Efficacy of Emotional Freedom Technique on Perceived Stress in Athletic Training Students, Journal of Sports Medicine and Allied Health Sciences: *Official Journal of the Ohio Athletic Trainers Association:* 4: (1), Article 19. DOI: 10.25035/jsmahs.04.01.19

Xanthou, A. (2020). The Effectiveness of ''EFT - Emotional Freedom Techniques'' in People with Phobias*, Dialogues in Clinical Neuroscience & Mental Health,* 3, (1), 5- 33.

ZareZadeh, M.&Askari, M. (2016). The effectiveness of anger management and control training on mental health promotion of male students, *Academic Journal of Psychological Studies*,5(2): 116-121.

هيمنة الإيديولوجيا الحداثية..
وتحديات ترسيخ الأخلاق والقيم الإسلامية

د. الحسن علال العزاوي
Dr. Hassan Allal Azzaoui
تخصص ديداكتيكا الفيزياء / المغرب
hassanazzaoui2003@yahoo.fr
د. فاطمة عبد السلام الحجوج
Fatima Abdessalam Hajhouj
تخصص فيزياء ـ مكناس / المغرب

ملخص البحث:

انطلقنا في بحثنا هذا من مفهوم الحداثة الغربية التي قطعت مع كل ماهو تقليدي، فأنشأ أصحابُها الأوروبيون مؤسسات سياسية واقتصادية واجتماعية بناء على القيم الحداثية ومرجعها العقل الحر. ونظرا للتطور العلمي والصناعي وقوة السلاح ظهرت لدى الغربيين رغبة في الهيمنة والتوسع، ما أنتج حربين مدمرتين على المستوى الداخلي بالخصوص، واستعمارا للشعوب غير الغربية ومن ضمنها الأمة الأسلامية، محركه الأساس الإيديولوجيا الحداثية، التي تغيرعناوينها باستمرار، كان آخرها عولمة الحداثة. هذا وقد وقفنا على التحدي، كما يعتبره معاصرونا من قادة الفكر من الغربيين، الذي تمثله الصحوة الثقافية والاجتماعية والسياسية في العالم الإسلامي لما بعد الاستقلالات وما صاحبها من رفض لقيم الغرب، متقاطعة في ذلك مع القيم المؤسسة للحضارة الآسيوية. إلا أنه وبالرغم من هذا فإن تفحصنا لمسألة الأخلاق والقيم، بصفتها رافعة أساسية لنهوض أمتنا الإسلامية، يبين أن سؤال منزلتها، وطبيعتها، وسبل تنزيلها على أرض الواقع، يطرح نفسه بحدة في النظرية المقاصدية على الخصوص. فالتوجه المقاصدي المحافظي يركن إلى أخلاق، المُكلفُ فيها هو الفرد، تنحصر في منزلة التحسينيات، حتى وإن ظهر من داخل التوجه نفسه من يجادل في هذا التصنيف. أما التوجه المقاصدي المطلبي فيرفع تحدي الاجتهاد من أجل تحديد مطالب قيم مقصدية، تساير العصر، من عيار مكارم الأخلاق الجماعية الضرورية للتأسيس لهوية الأمة الإسلامية وحسن هيئتها. لذا وسيرا على النهج المنضبط بالإسلام الجماعي الذي يوجه عمل الفرد ويدمجه في مشروع تحقيق المقاصد الأخلاقية، دمْجٌ يسعى إلى تحقيق الخلاص الجماعي والفردي معا، فإننا استلهمنا من موقف الصحابي الجليل ربعي ابن عامر رضي الله عنه، أثناء مقابلته لرستم قائد جيوش كسرى، مجموعة أخلاق جماعية كانت شائعة عند جماعة المسلمين آنذاك، ونَطَق بها ربعي بصفته مبعوثا عنها، ونقدر أن تلك الأخلاق قمينة بأن تصبح أهدافا يقصد المسلمون تحقيقها في مجتمعاتهم اليوم، خلال حركيتهم النهضوية المباركة إن شاء الله.

الكلمات المفتاحية: الحداثة- العولمة- القيم- الأخلاق- النهضة الإسلامية

المقدمة وإشكالية البحث:

سؤال الأخلاق يؤرخ للمعرفة الإنسانية منذ أن خلق الله تعالى آدم عليه وعلى نبينا السلام.وسواء كانت هذه المعرفة دينية أو بشرية أو امتزاج ديني بشري، فإنها تأتي بمثابة الخلفية أو المرجعية التي تتأسس عليها أخلاق الأقوام أو الشعوب.ومن هنا فإن سؤال الأخلاق يرتبط أساسا بسؤال المرجعية. فمنها تصدر الأخلاق، وبناء عليها يتم إصدار الأحكام الأخلاقية.

الموضوع الذي نحن بصدده يفرض علينا البحث في مرجعيتين اثنتين: المرجعية الحداثية الغربية من جانب، والمرجعية الإسلامية من جانب آخر. وكل ذلك في تفاعل حذر فيما بينهما، يتراوح بين فعل الإخضاع والهيمنة من طرف الأولى حفاظا على تفوق الغرب والدفاع عن مصالحه؛ وبين فعل التحرر والاعتماد على الذات من أجل النهوض واستعادة الدور التاريخي المأمول لأمة الإسلام.

ثم ومن داخل المرجعية الإسلامية نفسها، وخصوصا بعد اصطباغ السؤال الأخلاقي المعاصر بصبغة السؤال المقاصدي، هذا الأخير الذي أصبح بدوره مُلِحّا على طاولة الفكر الإسلامي ككل، في محاولة لنقله من الصيغة الحفاظية إلى الصيغة المطلبية التي بها تتأتى النهضة المرتقبة للأمة بإذن الله، وبناء عليه، فإن المسألة الأخلاقية تفرز ظاهرتين :

- ظاهرة سكونية محافظية تتمحور حول ماهو فردي: إسلام وتعبد وتخلق وخلاص؛

- وظاهرة تحريكية مطلبية تنطلق مما هو جماعي : إسلام وتعبد وتخلق وخلاص.

أسئلة البحث:

- ماهي أمهات القيم الحداثية وانعكاساتها التاريخية على المجتمعات الغربية وغير الغربية؟
- بعد توجه الغرب نحو عولمة الحداثة، ماهي حظوظ نهضة الأمة الإسلامية على أسس مرجعيتها الأخلاقية؟
- بما أن سؤال الأخلاق من صلب مقاصد الشريعة، أليس من شروط نهضة الأمة الإسلامية الاجتهاد في تحديد مطالب قِيمٍ مقصديةٍ من عيار مكارم الأخلاق الجماعية ؟
- أليست الأخلاق الجماعية التي جاءت على لسان ربعي بن عامر هي بذاتِها ما كان يُحدِّد هويةَ جماعة المسلمين الأولى ومعالم مشروعها للإنسانية؟

أهداف البحث: يروم البحث إلى تحقيق ثلاثة أهداف كبرى، وهي كالتالي:

1- توضيح السياق التاريخي والاجتماعي للحداثة الغربية، والوقوف على أهم القيم التي قامت عليها النهضة الأوروبية فكريا وعلميا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا.
2- إبراز بعض أوجه الحداثة التي تعرضت للنقد من داخل الغرب وخارجه، مع الوقوف على عينة من الأفكار المعاصرة التي ظهرت في الغرب تستعْدي أصحاب القرار هناك على القيم والأخلاق الإسلامية.
3- القيام بمحاولة اختبار منزلة القيم والأخلاق في الفكر الإسلامي، واقتراح التغييرات الضرورية، من وجهة نظرنا، لجعلها مُرتكَزَ نهضة الأمة الإسلامية.

منهج البحث: سلكنا في هذا البحث منهجية وصفية تحليلية معتمدين بحسب السياق على أدوات للمنهج النقدي والتاريخي أسعفتنا في تتبع مسار كل من الحداثة الغربية والمكانة الاعتبارية للقيم والأخلاق في الفكر الإسلامي،

كما استعنا بآلية المقارنة في تحديد إمكانية اعتماد القيم والأخلاق الإسلامية منطلقَ نهضةِ الأمة الإسلامية مسترشدين بالتجربة الآسيوية، مثلما كانت القيم الحداثية أساسا للنهضة الغربية.

خطة البحث: افتتحنا البحث بالعنوان متبوع بملخص مركز، تلته مقدمة وإشكالية البحث ذيّلت بأسئلة، ثم رسمنا الأهداف المتوخاة من وراء هذا العمل وقد حددناها في ثلاثة. وبعد توضيح طبيعة المنهج المتبع، عمدنا إلى جعل البحث ينتظم في ثلاثة مباحث تتوزع على عشرة مطالب، ثم خاتمة مع نتائج البحث وتوصياته، وفي الأخير سردنا لائحة المراجع التي اعتمدناها.

يدور المبحث الأول حول ما لِلْحداثة وما عليها وقد فصلناه إلى أربعة مطالب تعرّف بالحداثة لغة واصطلاحا، مع توضيح سياق ظهورها في الغرب والقيم الأساسية التي جاءت بها لتحقيق النهضة الأوروبية، وإبراز أهم الإسهامات الحداثية في بناء الدولة والمجتمع الغربيين، قبل أن يعرض المطلب الرابع بعض الانتقادات الموجهة للحداثة سواء من الداخل أو من الخارج.

المبحث الثاني ينقسم إلى مطلبين اثنين، ويتناول الحداثة في بعدها الإيديولوجي وسعيها إلى عولمة شاملة للقيم الحداثية تتسم بمنطق الصدام الحضاري بالخصوص تجاه القيم والأخلاق الإسلامية والآسيوية.

أما المبحث الثالث ويضم أربعة مطالب، فركزنا فيه على ما ينبغي رفعه من تحديات تتمثل هذه المرة فيما يلزم تصحيحه من تصورات للقيم والأخلاق منتشرة في الوعي والفكر الإسلامي وخاصة علم المقاصد، مدافعين بداية عن ضرورة إقرار الصيغة المطلبية لمكارم الأخلاق بدل الصيغة الحفاظية التي طبعت هذا العلم. ثم مررنا إلى تصورمنزلتها بقصد نقل الأخلاق، باعتبارها آثارا سلوكية للتعبد، من أخلاق فردية ناجمة عن تصور ذي بعد فردي للتعبد وبالتالي للإسلام، إلى أخلاق جماعية يُحدثها فعلُ التعبد ذو البعد الجماعي سيرًا إلى توفير شروط نهضةٍ إسلامية على أسسِ قيمِ وأخلاقِ الأمة. وطرحنا نموذجا للأخلاق الجماعية كانت سائدة عند جماعة المسلمين الأولى كما جلاّها الصحابي الجليل ربعي ابن عامر، قمينة بأن تصبح مقاصد أخلاقية لزماننا.

المبحث الأول: الحداثة.. ما لها وما عليها

المطلب الأول: الحداثة..التاريخ والجغرافيا

أعطى مؤسسو وأنصار الحداثة لهذه المقولة، من القوة والمتانة، ما جعل لها سحرا خاصا وجاذبية أوسع مجالا. ولعل حصرها في المكان ولادة ونشأة جعل منها غربية أوروبية بدون منازع. يقول ميوشي وهاروتونيان([1]): " إنه يتعين النظر إلى صفة حديث على أنها مصطلح إقليمي خاص بالغرب فقط".

وإمعانا في التحيز الزماني هذه المرة يتبنى جيدنز([2]) مبدأ الانقطاع التاريخي، بالرغم من تعارضه مع النظريات التطورية للمجتمعات البشرية، فيدعو إلى النظر إلى العالم الحديث على أنه "يمثل توقفا للعالم التقليدي، الذي يبدو أنه يتآكل ويتحطم بصورة يتعذر إصلاحها. لقد ولد العالم الحديث من رحم الانقطاع عما حدث من قبل وليس من الاستمرار معه". إلا أن المرزوقي، ومن باب التدقيق، يؤكد أن الأوروبيين لم يقطعوا مع الماضي كل الماضي ولكن قطعوا مع ماضي تخلفهم، فهم عادوا- يضيف في استجواب حول سؤال القطيعة- عادوا إلى الثقافة الرومانية في الإنسانيات والسياسيات، وعادوا إلى الثقافة اليونانية في العلوم والفلسفات. إنهم قطعوا مع القرون الوسطى، مع انحطاطهم. ثم أضاف أن الأوروبيين استفادوا في نهضتهم مما هو مضيئ في تراثنا الإسلامي، مما هو بناء.

إنها إذن ثنائية الحداثة والتقليد التي تحمل معنى التقابل لا فقط بين المفهومين معا، ولكن أيضا بين المنشأ الغربي الأوروبي وامتداده في الولايات المتحدة الأمريكية وبين باقي العالم. وهكذا فإن ثنائية الحداثة والتقليد "تصبح القصة الكونية المفردة للتطور الإنساني، والتي وضع الغرب بواسطتها في طليعة التاريخ"([3]). والرسالة ذات الحمولة الإيديلوجية تقتضي "النظر إلى الحداثة على أنها ملكية ثقافية للغرب، وإلى التقليد على أنه ذلك العجز في الرصيد الثقافي المميز لبقية العالم"([4]). فتبقى بهذا المعنى التجربة الثقافية والاجتماعية الغربية ذات أهمية عالمية. ونعتقد أن في هذا التصور تمهيد ضمني لإرادة الهيمنة للغرب الحداثي، وإعداد نفسي مسبق لقبولها لدى العالم "التقليدي"، أو على الأقل هكذا يؤمن الغرب "ذلك الإيمان الميتافيزيقي بأن القيم الغربية المحلية تعد جذيرة بالاعتماد والقبول من قبل كل الثقافات والشعوب"([5]).

لم يقتصر الغرب، في تعامله مع الحداثة، على إبقائها فكرة معلقة يدعي امتلاكها وحده، وإنما أقام لها مؤسساتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وبما أن هذه المؤسسات والتغيرات التي واكبتها لم تحدث دائما في الزمن نفسه، فإن هناك اختلافا حول ظهور العصر الحديث من الناحية العملية. وبناء عليه، فإنه قد يعود إلى أي نقطة تاريخية من أوائل القرن السادس عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر، وذلك بناء على خلفية التموقع التي تعكس تهمم الباحث.

---

[1] توملينسون (جون)، " العولمة والثقافة"، 1999، ترجمة إيهاب عبد الرحيم محمد ، عالم المعرفة، عدد 354، 2008. ص. 92

[2] نفسه. ص. 54

[3] نفسه. ص.90

[4] نفسه. ص.90

[5] عن "غراي" في نفسه. ص. 94

فإذا كتب (فالرشتاين) بأن نظام العالم الحديث قد ظهر نحو العام 1500، "فإن تاريخ فالرشتاين معقول إذا نظرنا إليه أنه مهتم في المقام الأول بردود الفعل الاقتصادية للأزمة في النظام الإقطاعي على اعتبار أنه زمن ظهور الحداثة الرأسمالية"([6]).

كما أن ظهور درجات من الديمقراطية السياسية- الحداثة السياسية- قد يوجهنا نحو أحداث بعينها وقعت في القرن السابع عشر(الحرب الأهلية الإنجليزية) أو القرن الثامن عشر(الثورتان الفرنسية والأمريكية).

ثم يأتي التصنيع ليدفع باستهلال الحداثة من القرن الثامن عشرإلى القرن التاسع عشر، اعتبارا للثورة الصناعية. أو نقول على سبيل القياس الحداثة الصناعية.

ويأتي الاقتصادي سمير أمين ليدمج بين بعض المؤسسات التي ترتكز عليها الحداثة بقوله: "لم تبرز السمتان الأساسيتان للعالم الحديث عمليا (التحضر وتطور وسائل الإنتاج) إلا مع ظهور الرأسمالية في شكلها المكتمل بداية مع قيام الثورة الصناعية وانتشار المصانع الحديثة في القرن التاسع عشر".([7])

المطلب الثاني: ماهية الحداثة

أولا: تعريف الحداثة لغة واصطلاحا

على المستوى اللغوي:

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور أن الحداثة اشتُقّت لغة من مادة "حَ دَ ثَ"، والمفهوم اللغوي للحداثة أنها نقيض القُدمة، والحديث نقيض القديم، فكلٌّ حديثٍ جديدٌ.

وورد في معجم النفائس الكبير، حَدُث الشيئ حدوثا وحداثةً: نقيض قدُم، وحداثة الأمر: أولُه وابتداؤه وطراءته. والحداثة تأتي بمعنى الجِدَّة. فالحديث: الجديد.

على المستوى الاصطلاحي:

من خلال نفس المصادر نجد أن مصطلح الحداثة أطلق على عدد من الحركات الفكرية الداعية إلى التجديد، والثّائِرة على القديم في الآداب الغربية، وكان لها صداها في الأدب العربي الحديث خاصة بعد الحرب العالمية العالمية الثانية.

ومع ذلك تبقى فكرة الحداثة محاطة بكثير من الالتباس والتعقيد ما يجعلها مستعصية الفهم في حد ذاتها، فهي غالبا ما تتحدد كنقيض لبناء ثقافي، وككشف لواقع موضوعي، ناهيك عن كونها تُعرض دائما بطريقة إشكالية أكثر منها جوهرية.

---

[6] نفسه. ص. 52

[7] سمير أمين، في التيمومي (الهادي)، "مفهوم الإمبريالية من عصر الاستعمار العسكري إلى العولمة"، الطبعة الأولى 2004، منشورات عيني بناي- المغرب، ودار محمد علي- تونس. ص.16.

وتجنبا لكل جدل مفاهيمي، نعتمد ما جاء في موسوعة " يونيفيرساليس: Universalis" التي تنفي عن الحداثة كونها مفهوما سوسيولوجيا، كما أنها ليست مفهوما سياسيا، وليست بالخصوص مفهوما تاريخيا، وإنما هي نمط حضاري متميز، يتناقض مع النمط التقليدي، أي مع كل الثقافات الأخرى القديمة أو التقليدية.

ويَرِد مفهوم الحداثة ملازما لمجموعة من المفاهيم الأخرى فيقال: الدولة الحداثية، والفن الحداثي، والفكر الحداثي، والأخلاق الحداثية...الخ. هذا وتفرض الحداثة نفسها كوحدة متجانسة تشع عالميا انطلاقا من الغرب، وتتضمن معنى تطور تاريخي وتغير في العقلية، يضيف نص الموسوعة في مادة : Modernité.

ثانيا: السياق العام لظهور الحداثة

لقد عاشت أوروبا الويلات خلال قرون عصورها الوسطى، الممتدة من نهاية القرن الخامس الميلادي إلى نهاية القرن الخامس عشر، حيث عرفت هذه العصور طغيان الكنيسة باسم الدين الكنسي، حتى لا نقول المسيحي. فقد أقامت الكنيسة محاكم التفتيش على رؤوس الناس لاكتشاف مخالفي الكنيسة(خصوصا من كان يصطلح عليهم بالهراطقة) ومعاقبتهم بشتى أنواع التعذيب؛ ومارست الكنيسة طغيانا سياسيا تجلى في مساندتها للنظام الإقطاعي بل إقرارها به حتى أصبحت مؤسسة من مؤسساته الثابتة، كما أنها أقرت الاضطهاد الفظيع الذي كان يتعرض له الأرقاء والعبيد، ووقفت تتهدد الثائرين على الظلم واتهامهم بالمروق واللعنة؛ كما مارست طغيانا ماليا حتى صارت الكنيسة أكبر ملاكي الأراضي وأكبر السادة الإقطاعيين في أوروبا. وفي الضفة الأخرى تعيش الأغلبية العظمى حالة الرق والعبودية عيشة الذل والهوان والفقر. هذا وأسيل عن الصراع بين الكنيسة والعلم المداد الكثير بلغ إلى إعدام غاليلي وحرق برونو؛ مما يعني منع التفكير بما يخالف ما تتبناه الكنيسة من تصورات حول الكون. فهذا كتاب الفيزيائي كوبيرنيك، الذي يبسط فيه نظريته القائلة بمركزية الشمس ودوران الأرض حولها أي نقيض التصور الكنسي الموروث عن آرسطو المدعي لمركزية الأرض، أنهاه صاحبه سنة 1530 ولم يستطع نشره إلا في السنة التي توفي فيها أي 1543، خوفا من تغول رقابة الكنيسة، وللتذكير فغاليلي حوكم وأعدم لتصريحه بدوران الأرض حول الشمس.

يتضح جليا، من خلال هذا السياق المقتضب، كم هو العداء المخزَّن في ذاكرة الإنسان الغربي تجاه الممارسات التاريخية لرجال الدين الكنسي في حق الشعوب الأوروبية، ودوسهم لكل القيم والأخلاق المسيحية، فأقروا الظلم والعبودية والاستغلال قرونا وتواطؤوا على ذلك، حتى قيل فيهم ما قيل في من اتخذ إلهه هواه.

ثالثا: القيم الأساسية للحداثة

ارتكز الفكر الغربي الحداثي أساسا على مفهوم الحرية العقلانية ، و" الحرية التي يتحدث عنها الغرب، هي حرية سياسية اجتماعية، ينكب عليها الفكر الليبرالي ويحصر فيها كل تساؤلاته ومناقشاته"([8]). ولابد من التذكير أن الفكر الليبرالي " يحصر الحرية في ميدان الدولة، والدولة تعني بالضرورة القانون".([9]). ويدور مفهوم الحرية، كما تصوره الغرب في القرن التاسع عشر، حول "الفرد الاجتماعي، أي الفرد كمشارك في هيئة إنتاجية"([10]).

[8] العروي (عبد الله)، "مفهوم الحرية"، الطبعة الخامسة 2012، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب.

[9] نفسه. ص. 22

[10] نفسه. ص. 22

فالنموذج الاجتماعي الغربي المستمد من مبادئ الحداثة "ينتظم حول فكرة مجتمع يصنع ذاته. إنه حركة، تحول ذاتي، (...) . إنه يؤمن باستعمال العقل ويحترم الحقيقة القابلة للإثبات والنقل والتطبيق، لذا كان همه (...)أن يحسِّن حظوظ الحياة والعمل، ويلبِّي حاجات أعضاء المجتمع كافة. "([11])

جاء التركيز على العقل الحر للإنسان بحكم أن الفكر الحداثي الغربي يعتبره قادرا على الوصول إلى المعرفة التي تنير له كل شيئ، وتفسر له كل الظواهر وتعمق من "مفهومه للواقع ولذاته دون الحاجة إلى أي معرفة تأتيه من علٍ، كما أنه قادر على توليد منظومات أخلاقية من خلال معرفته بالواقع المادي".([12])

وبهذا، يضيف المسيري، كانت "الظاهرة الغربية الحديثة تؤكد أنها حضارة إنسانية (هيومانية) جعلت من الإنسان مركز الكون، وكانت المجتمعات الغربية لا تزال متماسكة من الناحية الاجتماعية والأسرية".([13])فما كان يسجل من سلبيات في تلك المجتمعات كان مجرد حوادث متفرقة لا ظواهر دالة، ومن ثم كان من السهل تهميشها.

وبصفة إجمالية، فإن الحداثة الغربية تتصور أن "الإنسان هو مركز الكون وسيده، وأنه لا يحتاج إلا إلى عقله سواء في دراسة الواقع أو إدارة المجتمع أو للتمييز بين الصالح والطالح، وفي هذا الإطار يصبح العلم هو أساس الفكر، مصدر المعنى والقيمة، والتكنولوجيا هي الآلية الأساسية في محاولة تسخير الطبيعة وإعادة صياغتها ليحقق الإنسان سعادته ومنفعته، والعقل هو الآلية الوحيدة للوصول إلى المعرفة"([14])

المطلب الثالث: من إسهامات الحداثة في بناء المجتمعات الغربية

اعتمادا على عقيدة الحرية، وبعد طرد كل ماهو تقليدي من الواقع الأوروبي ، سواء أكان دينا كنسيا أو عادات اجتماعية، ثم واحتفاءً بتنصيب العقل الإنساني الحر سيدا وبدون منازع، ركزت الحداثة، مستنيرة بإبداعات هذا العقل في كل مناحي الحياة، على مأسسة المجال الفكري والسياسي والاقتصادي والعلمي والتكنولوجي.

أولا: المجال السياسي

بنت الحداثة المجتمع الليبرالي الذي يحتكم في علاقاته إلى قواعد الديمقراطية حيث المواطنون يسهمون في صياغة القوانين ويخضعون لها. قوانين، سامية وتفصيلية، تدفع إلى أبعد حد في فصل واستقلالية السلطات الثلاث الأساسية: التشريعية والتنفيذية والقضائية، تحقيقا لحماية المواطن من بطش أي من هذه السلطات. كما ضاعفت الاحتراز بتكوين مجتمع مدني متمكن من الدفاع عن نفسه عبر مؤسسات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وحقوقية وغيرها.

[11] آلان تورين، "براديكما لفهم عالم اليوم"، ترجمة جورج سليمان، بيروت، المنظمة العربية للترجمة،2012، ص. 135

[12] عبد الوهاب المسيري،" دراسات معرفية في الحداثة الغربية"، القاهرة ، دار الشروق، 2006، ص: 25

[13] نفسه. ص. 36

[14] نفسه. ص. 34

ثانيا: المجال الاقتصادي

تماشيا مع الليبرالية السياسية أنشأت الحداثةُ الليبراليةَ الاقتصادية وهي نظرية اقتصادية- سياسية ترجع إلى رائدها آدم سميث(1723-1790) والتي تقول بأن النظام الاقتصادي الأمثل هو نظام السوق الحر، وأن النمو والرخاء الاقتصادي يتحققان بإتاحة حرية كاملة لكل أفراد المجتمع في تعاملاتهم الاقتصادية.

وكتنزيل لهذه النظرية أو الإيديولوجية نشأ النظام الرأسمالي في العالم الغربي منذ تفكك نظام الإقطاع وقيام الثورة الصناعية التي واكبها انتشار المصانع الحديثة وتجاوز مرحلة الأدوات الحرفية.

يتميز النظام الرأسمالي بامتلاك وسائل الإنتاج من قبل القطاع الخاص، سواء الأفراد أو الشركات، بل "يعتبر التعارض بين القطاع الخاص والقطاع العام مثالا معبرا جدا عما ذهبت إليه الرأسمالية من مقاربة تقوم على اعتبار انتصارها بمثابة انتصار الخاص على العام"([15]). ومن المعلوم أن تحقيق أقصى قدر من الربح هو محور رحى الاقتصاد الرأسمالي، مما يجعل الرأسمالية تبحث بتلهف كبير عن مجالات جديدة للعمل وكذا عن أسواق جديدة لزيادة الإنتاج، وهو ما دفع بها إلى التوسع الدائم متجاوزة جغرافية النشأة.

وفي زمننا هذا، وبحكم أن الرأسمالية مفهوم يتطور ويطور مؤسساته كلما سنحت الفرصة، فإن الشركات أصبحت متعددة الجنسيات وتتحكم في غالبية النشاط الاقتصادي العالمي نظرا لوزنها المالي الهائل وممارستها لأنشطة لا حصر لها أحيانا(صناعة، زراعة،تجارة،خدمات، مضاربات في البورصة،...)، إضافة إلى ارتباطها الوثيق بالجامعات ومؤسسات البحث العلمي، مما يعني أن لها سلطة وصاية توجه من خلالها، بشكل مباشر أو غير مباشر، العلم والعلماء والباحثين والتعليم بصفة عامة ضمانا للبروفايلات المطلوبة. كما برزت مؤسسات عالمية لخدمة الرأسمال ومنها: صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي، والمنظمة العالمية للتجارة.

هذا، وإن الرأسمالية لم تفوت فرصة انهيار المعسكر الاشتراكي 1991، المتمثل في الاتحاد السوفياتي سابقا، ليهيمن الغرب بقيادة الولايات المتحدة على العالم، حتى أن أحد مفكريها فوكوياما وسم ما آل إليه العالم بـ "نها ية التاريخ" ،كناية على سيطرة الرأسمالية كنموذج اقتصادي والديمقراطية الغربية كنموذج سياسي.

ثالثا: المجال العلمي والتكنلوجي

لقد أنجز العقل العلمي الحداثي مشاريع صناعية وتكنلوجية طوَتِ الزمان وقربت المكان برا وبحرا وجوا، كما صنع الآلات التي سهلت مهام العامل في المناجم والمعامل والمزارع ما وفر للإنسان الغربي وغير الغربي الغذاء والدواء والملبس والمسكن والطريق والتواصل... الخ. وهذا إنجاز محمود خدم الإنسانية جمعاء ونقلها من حياة بدوية إلى حياة حضرية، ومن ضنك العيش إلى الرفاه، ومن عسر إلى يسر.

[15] سمير أمين، في التيمومي (الهادي)، "مفهوم الإمبريالية من عصر الاستعمار العسكري إلى العولمة"، الطبعة الأولى 2004، منشورات عيني بناي- المغرب، ودار محمد علي- تونس. ص.13.

المطلب الرابع: في نقد الحداثة

ظلت الحداثة المزهوة بانتصارها في الغرب لا تتحدث إلا بفاعلية "العقلانية الأداتية"، واضعة نصب أعينها التحكم في العالم الذي أصبح في المتناول بفضل ما مكنها منه العقل الحداثي من تطور علمي

وتكنلوجي مدنيا وعسكريا.

أولا: استشاطة سلطان العقل الحداثي

لكن هذا العقل نفسه، وتحت ضغط النزعة القومية التي سادت أوروبا خلال القرن التاسع عشر ثم الرغبة في توسع الدول الأوروبية والسيطرة على الحدود والثروات، لجأ إلى التنافس على صناعة الأسلحة ليقتل بها الإنسانَ الغربي نفسَه، الذي تغنى بسيادته العقلُ الفلسفيّ والليبرالي السياسي والاقتصادي؛ وذلك في حرب عالمية أولى أو بالأحرى حرب أوروبية دامت أربع سنوات وخلفت ما يزيد عن عشرة ملايين قتيل وملايين المشوهين جسديا، كما أصيبت المحاصيل الزراعية والمواشي، ودمرت الآلاف من المنازل والمصانع والسكك الحديدية. ومن نتائجها أيضا الكساد الاقتصادي والبطالة والفقر الذي عانت منه الدول الأوروبية سنوات، ما خلق توجها لدى شعوبها لقبول الحكومات الديكتاتورية التي تقوم بسرقة موارد الدول المستعمَرة لصالحهم، وكان النصيب الأوفر من الاستغلال للدول الإسلامية.

ثم عاود العقلُ الحداثي الكرّة في حرب عالمية ثانية شكّلت أكبر نزاع مسلّح في التّاريخ، حيث دامت من 1939 إلى 1945 وشمل الصّراع أكثر من ست قارّات وغطّى جميع مُحيطات العالم. تسبّبت هذه الحرب بدورها في خسائر بشريّة فادحة لدرجة عدم التمكن من إحصائها، وماديّة كذلك،كما كانت الشّرارة لبداية عصر التسلح النّووي إمعانا في المزيد من التدمير.

ونظرا لما عانته الشعوب المستعمرة من استغلال بشع ومذِل، ثارت في وجه الاحتلال الأوروبي عندما توفرت الشروط الموضوعية والذاتية، إلا أنها فوجئت بالعقل الحداثي يمنحها، على أيدي النخب المتغربة من بني جلدتها، استقلالات شكلية على مقاسه تضمن للمستعمر ما يمكن أن نسميه "النهب المستدام" لخيرات البلدان المغزوة، والتبعية الثقافية والتعليمية والسياسية حتى يستكمل غرس الإيديولوجيا الحداثية المبشرة بالقيم والأخلاق القمينة بطرد كل ماهو عتيق – رغم ما أحدثته وتحدثه من دمار في الإنسانية جمعاء، وتفكيك للروابط الأسرية والاجتماعية - ولو كان هذا العتيق مازال متلألئا ويشكل مصدرَ قوةِ الشعوب والتحامِها كما هو شأن القيم والأخلاق الإسلامية عندما تتمكن وتسود عبر تربية إيمانية رحيمة تسمو بالإنسان إلى كمال الفطرة التي فطره الله عليها، وتشع معها وبها المعالمُ الكبرى للمشروع الإسلامي: تحررٌ من كل معبود أرضي، عدلٌ ينسحب من أمامه كل جور، وكرامةٌ آدمية ترفع ولا تضع، تُعز ولا تذِل، تُكسِب القوةَ على الحق من غير عنفٍ، وتبني علما إماما حكيما لكل عمل.

ثانيا: آلان تورين ينتقد القيم الحداثية الغربية

تعتبر الحداثة ثورة عنيفة طوعت كل مجالات الحياة لتصبح جميعها على مقاس الفكر الحداثي، وبهذا المعنى الشمولي لمناحي الحياة جاء وصفها من طرف عالم الاجتماع الفرنسي الشهير ألان تورين في كتابه

'نقد الحداثة" على أنها "انتشار لمنتجات النشاط العقلي، والعلمي، والتكنلوجي، والإداري. فهي تستهدف مختلف مجالات الحياة الاجتماعية: السياسية، والاقتصادية، والحياة الأسرية، والدينية، والفنية خاصة".([16]).

لكن ذلك الانتشار، وذلك العقل، وهذا الاستهداف جاؤوا كالنار في الهشيم. ففي إحدى خلاصات تورين وهو يصف صورة الحداثة عند الغرب يقول: " الغرب إذن قد تصور الحداثة وعاشها على أنها ثورة. فالعقل لا يعترف بأي مكتسب من الماضي، بل على العكس إنه محا الطاولة عن بكرة أبيها من المعتقدات وأشكال التنظيم الاجتماعية والسياسية التي لا ترتكز على دليل من النوع العلمي".([17]).

أضحى العلم إذن، ومِن ورائِه مُنشِئه ومبدعُه العقل، هو ما يؤثّث به المشهد العام برمته. فعلى المستوى العقدي صار بديلاعن أسمى مقدسات المجتمع الغربي فـ"فكر الحداثة عوّض في قلب المجتمع الإلهَ بالعلم، تاركا في أحسن الأحوال المعتقدات الدينية ضمن الحياة الخاصة بكل فرد".([18]).

ويعزز تورين وصفه لهذا العنف الكاسح على تماسك المجتمع القائم والذي وسَمَه بـ"المُدمِّر" حين قال:" المفهوم الغربي الأشد وقعا والأكثر تأثيرا هو ذلك الذي يؤكد على أن العقلنة تفرض تحطيم العلاقات الاجتماعية والمشاعر والعادات والاعتقادات المسماة تقليدية، وأن الفاعل أو القائم بالتحديث ليس فئة أو طبقة اجتماعية معينة، وإنما هو العقل نفسه والضرورة التاريخية التي تمهد لانتصاراته"([19]).

ومن التغييرات الانقلابية أيضا، تلك التي أعطت المجتمع سلطات "تسمو" به إلى جعله حَكَما أخلاقيا من دون الإله، لينشأ فكر سياسي واجتماعي جديد حيث " يَحُل المجتمع محلَّ الإله كأساس للحكم الأخلاقي ويصبح مبدأً للتفسير وتقييم السلوك أكثر من كونه موضوعا للدراسة"([20]). ولعل هذه الفكرة التي تجعل من المجتمع منبع القيم، إذ الخير هو ما كان نافعا للمجتمع والشر هو ما كان يضر بتلاحمه وفعاليته، لتُعتبر عنصرا أساسيا للإديولوجيا الحداثية. وهنا لابد من التنكير بأن تمييز الخير من الشر ووضع منظومة باقي القيم هو عمل منوط بالعقل المتحرر الحداثي.

وتزيد الصورة وضوحا مع الفكرة المشتركة بين هوبس وروسو حين يبعدان عن المجتمع كل الأشكال التنظيمية السماوية منها أو الطبيعية إذ "لا ينبغي للنظام المجتمعي أن يستند على أي شيئ آخر سوى القرار الحر للذات الإنسانية، الذي يجعل من هذا النظام مبدأ الخير والشر،وليس على الإطلاق تعبيرا عن نظام أقامه الإله أو أقامته الطبيعة".([21]).

و"الحر" هنا ليست مجرد لفظة وإنما لها دلالتها التي تستوحيها من واقعها الفكري والفلسفي حيث تقاس ميزة "أنا ذات حرة" بمدى تحقق الأثر "أنا أفكر" أي "أنا أفعل"و "أنا أشرع لنفسي". إنها الحرية التي تعني

---

[16] تورين (آلان)، "نقد الحداثة"، 1992، ترجمة أنور مغيث، 1997، ص.29.

[17] نفسه. ص. 31

[18] نفسه. ص.29.

[19] نفسه. ص ص. 30-31

[20] نفسه. ص.37.

[21] نفسه. ص.37.

حرية الإنسان في الاستخدام العلني للعقل، العقل النقدي خاصة، وفي كل الأمور، مع عدم استحضار أية سلطة في اتخاذ القرار غير سلطة العقل المشرع.

وعوْدا إلى بدء، فإنه وبالرجوع إلى السياق العام القروني المظلم الذي عاشه الغرب الأوروبي، ندرك ما الذي جعل مجتمعاته خاصة، تنحو بنفسها هذا المنحى المتميز بالغلو الذي عبرت عنه هذه المقتطفات المنتقاة أساسا من فكر عالم اجتماع معاصر، غربي النشأة والثقافة، خبر وعايش مختلف التغيرات التي طرأت على مجتمعه. فعندما نقرأ أن المجتمع هو مصدر الأخلاق والقيم، وأن القرار المتخذ مستقل عن أية سلطة دينية أو أخلاقية أو حاكمة، وأن الحقيقة العلمية فوق الحقيقة الإلهية، وأن هذه الأخيرة قد أزيحت من واقع الإنسان الغربي بشكل عنيف...، يتضح بالملموس ضد من كانت سهام النخبة الحداثية للمجتمعات الأوروبية موجهة. ونفهم أيضا لماذا جاءت تلك القيمة المغيبة قرونا، بفعل تحالف الكنيسة والنظام الإقطاعي بل واندماجها فيه،ألا وهي قيمة الحرية على رأس القيم والمبادئ وكل مشاريع التغيير التي أحدثتها النهضة الأوروبية. فلا عقل يفكر دون حرية، ولا علم يتطور دون حرية ، ولا قرار يتخذ دون حرية، ولا حقوق تُضمن دون حرية، ولا مؤسسات دولة أو مجتمع تُشيَّد دون حرية، وهكذا.

لكن، ومع ذلك يبقى السؤال مطروحا بإلحاح: أية حقيقة إلهية أبعدتها المجتمعات الغربية؟ ثم، هل استطاع العقل الحداثي فعليا القطع مع الدين؟

ثالثا: تعليق على دعوى "قتل الإله" في الفكر الحداثي

نفهم أيضا لماذا أقصت الحداثة الغربية الإله فكرا وفلسفة وتشريعا؛ بل لماذا أعلن بعضهم موته (نيتشيه). إن ذاكرة الشعوب لا تنسى، وإن ما أُخِذ بالعنف يُستردّ بعنف يضاهيه أو أشد منه عند الغضب، وفي غياب الوازع الأخلاقي. هذا،وإن كنا نرى، من موقعنا الإيماني، ما لا يراه غيرنا من المفكرين خصوصا في عالمنا الإسلامي العربي. نرى أن الإله المبعد أو المقصي أو حتى المقتول، إنما هو ذلك الإله "الهوى" الذي تلبَّس برجال الدين الكنسي، فخلط الناس، وهم في حالة غضبهم المتجدد بتجدد تصفح التاريخ الغربي الوسيط المرير، خلطوا إله الأرض/القِسّ مع الله الذي يؤمن به النصارى والمسلمون. وكأنهم يعيدون قصة بني إسرائيل مع المسيح، عليه وعلى نبينا محمد السلام، فظنوا بفعلتهم أنهم قتلوه فرد القرآن عليهم زعمهم في قوله تعالى: " وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم".([22]).

نكتب هذا ونحن نستحضر قصة نزول سورة الروم التي جاء مطلعها بشارة لأهل الإيمان من المسلمين بعد ما أصابهم من الحزن لانتصار الفرس الوثنيين وقتها على الروم، وهم إذاك من النصارى، ما جعل أهل قريش الوثنيين كذلك يتهكمون من المسلمين وهو ما زاد من غيضهم؛ فنزلت السورة تطمئنهم بأن الروم،سيَغلبون الفرسَ بعد سنين. وبالفعل حصل للروم النصر على الفرس، في تزامن مع غزوة بدر التي انتصر فيها المسلمون على أهل قريش. يقول الله تعالى شأنه "ألم.غُلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين. لله الأمر من قبل ومن بعد. ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله. ينصر من يشاء. وهو العزيز الرحيم".([23]).

[22] النساء. آية 156

[23] الروم. آيات. من 1-4

فاسبشارا بالوحي القرآني الذي نؤمن به، والتحقق التاريخي الذي جاء كفلق الصبح فصدّقه وفرح المؤمنون بنصر الله ، فإن نهضة شعوب النصارى لاسترداد ربهم الحقيقي سيكون لها موعد مع التاريخ،وذلك بعدما حل بهم أثناء سيادة الإله الشبيه في العصور الوسطى،ثم بعد إقصاء ذلك الشبيه من طرف العقل الحداثي وتسَيُّده.

رابعا: النظرية الأخلاقية الكانطية قائمة على قواعد دينية

وللمزيد من التوضيح في أن الغرب طرد فقط إله الأرض المتربع على كرسي الكنيسة وطرد معه دين الكنيسة لا غيره، فألزمهما معا مكانهما لا يبرحانه (مبدأ العلمانية)، نستنطق الفلسفة هذه المرة. من أجل هذا نورد تحليلا للفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن يفكك فيه النظرية الأخلاقية لفيلسوف العقل الغربي إيمانويل كانط التي بسطها معتمدا على العقل الخالص العملي. فيكاد يبرز للعيان، هنا على الأقل، أن كانط ما طلق دينه بقدر ما أخفاه. يقول كانط في حديثه عن الأخلاق أنها تبدو "غير محتاجة إلى فكرة كائن مختلف وأعلى من الإنسان لكي يعرف هذا الإنسان واجبه، ولا إلى سبب غير القانون نفسه لكي يتبعه. (...) إذن بالنسبة للأخلاق، فليست تحتاج مطلقا إلى الدين؛ بل تكتفي بذاتها بفضل العقل الخالص العملي".([24]).

فهل بقي كانط وفيا لتصريحه بعدم الحاجة إلى الدين؟ وكيف تم توظيف العقل الخالص العملي لبناء نظريته الأخلاقية؟

يوضح طه طريقين بصفتهما شكلين من أشكال التأثير الديني الخفي في بناء النظرية الأخلاقية العلمانية: الشكل الأول: طريق المبادلة: المقصود بالمبادلة أن يأخذ واضع النظرية الأخلاقية بدل المقولات المعهودة في الأخلاق الدينية مقولات أخلاقية مقابلة لها وغير معهودة بنفس الاستخدام النظري في هذه الأخلاق. ويورد طه أمثلة توضيحية عَمِلنا على إخراجها في الجدول أسفله.

المفاهيم المعهودة في الأخلاق الدينية	المفاهيم المقابلة في النظرة الأخلاقية
الإيمان	العقل
الإرادة الإلهية	الإرادة الإنسانية
الإحسان المطلق للإله	الحسن المطلق للإرادة
الأمر الإلهي	الأمر القطعي
التنزيه	التجريد
محبة الإله	احترام القانون
التشريع الإلهي للغير	التشريع الإنساني للذات
النعيم	الخير الأسمى
الجنة	مملكة الغايات

الشكل الثاني: طريق المقايسة: المقصود بالمقايسة أن واضع النظرية الأخلاقية يقدّر أحكامه الأخلاقية على مثال الأحكام التي تأخذ بها الأخلاق الدينية. وذكر طه من مظاهر المقايسة التي جاءت في النظرية الكانطية ما نورده في الجدول التالي:

[24] طه (عبد الرحمن)، "سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية"،2000، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب.ص. 37

الأحكام التي تأخذ بها الأخلاق الدينية		الأحكام الأخلاقية المقدّرة في النظرية
كما أن الإله هو الذي يشرع القوانين	فكذلك	الإنسان هو الذي ينبغي أن يتولى تشريع هذه القوانين
كما أن الإله منزه عن العلل والمصالح في وضع شريعته	فكذلك	الإنسان ينبغي أن يتجرد عن كل البواعث والأغراض في وضع شريعته الإنسانية
كما أن قوانين الإله موضوعة للخلق قاطبة	فكذلك	ينبغي أن تكون قوانين الإنسان شاملة للبشرية كلها
كما أن أوامر الإله طاعتها واجبة	فكذلك	أوامر الإنسان العمل بها واجب
كما أن الأفعال تكون خلقية بموجب طاعتها للأمر الإلهي	فكذلك	الأفعال تكون خلقية بموجب عملها بالأمر الإنساني

على ضوء هتين المقارنتين يستصدر الفيلسوف طه عبد الرحمن الحكم التالي بشأن النظرية الأخلاقية للفيلسوف كانط قائلا: "من هنا، يتبين أن المشابهة بين المعاني والأحكام الدينية والمعاني والأحكام الأخلاقية إن لم تكن مقصودة لذاتها ومرغوب فيها فلا أقل أنها جاءت في غاية الانتساق والاطراد، حتى إنه لا مجال للشك في أن كانط أقام نظريته الأخلاقية العلمانية على قواعد دينية مع إدخال الصنعة عليها، حيث استبدل الإنسان مكان الإله مع قياس أحكامه على أحكامه؛ فإذن ليس لهذه النظرية من وصف العلمانية إلا الظاهر، بحيث تصير العلمانية هنا 'دِيانية' خفية مَثّلها مَثل الديانة الجلية في الأخلاق المُنَزّلة، لا تفترق عنها إلا في كون المتسق للتعظيم فيها صار هوالإنسان العيني، وليس الإله الغيبي".([25]).

وخلال معالجة جدلية تدور حول تبعية الأخلاق للدين، وهو ما يرفضه كانط إطلاقا كما رأينا أعلاه، أم تبعية الدين للأخلاق، وهذا يقبله؛ ثم بناء على المشابهة بين المعاني والأحكام الدينية والمعاني والأحكام الأخلاقية وما ترتب عليها فيما يخص مصدر بناء النظرية الأخلاقية الكانطية "فقد بطل ما يدعي كانط من أنها (الأخلاق) تستتبع الدين، لا أنه يستتبعها؛ وعندئذ، يصح القول بأن الدين مهدُ الأخلاق اللادينية التي جاء بها، بحيث تكون حقيقة الأخلاقي اللاديني أنه ديني متنكر، ودليل تنكره إنكاره للحاجة إلى الحقيقة الدينية قولا، والإقرار بها فعلا".([26])

لهذا، وبناء على ما تم توضيحه، نقول وبالله التوفيق: إذا كان الوضوح يعتبر من صلب أخلاق العاقل، فأولى بالعقل الحداثي المتميز أساسا بحمله معول النقد لكل شيئ، أولى به أن يقوم بنقد ذاتي جريئ ويعترف بمحدوديته، ويعيد النظر في الإشكال الذي انطلق منه عندما حمّل الدين سوءَ عمل الكنيسة ورجالها، هذا بعد أن ثبت بالدليل العقلي رجوعه إلى الدين "خفية" ليستوحي نظرية أخلاقية تحكمت في مسار المجتمع الغربي الحديث موهمة إياه أن ما حل به، عبر تاريخه المظلم، سببه الدين فتخلى عن إيمانه. وكذلك فعل المقلدون من بني جلدتنا في عالمنا الإسلامي، العربي خاصة، مع فرق شاسع في التاريخ والسياق والمنطلق والمنطق.

[25] نفسه. ص. 40

[26] نفسه. ص. 40

المبحث الثاني: الإيديولوجيا الحداثية ومساعي فرض القيم الغربية على المجتمعات الإسلامية

المطلب الأول: الإيديولوجيا الحداثية ومنطق القوة

استطاعت الحداثة أن تركب موجة جديدة عملت من خلالها على إحاطة ماضيها الأسود، كما بيناه أعلاه، بنوع من التستر على الأحداث المؤلمة التي ميزت الحربين الموصوفتين مغالطةً بالكونيتين وكذا الاستعمار المسلح. فعمدت إلى وسائل الإعلام – رغم بساطتها آنذاك – التي كانت تحتكرها وتحسن توظيفها تبعا لنظرية التضليل الإعلامي بهدف طمس معالم الجرائم التاريخية سعيا وراء طمس الذاكرة الغربية نفسها من أجل غسل الأدمغة وصناعة رأي عام جديد يعيد الثقة بالإيديولوجيا الحداثية. فالراديو الذي لعب دوراً في الحرب العالمية الأولى، كان بطلَ الحربِ العالمية الثانية التي انتشرت حينها المقولة الشهيرة: "الحقيقة هي أُولى ضحايا الحرب" التي تركها التقدمي الأمريكي هيرام وارن جوهنسن. كما أن التلفزيون كان سلاحا فاعلا أحسنت أمريكا استعماله في الحرب الباردة التي أنتجت تفكيك المعسكر الشرقي، لتنفرد الولايات المتحدة، رائدة العالم الغربي، بزعامة العالم.

أما خارجيا فتم تلميع صورة الحداثة بتعدد وتنوع منتجاتها التكنلوجية والاستهلاكية، وبـ"إعطاء" الاستقلالات لبعض المستعمرات، والترويج للديمقراطية، وتأسيس منظمة الأمم المتحدة التي دخل في عضويتها جل دول العالم، والتي رفعت يافطة الحفاظ على السلام والأمن الدوليين، واحترام حقوق الإنسان، وتقديم المساعدات الإنسانية، وتعزيز التنمية المستدامة. إلا أن الدول الخمس التي حققت انتصارات في الحرب العالمية الثانية احتكرت العضوية الدائمة في مجلس الأمن الدولي التابع للأمم المتحدة والذي له سلطة قانونية على حكومات الدول الأعضاء الذين بقيت لهم هيئة الأمم منصة للخطابة وتصريف التعبير عن الاستياء. وما زاد الطين بلة هوامتلاك الأعضاء الدائمين "حقَّ" النقض، وهذه الصفات تعني فيما تعنيه غياب "الديمقراطية الدولية"؛ ومركزة القرار الدولي لدى الأعضاء الدائمين؛ ثم شرعنة استخدام القوة في أي نقطة من العالم.

والتاريخ الحديث يبين أن الذي استغل هذه "الشرعية المغتصَبة" هي الولايات المتحدة بعد تفردها بالعالم عسكريا واقتصاديا وإيديولوجيا، والخاسر الأكبر هو العالم الإسلامي عامة والعربي منه خاصة، إذ أن تمثيلية ملياري مسلم غابت تماما عن موقع القرار الدولي. وهذا الحيف هو ما دفع زعماء بعض الدول الإسلامية غير الناطقة بالعربية إلى المطالبة برفعه، ولعل أكثر العبارات ترددا في هذا الشأن هي " العالم أكبر من خمسة" للرئيس التركي رجب طيب أردوغان.

فهل يمكن الاعتماد على ما تروج له الحداثة خارج حدود النشأة، أم أن الأمر لا يعدو كونه تصديرا للهياكل والشعارات الإيديولوجية ضمانا لمصالح الغرب ؟

هل من إمكانية للتفوق العلمي والتقني والتنظيمي مع الحفاظ على الهوية الإسلامية؟

المطلب الثاني: عولمة الحداثة.. أية انتظارات للشعوب غير الغربية؟

دخلت "الأمبريالية"[1] منذ أواخر القرن العشرين في مرحلة جديدة شاعت تسميتها بالعولمة. وسواء اعتبرنا العولمة كنتيجة للحداثة، كما يراها أنتوني جيدنز، أو اعتبرنا الحداثة والتعولم مندمجين كما هو رأي

[1] تلك السياسات التوسعية التي اقترنت بهستيريا التنافس الضاري حول المستعمرات التي استبدت بالدول الرأسمالية الأقوى في القرن التاسع عشر وأفضى إلى اقتسام العالم بينها، وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم الإمبريالية اختفى منذ أواخر القرن العشرين من خطاب اليسار بصفة تكاد تكون تامة

روبرتسون([1])،فإن " الغرب يحاول وسوف يواصل محاولاته للحفاظ على وضعه المتفوق، والدفاع عن مصالحه بتعريفها على أنها مصالح 'المجتمع العالمي'، وقد أصبحت هذه العبارة هي التسمية المهذبة لما كان يطلق عليه 'العالم الحر' وذلك لإضفاء شرعية كونية على الأعمال التي تعبر عن مصالح الولايات المتحدة والقوى الغربية الأخرى".([2]).

وبكل ثقة يوضح عالم المستقبليات الأمريكي، بعد إضفاء الصفة 'التبشيرية' على ما يقوم به الغربيون في العالم، الشروط اللازمة التي يراها الغرب كفيلة بالمحافظة على تفوقه وتحقيق مصالحه خارج شعوبه، فيقول: "الغرب- وبخاصة الولايات المتحدة- الذي كان دائما أمة تبشيرية، يعتقد أن الشعوب غير الغربية لابد أن تلتزم بالقيم الغربية فيما يتعلق بالديمقراطية والأسواق الحرة والحكومة المحدودة وحقوق الإنسان والفردانية وحكم القانون وأنها لابد أن تجسد تلك القيم في مؤسساتها...". ويتدارك الخبير الأمر حين يلامس أرض الواقع الدولي الذي لا يساير الإرادة الغربية فيعلنهابمرارة: "ولكن التوجهات السائدة نحوها (القيم) تتراوح بين الشك فيها على نطاق واسع والمعارضة الشديدة لها. وما يعتبره الغرب عالمية يعتبره الباقي استعمارا."([3])

ونبقى دائما مع منظر الحرب الحضارية حينما ينقل ردود فعل أولائك الذين ليسو مِن بني جلدته، أثناء مقارنتهم أقوال وشعارات الغرب مع أفعاله، فيقول: " لا يتردد غير الغربيين في الإشارة إلى الفجوات بين المبادئ والتصرفات الغربية: النفاق، وازدواجية المعايير، و"لكن ليس"...، كل ذلك هو ثمن تلك العالمية المزعومة. فالغرب مع الديمقراطية "ولكن ليس" عندما تأتي بالأصوليين الإسلاميين إلى السلطة."([4])

هكذا يفهمنا هنتنغتون[(5)] أن الديمقراطية وما يصاحبها من حقوق للإنسان، ومن بينها الحق في التقدم للانتخابات والفوز بها وصولا إلى السلطة، ليست من حق الإسلاميين من وجهة نظر الغرب، وإن سُمّوا مواطنين في بلدانهم الأصلية. إن الغرب بهذا المفهوم يريد ديمقراطية هو من يتحكم في مخرجاتها وخاصة في البلدان الإسلامية.ولعل الإمام عبد السلام ياسين تنبه إلى ضيق صدر الغربيين من أمثال هنتنغتون، فأجملَ القولَ سنة 1996 في أن "لا جدوى من مناقشة احتمال تسلّمِ الإسلاميين قريبا للسلطة.فالنضج المتزن لن يتحقق إلا بعد سنوات أو في غد قد يمتد عقدين أو ثلاثة عقود من الزمن. وحده الله عز وجل يعلم ويحكم"([6]).فما الذي يخشاه الغرب في الإسلام؟

نظرا للهيمنة الكاسحة التي حققتها الولايات المتحدة على العالم، ما مكن منظريها من إفراغ هذا المفهوم من مضمونه القدحي بتبرير السيطرة على العالم بشعارات من مثل: احترام الشرعية الدولية – حق التدخل الإنساني – تصدير الديمقراطية السياسية...)التيمومي (الهادي)، "مفهوم الإمبريالية من عصر الاستعمار العسكري إلى العولمة"مصدر سابق.ص ص.110-111.

[1]توملينسون (جون)، "العولمة والثقافة"، 1999، ترجمة إيهاب عبد الرحيم محمد، عالم المعرفة، عدد 354، 2008،ص.ص.68-69

[2]هنتنغتون (ساموبل)،"صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي"، 1996، ترجمة طلعت الشايب، طبعة 2، 1999.ص.294.

[3]نفسه. ص. 294

[4]نفسه. 294

[5] هو صامويل فيليبس هنتنغتون(1927-2008)، عالم وسياسي أمريكي، أستاذ في جامعة هارفرد لمدة 58 سنة، وأحد أكثر علماء السياسة تأثيرا في النصف الثاني من القرن العشرين. وأكبر ما يعرف به هي أطروحته بعنوان: صدام الحضارات.169

[6]ياسين (عبد السلام)، "الإسلام والحداثة"، الطبعة الأولى، 2000، مطبوعات الهلال. وجدة، ص. 57.

من المعلوم أن الباحثين الغربيين يتابعون، عبر مراكز البحث المنتشرة في معظم بلدان العالم، كل الظواهر الاجتماعية التي تسترعي انتباه العلم والسياسة، في أفق الحصول على قاعدة معطيات شاملة ودقيقة ما أمكن. ولعل من أهم الخلاصات، تلك التي اعتبرها هنتنغتون "تحديات" للغرب تمهيدا للإقناع بمنطقه الصدامي حين يقر بأن العودة إلى الأصول وإحياء الدين ظاهرة عالمية في عصرنا، لكن مايهمه في أطروحته كونها " قد تبدت في أوضح صورها في التوكيد الثقافي وتحديات الغرب التي جاءت من آسيا ومن الإسلام، وهي الحضارات الديناميكية في الربع الأخير من القرن العشرين".([1]) ويعقب مفسرا بل سالبا الحق، ومن جديد، من أصحابه في الوعي واستقلالية القرار فيقول: " ويتجلى التحدي الإسلامي في الصحوة الثقافية والاجتماعية والسياسية العامة للإسلام في العالم الإسلامي، وما يصاحبه من رفض لقيم الغرب ومؤسساته الاجتماعية".([2])

كما "يتجلى التحدي الآسيوي في كل الحضارات الشرق آسيوية– الصينية، اليابانية، البوذية، الإسلامية- ويؤكد على الاختلافات الثقافية بينها وبين الغرب".([3])

ولعل من أغرب الأنانيات أن يحز في نفس الكاتب مجرد استلهام شعوب بعينها لدروس من عمقها التاريخي، فـ" الحضارتان الآسيوية والإسلامية تقف كل منهما منفردة في ثقتها المتزايدة وتأكيد نفسها بالنسبة للغرب، وأحيانا تقفان معا"([4]).وفي الأخير، صاغ خلاصته على شكل توقع إنذاري، فبالنسبة له "كلّ مِن هذه التحديات له ــ وسيبقى له- آثار على عدم استقرار السياسة العالمية في القرن الواحد والعشرين".([5])

يتضح من خلال نظرة الغرب التي أوردناها، نقلا عن عالِم المستقبليات الأمريكي الذي يزخر كتابه بمزيد من التفاصيل، أن الإسلام، وعلى عكس ما يروج له الإعلام التشهيري، يُقام له ولا يقعد في الدوائر العليا للقرار. وأن مجرد تميزه بمنظومة أخلاقية وقيمية يجعله مستعصيا على التجاوز مادامت شعوبه تُخزِّن هذه المنظومة وترعاها. ولعل هذ ما جعل الغرب يَسِمُه بـ"التحدي".

[1] هنتنغتون (ساموبل)،"صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي"، 1996، ترجمة طلعت الشايب، طبعة 2، 1999. ص. 169.

[2] نفسه. ص. 169.

[3] نفسه. ص. 169.

[4] نفسه. ص. 169.

[5] نفسه. ص. 169.

المبحث الثالث: نحو نهضة للأمة على أساس الأخلاق والقيم الإسلامية

المطلب الأول: منزلة الأخلاق والقيم لدى أمة الإسلام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِنّما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الْأَخْلاقِ" [1]. يعلق الإمام عبد السلام ياسين بقوله: مكارمُ موصولة بالدين، متغذية من الفطرة، راجعة إلى طِيبِ المعدن، راجعة إلى طيب الفطرة."([2])

هذا الحديث الشريف كان أيضا القوة الدافعة لفيلسوف الأخلاق الدكتور طه عبد الرحمان حفظه الله، عندما قام بنقد مجموعة من الاعتقادات الشائعة بصدد الدين والأخلاق. وخلال عمله الفكري الذي سنعرض لنتائجه، اعترض طه على المتكلمين والفلاسفة لمّا "تذبذبوا بين القول بتبعية الدين للأخلاق والقول باستقلال الأخلاق عن الدين". ويركز في لومه لهم على انسياقهم إلى "التفكير في هذه العلاقة على مقتضى المنقول اليوناني"؛ وهو ما اعتبره "دليل ضعف وتقليد لا دليل قوة وتجديد"([3]) يبدو التساؤل واضحا فيما إذا كانت تندس هنا أيضا، أي في تصور نخبة الأقدمين من الفلاسفة المسلمين، رواسب الفكر الذي اتخذته الحداثة الغربية امتدادا تاريخيا لها، أليست جرأة طه، وهو من أهل الاجتهاد، مطلوبة كما هو مطلوب عمق نظره، في التعامل مع دقائق ما يصطلح عليه بالفكر الإسلامي قديمه وحديثه؟

أما مع الفقهاء والأصوليين فكانت له جولة مطولة، حيث أقرهم على أخذهم بتبعية الأخلاق للدين بموجب تسليمهم بأن الدين جاء لينظم حياة الإنسان في مجموعها. لكنه لامَهُم لكونهم "جعلوا رتبة الأخلاق لا تتعدى رتبة المصالح الكمالية"، وكأنهم، يوضح طه، حملوا عبارة "مكارم الأخلاق" التي ورد بها الحديث الشريف، على معنى "مكامل الأخلاق"؛ أي تكملات الأخلاق. وبهذا يكونون قد جانبوا "فهم حقيقة الدين". ويجزم فيلسوفنا أن " الأخلاق أولى برتبة المصالح الضرورية من غيرها".

وفي تعليقه على من يقول بأن الفقهاء والأصوليين قد ذكروا "حفظ الدين" من بين المصالح الضرورية، ففيه إذن حفظ للأخلاق بحكم تبعيتها للدين، يرى طه أن هذا الأمر يجعل أصحابه بين موقفين اثنين:

-إما أن يفهموا أن "هذه التبعية بمعنى كون الأخلاق جزءا من الدين كما تكون العبادة جزءا منه، وحينئذ، يلزمهم أن يكفوا عن عادتهم في وضع الأخلاق في المرتبة الثالثة من مراتب المصالح الإنسانية". وفي هذا دعوة إلى مراجعة نظرية المقاصد، في أصولها خاصة.

- وإما أن يبقوا على عادتهم في حفظ الرتبة الثالثة للأخلاق وحفظ الرتبة الأولى للدين؛ وعندئذ، "يلزمهم أن يقروا بأن تبعية الأخلاق للدين، إما أنها ليست تبعية ضرورية،(...) وإما أن المراد بهذه التبعية في الأصل هو عكسها"

---

[1] "مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة" للإمام محمد بن عبد الباقي الزرقاني، تحقيق الدكتور محمد بن لطفي الصباغ، الصفحة: 82، الحديث رقم: 184. وهو حديث صحيح.

[2] ياسين (عبد السلام)، "العدل: الإسلاميون والحكم"، 2000، مطبوعات الصفاء للإنتاج،الموسوعة الإلكترونية سراج لمؤلفات الإمام عبد السلام ياسين.(siraj/net) .ص.607.

[3] طه (عبد الرحمن)، "سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية"،2000، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب. ص. 51.

نقف مع ماجاد به قلم الدكتور طه، على الأقل فيما أدرجناه في هذه الفقرة، لنتساءل معه حول مجموعة من المعاني الواردة أعلاه من مثل: "الحفظ" ،و"المقاصد"، وكذا السقف الذي التزم به الفقهاء والأصوليون في معالجتهم للمقاصد،كانوا ولا يزالون.

في البداية نفترض أن الأصوليين في زماننا قبلوا باعتبار الأخلاق جزءا من الدين كما هو الأمر بالنسبة للعبادات، فإن الجاري به العمل عند الأصوليين أن الدين ينظر إليه من زاوية الحفظ، أي "حفظ الدين" وبالتالي فإن الأخلاق تبقى أيضا في نفس الدائرة، فيقال: "حفظ الأخلاق". ففيم يتجلى سلطان الدين في "أمة الإسلام" المنقسمة دويلات حتى يحفظ؟ ألا يسري الحكم نفسه على الأخلاق بصفتها جزءا من الدين؟

هل الدكتور طه أقر الفقهاء والأصوليين على انحناء السقف، رغم جلال قدرهم وعظيم عطائهم، الذي أسسوا تحت ظله نظريتهم المقاصدية؟

ثم، هل المقاصد "التاريخية" المعلنة في القرن الثامن الهجري هي المقاصد ذاتها ،كمّا ونوعا وطبيعة، التي تليق بأهل زماننا؟

نترك التفصيل في هذه الأسئلة وأمثالها، فيما سيأتي، لمن ألهمنا إياها فكرُه التجديدي، وأكسبنا الثقة والقدرة على طرحها بين طيات فكرهذه القامة الفلسفية العالية، ونستأنف تحليل علاقة الأخلاق بالدين الإسلامي.

المطلب الثاني: من "الأخلاق الفردية" إلى "الأخلاق الجماعية"

دعا الدكتور طه عبد الرحمن إلى التخلص من الاعتقادات الشائعة باعتبارها تقف حائلا دون فهم حقيقة الأخلاق، وهي، على الأقل، الثلاثة التالية:

الاعتقاد الأول: الأصل في الدين حفظ الشعائر الظاهرة

وخلاصة القول فيما أورده أستاذنا هو أن "الغرض من الشعيرة هو ما يتركه أداؤها من آثار مخصوصة في القائم بها تنقله من الحال التي هو عليها إلى حال أخرى تفضُلها، وهذه الآثار التي منها الجلي ومنها الخفي (...) هي التي ينبغي من جهتها أن نطلب معقولية هذه الشعائر، بحيث تكون الشعائر معقولة، لا بظواهرها، وإنما بآثارها". وفي هذا المعنى تدخل سلوكات القائمين بالشعائر لكونها قابلة للرصد والكشف عليها بملاحظتها أو قياسها وبالتالي استنتاج موافقتها لروح الشعيرة من دونها. وهذه "الآثار السلوكية هي بالذات المسمى الذي وُضِع لفظ "الأخلاق" للدلالة عليه". وبهذا تكون قيمة أداء الشعيرة معلقة بمدى تحقق هذا الخلق في سلوك من يؤديها.

الاعتقاد الثاني: الأصل في الأخلاق هو حفظ الأفعال الكمالية

يجد طه في هذه الصيغة إضرارا بمفهوم الأخلاق. كما أنه لا يستبعد أن يكون المنقول اليوناني قد عمل على ترسيخ معنى "الفضائل" التي تحيل على معنى "التكملة" في هذا الأصل، أو ما يقابلها باليونانية "أَريتي" بمعنى " الصفة التي يَكمُل المرء بواسطتها". والحال، يخلص طه، أن" الأخلاق ليست كمالات، بمعنى زيادات لا ضرر على الهوية الإنسانية في تركها، وإنما هي ضرورات لا تقوم هذه الهوية بدونها"([1]). وهكذا تبقى الأخلاق في صلب تعريف هوية الإنسان، ضرورات وليست فقط كمالات.

[1] نفسه. ص.54.

الاعتقاد الثالث: المعتبر في الأخلاق أفعال معدودة

إذا كان التصنيف الأفلاطوني يجعل الفضائل الأساسية أربعا، وهي : العفة والشجاعة والروية والعدل، فإن غيره اشتغل على فضائل أخرى تم حصرها وتصنيفها. لكن الأخلاق كما يرى طه"لا تنحصر في أفعال معدودة لا تَوسّعَ معها"، فالأخلاق هي "بعدد أفعال الإنسان".

نستفيد مما جاء في تحليل أستاذنا طه للاعتقادات الثلاثة الواردة أعلاه،والتي تميل عن مقاربةِ حقيقةِ الأخلاق كما يراها، أنه فيما يتعلق بالشعيرة الدينية، أي ما نَدَب الشرع إليه وأمر بالقيام به، فإن معقوليتها تدرك بالأخلاق، أي تلك الآثار السلوكية التي يحدثها أداء الشعيرة في الإنسان القائم بها لتنقله من الحال التي هوعليها إلى حال تفضُلها. والأخلاق ضرورات لا تقوم الهوية الإنسانية بدونها، وهي لا تنحصر في أفعال معدودة لا تَوسُّع فيها، بل هي بتعدد أفعال الإنسان.

وبناء عليه يبدو أن كلا من الأفعال الواردة أعلاه، سواء منها فعل"أداء الشعيرة" أو فعل " التأثر السلوكي" أو فعل "التحول إلى حال أفضل"، كلها تخص الإنسان الفرد الذي هو "الإنسان القائم بها"، وكأننا بصدد معالجة حلقة من حلقات مايطلق عليه "الإسلام الفردي" الذي يدور حول "التعبد الفردي" المؤدي إلى"الخلاص الفردي"؛ وبالتالي فحتى الأخلاق ـ بصفتها الآثارا السلوكيةـ المنتظر حدوثهاعند القيام بالشعائر لن تخرج عن القاعدة؛ فـ"الأخلاق لاتتناول علاقات الفرد بخالقه أو بما سواه من الأفراد في المجتمع فحسب، (بل إن)المتخلق على سبيل المثال، مطالب...بأن ينظر بعين التعظيم للحجر الذي يميطه عن طريق غيره، كما هو مطالب بأن لا يلعن الزمن الذي هو فيه..."([1]).

فإذا كانت الجماعة، في تعريفها المجرد،تعتبر وصفا خاصا بالوجود الاجتماعي الإنساني، بغض النظر عن وظائفها، فـ"قوام الجماعة تَماثل أفرادها في تبادل علاقات متفاعلة ومشتركة. والجماعة جملة من الأفراد المتماثلين والمشتركين في أفعال تعود بالنفع آخر الأمر على الجملة وعلى الأفراد معا"([2]). وانطلاقا من روح التكتل، نجد الفرد من حيث إسهامه في الوظائف المشتركة يستعيض عن العزلة بالتعاون والتعاضد. فما بالنا إذا كان الأمر يتعلق بأمة الإسلام وقد غابت عن وعي أبنائها في نشاطهم اليومي، بما فيه التعبدي الانزوائي ولوا اجتمعوا بالمئات أو الآلاف.لا خيار إذن لأبناء الإسلام إلا العمل على استعادة الرابطة التي تضمهم، والقصد أو المقاصد التي تجمع جهودهم، وتوحد سلوكهم نحو الخلاص الجماعي دنيا وآخرة.هذا وقد شاع عند العاملين للإسلام دعوةَ المسلمين للخروج من تقوقعهم في إسلامهم الفردي إلى إسلام جماعي.

نقترح، رادّين الفضل لصاحبه الدكتور طه حفظه الله، أن ننقل ميدان الأخلاق من التعبد الفردي، يقينا منا أنه لن يجمع للمسلمين كلمة ولن يؤهلهم لمسابقة الأمم من حولهم، ننقله إلى التعبد الجماعي متبعين المنهج التحليلي نفسه. قاصدين توسيع دائرة الآثار السلوكية، باعتبارها "أخلاقا فردية"، يحدثها أداء التعبد الفردي الذي لا تُدرَك معقوليتُه إلا بها،إلى آثار سلوكية وهي هنا "أخلاق جماعية"، يحدثها أداء التعبد الجماعي الذي لا تُدرَك معقوليته هو الآخر إلا بها. منتقلين بالأخلاق من ضيق وجدان فردي تسكنه، ومن تحريك إرادة فردية عاجزة مهما قويت، إلى

[1] نفسه. ص ص 82-83

[2] العوّا (عادل)، "العمدة في فلسفة القيم"، 1916،دار طالاس. ص.446.

وجدان جماعي أرْحَب، وتحريك إرادة جماعية أكثر نجاعة، قمينة بإبراز الهوية الحقيقية لأمة الإسلام المنتظرة إن شاء الله.

لنصغ إلى إنذار ربنا خوفا من التفريط وطمعا في الإنجاز حين يقول { والّذين كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}(الأنفال، آية 73). نموذج القياس من غير المسلمين؛ والصفة المقاس عليها هي الولاء المتبادل؛ أما الأمر التنفيذي فهو تكليف بفعل جماعي جاء في قالب تحذيري. فعل ينهض إليه أصحاب الهمم من المسلمين في كل زمان ومكان لإقامة أركانه على أرض الواقع وتوسيع قاعدته، لا قول تكرره ألسنة القاعدين. فعلُ أمر تعبديّ جماعيّ لا يستقيم بالبعض نيابة عن الكل، وهو الكفيل ـ من منطلق التكليف ـ باستجماع الجهد وضمان القوة بالمعنى العام. والنتيجة اتقاءُ من سِيقَ لهم التمكين الجماعي شرَّ فتنة وفساد كبير يهددان الأرض ومن عليها، وما أكثر تلاوينهما في زماننا حيث الأرض قرية على المستوى الإعلامي والعسكري من حيث إمكانيات تدميرها. وتجنيب تلك الفتنة وذلك الفساد الكبير الذي يهدد الأرض، هذا التجنيب هو الأثر الجماعي /(الخلق الجماعي) لذلكم الفعل التعبدي الجماعي المطلوب شرعا، والذي يتجسد في أن يكون المسلمون بعضهم أولياء بعض.

المطلب الثالث: من مفهوم المحافظة إلى مفهوم المطالبة

أولا: المقاصد من الصيغة الحفاظية الى الصيغة المطلبية

يوجز محمد بن علي الكتاني العالم المغربي في وصفه للثقافة الإسلامية عامة، الظروف التي بني فيها الفكر المقاصدي للعالم الجليل أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله تعالى خلال القرن الثامن الهجري.فيشير إلى الأسباب التي كانت من ورائها حين يؤكد أننا نستطيع القول بأن الثقافة الإسلامية في القرن الثامن الهجري كانت قد بلغت نهاية المد الذي يؤذن بالتراجع والانكماش، وعدد منها ما هو سياسي، يعود إلى تردي الأوضاع وانحلال الدول الكبرى ونزاع الزعماء المحليين والإقليميين على السلطة المركزية؛ وماهو اجتماعي يعود بالأساس إلى الانحلال الذي يعقب فترات الازدهار الاقتصادي؛
ومنها ما هو فكري وعقائدي لأن الصراع الذي كان دائرا بين المذاهب الكلامية ولاسيما تلك التي كانت تعارض العقل والعقلانية لفائدة الإيمان المطلق بالنص،وتلك التي كانت تعطي للعقلانية الاعتبار الأول في فهم النص نفسه، كان هذا الصراع قد آل إلى تجميد دور العقل، فطغت النزعة التقريرية، واستطالت الشروح والحواشي على حساب الإبداع والابتكار، ووقفت الثقافة الإسلامية في طريق مسدود.([1])

ومن هنا فإن الصيغة التي اصطبغ بها علم الأصول في تلك الأزمنة تحمل في تعابيرها آثار الظروف التاريخية التي برزت فيها.

فنجد علماءنا الأفذاذ رضي الله عنهم، وفي مقدمتهم العالم الجليل الشاطبي، قد قدّروا في زمانهم "وهم ينظرون إلى مصلحة الإسلام والمسلمين، أن يرعوا ما تبقى من العرى. لذلك نقرأ عندهم في معرض الحديث عن المقاصد

[1] الكتاني (محمد بن علي)، ثقافة القرن الثامن الهجري بين منهجي ابن خلدون وابن الخطيب"، مجلة دعوة الحق، عدد:259، 1986، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب.

الشرعية صيغة محافظة. نقرأ أن مقاصد الشريعة حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحِفظ النسل، وحفظ المال، وقد زاد بعضهم حفظ العرض".([1])

فإذا صارت الظروف غير الظروف، وأن مانقض من عرى الإسلام لم يكن قد نقض مع مَن كانوا قبلنا، وأن معنى الإسلام وحرمته ووزنه في صفوف الأمة الغائبة لم يعودوا كما كانوا في زمنرسم المقاصد، وأن جرأة المناوئين على مناهضة الدين في توجهاته الكلية أصبحت جهارا نهارا سواء من خارج الدويلات الإسلامية أومن داخلها، بل ويمول أصحابها من المال العام لشعوبنا، فإن دراسة جدوى صيغة المحافظة التي طبعت بها مقاصد الشريعة تدفعنا لنبحث، في أفق النهوض ككيان جماعي يستشعر ثقل التكليف بإخراج المسلمين من حال الخضوع والهيمنة ،نبحث عن مقاصد كلية من شرعنا تتلاءم مع العصر وتضمن للمسلمين التمكين في الأرض.

يتفاعل الأستاذ الدريني مع مفهوم المحافظة قائلا: "مما ينبغي الانتباه له أن المحافظة لا تعني الصيانة فقط، وإنما تتناول الإقامة أو الإنشاء؛ لما تلح الحاجة أو الضرورة إلى إقامته من المصالح العامة، والمرافق في الدولة، كما تتناول التنمية؛ فليس المقصود إذن بالمحافظة خصوص الصيانة، بل ما يتناول الإنشاء والتنمية لسائر مرافق الحياة والمصالح العامة والفردية على السواء، وفي هذا من السعة مافيه مما يمنع التخلف والجمود الحضاري." ([2])

فتعال نتساءل : ماذا تبقى والمؤسسات الحداثية هي التي تشكل المشهد العام للدولة القُطرية، كما رسم حدودها الاستعمار الغربي، من أعلى الهرم إلى القاعدة الشعبية؟ ماذا تبقى والقيم الحداثية تتغلغل في التربية والتعليم والإعلام، وفي الفكر والسياسة والاقتصاد والمال، وفي الملبس والمأكل والمشرب...؟ ماذاتبقى بعد تأميم الإسلام، وتهميش كل صوت إسلامي...؟ ماذا بقي للإسلام من حياة بعد أن "حُفِظ" هذه المرة في رفوف المتاحف مع التراث الشعبي والثقافي؟ ثم ماذا وماذا؟

لا يمكننا في حقيقة الأمر إلا أن نصطف مع الإمام عبد السلام ياسين لنقول معه وبصوت عال:"أما نحن، ففي زماننا نقدر أن ما ضاع منا كثير وأن ما بقي آيل إلى ضياع إن لم ننهض للطلب"([3]).

وبالتالي فإنه جدير بنا أن نعبر عن "مقاصد الشريعة في صيغ مطلبية لا حفاظية، فنقول: مطالب الشريعة هي كذا وكذا"([4]).و"لينفتح لنا باب الفهم لمطالب أخرى لم تخطر لهم على بال لأنها في نظرهم كانت حاصلة"([5]).

---

[1] ياسين (عبد السلام)، "نظرات في الفقه والتاريخ"، 1989، دار الخطابي – المغرب،الموسوعة الإلكترونية سراج لمؤلفات الإمام عبد السلام ياسين.(siraj/net). ص. 55.

[2] الدّريني (فتحي)، "بحوث مقارنة في الفقه وأصوله"، الطبعة الجديدة، 2008، الجزء الثاني، مؤسسة الرسالة، ص.97.

[3] نفسه. ص. 67.

[4] نفسه. ص. 55.

[5] نفسه. ص.ص. 67-68.

ثانيا: الأخلاق من الصيغة الحفاظية الى الصيغة المطلبية

إن الدارس وحتى المتأمل في المشكلة الأخلاقية في أفق استصدار جواب عن السؤال الأخلاقي، يكاد يجزم أن واقعنا لا يكاد يبين. فإما أن الكتب والمنابر وحتى الأفراد، تكرر خطابا عن ماضي من سبقونا بإيمان وأخلاق، فتمجد هذا الصحابي الجليل وتذكر مناقبه، وهذا الولي الصالح وخصاله، والعالم، والعارف،و...، ويكفي أن يُحدّث المحدّث عن واحد من أهل الفضائل والأخلاق من سلف الأمة ليكون قد أدى الواجب، وكأن اللوحة الملهمة الوحيدة هي تلك التي تحمل شعار: السلف أفضل من الخلف. فينزل الستار ليختفي الأفق وتنحبس الرؤية المستقبلية.

وإما إعجاب شديد بقيم الغرب الحداثي ينم عن شعور بالدونية تجاه هذا النموذج "الأمثل"، مؤداه إنتاج خطاب يركز على بناء مستقبل مشروط باتباع النموذج"شبرا بشبر" في كل المراحل التي طواها الغرب طيّ فاعل واع بزمانِ فِعْله متفاعل مع تاريخه. فلا يزداد السؤال الأخلاقي إلا إلحاحا.

والحال أن الفكر الأخلاقي الإسلامي حتى وإن اتّهم،في مواقع عدة، بنَهْله من الفلسفة الأخلاقية اليونانية، فإن اتخاذ السؤال الأخلاقي وجهة مقاصد الشريعة، بوصفها سيرورة علمية لعلم أصول الفقه، من أجل تأطيرِ ثم تجديدِ الفكر الأخلاقي الإسلامي ترتيبا ومنهجا وغاية، لَيُعَدُّ بحدّ ذاته استشرافا للاستقلال عن النظريات اليونانية عبر التصدي لتنقيته من شوائبها، وعن منظومة القيم الحداثية التي يعمل أهلها على عولمتها.

وبالتالي، وكما فصلنا في ضرورة اصطباغ المسألة المقاصدية في زماننا بالصيغة المطلبية، فإن المسألة الأخلاقية، وبحكم المصير المشترك، لابد من أن تكتسب أيضا هذه الصيغة المطلبية، حتى توافق مطلب ديناميكية النهضة المنبثقة من قيم وأخلاق تثمر أفعالا أخلاقية قَـيّمة تنبني عليها مؤسسات الأمة والمجتمع الإسلاميين.

المطلب الرابع: الأخلاق الجماعية لجماعة المسلمين الأولى نموذجا

تأطيرُ وتجديدُ الفكر الأخلاقي يتم إذن من داخل مقاصد الشريعة، إذ كما جاء في كتاب الموافقات للإمام الشاطبي رحمه الله: "والشريعة إنما هي تخلّق بمكارم الأخلاق"[1]، ويضيف رضي الله عنه: "ولهذا قال النبي الكريم عليه السلام: [بعثت لأتمم مكارم الأخلاق]". وبكلام الله العزيز الحكيم في حق رسوله الكريم، يحصل اليقين بكون الأخلاق من صلب الدين، قال تعالى: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}[2].هكذا اجتمع الشرع والأخلاق في شخصه صلى الله عليه وسلم، فعظمة الخُلق لعظمة الرسالة، ليبثهما معا في جماعة المؤمنينَ بدعوته. وهكذا كانت النتيجة عملية فانتقلوا من حال شتات إلى حال انجماع على القصد الغائي وهو معرفة الله تعالى، عاملين بإصرار وحرص شديد على صفاء الاقتفاء لأثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الجامع لكمال الدين.

فهذا "الناطق باسم جماعة المسلمين" ربعي بن عامر وهو يُعرّف بهم بنون الجماعة حين قال لرستم قائد جيوش كسرى: "نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة". وخلال الحوار الذي دار بينهما سأل رستم ربعي: أقائدهم أنت؟ فقال ربعي: "لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد، بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم" [3].

---

[1] الشاطبي، " الموافقات"، 790هـ،المجلد الثاني، دار عفان. ص. 124.

[2] القلم، آية. 4

الموقف في حد ذاته (مقصد خلقي مطلب=العزة والشجاعة، مطلب لأمة الإسلام في زمن الغثائية)،نحن (مقصد خلقي جماعي مطلب = خيرية الـ"نحن" المحددة للهوية الجماعية بدل الـ"أنا" الفردانية)؛ قوم(مقصد خلقي جماعي مطلب =الشعور بالولاء لجماعة متحركة ومتماثلة وتشاركية)؛ ابتعثنا الله(مقصد خلقي جماعي مطلب= تجديد الثقة في موعود الله عز وجل بابتعاث أمة الإسلام والتمكين لها)؛ لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد (مقصد خلقي جماعي مطلب= فعل جماعي للتحريرمن العبودية لغير الله في زمن الاستبداد وعولمة قيم الحداثة)؛ ومن جور الأديان(مقصد خلقي جماعي مطلب= ذم الجور على الإطلاق)؛ عدل الإسلام (مقصد خلقي جماعي مطلب= العدل الذي لا يستقيم الإسلام إلا به، ولا يقوم بتحقيقه إلا كيان جماعي)؛ سعة الدنيا (مقصد خلقي جماعي مطلب=من أجل تحقيق الكرامة الآدمية بالتوسيع في الرزق المادي والمعنوي لأبناء الأمة المحرومين من خيرات أوطانهم)؛ وسعة الآخرة(مقصد خلقي جماعي مطلب= العمل ابتغاءمرضاة الله تعالى وإخلاص العمل له سبحانه ثم الفوز بالجنة وعرضها كعرض السماوات والأرض، إنما في ارتباط تام مع الكرامة الآدمية)؛ المسلمون كالجسد الواحد (مقصد خلقي جماعي مطلب= تحقيق التضامن، والتكامل، والتكافل، والتشارك..). وكل هذه المقاصد الخلقية وأمثالها ضاعت من مجموع الصفات الهوياتية التي كانت تصطبغ بها أمة الإسلام، حتى وإن وُجد بعضُها ضمن صفات هوية بعض الأفراد قلَّ عددهم أوكثر، لذا فأولى بهذه المقاصد الخلقية أن تصبح مطالب جماعية مادامت تستدعيها ظروف زماننا، في أفق اصطباغ هوية الأمة الإسلامية بها، تحقيقا لشروط إقلاعها وحسن هيئتها. أما الحديث عن المحافظة فلا يصح مع ما يوجد عمليا في حساب العدم.

المقاصد الخلقية والمقاصد الشرعية في اندماج عجيب وتعاضد وتكامل تشد بعضها بعضا كأعضاء الجسد الواحد الذي شبه به ربعي الكيان الجماعي الحامل لها علما وعملا، ذلك الذي نطق باسمه: جماعة المسلمين التي حددت هويتها بذلكم التكامل المقاصدي الجامع، الضامن لإقامة المصالح الدنيوية والأخروية الجماعية منها ثم الفردية على الوجه الأمثل والأقوم، إقامة يُتَقرب بها إلى الله عز وجل.ومن هنا فإن مآل سؤال المقاصد الخُلُقية مرتبط أيّما ارتباطٍ بمآل سؤال المقاصد الشرعية فيما يتعلق بصيغة المطالبة.

([3])"تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك"، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، الجزء الثالث، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، ص: 520، دار المعارف بمصر، 1962

خاتمة

ليس عبثا ولا وَهْما أن تمعن الأمة الإسلامية النظر في إعادة بناء هويتها، بدءا بمراجعة مقاصدها الشرعية والأخلاقية الجماعية، استعدادا لغد الإسلام إيمانا وثقافة وحضارة مكتملة الأركان.هذا وإن كان العكس هو ما يبدو للمتتبع الواقع تحت ضغط الآلة الإعلامية المروجة للحداثة المزهوة بطردها للدين الكنسي في عقر دارها، وبالعمل الدؤوب على وسم الدين الإسلامي بأنه غيبي وأمر بال يجلب التخلف لأهله مما يوجب إبعاده في ديارهم أيضا، ثم تُمنّيه بأن تحل محله القيم والقوانين والمؤسسات الحداثية الضامنة وحدها للتقدم.

والواقع أن مطالعة التاريخ المضطرب للمرحلة التي خضعت فيها الشعوب المسلمة ولا تزال لجور الأنظمة الاستبدادية قد تغري بتبني هذا التشكيك. وبالفعل أخذ هذا الخطاب نفرا من أبناء الأمة يُعَدّون على المثقفين والسياسيين وغيرهم ممن صاروا يُسَوِّقون للإيديولوجيا الحداثية بلغة قومهم، ما جعل فئات من مجتمعاتهم، إن لم تُعادِ الدين، فقد نقص تشبثها بالمقاصد الإسلامية.

ولا جدال في كون هذا الفتور راجع بالأساس إلى تغييب هذه المقاصد في السياسات العمومية التي حوَّلت بدورها الوجهة نحو "المقاصد الحداثية"، ثم للضبط التحكمي في المشهد الديني الذي اختزَل الدين في عبادات فردية وفقه جامد ترده منابر المساجد لا أثر له على واقع الناس، ناهيك عما تتعرض له الناشئة في مدارسها يوميا من وابل من المفاهيم الحداثية من خلال البرامج والمناهج التعليمية.

لكن أهل الفكر من الغربيين المعاصرين، المؤثرين في السياسات العامة لبلدانهم، لا ينظرون إلى القيم الدينية وثقافات الشعوب غير الغربية بنفس نظرة إعلامييهم، الذين تحركهم الإيديولوجيا باعتبارها تمثل خط تحرير رسالتهم الإعلامية، بل يرون أنها مصدر قوة تلك الشعوب الروحية والمادية.

فبالنسبة لمن لا يزال يتساءل عن "حظوظ" تفلت الأمة الإسلامية، جزءا أو كلا، من هيمنة الوصفات الجاهزة للإيديولوجيا الحداثية، والتمكن من نهوض يحافظ على مميزات هويتها الثقافية، مُوَلّية وجهها شطر المقاصد الشرعية والأخلاقية الخاصة بها، فإننا بيَّنا أن الجواب متضمن في تجارب الدول الآسيوية، ومن ضمنها دول إسلامية، التي أصبحت أكثر نجاحا من الناحية الاقتصادية، والتي استطاعت أن تجعل من ثقافتها ومنظومة قيمها دعامة رئيسية لاقتصادياتها وتماسكها الاجتماعي والسياسي. ولم تتردد في تأكيد تميز ثقافتها والإعلان بأعلى صوت عن تفوق قيمها وأساليب حياتها على تلك التي لدى الغرب الأمريكي والأوروبي.

نتائج البحث:

1-- تبين من خلال دراسة السياق العام لظهور الحداثة أن أوروبا كانت تعاني استبدادا شاملا تمثل في ممارسات تحالف السلطة الحاكمة ورجال الكنيسة كمؤسستين رسميتين، ما جعل الحداثة تُشيِّد نهضتها باعتماد قيم تقطع مع ما بناه التحالف المذكور على كل المستويات، وهكذا :

- جاءت قيمة الحرية على رأس القيم الحداثية، حرية منظور إليها من داخل الدولة، انكب عليها الفكر الحداثي وحصر فيها كل أسئلته ومشاريع نهضته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والفنية وغيرها؛
- تَم التركيز على العقل الحر باعتباره قادرا على الوصول إلى كل الإجابات عن الأسئلة السابقة وغيرها، وأنه وحده قادر على إحداث منظومة أخلاقية تستجيب لمتطلبات الواقع؛

- تشجيع العلم في شموليته بصفته إنتاجا للعقل الحر الذي يفكر مستقلا عن كل رقابة "تقليدية"، والذي به يرقى الإنسان ليدرك مقام "السيادة" كما تمثلتها الحداثة الغربية؛

2-- لكن مع هذا الرقي المادي والتنظيمي، سجلنا مع المؤرخين والنقاد تخلفا سلوكيا ونقضا للقيم والأخلاق سواء مع الذات الغربية أو مع الآخر نذكر على سبيل المثال:

- تسلحٌ وحربان عالميتان دمّرتا العمران وقتلتا الإنسان الغربي الذي فُصّلت القيمُ والأخلاقُ الحداثية على مقاسه؛
- استعمار من طرف جيوش الغرب الحداثي للشعوب غير الغربية، وقبول الإنسان الغربي بأن " يَنْعم" بثروات الشعوب المستعمَرة تجلبُها حكوماتُه بالقوة؛
- أوضحنا مع عالم الاجتماع الفرنسي الشهير آلان تورين الكثير من الانعكاسات السلبية للحداثة، من مثل التنزيل العنيف للمشروع الحداثي، وما ذهبت إليه العقلنة حينما فرضت تحطيم العلاقات الاجتماعية والمشاعر والعادات والمعتقدات، وأيضا إحلال المجتمع كأساس للحكم الأخلاقي ليصبح المجتمع منبعا للقيم بشكل مطلق،...الخ.
- وقفنا على محدودية العقل الحداثي في استقلاليته عن "التقليد" خلال بناء منظومته الأخلاقية ، إذ بيَّنّا مع الدكتور طه عبد الرحمن أن النظرية الأخلاقية الكانطية قائمة على قواعد دينية عن طريق المبادلة وكذلك المقايسة.

3-- أوضحت الدراسة أن فترة مابعد الحرب الباردة تميزت بالترويج لشعارات الإيديولوجيا الحداثية خارج حدود النشأة، مع مواصلة العمل من أجل الحفاظ على الوضع المتفوق للغرب ومنظومة قيَّمه، مع جعل مصالحِه مصالحَ العالم، وهكذا تم:

- توظيف الإعلام لتصبح الحقيقة من أكبر الضحايا في العالم؛
- اعتبارُ القيمَ الإسلامية تشكل تحدّيّا للحضارة الغربية، وسببا في عدم استقرار العالم؛
- مأسسة استخدام القوة وشرعنة الهيمنة على العالم انطلاقا من منظمات دولية سياسية وعسكرية ومالية، وعلى رأسها مجلس الأمن الدولي المحتكَرُ من طرف الغرب بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية؛
- تصنيف النهضة التحديثية الشاملة للدول الآسيوية بأنها تمثل تحدّيّا بسبب تأكيدها علانية على سمو قيمِ وتقاليد شعوبها، مقارنة مع القيم الغربية؛

4-- كشفت الدراسة أن شروط نهضة الأمة متوقفة على تغيير تصوراتها لمنظومة القيم والأخلاق الإسلامية نظريا وعمليا، وهكذا:

- ظهرت الحاجة إلى اليقظة لتجنب معالجة السؤال الأخلاقي في الفكر الإسلامي باعتماد آليات الفكر الحداثي الهاجم، أو المنقول اليوناني المتسرب سلفا، والذي اتخذته الحداثة امتدادا تاريخيا لها؛
- اتضح أن معقولية أداء الشعائر التعبدية تكون بقدر ما يرسخه هذا الأداء من أخلاق جَلِيَّة وخفيَّة، وأن الأخلاق لا تنحصر في أفعال معدودة وإنما هي بعَدد أفعال الإنسان فردا كان أو جماعة؛
- تبين أن لا خيار لأبناء الإسلام إلا بالعمل على استعادة أخلاق جماعية تَضُمّهم، وجعلها مقاصدَ تجمع جهودهم، وتحرك إرادتهم الجماعية لاسترجاع الهوية المُغيَّبَة للأمة؛

- ـ تجلّت الأسس الأخلاقية الجماعية التي جسدت هوية جماعة المسلمين الأولى، من خلال موقف وتصريح الصحابي الجليل ربعي بن عامر لرستم قائد جيوش كسرى، واتضحت أهميتها لتكون نموذجا يُحْتذى لمقاصد خلقية عملية يُطلب سريانها في جسد أمة الإسلام في زماننا.

توصيات ومقترحات البحث:

1- التعامل الموضوعي مع الفكر الحداثي بصفته فكرا بشريا، ومع ما صدر من نقد للحداثة الغربية، مع نية الاستفادة منهما من باب "الحكمة ضالة المؤمن "؛

2- التوسع في دراسة النهضة الآسيوية التي استطاعت أن تحقق تحديثا شاملا، تُضاهي به الدول الصناعية، معتمدة على قيم وأخلاق شعوبها دونَما حاجة إلى قيم الحداثة الغربية؛

3- إصدار أبحاث توضح ضرورة ربط تدين المسلمين بما يحققه من آثار سلوكية تَغْرِف من مكارم الأخلاق النبوية؛

4- دعوة المقاصديين إلى الاجتهاد في صياغة مقاصد قيم وأخلاق جماعية يرفعها المسلمون في عصرنا كمطالب لتحقيق نهضتهم، إمّا أنها كانت حاصلةً في زمن مَن سبقونا أو أنها لم تخطر ببالهم رحمهم الله.

والله ولي التوفيق

مراجع البحث:

التيمومي (الهادي)، "مفهوم الإمبريالية من عصر الاستعمار العسكري إلى العولمة"، الطبعة الأولى 2004، منشورات عيني بناي- المغرب، ودار محمد علي- تونس.

الدّريني (فتحي)، "بحوث مقارنة في الفقه وأصوله"، الطبعة الجديدة، 2008، الجزء الثاني، مؤسسة الرسالة.

الشاطبي، " الموافقات"، 790هـ،المجلد الثاني، دار عفان.

الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير)، " تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك"، الجزء الثالث، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، 1962.

العروي (عبد الله)، "مفهوم الحرية"، الطبعة الخامسة 2012، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب.

العوّا (عادل)، "العمدة في فلسفة القيم"، 1916، دار طالاس.

الكتاني (محمد بن علي)، ثقافة القرن الثامن الهجري بين منهجي ابن خلدون وابن الخطيب"، مجلة دعوة الحق، عدد:259، 1986، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-المغرب.

المسيري (عبد الوهاب)،" دراسات معرفية في الحداثة الغربية"، القاهرة ، دار الشروق، 2006.

تورين (آلان)، "براديكما جديدة لفهم عالم اليوم"، 2005، ترجمة جورج سليمان، 2011، بيروت- لبنان.

تورين (آلان)، "نقد الحداثة"،1992، ترجمة أنور مغيث، 1997.

توملينسون جون، " العولمة والثقافة"، 1999، ترجمة إيهاب عبد الرحيم محمد ، عالم المعرفة، عدد 354، 2008.

سمير (أمين)، في تقديم كتاب التيمومي، "مفهوم الإمبريالية من عصر الاستعمار العسكري إلى العولمة"، الطبعة الأولى 2004، منشورات عيني بناي- المغرب، ودار محمد علي- تونس.

طه (عبد الرحمن)، "سؤال الأخلاق: مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية"،2000، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب.

الزرقاني (الإمام محمد بن عبد الباقي)،"مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة"، تحقيق الدكتور محمد بن لطفي الصباغ، الطبعة الرابعة، بيروت، 1989.

هنتنغتون (ساموبل)،"صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي"، 1996، ترجمة طلعت الشايب، طبعة 2، 1999.

ياسين (الإمام عبد السلام)، "العدل: الإسلاميون والحكم"، 2000، مطبوعات الصفاء للإنتاج،الموسوعة الإلكترونية سراج لمؤلفات الإمام عبد السلام ياسين.(siraj/net)

ياسين (الإمام عبد السلام)، "نظرات في الفقه والتاريخ"، 1989، دار الخطابي - المغرب،الموسوعة الإلكترونية سراج

لمؤلفات الإمام عبد السلام ياسين.(siraj/net)

التمثلات الاجتماعية للطالب الجامعي حول عوامل النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري
دراسة ميدانية بجامعة الشيخ العربي تبسي تبسة (الجزائر)

د. حنان لحبيب بوطورة
Ms. Hanane Lahbib Boutora
طالبة دكتوراه جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر)
bh77236@gmail.com
د. سميرة إبراهيم منصوري
Dr. Samira Brahim Mansouri
أستاذة محاضرة أ جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة (الجزائر)
samiramansouri1975@gmail.com

الملخص:

قد يختلف الأفراد والمجتمعات في تمثلاتهم لدلالات النجاح الاجتماعي، فمنهم من يربطه بالسلطة أو المنفعة المادية، كما أن منهم من يربطه بالانتماء وإقامة علاقات اجتماعية سليمة، ويمكن أن يختلفوا أيضا في تمثلاتهم للعوامل المساعدة على تحقيق هذا النجاح ، فيرجعها بعضهم إلى عوامل خارجية، في حين يربطها البعض الاخر بالجدارة الشخصية، الا أننا لا نجد أن هناك اختلاف يمكن أن يكون بينهم حول أهمية النجاح الاجتماعي في حياتهم، لأن النجاح الاجتماعي مفهوم يرتبط بالمعنى والغرض الذي يسعى الافراد أو المجتمعات لإيجاده من خلال وجودهم الفردي أو الإجتماعي، منذ أن يتحقق وجودهم بهذه الحياة إلى إنتهائه، لذا هدفت هذه الدراسة للتعرف على أبعاد ظاهرة النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري من خلال البحث في تمثلات الطلبة الجامعيين باعتبارها انعكاس لواقع اجتماعي يحدد عوامل النجاح الاجتماعي ويوجهها.

الكلمات المفتاحية : التمثلات الاجتماعية ، النجاح الاجتماعي ، الطالب الجامعي

Summary:

Individuals and societies may differ in their representations of the signs of social success ,

some of them link it to power or material benefit, and some of them link it to belonging and establish healthy social relationships, and they may also differ in their representations of the factors that help achieve this success, so some of them refer to external factors, while linking then Others have personal merit, but we do not find

that there can be a difference between then about the importance of social success in their lives, because social success is a concept related to the meaning and purpose that individuals or societies seek to find through their individual or social presence, since their existence in this life is achieved to Its expiration. Therefore, this study aimed to identify the dimensions of the phenomenon of social success in Algerian society through researching the representations of university students as a reflection a collective reality that defines and guides the factors of social success.

Key words: social representations, social success, university student

مقدمة:

يدخل الأفراد في شبكة من العلاقات الاجتماعية ضمن جماعتهم المرجعية الأولى أو ضمن جماعات ثانوية بهدف الوصول إلى تحقيق النجاح الاجتماعي والوصول إلى المعنى الذي يضعونه ويحددونه انطلاقا من خياراتهم الفردية من ناحية ومن خلال ما يتلقونه من بيئتهم الاجتماعية من معارف ترجح لهم مجموعة من الخيارات للوسائل والأهداف المرغوبة والمقبولة اجتماعيا ضمن هذه الجماعة أو بالبناء الاجتماعي الذي يعيشون ضمنه، وتمثل تلك الخيارات أفكارا اجتماعية مشتركة داخل الجماعة تعطيها تميزها وتحدد دلالات ومعاني النجاح الاجتماعي داخلها، اضافة إلى تحديد العوامل المساعدة على تحقيقه والوصول إليه، ومن خلال هذه العوامل التي يتمثلها أفراد الجماعة داخل المجتمع الواحد في تفاعلاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية يتشكل الواقع الاجتماعي للمجتمع بصورة تميزه عن غيره وتظهر به عوامل النجاح الاجتماعي ودلالته في أشكال مختلفة باختلاف ممارسة الأفراد لتلك الخيارات التي تحملها هذه التمثلات الاجتماعية.

ولعل أهم التحديات التي تواجه المجتمعات والمجتمع الجزائري على وجه خاص في بلوغ النجاح الاجتماعي يكمن في التغيرات السريعة التي يشهدها هذا العصر في المنطلقات الثقافية والتي أصبحت تعيد تشكيل مركز التمثلات الاجتماعية للمجتمعات باستمرار خاصة منها المجتمعات النامية مثل المجتمع الجزائري، الأمر الذي أصبح يوجد واقعا اجتماعيا محبطا للكثير من الأفراد ، يجعلهم غير قادرين على تحديد تمثل واضح له عناصره القاعدية الثابتة التي ينطلقون منها لتحقيق ادراك ذاتهم الاجتماعية من خلال توقعات اجتماعية واضحة حول مختلف الوسائل والأهداف المرغوبة والمقبولة اجتماعيا لبلوغ النجاح الاجتماعي.

وتعتبر فئة الطلبة الجامعيين من أهم الفئات الاجتماعية الأكثر حساسية لهذه التغيرات، وذلك نتيجة لخصوصية المرحلة العمرية لها وهي مرحلة الشباب التي تكون في الأغلب أكثر المراحل التي يسعى خلالها الأفراد إلى تحقيق النجاح الاجتماعي على اتصال كبير بالتمثلات الاجتماعية التي يحملها الواقع الاجتماعي عن عوامل النجاح الاجتماعي من أجل الوصول إليه وتحقيق التوافق النفسو اجتماعي، لذا تمكن معرفة تمثلاتهم عن عوامل النجاح الاجتماعي من التعرف على طبيعة الواقع الاجتماعي وما يحمله من خيارات حول هذه الظاهرة.

لذا وتأسيسا على ما سبق يتمحور إشكالنا حول طبيعة العناصر الضمنية المشكلة لتمثلات الطالب الجامعي حول عوامل النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري.

- **التساؤل الرئيسي:** ما هي العناصر الضمنية المشكلة لتمثلات الطالب الجامعي حول عوامل النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري؟

- **التساؤلات الفرعية:**

1-كيف يتمثل الطالب الجامعي عوامل النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري ؟

2- ما هي محددات تمثلات الطالب الجامعي لعوامل النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري ؟

أولا: أهميـــــــــة الدراســـة

تتضح أهمية الدراسة الحالية من أهمية المتغيرات التي تعمل على دراستها وأهمية الفئة المعنية بالدراسة والمتمثلة في الطلبة الجامعيين، فالتمثلات الاجتماعية مبحث هام يمكن من خلاله التعرف على الأفكار الاجتماعية المشتركة داخل الجماعة والكشف من خلال ذلك عن حقائق المجتمع التي تترجم قيمه ومعارفه ومدى وعيه بالمتغيرات الاجتماعية داخل البناء الاجتماعي للمجتمع وترتبط هذه الدراسة بعينة ذات أهمية بالغة داخل أي مجتمع وهي فئة الطلبة الجامعيين باعتبارهم المورد الأساسي الذي تقوم عليه التنمية وهي الفئة الأكثر حساسية للتغيرات الاجتماعية التي تلحق بالمجتمع، وظاهرة النجاح الاجتماعي تعتبر مطلب جوهري لكل فرد داخل المجتمع، كما أن التعرف على تمثلات الطالب الجامعي لعوامل النجاح الاجتماعي يمكن من الكشف عن واقع العلاقات الاجتماعية داخل البناء الاجتماعي وقدرة أفراد المجتمع على التعامل مع التحديات

الاجتماعية الناتجة عن التغير الاجتماعي وأثر ذلك على تمثلهم لذواتهم الاجتماعية في علاقتها بالآخرين ومستوى دافعية الانجاز بالمجتمع.

ثانيا: أهداف الدراســــــــــة

تهدف الدراسة الحالية إلى الكشف عن العناصر الضمنية المشكلة للتمثلات الاجتماعية لدى الطالب الجامعي حول عوامل النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري من خلال عينة من طلبة قسم العلوم الاجتماعية سنة ثانية ماستر بجامعة الشيخ العربي تبسي تبسة ، وذلك بهدف الاجابة على التساؤلات المصاغة في هذا السياق من أجل التعرف على عوامل النجاح الاجتماعي لدى الطالب الجامعي، والتعرف على تأثير المفاهيم والمنطلقات الفكرية للمجتمع في انتاج التمثلات الاجتماعية للطالب الجامعي حول عوامل النجاح الاجتماعي. وكذا الكشف عن المنظومة القيمية والمعيارية التي تنظم من خلالها عينة الدراسة تمثلاتهم عن عوامل النجاح الاجتماعي والمنطلقات التي يقيم من خلالها أفراد العينة ذواتهم في اتصالها بالآخرين، وتمثلاتهم للعوامل المتحكمة في ادراك هذه الذات كذات فاعلة اجتماعيا وقادرة على تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي والمشاركة في تحقيق أهداف المجتمع.

ثالثا: مفاهيــم الدراســـة:

1. التمثلات الاجتماعية:

- يعرفها **سيرج موسكوفيتشي** في مقدمة كتابه التحليل النفسي صورته وجمهوره (1961م) بأنها: "شكل خاص من المعرفة ومجموعة من القوانين العلمية المنظمة وهي احدى العمليات النفسية التي بفضلها يستطيع الأفراد جعل الواقع النفسي والاجتماعي مفهوما وواضحا ".[1]

- عبر **إميل دوركايم** عن التمثلات الاجتماعية بمصطلح (التمثلات الجمعية) ويرى أنها الخبرة المشتركة للجماعة وتشتمل على المشاعر والأفكار والمعتقدات الجمعية وتشير إلى نظرتهم للعالم وتحدد طريقة تعاملهم معه،كما تشكل الهوية التي تميز الجماعة عن غيرها.[2]

- أما عند **ماكس فيبر**: فهي مجموعة المعاني وقواعد السلوك والأحكام القيمة والعقائد المنظمة المتجانسة التي يبنيها الأفراد عن العالم و يدركونه ويفسرونه من خلالها ويتفاعلون وفقها.[3]

التحديد الاجرائي للتمثلات الاجتماعية:

يقصد بالتمثلات الاجتماعية في هذه الدراسة نظام معرفي يبني النظرة الاجتماعية للطلبة الجامعيين بجامعة الشيخ العربي تبسي تبسة، سنة ثانية ماستر من خلال الحس الاجتماعي المشترك بينهم داخل المجتمع، ويدركون من خلاله عوامل النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري.

---

[1] التمثلات الاجتماعية للمعرفة المدرسية لدى التلاميذ الذين تظهر لديهم أعراض الانقطاع عن الدراسة، بن ملوكة شهيناز، أطروحة دكتوراه، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، 2014 م، ص 20.

[2] مصطلحات علم الاجتماع، سميرة أحمد السيد، مكتبة الشقري، السعودية، ط1، 1997م، ص 35.

[3] علم اجتماع بيار بورديو، عبد الكريم بزاز، دراسة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر،2006م، ص 24.

2. الطالب الجامعي:

- **عرف محمد ابراهيم عبده، الطالب الجامعي على أنه:** الفرد الذي اختار مواصلة الدراسة الاكاديمية والمهنية، ويأتي إلى الجامعة محملا معه جملة قيم وتوجهات صقلتها المؤسسات التربوية الأخرى، والجامعة من المفروض تحضره للحياة العليا.[4]

التحديد الاجرائي لمفهوم الطالب الجامعي: ويقصد به في هذه الدراسة طلبة سنة ثانية ماستر جميع التخصصات بقسم العلوم الاجتماعية، جامعة الشيخ العربي تبسي تبسة.

التحديد الاجرائي لمفهوم النجاح الاجتماعي:

ويقصد به في هذه الدراسة نجاح الطالب الجامعي في اقامة علاقات اجتماعية سليمة ، والنجاح في مواجهة التحديات الاجتماعية لصورة تمكنه من ادراك ايجابي لذاته الاجتماعية في مختلف المواقف الاجتماعية التي يواجها أثناء الدراسة وعند انهاء دراسته.

رابعا: عرض الدراسات السابقة

- دراسة" بعنوان "**التصورات المستقبلية لدى المراهق المتمدرس**" **لطيفة زروالي** ، وهي عبارة عن دراسة منشورة في اطار الإعداد لرسالة الدكتوراه بجامعة السانيا وهران - دراسة ميدانية أجريت على مستوى أربع ثانويات متواجدة في ولاية وهران ثانوية الرائد فراج السانيا، ثانوية ابن محرز الوهراني حي المقري، ثانوي عبد القادر عدة، ثانوية عين البية ببطيوة 2009م، هدفت الدراسة إلى التقرب من التصورات المستقبلية للمراهق المتمدرس من خلال معرفة القيم السائدة داخل المؤسسات الاجتماعية والمتبناة من طرف المراهق وعلى أساسها يبني صورته الذاتية الآنية ويحاول أن يتخيل صورته الذاتية المستقبلية، ضمن مقاربة نفسية اجتماعية، خلصت الدراسة إلى صياغة أربعة فرضيات. للتحقق من صحتها استعملت أداتان لجمع المعلومات، الاستبيان والمقابلة نصف الموجهة ووزع الاستبيان على عينة مكونة من (188 تلميذ)، أما دليل المقابلة نصف الموجهة فقد طبق على عينة من (30 تلميذ) في حين بلغ مجموع مجتمع العينة الكلي 218 تلميذا.

خلصت الدراسة إلى أن المشاريع المستقبلية تتحدد بالمعطيات الاجتماعية والثقافية للمجتمع، ومجمل التفاعلات الاجتماعية وضمن مختلف المؤسسات الاجتماعية ومنها المدرسة.

- دراسة بعنوان "**الطلبة الجامعيون تصوراتهم للمستقبل وعلاقتهم بالمعرفة ـ" لمنى عتيق** ، وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه علوم في علم النفس التربوي بجامعة قسنطينة 2 - دراسة ميدانية بجامعة باجي مختار ـــ عنابة، 2013م، حاولت فيها الإجابة على بعض التساؤلات خلصت إلى صياغة فرضية عامة والتي انبثقت عنها خمس فرضيات. وللتحقق من صحتهما استعملت تقنيتين الاستبيان ومقياس الدافعية لجمع البيانات، تم التعامل مع عينة من الطلبة الجامعيين بجماعة باجي مختار - عنابة ، وبلغ حجم العينة (202 **طالب**) من مجتمع أصلي بلغ (1838 طالب) ومن أبرز نتائجها:

[4] الطلبة الجامعيون: تصوراتهم للمستقبل وعلاقتهم بالمعرفة، منى عتيق ،أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، تخصص علم النفس التربوي، كلية علم النفس والعلوم التربوية ، جامعة قسنطينة ،2 الجزائر، 2013 م، ص 29.

التفاؤل بالغد لدى الطالب الجامعي حيث المشاريع المستقبلية المبكرة والتصورات الايجابية لهذا المستقبل رغم مخاطر البطالة واحتمالية الوقوع فيها، كما بدت عينة الدراسة من طلبة مجتهدين حرصين على علاقاتهم بالمعرفة مصرين وذوي عزم ذاتي متميز لبلوغ أهدافهم الدراسية وشق طريقهم نحو المهنة المستقبلية.

- دراسة بعنوان "**التغير القيمي ومظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي**" **لتالي جمال**، وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه علوم في علم الاجتماع بجامعة محمد خيضر بسكرة - دراسة ميدانية بجامعة محمد بوضياف ـــ المسيلة ـــ ،2014 م ، هدفت الدراسة إلى التعرف على النسق القيمي لدى الطلبة الجامعيين السائد في الجامعة وما طرأ عليه من تغيرات وعلاقته بالاغتراب في ظل دور الجامعة المرتبط بدعم القيم وتنميتها لدى الطلبة، وللتحقق من صحة فرضيات الدراسة استعمل الملاحظة، المقابلة بنوعيها والاستمارة كأدوات لجمع المعلومات، على عينة قصدية من الطلبة المقيمين بكافة الاقامات الجامعية بجامعة محمد بوضياف ـــ المسيلة ـــ بنسبة (2.5%) من كل إقامة وبلغ حجم العينة **514** طالبا (**310** إناث و **204** ذكور) من مجتمع أصلي يبلغ (**20610** طالب).

ومن أبرز نتائجها:

وجود تغير قيمي لدى الشباب الجامعي إزاء العديد من المفاهيم مثل العمل والتعليم...، له علاقة كبيرة بالتحولات السياسية والاقتصادية بالجزائر، حيث أصبحت القيم الاقتصادية والثقافة المادية تحتل صدارة سلم القيم بين المبحوثين والملاحظ هو تراجع القيم الدينية مقابل القيم الاقتصادية والمادية، ويوجد أيضا تراجع في دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في مجال التأثير في قيم الشباب الجامعي وصياغة توجهاته خاصة دور الجامعة ما جعل الشباب من أفراد العينة يتميزون بالانسحاب.ويسود لديهم شعور بقلق المستقبل يمتزج بنظرة تشاؤمية وانعدام الثقة في المستقبل والمؤسسات الاجتماعية.

وانطلاقا من الدراسات السابقة يمكن تحديد الآتي :

اهتمت الدراسات السابقة بالتعرف على مضامين ودلالات التمثلات الاجتماعية وكيفية تكونها وفق متغيرات الجنس والبيئة الأسرية والاجتماعية وأيضا على السيرورات التي يتم وفقها انتاج التمثلات الاجتماعية، في حين ركزت الدراسة الحالية على التعرف على العوامل السيوسيولوجية المؤثرة في تحديد تمثل مفردات العينة للنجاح الاجتماعي كظاهرة ذات أبعاد نفسية واجتماعية ترتبط بالحياة والواقع الاجتماعي لهم، في حين لم تهدف الدراسة الحالية للتعرف على السيرورات التي تنتج وفقها عينة الدراسة تمثلاتهم بقدر ما كان التركيز على مضامين ودلالات هذه التمثلات الاجتماعية باعتبارها تعكس علاقاتهم بالمتغيرات الاجتماعية ضمن الواقع الاجتماعي.

خامسا : الإجـراءات المنهجيـة للدراسة

لكي يسير ويتم أي بحث علمي لابد من إتباع عدة إجراءات منهجية تساعد الباحث وتقوده إلى نتائج صادقة ودقيقة دقة البحث العلمي ومن بين هاته الإجراءات:

- **عينة الدراسة :** تعني دراسة مجموعة مختارة من الناس من بين كل أفراد المجتمع، أي اختيار جزء من الكل، حامل لنفس خصائصه ويعبر عن ذلك الكل. في هذه الدراسة الموسومة بـ "**تمثلات الطالب الجامعي حول عوامل النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري**" وبناءا على ما تم بيانه من تعريف إجرائي للنجاح الاجتماعي، جاءت عينة الدراسة متمثلة في طلبة قسم العلوم الاجتماعية بجامعة الشيخ العربي تبسي- تبسة، سنة ثانية ماستر، جميع التخصصات، وكان اختيارهم بطريقة عشوائية بسيطة، حيث قدر عدد الطلبة ب **290** طالب موزعون على مختلف التخصصات، علم اجتماع التربية **90** طالب بنسبة **31%**،علم اجتماع تنظيم وتنمية **89** طالب بنسبة **31%**، علم اجتماع جريمة **30** طالب بنسبة **10%**، موارد بشرية **30** طالب بنسبة **10%** ،

أنثروبولوجيا 51 طالب بنسبة 18% ، و تم اختيار العينة بطريقة عشوائية بسيطة، وبناءا على الطلبة الذين قبلوا المشاركة في الدراسة فتحصلنا على 24 طالب من أصل 290 طالب، أي بنسبة 8.27%

- خصائص العينة:

يتميز الطلبة في هذه المرحلة بعدة خصائص ترتبط بما يعرف بمرحلة الشباب التي تختلف عن مرحلة المراهقة باكتمال النضج الاجتماعي والنفسي والبيولوجي للفرد.

ويذهب علماء الاجتماع إلى تحديد مفهوم الشباب تحديدا علميا موضوعيا بإجماله في مجموعة من المعايير بالإضافة إلى معيار السن "فترة الشباب تبدأ حينما يحاول بناء المجتمع تأهيل الشخص لكي يحتل مكانة اجتماعية ويؤدي دورا أو أدوارا في بنائه وتنتهي حينما يتمكن الشخص من احتلال مكانته وأداء دوره في السياق الاجتماعي، وفقا لمعايير التفاعل الاجتماعي ".[5]

وعلى هذا الأساس تم اختيار عينة الدراسة على اعتبار أن هذه الفئة تمثل الفئة التي لها علاقة مباشرة مع موضوع الدراسة خاصة وأنهم مقبلون على التخرج ومواجهة التحديات الاجتماعية التي يفرضها الواقع الاجتماعي، كما أنها من المفترض أن تكون أكثر اهتماما بظاهرة النجاح الاجتماعي والعوامل المساعدة على تحقيقه لما له من علاقة بوجودهم الفردي والاجتماعي.

- منهج الدراسة: تعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية، لذا اعتمدنا على المنهج الوصفي الذي يعتبر من أكثر المناهج استخداما في العلوم الاجتماعية من جهة والملائم لموضوع الدراسة من جهة أخرى، حيث تجسد في إتباع الطريقة العلمية لجمع المعلومات، والبيانات، المتعلقة بالظاهرة موضوع الدراسة، ثم تصنيفها وترتيبها كميا، ثم تحليلها وتفسيرها كيفيا. وتوصلنا في الأخير إلى استخلاص النتائج.

- أدوات جمع البيانات

يعتمد أي بحث علمي على مجموعة أدوات يستند عليها وتكون هي الدليل الرئيسي لسير البحث وتواصله، ومن الأدوات المستخدمة في جمع البيانات في هذا البحث مايلي:

1. الشبكة الترابطية : تم الاعتماد في هذه الدراسة على تقنية الشبكة الترابطية التي تم تصميمها سنة 1995م على يد الباحثة **Anna Maria Silvana De Rosa** من أجل دراسة التمثلات الاجتماعية وتهدف إلى تحديد بنية المضامين، مؤشرات القطبية، الحيادية والقولبة في حقل المعاني المرتبط بالتمثل الاجتماعي، وتعمل هذه التقنية على تحديد بعض المفاهيم والتقديرات المرتبطة بتمثل أو مجموعة من التمثلات لمواضيع مرتبطة فيما بينها ذات شكل محدد، ويمكن من خلال هذه المقاربة توضيح تعقيد وتشعب وتعدد أبعاد التمثل الاجتماعي.[6]

2. الاستمارة التمييزية: تبنى الاستمارة التمييزية انطلاقا من تحديد محتوى مضمون التمثل باستعمال التحقيق المسبق أو تقنية الشبكة الترابطية أو التداعي الحر وتعتبر كوسيلة مكملة يستطيع الباحث بواسطتها أن يميز بين العناصر المركزية والعناصر المحيطية للتمثل، تتكون الاستمارة التمييزية من مجموعة من البنود يتراوح عددها انطلاقا من مضاعفات العدد 3 يتطلب من المستجوب أن يختار بين البنود 9 مثلا 3 عناصر الأكثر تمايزا ثم يختار من العناصر المتبقية 3 عناصر الأقل تميزا وفي الأخير يمكننا إعطاء نتيجة لكل بند حسب طبيعة الاختيار :[7]

الأكثر تميز 3 الأقل تميز 1 متوسط التميز 2

[5] الشباب في مجتمع متغير(تأملات في ظواهر الأحياء والعنف)، علي ليلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م، ص 33.

[6] التصورات الاجتماعية لأطفال الشوارع : مدينة عنابة نموذجا، لشطر ربيعة ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس الاجتماعي ، جامعة 20 أوت 55 سكيكدة، 2008، ص 18.

[7] نفس المرجع، ص 128

بعد عملية جمع الإجابات من المبحوثين يمكننا رسم منحنيات مختلفة خاصة بكل بند ولكل منحنى خاص يوضح العناصر المركزية والعناصر المحيطية:

: يؤكد هذا المنحنى على أن هذا البند من بين العناصر المركزية للتمثل. **J**المنحنى على شكل
المنحنى على شكل **جرس**: يؤكد هذا المنحنى على أن هذا البند من بين العناصر المحيطية للتمثل.
//منحنى على شكل ***u***: يؤكد هذا المنحنى على العناصر المتباينة والمتناقضة للتمثل.

- **الأساليب الإحصائية:**

عدد الكلمات الموجبة – عدد الكلمات السالبة

1 مؤشر القطبية «P»: _____ = «P»

العدد الكلي للكلمات

إذا كان**P** ينتمي إلى المجال [-1،-0.5] هذه القيمة يمكن تشفيرها على التوالي إلى **3** وهذا يعني أن معظم الكلمات لها إيحاء سلبي

إذا كان**P** ينتمي إلى المجال [-0.4،+0.4] هذه القيمة يمكن تشفيرها على التوالي إلى **2** وهذا يعني أن معظم الكلمات الايجابية والسلبية متساوية تقريبا.

إذا كان**P** ينتمي إلى المجال [0.4،+1] هذه القيمة يمكن تشفيرها على التوالي إلى **1** وهذا يعني أن معظم الكلمات لها إيحاء إيجابي.

عدد الكلمات المحايدة ـ (عدد الكلمات الموجبة + عدد الكلمات السالبة)

2. مؤشر الحيادية «N»: _____ =«N»

العدد الكلي للكلمات

إذا كان **N** ينتمي إلى المجال [-1،-0.5] هذه القيمة يمكن تشفيرها على التوالي إلى **1** وهذا يشير إلى أن القليل من الكلمات لها إيحاء محايد حيادية ضعيفة.

إذا كان **N** ينتمي إلى المجال [-0.4،+0.4] هذه القيمة يمكن تشفيرها على التوالي إلى **2** وهذا يشير إلى أن الكلمات الحيادية متساوية تقريبا مع الكلمات الايجابية والسلبية حيادية متوسطة.

إذا كان **N** ينتمي إلى المجال [+0.4،+1] هذه القيمة يمكن تشفيرها على التوالي إلى **3** وهذا يشير إلى أن الكلمات في أغلبها محايدة حيادية مرتفعة.

يسمح لنا هذا الحساب بتمثيل النتائج بواسطة مخطط وذلك حسب مؤشرات التقطب والحياد التي تظهر من خلال نتائج الشبكة الترابطية.

- **أساليب التحليل:**

لتحقيق أهداف الدراسة وتقصي الارتباطات التي تطرحها الفرضيات، تم الاعتماد في هذه الدراسة على أسلوبين: الكمي و الكيفي ، **فالأول** استخدم في تحويل البيانات التي جمعت من مجتمع الدراسة من هيئتها الكيفية إلى الطابع الكمي لتسهيل قراءتها، أما **الثاني** فيتجلى في تحليل البيانات الكمية وربطها بالإطار التصوري للدراسة من أجل الإجابة على التساؤلات والفروض التي أشرنا إليها سابقا.

سادسا : تحليل وتفسير البيانات واستخلاص النتائج

- الحقل الدلالي للتمثل الاجتماعي الخاص بالطالب الجامعي حول عوامل النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري.

جدول رقم (1) يمثل النتائج العامة للشبكة الترابطية مع حساب مؤشر القطبية والحيادية للتمثل الاجتماعي للطالب الجامعي حول عوامل النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري

الحالـــــة	العدد الكلي للكلمات المتداعية	عدد الكلمات الموجبة (+)	عدد الكلمات السالبة (–)	عدد الكلمات المحايدة)+،-(	مؤشر القطبية (P)	مؤشر الحيادية (N)
1	20	12	4	4	400.	- 0.60
2	29	26	1	2	860.	-0.86
3	10	8	1	1	0.70	-0.80
4	14	9	4	1	0.35	-0.85
5	21	21	0	0	1	-1
6	23	14	8	1	0.26	-0.91
7	14	8	3	3	0.35	0.57-
8	12	6	3	3	0.25	50-0.
9	14	12	2	0	0.71	-1
01	19	16	3	0	68.0	1-
11	32	24	8	0	0.5	1-
21	26	20	4	2	0.61	84.-0
31	24	19	5	0	0.58	-1
14	22	11	6	5	0.22	-0.54
15	24	10	8	6	0.08	-0.5
16	29	17	7	5	0.34	-0.65
17	18	12	4	2	0.44	-0.77
18	18	11	5	2	0.33	-0.77
19	17	7	3	7	0.23	-0.17
20	14	5	4	5	0.07	-0.28
21	23	19	2	2	0.73	-0.82
22	27	14	5	8	0.33	-0.40
23	23	16	6	1	0.43	-0.91
24	18	8	4	6	0.22	-0.33

المصدر: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على المعطيات الميدانية

يلاحظ من خلال الجدول أن مؤشر القطبية يتراوح بين [0.07،1+] أي أنه ينتمي إلى المجال [0.4،+1] مما يعني أن معظم العوامل المتداعية من قبل أفراد العينة حول عوامل النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري ذات إيحاء ايجابي، بمعنى آخر أن نسبة **66 %** من الكلمات المتداعية بالنسبة لهذا البعد في الحالات كلها هي كلمات موجبة في حين تمثل الكلمات السالبة نسبة **20%** من أصل **491** كلمة متداعية في الحالات كلها.

شكل رقم(1): يتعلق بمؤشر القطبية والحيادية للتمثلات الاجتماعية لطالب الجامعي حول عوامل النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري

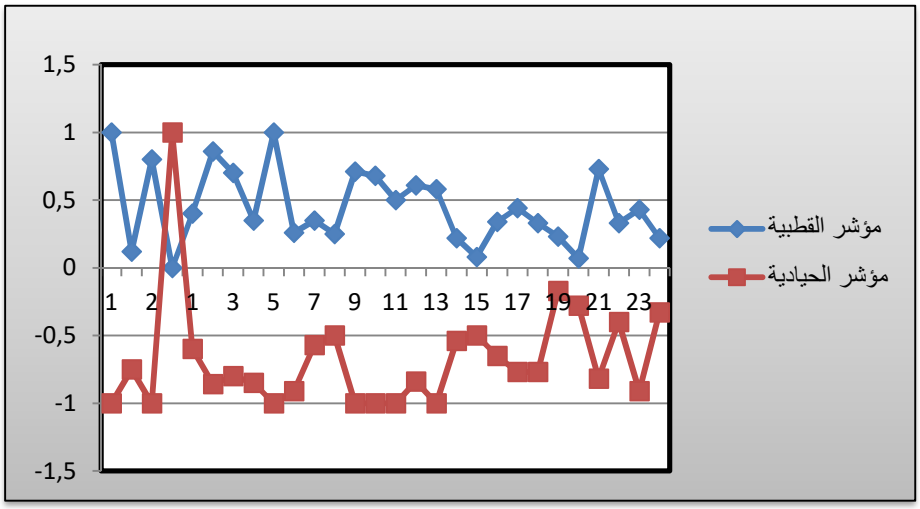

- عرض نتائج الاستمارة التمييزية للتمثلات الاجتماعية للطالب الجامعي حول عوامل النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري

جدول رقم (2) يمثل نتائج الاستمارة التمييزية المتعلقة بتمثلات الطالب الجامعي لعوامل النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري

الرقم	البند	أكثر تميزا	متوسط التميز	أقل تميزا
1	يحقق النجاح الاجتماعي بالثقة المتبادلة	14	7	3
2	يحقق النجاح الاجتماعي بالتعاون	7	13	4
3	يحقق النجاح الاجتماعي بالمال	3	13	8
4	يحقق النجاح الاجتماعي بالرشوة	8	5	11
5	يحقق النجاح الاجتماعي بالحب والمودة	1	4	19
6	يحقق النجاح الاجتماعي بالمحسوبية	4	9	11

مصدر الجدول: من إعداد الباحثتان بالاعتماد على المعطيات الميدانية

بالانطلاق من محتوى أو مضمون التمثل الاجتماعي المستخلص من الشبكة الترابطية وبالاستناد لتقاطع مؤشرات القطبية التكرار والأهمية تمكنا من تبويب البيانات على شكل بنود مقسمة على ثلاث محاور تتناسب مع

الظاهرة المدروسة ثم قمنا بتطبيق الخطوات الإجرائية المتعلقة بهذه التقنية وتحصلنا على البيانات الكمية التي تبين قيمة كل بند، أكثر تميزا (+)، أقل تميزا (–)، متوسط التميز(+،-)، وذلك من أجل رسم منحنيات يحدد شكلها طبيعة انتمائها سواء إلى النظام المركزي للتمثل أو النظام المحيطي أو أنها عناصر متناقضة ليست من مكونات التمثل

وعلى هذا الأساس تم رسم المنحنيات البيانية المتعلقة بكل بند كالتالي:

الشكل (2): يمثل البند1 " الثقة المتبادلة"

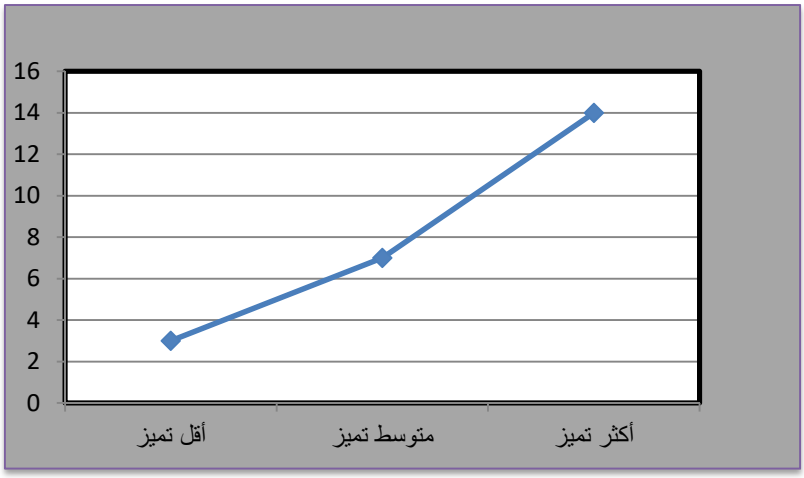

نلاحظ أن الشكل (2): يمثل البند 1 في المحور الأول " **الثقة المتبادلة**" له ثلاث حدود على المعلم المتعامد:

ـــ حد أكثر تميزا (+) بقيمة:14

ـــ حد متوسط التميز (-،+) بقيمة:7

ـــ حد أقل تميزا (-) بقيمة:3

مما يسمح برسم منحنى بياني على شكل حرف **J** وهذا يؤكد أن هذا البند من العناصر المركزية للتمثل الاجتماعي للطلبة الجامعيين حول عوامل النجاح الاجتماعي.

شكل(3): منحنى بياني يمثل البند 2 " التعاون"

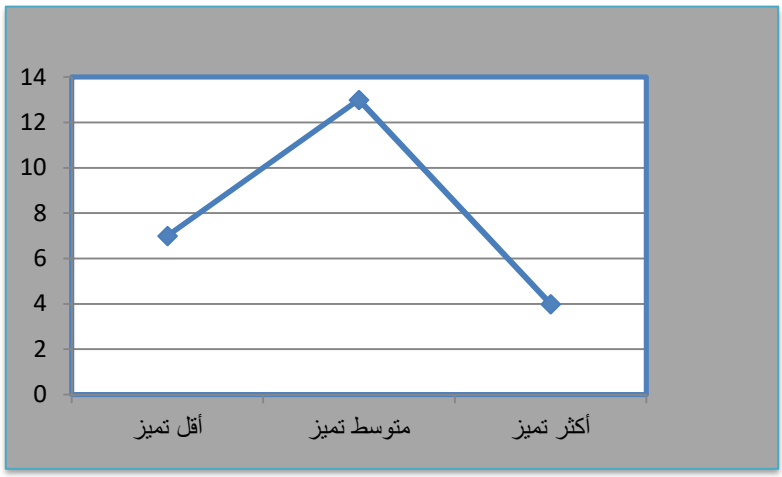

نلاحظ أن الشكل (3): يمثل البند2 " **التعاون**" له ثلاث حدود على المعلم المتعامد:

ـــ حد أكثر تميزا (+) بقيمة:4

ـــ حد متوسط التميز (-، +) بقيمة:13

ـــ حد أقل تميزا (-) بقيمة:7

مما يسمح برسم منحنى بياني على شكل **جرس** وهذا يؤكد أن هذا البند من العناصر المحيطية مكونة للتمثل الاجتماعي للطلبة الجامعيين حول عوامل النجاح الاجتماعي.

شكل(4): منحنى بياني يمثل البند 3 " المال"

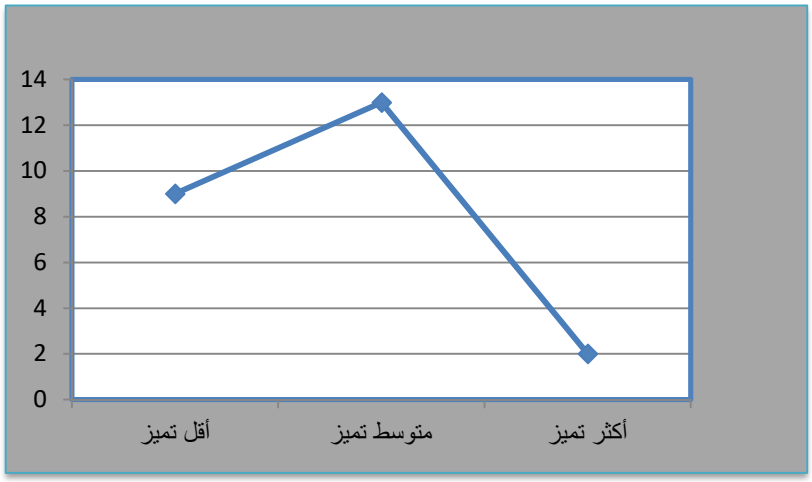

نلاحظ أن الشكل (4): يمثل البند3 في المحور الأول " **المال**" له ثلاث حدود على المعلم المتعامد:

ـــ حد أكثر تميزا (+) بقيمة:2

ـــ حد متوسط التميز (-،+) بقيمة:13

ـــ حد أقل تميزا (-) بقيمة:9

مما يسمح برسم منحنى بياني على شكل **جرس** وهذا يؤكد أن هذا البند من العناصر المحيطية المكونة للتمثل الاجتماعي للطلبة الجامعيين حول عوامل النجاح الاجتماعي.

شكل(5):منحنى بياني يمثل البند4 "الرشوة "

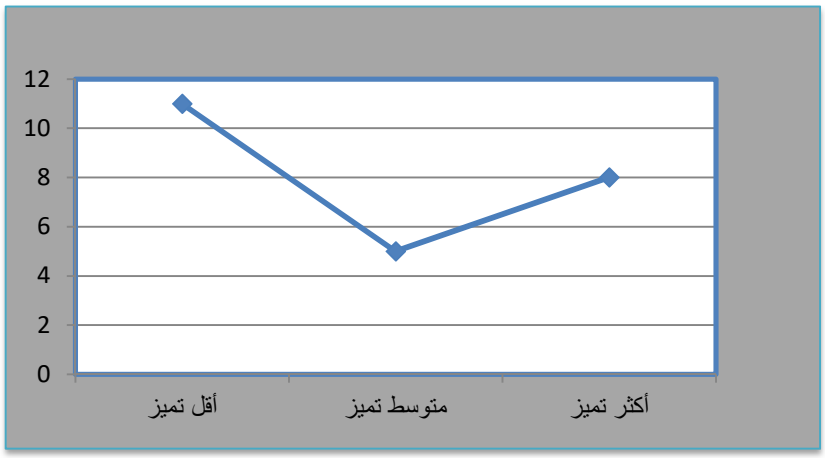

نلاحظ أن الشكل (4): يمثل البند4 في المحور الأول " **الرشوة** " له ثلاث حدود على المعلم المتعامد:

ـــ حد أكثر تميزا (+) بقيمة:8

ـــ حد متوسط التميز (-،+) بقيمة: 5

ـــ حد أقل تميزا (-) بقيمة:11

مما يسمح برسم منحنى بياني على شكل حرف **U** وهذا يؤكد أن هذا البند من العناصر المتناقضة غير منتمية للتمثل الاجتماعي للطلبة الجامعيين حول عوامل النجاح الاجتماعي.

شكل(6): منحنى بياني يمثل البند5 " بالحب والمودة"

نلاحظ أن الشكل (5): يمثل البند5 في المحور الأول " **بالحب والمودة**" له ثلاث حدود على المعلم المتعامد:

ـــ حد أكثر تميزا (+) بقيمة:1

ـــ حد متوسط التميز (-،+) بقيمة:4

ـــ حد أقل تميزا (-) بقيمة:19

مما يسمح برسم منحنى بياني على شكل حرف **U** وهذا يؤكد أن هذا البند من العناصر المتناقضة غير منتمية للتمثل الاجتماعي للطلبة الجامعيين حول عوامل النجاح الاجتماعي.

شكل(7):منحنى بياني يمثل البند6 " المحسوبية"

نلاحظ أن الشكل (7): يمثل البند6 في المحور الأول " **المحسوبية** " له ثلاث حدود على المعلم المتعامد:

ـــ حد أكثر تميزا (+) بقيمة:4

ـــ حد متوسط التميز (-،+) بقيمة:9

ـــ حد أقل تميزا (-) بقيمة:11

مما يسمح برسم منحنى بياني على شكل **جرس** وهذا يؤكد أن هذا البند من العناصر المحيطية المكونة للتمثل الاجتماعي للطلبة الجامعيين حول عوامل النجاح الاجتماعي.

سابعا: تحليل نتائـــج الدراســـــــة

ذهب **موسكوفيتشي** إلى أنه يمكن تفسير التمثلات الاجتماعية انطلاقا من مجموعة الأبعاد التي يتكون منها أي تمثل اجتماعي وهي:

- تحليل نتائج الشبكة الترابطية المتعلقة بالتمثلات الاجتماعية للطلبة الجامعيين حول عوامل النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري:

1.المعلومة :

من خلال تطبيق تقنية الشبكة الترابطية تمكنا من الكشف عن مجموعة من المعلومات والمعارف المرتبطة بالتمثلات الاجتماعية التي تحملها فئة الطلبة الجامعيين بخصوص عوامل النجاح الاجتماعي وهي متشابهة كما وكيفا وتعبر عن المعاني المشتركة التي تشترك فيها هذه الفئة والتي استمدتها من الواقع الاجتماعي للمجتمع من جهة ومن الجماعة المرجعية التي تنتمي لها من جهة ثانية ومن خلالها تفسر وتبني مواقفها المختلفة من الواقع الاجتماعي الذي تنتمي إليه وتحدد تميزها وهويتها ، وبلغ عدد هذه العوامل **491** عاملا تصف الوضع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للمجتمع، وكانت النتائج كالتالي:

كشفت تقنية الشبكة الترابطية أيضا عن مجموعة من المعلومات والمعارف المرتبطة بالتمثلات الاجتماعية، تحملها فئة الطلبة الجامعيين والمتعلقة بعوامل النجاح الاجتماعي، وقد بلغ عدد العوامل المتداعية **491** عاملا تعبر عن المعاني المشتركة اجتماعيا والنابعة من النظام القيمي للثقافة الأصلية للمجتمع، كما تعبر عن جماعة الانتماء لفئة الطلبة الجامعيين بقسم العلوم الاجتماعية سنة ثانية ماستر، وعليه كان للتخصص أثرا واضحا في تشكيل التمثلات الاجتماعية للطلبة، فمثلا نجد أن الطلبة من تخصص علم اجتماع تنظيم وعمل وموارد بشرية كانت تمثلاتهم لعوامل النجاح الاجتماعي تميل إلى مفاهيم وكلمات نابعة من التخصص العلمي مثل(التخطيط، الإدارة، الأهداف، الثقة، المشاركة، الحوافز، الاتصال، الصراع، الشغل، علاقات انسانية، النظام، الانضباط ،العمل) في حين ظهرت مفاهيم مثل (الزواج ، التعاون، التربية، التفاعل، الأخلاق، التوافق الاجتماعي، الاندماج، التواصل، التسامح، المعرفة) لدى الطلبة تخصص علم اجتماع التربية، كما ظهرت كلمات مثل: (السحر) لدى طلبة الانثروبولوجيا، وقد فسرت عينة الدراسة النجاح الاجتماعي برده إلى الالتزام بالقيم الأخلاقية ، ويتبين ذلك من خلال التداعيات التالية (الأخلاق ، التعاون، المحبة والمودة، صلة الرحم، التسامح ، المشاركة، العدل، الشكر والثناء، التواصل، الاحترام) كما طغت القيم المجتمعية على القيم الاقتصادية وتعبر عن ذلك التداعيات التالية (الاستقرار الأسري، زواج ، تفاعل، تعاون، توافق اجتماعي، الأمانة، الهدية، الترابط، الانتماء، الالتزام بالقواعد الشرعية، لغة الحوار، الاعانات، الاحترام المتبادل) في حين لم تظهر قيم السلطة والنفعية إلا نادر وتشير إليها التداعيات التالية (الصراع، السلطة، المال، الاستغلالية، العنف).

كما جاءت التداعيات تعبر عن المعاني المشتركة اجتماعيا والنابعة من النظام القيمي للثقافة الأصلية للمجتمع، مثل (الأمانة، الرحمة، المحبة، الصدق، الوفاء، الالتزام، التواضع)، وتعبر عن جماعة الانتماء لفئة الطلبة الجامعيين بقسم العلوم الاجتماعية سنة ثانية ماستر لارتباط أكثر العوامل بالمتغيرات المجتمعية، في حين كانت العوامل الاقتصادية شبه غائبة، كذلك نلاحظ ارتفاع نسبة العوامل الاجتماعية التي تؤثر سلبا على النجاح الاجتماعي، وهذا ما يشير إلى وجود عوامل سلبية بالبناء الاجتماعي تعيق تحقيق النجاح الاجتماعي، وقد فسرت عينة الدراسة النجاح انطلاقا من جملة التحولات التي يعيشها المجتمع الجزائري على كافة الأصعدة الاجتماعية والثقافية أكثر من العوامل المرتبطة بالتحولات الاقتصادية والسياسية، حيث غابت العوامل المتعلقة بالعوامل السياسية تماما من التمثلات الاجتماعية للطلبة الجامعيين وهو ما يفسر الانفصال النفسي والاجتماعي الذي يعيشه الشباب مع كل ما يرتبط بالسياسة ويظهر ذلك صورة اغتراب سياسي واضح المعالم في السلوك اللفظي للطالب الجامعي المتعلق بعامل السياسة كما بينته الدراسة حيث يغيب تماما ان كان ايجابا أو سلبا.

وقد عبر الطلبة الجامعيون من خلال تمثلاتهم الاجتماعية لعوامل النجاح الاجتماعي عن تحولات قيمية كبيرة يشهدها المجتمع الجزائري تتجه به إلى المنفعة الضيقة والانغلاقية على الذات التي تسبب عزلة اجتماعية للجميع وتمنع من التواصل الجاد لتحقيق النجاح الاجتماعي نتيجة غياب الثقة في شبكة العلاقات الاجتماعية التي جعلتها سطحية وأكثر هشاشة نتيجة هذه التحولات القيمية، ويظهر ذلك في التداعيات التالية (الكذب، القلق، الشتائم، الكره ، الغرور ، العصبية ، عدم احترام الكيان، الأنانية، النفاق، الرشوة، التكبر، الكسل، العنف، الانحراف، الاجرام، الخوف، الغموض، اللامبالاة، الاهمال، الفراغ).

كما كشفت تقنية الشبكة الترابطية عن مجموعة من المعلومات والمعارف المرتبطة بالتمثلات الاجتماعية التي تحملها فئة الطالبة الجامعيين والمتعلقة بعوامل النجاح الاجتماعي، حيث أوضحت المعارف المتداعية ضمن التمثلات الاجتماعية للطلبة الجامعيين عن حالة من الاحباط الشديد واليأس من الأوضاع الثقافية السلبية السائدة بالبناء الاجتماعي والتي تشكل عائقا حقيقيا أمام أي مجهود قد يبذل في سبيل تحقيق النجاح الاجتماعي ومواجهة التحديات الاجتماعية، ويعزو أغلب الطلبة عوامل النجاح الاجتماعي الى العوامل الثقافية والاجتماعية، وقلة قليلة من الطلبة اتجهت إلى العوامل الداخلية المتعلقة بروح المبادرة والمثابرة.

لذا فإن الكلمات المتداعية حول المبادرة والمثابرة والإخلاص كانت قليلة بالمقارنة مع غيرها ونجد منها مثلا (المثابرة، الاخلاص في العمل، الاجتهاد، الاخلاص لله، العلم)، في حين كانت الكلمات المتداعية المعبرة عن سلبية الواقع الاجتماعي كعامل لا يحفز من يرغب في النجاح بمواجهة التحديات الاجتماعية على بلوغ هدفه مثل (الظلم، الاستبداد، القوة، المخدرات، المحسوبية، الكذب، النفاق، استغلال النفوذ، الرشوة، السلطة، المال، الصراعات، التحايل، الخبث، الابتعاد عن القيم).

أما ما يتعلق بقيمة العلم والمعرفة فقد غابت تقريبا فلا نلاحظ لها وجود إلا فيما ندر ومنها (الاكثار من قراءة الكتب، الحكمة، العلم) ما يؤكد على أن الطلبة الجامعيين لا يرون في العلم والمعرفة عاملا يمكن أن يساعدهم على النجاح الاجتماعي ومواجهة التحديات الاجتماعية ونجد من الكلمات المتداعية المتعلقة بقيمة العلم والمعرفة (الاكثار من قراءة الكتب، الحكمة، العلم) فحسب، ويوضح هذا ضعف قيمة العلم والمعرفة بالبناء الاجتماعي للمجتمع الجزائري كعامل معتبر يساعد على النجاح الاجتماعي، ما جعله يغيب تقريبا من تمثلات الطلبة الجامعيين.

2.حقل التمثل:

يعبر حقل التمثل عن فكرة تنظيم المحتوى الذي يتطلب حد أدنى من المعلومات وقد اعتمدت العينة في تنظيم المعلومات المتعلقة بمحتوى التمثل للظاهرة المدروسة على مؤشرات التالية:

ـــــ مؤشر الترتيب: 1،2،3.....

ـــــ مؤشر القيمة : +، 0، - .....

ـــــ مؤشر الأهمية: 1،2،3.....

3. الاتجاه:

يحدد الاتجاه بالإيجاب أو السلب نحو الموضوع المتمثل ومن خلال النتائج المتحصل عليها من الشبكة الترابطية والممثلة في الجدول رقم (1) يتبين أن مؤشر القطبية يتراوح بين [0.07،1+] ومنه يتضح أن معظم العوامل المتداعية من قبل الطلبة الجامعيين نحو الموضوع المتمثل ذات إيحاء ايجابي ويعني هذا أن نسبة **66 %** من العوامل المتداعية ترتبط ارتباطا ايجابيا بظاهرة النجاح الاجتماعي، من أصل **491** عامل متداعي في الحالات كلها كما بينتها التمثلات الاجتماعية للطلبة الجامعيين ، في حين جاءت نسبة العوامل ذات الإيحاء السلبي **20 %**

والقاعدة الهرمية للمعلومات المتحصل عليها من نتائج الشبكة الترابطية تتركز حول: الثقة المتبادلة ، الأمانة، الصدق، العمل، التوكل على الله. هذه التمثلات التي تحملها العينة هي عبارة عن معلومات مشتركة بين أفراد المجموعة من جهة ومن جهة أخرى يشترك فيها الحس العام وترى موضوع النجاح الاجتماعي بعين المجتمع من خلال مجموعة القيم والمبادئ والمعايير النابعة من الموروث الثقافي العربي الإسلامي للمجتمع الجزائري التي يحملها الطالب الجامعي عن طريق التنشئة الاجتماعية والنظام القيمي الاجتماعي والثقافي بالمجتمع الجزائري وهي العناصر التي تشكل الاختلاف في التمثل بين المجتمعات وداخل المجتمع الواحد مثل العوامل المتعلقة بالقيم النابعة من الدين الإسلامي: (الايمان، التوكل على الله، الاخلاص لله، التقوى، التزام القواعد الشرعية، الأمانة، التضامن، التكافل، الدين) إضافة إلى المعلومات المشتركة النابعة من الجماعة المرجعية التي تنتمي لها فئة الطلبة الجامعيين لقسم العلوم الاجتماعية والتي تشكل خصوصية هذه الجماعة وتميزها (التوافق الاجتماعي، التفاعل، الاندماج، الحوافز المعنوية، التخطيط، المشاركة، الجماعة، الانتماء).

وقد ركزت عينة الدراسة على العوامل الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والثقافية في حين كانت العوامل السياسية غائبة كعوامل فاعلة في تحقيق النجاح الاجتماعي حسب تمثلاتهم الاجتماعية مع اعتبار أغلب العوامل الاجتماعية والثقافية عوامل ذات أهمية كبيرة في تحقيق النجاح الاجتماعي في مقابل بقية العوامل الأخرى على أهميتها، وذلك يرجع إلى الطبيعة الاجتماعية المغلقة للمجتمع الجزائري والتي تضعف من الحراك الاجتماعي للأفراد فتقل العوامل الدافعة للإنجاز والمبادرة ويغلب على المجتمع السكون والاتجاه نحو القيم المجتمعية بصورة سلبية تخرج المجتمع عن الاعتدال والوسطية، حيث تغيب معاني المبادرة والطموح الاقتصادي وتنمية الذات والبحث عن عوامل القوة والانجاز ويزيد الميل المجتمعي إلى استخدام الدين كمسكن للطموح والمبادرة فتصبح مفاهيم الصبر والتوكل على الله والإخلاص لله مبررات للقعود، في حين أن الذات الفاعلة في الوقت الذي تتوكل به على الله تثابر لأن العمل عبادة ولا تكتفي بذلك بل تطمح للمزيد من القوة التي تعدها لنصرة الحق.

كما كان الاختلاف بين الطلبة والطالبات في تمثلاتهم الاجتماعية واضحا، ففي حين ركز الطلبة على العوامل الاقتصادية مثل:(العمل، الشغل، القوة، التخطيط، الادارة، الرجولة) ركزت الطالبات على عوامل اجتماعية وثقافية مثل:(التربية، العائلة، الاستقرار، الاخلاق، المعاملة، الزواج، الاندماج، الحب، المودة، التسام) ، في حين اشترك كلا الجنسين في وصف سلبيات الواقع الاجتماعي التي تعيق النجاح الاجتماعي.

تعد ظاهرة النجاح الاجتماعي شكل غير جديد في النسق الاجتماعي، ومألوف لأنها ظاهرة انسانية فكل المجتمعات والأفراد يسعون إلى ايجاد المعنى في حياتهم من خلال تحقيق النجاح الاجتماعي، وأي معيق يعيق هذا النجاح يسبب حالة من الاحباط والغضب، وانهيار للثقة في البناء الاجتماعي وشبكة العلاقات الاجتماعية، فتظهر مظاهر التفكك والانعزال، ويقل حراك الأفراد بالمجتمع ويتجهون إلى السكون والركود المعرفي، نتيجة الثقافة السائدة التي تعيق دوافع الانجاز وهذا ما تبين من تفسير أفراد العينة للعوامل المؤثرة في هذه الظاهرة من خلال ردها إلى أشكال الانحراف والأمراض الاجتماعية كـــ: (الأنانية، المحسوبية، الغرور، التكبر، الكذب، اللامبالاة، الرشوة) كأنساق معرفية موجودة بالواقع الاجتماعي للمجتمع.

كما لاحظنا من خلال نتائج الشبكة الترابطية أن المؤشر الرقابي "مؤشر الحيادية " يمتاز بالضعف يتأرجح بين [0.5-،1-] أي أنه ينتمي إلى المجال [0.5-،1-] ما يعني أن الأسباب المتداعية الحيادية تمثل نسبة **14** % من اجمالي العوامل المتداعية وعددها **491**.

ثامنا : عرض نتائج الدراسة الميدانية حول عوامل النجاح الاجتماعي لدى الطالب الجامعي

حسب نظرية **ابريك** فإن لكل تمثل اجتماعي نواة مركزية تمثله ونظام محيطي يتكون من العناصر التي تمكن التمثل من التكيف مع متغيرات الواقع الاجتماعي[8]، وانطلاقا من مضمون ومحتوى التمثل الاجتماعي لعوامل النجاح الاجتماعي لدى الشباب الجامعي، وتقاطع مؤشرات القطبية /التكرار / الأهمية ، وجدنا أن التمثل الاجتماعي لعوامل النجاح الاجتماعي لدى العينة كما يلي:

جدول رقم(3) : يمثل عناصر النواة المركزية والنظام المحيطي والمتناقضة الخاصة بالتمثل الاجتماعي للطالب الجامعي حول عوامل النجاح الاجتماعي

عناصر النواة المركزية	عناصر النظام المحيطي	العناصر المتناقضة
ـــ يحقق النجاح الاجتماعي بالثقة المتبادلة.	ـــ يحقق النجاح الاجتماعي بالتعاون ـــ يحقق النجاح الاجتماعي بالمحسوبية. ـــ يحقق النجاح الاجتماعي بالمال.	ـــ يحقق النجاح الاجتماعي بالحب والمودة. ـــ يحقق النجاح الاجتماعي بالرشوة.

مصدر الجدول : من اعداد الباحثتان بالاعتماد على المعطيات الميدانية.

شكل رقم (8): يمثل التمثل الاجتماعي للطالب الجامعي حول عوامل النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري

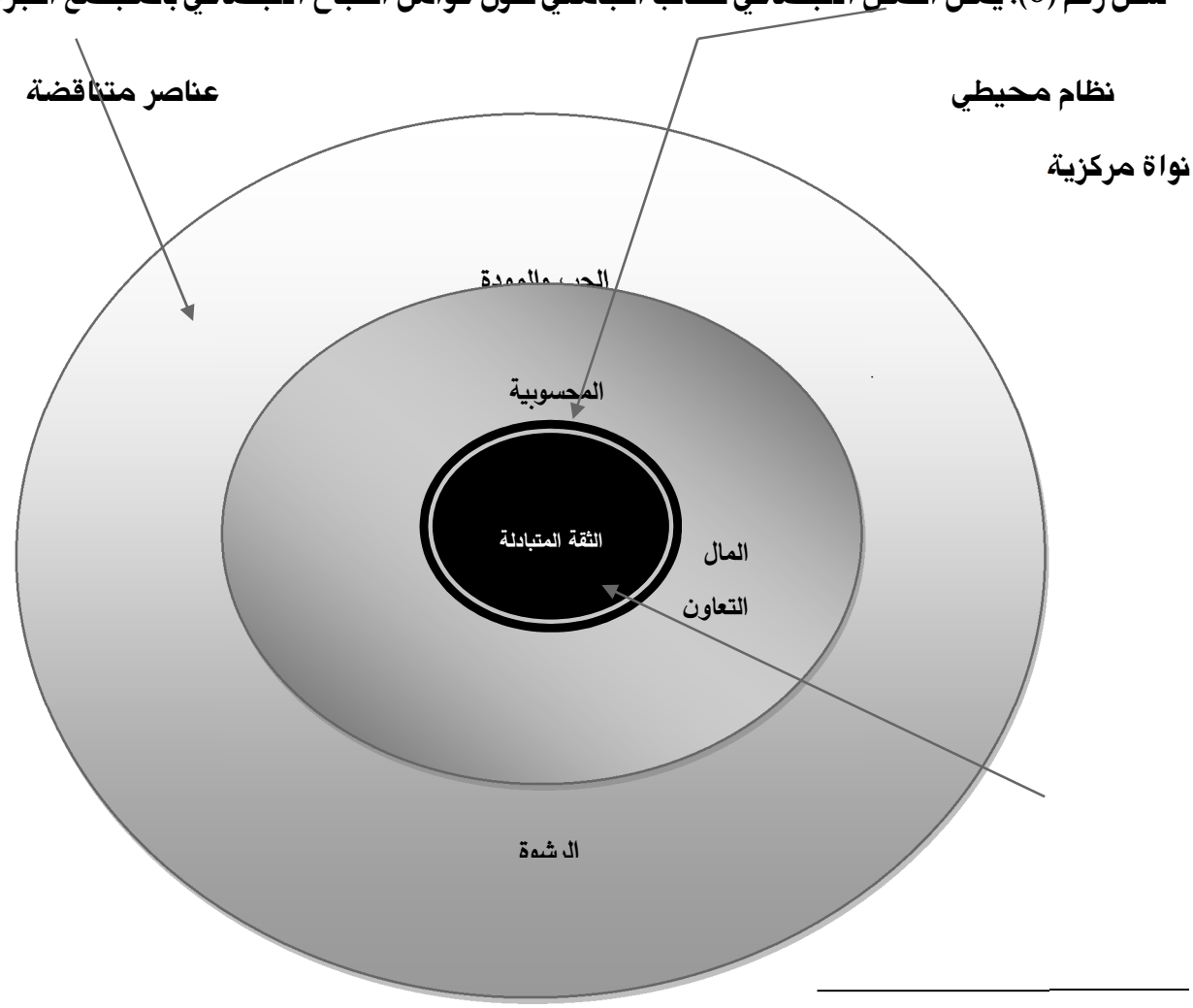

[8] التصورات الاجتماعية لدور المدرسة عند الأحداث المنحرفين لصيرة خلايفية ،أطروحة دكتوراه علوم فرع علم النفس الاجتماعي، جامعة منتوري،قسنطينة، 2011م،ص،ص 48،50

انطلاقا من النتائج التي توصلنا لها من خلال الشبكة الترابطية والتي تمكنا من خلالها الكشف عن مضامين التمثل الاجتماعي للطلبة الجامعيين حول عوامل النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري والتي ركزت في معظمها على التزام القيم الأخلاقية مثل (التعاون، المشاركة، الاحترام، المساعدة، الحب والمودة، التسامح، صلة الرحم، الهدية)كما ظهرت قيم السلطة والقوة في مثل (السلطة، المال، الصراع، الاستغلالية، العنف، الخداع) يتبين لنا غياب الانسجام بينها في المنطلقات الفكرية والعملية، ففي حين ترتبط المنطلقات الفكرية بالقيم الاخلاقية العليا، ترتبط الممارسات الفعلية بقيم السلطة والقوة، كما بينت التمثلات الاجتماعية للطلبة الجامعيين أن عامل الثقة المتبادلة عامل مهم في تحقيق النجاح الاجتماعي، حيث انتمى هذا العنصر إلى منطقة النظام المركزي للتمثل الاجتماعي لطلبة الجامعيين كما أن البندين الرابع والخامس والمتعلقين بـ "التعاون "، "المال "، "المحسوبية " عوامل مهمة في تحقيق النجاح الاجتماعي ، حيث انتمت هذه العناصر إلى منطقة النظام المحيطي.

كما يتضح من خلال تمثلات الطلبة أن هناك اتجاها سلبيا لدى الطلبة الجامعيين في ما يتعلق بالعلاقة بين التحولات الاجتماعية والثقافية السلبية التي يعيشها المجتمع الجزائري وبين ظاهرة النجاح الاجتماعي من خلال ظهور عوامل مثل (الرشوة، الأنانية، الغرور، الشتائم، الكذب، العنف، اللامبالاة) صارت عوامل مؤثرة في تحقيق النجاح الاجتماعي وفي إدراك الذات الاجتماعية، وقد بينت نتائج الاستمارة التمييزية أن البنود المتعلقة بـ "التعاون" ، "المال "و" المحسوبية " عناصر مهمة وتنتمي إلى النظام المحيطي للتمثل الاجتماعي.

لقد جاءت نتائج هذه الدراسة معبرة عن وجود علاقة بين اعتماد القيم النفعية وتحقيق النجاح، حيث بينت التمثلات الاجتماعية للطلبة الجامعيين وجود اتجاه بالقيم والمعايير الاجتماعية نحو قيم النفعية الضيقة التي جعلت العدالة الاجتماعية تغيب من الواقع الاجتماعي وأوجد ذلك اتجاها نحو قيم (المحسوبية والواسطة، الرشوة، التحايل، السلطة، والمال)، كما تضمنت التمثلات الاجتماعية كلمات متداعية مثل (المخدرات والسحر) كعامل من عوامل النجاح الاجتماعي في مواجهة التحديات الاجتماعية وهو ما نتج عن واقع اجتماعي مغلق يحد من فاعلية الأفراد ومستوى الحريات المتاحة لهم الأمر الذي يدفع الكثير للجوء إلى الانفصال عن الواقع أو الاستعانة بالفكر الخرافي والاعتقاد به كعامل من عوامل النجاح الاجتماعي ، حيث أن الاتجاه نحو القيم النفعية لا يعني ارتفاع الفاعلية الفردية وانما تكون قيم نفعية قائمة على منطلقات الفساد الاجتماعي ، فعندما نتكلم عن القيم النفعية فأننا نلاحظ هوة بين هذه الدلالة الايجابية لهذه القيم وبين الدلالات التي تأخذها في مجتمعنا وفقا لما بينته التمثلات الاجتماعية للطلبة الجامعيين التي اتجهت نحو الوسائل والأهداف غير الشرعية والقيم النفعية السلبية بدلا من الانجاز والمبادرة.

تاسعا : مناقشة النتائج في ضوء الدراسات السابقة

جاءت نتائج الدراسة متفقة مع دراسة **تالي جمال** (2014): فيما يتعلق بنتائج التغير القيمي لدى الشباب الجامعي حيث بينت أن للتحولات الاقتصادية والسياسية بالجزائر علاقة كبيرة بالتغير القيمي لهذه الفئة، ما جعل من القيم الاقتصادية والثقافة المادية تحتل صدارة سلم القيم بين الطلبة الجامعيين.

كما اتفقت هذه الدراسة مع دراسة **تالي جمال** (2014): في ما يتعلق بوجود علاقة بين التغير القيمي في مؤسسات التنشئة الاجتماعية خاصة الأسرية وظهور العجز عن تحقيق النجاح الاجتماعي لدى الشباب الجامعي.

كما جاءت نتائج الدراسة متفقة مع دراسة **لطيفة زروالي** (2009): في أن المشاريع المستقبلية للأفراد تحدد بالمعطيات الاجتماعية والثقافية للمجتمع، ومجمل التفاعلات الاجتماعية وضمن مختلف المؤسسات الاجتماعية.

في حين اختلفت مع دراسة **منى عتيق (2012)**: في ما يتعلق بالنتائج التي توصلت إليها والتي تشير إلى أن الطالب الجامعي يحمل تصورا ايجابيا واضحا عن المستقبل، ويتكيف بإيجابية مع الجامعة.

خاتمة:

يمكن القول أن دراسة التمثلات الاجتماعية للطالب الجامعي، ساهم إلى حد كبير في معرفة العديد من الحقائق حول العوامل والمتغيرات السوسيولوجية والثقافية التي تفسر الظاهرة البحثية، وتعتبر النتيجة المتوصل لها من خلال هذه الدراسة منطقية: حيث أن فشل المنظومة الاجتماعية في نقل ثقافة معتدلة قائمة على الوسطية يجعل أفراد المجتمع يحيدون عن الاعتدال في فهمهم للنجاح الاجتماعي والعوامل المساعدة عليه إلى التمركز حول القيم المجتمعية الضيقة مثل العصبية، القبلية، أو يتمركزون حول المنافع المادية بما يضر بالتماسك الاجتماعي، وهو ما يعد سببا مهما في نهاية المجتمعات.

التوصيات:

في ضوء ما تمخضت عنه الدراسة من نتائج ، أمكن التوصية بما يأتي:

- الاعتناء بفئة الشباب الجامعي وتهيئة بيئة نفسية واجتماعية تتيح لهم فرصة النمو النفسي والاجتماعي السليم الذي يساعدهم في ادراك ذاتهم كذات فاعلة اجتماعيا.
- اعادة النظر في السياسات الاقتصادية والاجتماعية بما يسمح بإعادة الارتباط بين تطلعات وطموحات الشباب الجامعي والأهداف الاجتماعية للمجتمع.
- الاعتناء بدراسة أسباب الاغتراب السياسي للشباب الجامعي وفقدانهم الثقة في دور العوامل السياسية كمحددات وعوامل مساعدة على النجاح الاجتماعي بالمجتمع الجزائري.
- ضرورة الاهتمام بالبرامج الارشادية للشباب الجامعي التي تساعدهم على خلق روح المبادرة لديهم لتجاوز الخبرات الصادمة والمعيقات الاجتماعية للنجاح الاجتماعي.
- اعادة بناء استراتيجية تربوية ترتبط بالأبعاد الاجرائية للتربية والتعليم وتساهم في رفع دافعية الانجاز لدى الأجيال الجديدة انطلاقا من مقومات هويتهم الحضارية بعيدا على الأهداف النظرية العامة والشعارات الجوفاء.

الملاحق :

1.الاستمارة التمييزية:

الرقم	البند	أكثر تميزا	متوسط التميز	أقل تميزا
1	يحقق النجاح الاجتماعي بالثقة المتبادلة			
2	يحقق النجاح الاجتماعي بالتعاون			
3	يحقق النجاح الاجتماعي بالمال			
4	يحقق النجاح الاجتماعي بالرشوة			
5	يحقق النجاح الاجتماعي بالحب والمودة			
6	يحقق النجاح الاجتماعي بالمحسوبية			

2. نماذج من استجابات المبحوثين:

الشكل رقم(9) شبكة ترابطية تمثل استجابة المفردة 1

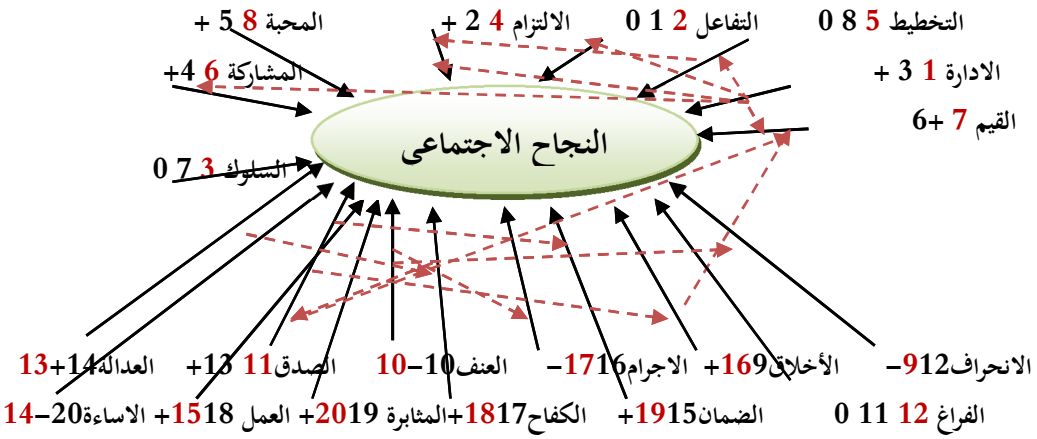

الشكل رقم(10) شبكة ترابطية تمثل استجابة المفردة 2

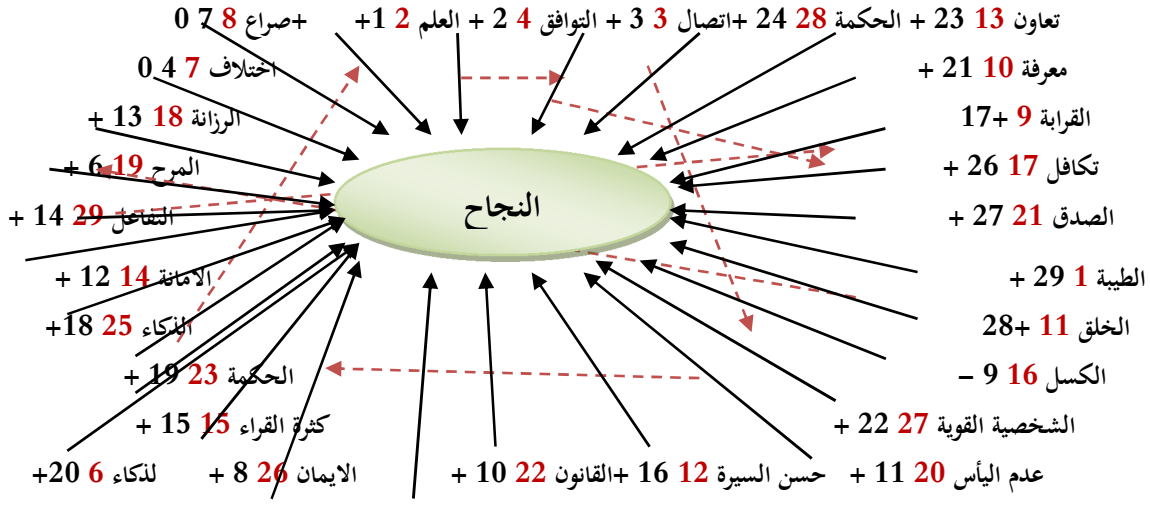

التخطيط الجيد 24 25 + مواجهة التحديات 5 5 +

الشكل رقم(11) شبكة ترابطية تمثل استجابة المفردة 3

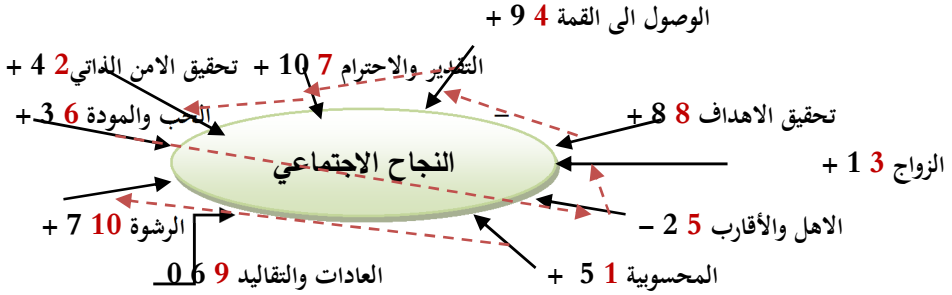

الشكل رقم(12) شبكة ترابطية تمثل استجابة المفردة 04

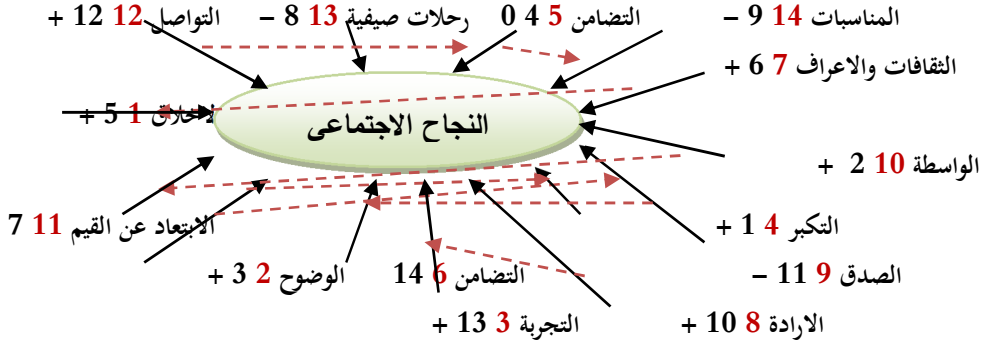

الشكل رقم(13) شبكة ترابطية تمثل استجابة المفردة 5

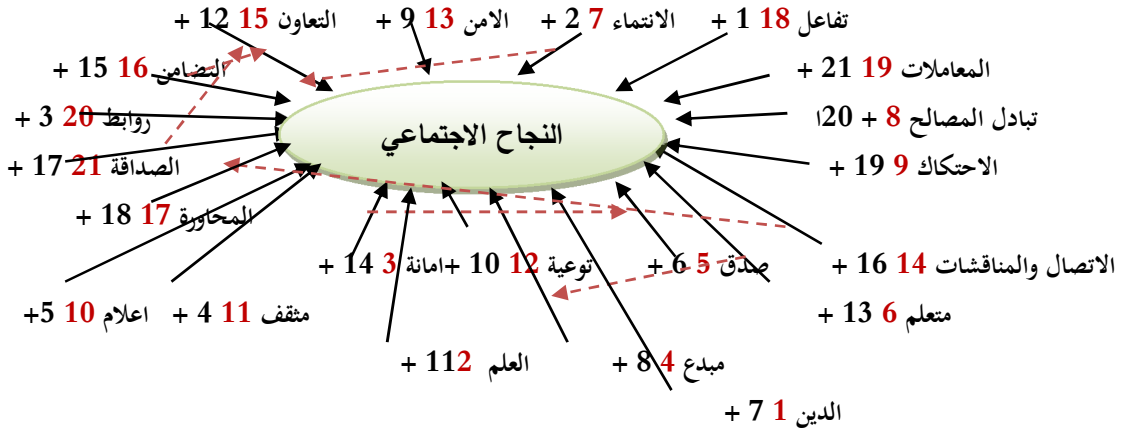

الشكل رقم(14) شبكة ترابطية تمثل استجابة المفردة 6

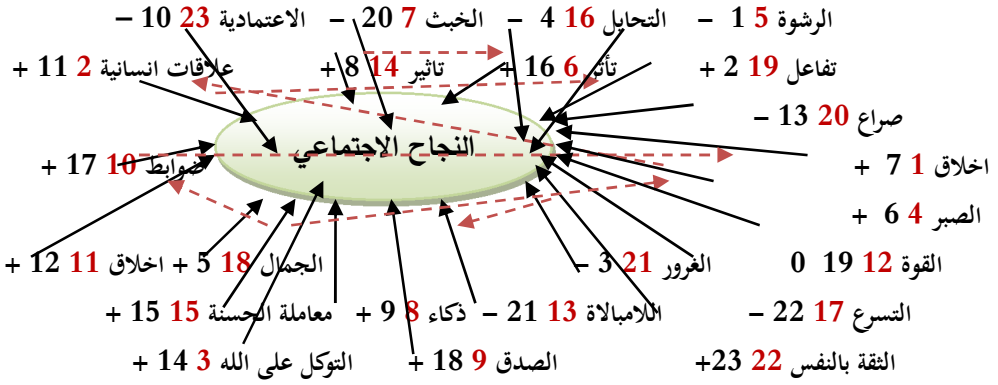

قائمة المراجع :

1- التصورات الاجتماعية لأطفال الشوارع: مدينة عنابة نموذجا، للشطر ربيعة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس الاجتماعي، جامعة 20 أوت 55 سكيكدة، الجزائر، 2008م

2- التصورات الاجتماعية لدور المدرسة عند الأحداث المنحرفين، ، نصيرة خلايفية ،أطروحة دكتوراه علوم فرع علم النفس الاجتماعي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011م.

3- التصورات المستقبلية لدى المراهق المتمدرس للطيفة زروالي، دراسة مقدمة في اطار الاعداد لرسالة الدكتوراه بجامعة السانيا وهران – الجزائر ، مجلة دراسات نفسية وتربوية، مخبر تطوير الدراسات النفسية والتربوية، عدد7، ديسمبر 2011م.

4- التغير القيمي ومظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي - دراسة ميدانية بجامعة محمد بوضياف ـــ المسيلة ـــ لتالي جمال، أطروحة دكتوراه علوم في علم الاجتماع بجامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر،2014م

5- التمثلات الاجتماعية للمعرفة المدرسية لدى التلاميذ الذين تظهر لديهم أعراض الانقطاع عن الدراسة، بن ملوكة شهيناز، أطروحة دكتوراه، قسم علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر،2014م

6- الشباب في مجتمع متغير(تأملات في ظواهر الأحياء والعنف)، علي ليلة، دار المعرفة الجامعية: الإسكندرية، 1995م

7- الطلبة الجامعيون: تصوراتهم للمستقبل وعلاقتهم بالمعرفة، منى عتيق، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، تخصص علم النفس التربوي ، كلية علم النفس والعلوم التربوية، جامعة قسنطية 2، الجزائر، 2013م.

8- علم اجتماع بيار بورديو ، عبد الكريم بزاز، دراسة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، علم الاجتماع والديموغرافيا ، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر،2006م.

9- مصطلحات علم الاجتماع، سميرة أحمد السيد مكتبة الشقري، السعودية، ط1، 1997م.

مجلة
سناد للبحوث والدراسات التربوية والأسرية

قراءات ومراجعات

مفهوم التربية عند جان جاك روسو
دراسة تحليلية لكتاب إميل أو التربية من المهد إلى الرشد

ذ. هشام محمد المنجلي
HICHAM MOHAMMED EL MANJLI
أستاذ الفلسفة ـ وزارة التربية الوطنية ـ المغرب
hicham.menjli@gmail.com

مقدمة:

في القرن الثامن عشر، وفي بداية العقد الثاني منه تحديدا، كان الفكر الإنساني على موعد خلاق مع ولادة المفكر والأديب الفرنسي المشهور جان جاك روسو (Jean Jacques Rousseau (1712 – 1778 فيلسوف الحرية الذي ملأ الدنيا وشغل الناس في مختلف أصقاع الدنيا بثورته الفكرية التي تدفقت لتشكل منطلقا للفكر الحر في أوروبا وفي العالم قاطبة. ويعد روسو زعيما للنزعة الطبيعة في الفلسفة والفكر بلا منازع، وواحدا من أبرز عمالقة عصر التنوير وأكثرهم تأثيرا على الإطلاق ولا سيما في مجالي التربية والفكر السياسي والاجتماعي. وكتاب إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد؛ هو كتاب يعكس عبقرية روسو وفطنته، فقد أوضح فيه آراءه التربوية عن المجتمع والتربية، وقد كان هذا الكتاب يعكس بصورة واضحة تربيته المضطربة التي كانت تخلو من كل نظام، لقد ألف روسو كتاب أميل عقب إقامته في مومورنس، و إبان إنجازه العقد الاجتماعي، وهو يقول أنه كلفه عشرين سنة من التفكير وثلاث سنوات من العمل؛ وقد ظهر هذا الكتاب ولم يقابل في البداية بذلك التهليل الذي صاحب كتابات روسو دائما، صحيح انه قوبل بإعجاب هائل في الجلسات الخاصة، لكنه لم يثر إعجاباً عاما، رغم ما أكده له أصحاب الرأي وقادة الفكر من أنه أحسن ما كتب على الإطلاق[1]. لقد كان روسو يعلق أهمية كبيرة على كتابه"إميل" لأنه يتضمن حجر الزاوية في نظريته، فبعد أن كشف في مقالاته عن رذائل المجتمع الحديث، كان عليه أن يحدد في مؤلفاته الكبرى نواحي الإصلاح التي يحب إدخالها عليه وقد أوضح في "هلويز الجديدة" نموذج الأسرة، وفي العقد الاجتماعي"أسس المدينة"، وبقي عليه أن يقدم نموذج الإنسان الطبيعي، وقد كان يعرف جيدا أن أحدا لا يستطيع أن يشرع في إصلاح الدنيا دون أن يسعى أولا إلى إصلاح التربية.[2]

ويلاحظ أن روسو هنا أعطى لكتابه أميل كل الوقت والجهد وأثرى من قيمته وأولاه من الرعاية والاهتمام وحاول الإصلاح في المجتمع الأوروبي بقدر المستطاع على الرغم من التحديات التي واجهها.والواقع أن أي محاولة إصلاح تبدأ من الناشئ أي الأطفال باعتبارهم نواة المجتمع الأولى؛ لأن غرس المبادئ والأخلاق في نفوس الناشئ هي الركيزة التي تّكون المجتمع الصالح وقد حرص روسو أن يوضح لنا كيف أن الأفكار الواردة في "أميل" مكملة لمبادئه ومتمشية مع فكره يقول روسو حول "أميل": " لقد تتبعت

بكل جهدي خيط تأملاته، فوجدت سعيد فيها جميعا نمو مبدئه العظيم، وهو أن الطبيعة جعلت الإنسان طيبًا، ولكن المجتمع يفسده ويجعله تعيسا، وأميل بصفة خاصة، هذا الكتب الذي قرأه الناس كثيرا ولم يفهموه إلا قليلا، وأساءوا تقديره إلى هذا الحد، ليس إلا رسالة في الطيبة الأصلية في للإنسان مكرسة لإيضاح كيف أن الرذيلة والخطأ، الغريبين على كيانه يأتيان إليه من الخارج ويفسد على أنه على نحو غير محسوس.[3]

على ضوء ما سبق، يمكن أن نطرح الإشكال التالي: هل التربية الطبيعية للطفل بقادرة على جعله إنسانا بالمعنى الروسوي لمفهوم الإنسان؟ ألا تفسد التربية طبيعة الإنسان الخيرة؟

في أجزاء الكتاب ومضمونها:

لقد نشر روسو كتابه "إميل" في خمسة أجزاء تناول في كل جزء منه مرحلة من مراحل عمر الإنسان. فيؤكد في الجزء الأول على ضرورة تربية الطفل من قبل والديه معاً، فالإنسان صالح بالفطرة، والتربية تقيه من المجتمع الذي قد يفسد هذه الطبيعة، ويرى أن من أخطاء التربية الحديثة استخدام الطرق والوسائل التي من شأنها إزعاج الطفل وتخويفه. وفي الجزء الثاني، عندما يصبح الطفل قابلاً للتعلم والمناقشة (من 5سنوات إلى 12سنة)، يرى روسو أن تعليم الصدق والابتعاد عن حشو الذهن بالخرافات يشكلان أساس هذه المرحلة، كما يشدد على التربية البدنية التي جعلت القدماء أقوياء وأشداء، فيتصور بطله إميل في الثانية عشرة من عمره «قوياً مليئاً بالحيوية والنشاط خالي الفكر من الهموم والمشكلات». وفي الجزء الثالث يبدأ التعليم الإيجابي (من 12 إلى 15سنة)، ففكرة التعلم من الظواهر الطبيعية هي من مبادئ روسو التربوية، فتعلّم الجغرافيا مثلاً مقرون بمشاهدة الطبيعة. كما أراد روسو أن يتعلم إميل، الذي قارب سن الرشد، مهنة مفيدة في الحياة تؤمن لـه رزقه فاختار لبطله مهنة النجارة. ويركز الجزء الرابع الذي يتناول المرحلة الرابعة من عمر الإنسان (15إلى 20سنة) على التربية الخلقية والدينية، فيرى روسو أنه لا يجوز مطلقاً غرس التعليم الديني عند مراهقين لم تنضج مداركهم بعد. أما الجزء الخامس فيبرز دور المرأة الفاضلة في التربية والأسرة والمجتمع وسنحاول فيما يلي توضيح ما سبق بقدر من الشرح وللإيجاز.

الكتاب الأول: يبدأ بعبارة أن الطبيعة خلقت الإنسان صالحا، وما على التربية إلا أن تمنعه من الاحتكاك بالمجتمع لئلا يخرب هذه الحياة الصالحة ويحولها إلى فساد، فيحدثنا على الطفولة الأولى حتى سن الخامسة، وأهمية العناية بالجسم وضرورة اهتمام الأم بنفسها، وأهمية منح الطفل الحرية منذ ولادته دون تكبيله بأي نوع من القيود التي تحيل دون حريته، ويرى بأن هذه المرحلة - مرحلة الطفولة - هي أخطر مراحل التربية، وهي بكل ما فيها موكلة إلى النساء، فالإنسان يولد طفل ضعيف في حاجة إلى قوة، ومجرد من كل شيء في حاجة إلى عون، ويرى كذلك بأن التربية تأتينا إما من الطبيعة أو من الناس أو من الأشياء، فهو يرى بأن الناس في الحالة الطبيعية سواسية، وأن الأم مهمة في حياة الطفل فإذا لم تكن هناك أم فليس هناك طفل، ويحرص على عدم تربية الطفل على يد الغرباء[4]. ورأى أنه الأفضل أن تكون الأم الحقيقية هي الأم أو المربية، ويكون المؤدب والموجه هو الأب الحقيقي ليحصل الانسجام والتفاهم بين المرضعة والمؤدب؛ وهذا ما يجعل عملية الانتقال من يد المرضعة إلى يد المؤدب سهلة لا تكلف الطفل عناء الانتقال من مرحلة إلى أخرى دون تفاهم بين المرضعة والمربي[5] ، كما

تحدث روسو عن صفات المربي الفاضل، ورأى أنه لابد للمربي أن تكون له خبرة سابقة في التربية مرة واحدة على الأقل، إضافة إلى ذلك أنه رأى بأن تعليم العاديين- أي التلاميذ متوسطين الذكاء هو الذي يصلح للتعليم، ثم يتحدث عن تأثير الطبيعة والإقليم في التربية ويقارن بين سكان الشمال والجنوب والغرق بينهم، إضافة إلى المستوى الاجتماعي ومراعاة هذا الجانب في التربية؛ فإعداد الطفل الفقير ليس كإعداد الطفل الغني، ومهما يكن فالتربية الطبيعية ينبغي أن تعد الرجل كي يكون لائقا للحياة في جميع الظروف البشرية [6]، وهنا يؤكد أيضا على التربية النفسية التي يدعوها المتدرجة. هذه كانت أهم الأفكار التي وردت في كتاب إميل في المرحلة الأولى أو الكتاب الأول ونلاحظ أنه ركز على دور الطبيعة في التربية بكل أشكالها.

أما الكتاب الثاني: فهو معنون بتربية الطفل الأخلاقية، ويشرح لنا فيه روسو حياة إميل من السنة الخامسة إلى الثانية عشر من عمره؛ حيث يرى روسو أن الطفل في هذه المرحلة يصبح جاهزا للتعليم و التعلم، ويؤكد روسو هنا على أنه يجب أن لا نعلم الطفل تعليما نظاميا، بل يترك يتعلم بالتجربة والنشاط الحي في الطبيعة، وعلى أنه ينبغي ألا يتعاطى الطفل سواء الأشياء التي تناسب عمره وتفكيره واهتمامه بشكل مباشر، وهنا يمكننا القول أن التربية في هذه المرحلة تركز على تربية الجسد والحواس، فالعقل يجب أن يتعلم الطاعة على أنها واجب طبيعي، ويجب أن نبعد الطفل من الشر ويشير هنا إلى انتهاء مرحلة الطفولة [7] . أما الكتاب الثالث: تحت عنوان الغلام من الثانية عشرة إلى الخامسة عشرة، وعن التربية الذهنية وبداية التعليم الإيجابي عنده، حيث يرى أنه ينبغي أن نعود الإنسان على ملاحظة ما يدور حوله، وأن نعلمه من كتاب واحد هو كتاب العالم المحيط بيه فيتعلم الجغرافيا بمشاهدته المباشرة للطبيعة[8]. إضافة إلى تشجيعه وتعليمه الاعتماد على نفسه في التعليم،وهنا تبدأ مرحلة التفكير والتعقل ومنعه بمقارنة نفسه بسواه من الأطفال؛ لأنه لن يجني من ذلك إلا إحدى السيئتين هما الحسد والغرور، فليكن هو معيار نفسه، إضافة إلى كل هذا لا بد أن يدرس العلاقات الاجتماعية ويقدر الفنون المختلفة على أساس منفعتها الحقيقية. أما الكتاب الرابع: فهو تحت عنوان المراهقة والتعليم الديني، يتضمن التربية الخلقية والدينية، حيث يؤكد روسو أن أول شعور يحس به الطفل هو أن يحب نفسه، أما الشعور الثاني فهو محبة الآخرين، ويرى أن المبدأ الأساسي في الأخلاق أن قواعد السلوك لا تأتي نتيجة لدروس فلسفية عالية، بل هي مكتوبة في أعماق كل إنسان بشكل طبيعي وبأحرف لا تمحى ويرى أن الصوت الداخلي(الضمير) هو المبدأ الأساسي للعدالة والفضيلة، والفضل يعود إليه بتأمين سعادتنا أو شقائنا، بسماع صوته وعدم سماعه أو عدم سماعه تقرر حالتنا على الأرض ومن ثمة الحياة الأبدية، فقد وهبنا الله الضمير كي نحب الخير، والعقل كي نتعرف إليه، والحرية كي نختار طريقة؛ وفي الثامنة من عمره يتعلم مبادئ الدين الأولى فلا نفرض عليه أي مذهب أو ديانة ونترك له الخيار. [9]

أما الكتاب الخامس فهو يتحدث عن (صوفي) رفيقة (إميل)؛ إلا أنا إميل لا يتزوج من صوفي إلا بعد أن يقوم برحلة لمدة سنتين ينتقل خلالها في الدول الأوربية يتعرف على أنظمتها الاجتماعية على شعوبها وعلى عاداتهم وتقاليدهم، وبذلك يصبح عنده فضيلة أكثر وقوة عامرة في نفسه أكثر. يتضح من كتاب إميل أن العلمية التربوية في نظر روسو ينبغي أن ترتكز على تدريب الحواس، ويؤكد على التربية التي تعتمد الخبرة والممارسة العملية والاحتكاك بالأشياء بدل التربية القائمة على التلقين والألفاظ، وبالتالي فإنه يتجنب تعلم الكتب والحقائق المجردة

التي لم تقع في إطار المشاهدة والاختبار، وأن كتاب الحياة وكتاب الطبيعة هو ما يجب أن ينشأ على دراسته الطفل وتماشيا مع هذا التصور يرى روسو أن يدرس الطفل الجغرافيا في الغابات والحقول، وعن طريق وضع ملاحظة وضع الشمس والأرض ودراسة الجداول والمطر وتغير الطقس، أما دراسة الفلك فتكون عن طريق دراسة الأجرام السماوية، أما دراسة الفيزياء والكيمياء فتكون عن طريق الملاحظة والتجريب والرياضيات لازمة لضرورتها في هذه الدراسة[10].

أما القاعدة العامة التي يوصي بها فهي عدم استعمال الإشارة أو الرمز حين يكمن استعمال الشيء نفسه، وذلك لأن الرمز يستولي على انتباه الطفل فينسيه الشيء الأصلي. [11

في مفهوم الطبيعة عند جان جاك روسو :

لا يستقيم البحث في نظرية روسو التربوية ولا سيما في التربية الطبيعية دون العودة إلى **مفهوم الطبيعة لأن تحديد هذا المفهوم يشكل حجر الزاوية في فهم معمق لأبعاد واتجاهات** نظرية روسو الطبيعية في التربية.

يحدد روسو ثلاثة تجليات لمفهوم الطبيعة، يأخذ الأول منها صورة الكون أو العالم الخارجي على نحو ما يتبدى لنا بصورة موضوعية، فالطبيعة وفقا لهذا التصور هي تقاطعات كونية في دائرتي الزمان والمكان. فالأرض وما عليها من بشر وشجر وحجر، والسماء وما فيها من كواكب ونجوم وأجرام كونية تشكلان الحدود القصوى لمفهوم الطبيعة بصورته الشمولية عند روسو.

ويتجلى المفهوم الثاني للطبيعة عند روسو في العالم الداخلي عند الإنسان، فغرائزنا وميولنا الأصيلة وما فطرنا عليه من قوى داخلية منحتنا إياها الطبيعة يمثل مفهوم الطبيعة الإنسانية. وهذه الطبيعة خيرة بكل ما تنطوي عليه من غرائز وميول وقوى داخلية لأنها صناعة كونية إلهية وليست من صنع الإنسان.

أما التصور الثالث للطبيعة فيتحدد بالطبيعة الاجتماعية للوجود البشري. لقد كان روسو يعتقد بأن الإنسانية كانت في العهود الغابرة تعيش حياة طبيعية سابقة للحضارة والثقافة وهي الحالة الطبيعية.كان الناس في حالتهم الطبيعية الاجتماعية كما يصورهم في كتابه " مقالة في العلوم والفنون " يعيشون حالة إنسانية تتميز بأصالتها وسموها وعظمتها إذ كانت حياة الناس البدائيين تخلو من الحق والكراهية والحسد. إنها حياة آمنة يتفانى فيها الإنسان في خدمة الإنسان ويضحي فيها الفرد من أجل الآخر والجماعة. في هذه الحالة الطبيعية كان أفراد الجماعة الإنسانية يعيشون دونما إكراه اجتماعي الناس يأكلون ما يجمعون ويعيشون في ظل سمو أخلاقي يفيض عليهم بكل معاني التسامح والمحبة التي كانت قانونا كليا يحكم الوجود الإنساني برمته. إلا أنه ومع ظهور الملكية الخاصة للأرض مع تدجين الحيوان مع اللحظة التي بدا فيها الإنسان يقول لأخيه الإنسان هذه لي وهذا لك بدأت مرحلة الجشع والطمع والفزع وبدأ الصراع الإنساني نحو مزيد من السيطرة والتسلط والاستبداد، وظهر الحاكم القوي الذي فرض على الجماعة قوته وبسط جناح سلطانه وتحول الإنسان إلى عبد لأخيه الإنسان فظهرت المظالم والشقاء وامتد البؤس الإنساني ليضع الناس جميعا في حالة استلاب واغتراب. فالحالة الطبيعية الاجتماعية هنا قد انتهكت وفقدت عذريتها وأصالتها ونقاء انتمائها وصفاء وجودها. لقد انتهكت الطبيعة الإنسانية ودنست طهارتها مع ولادة الثقافة والملكية وصولة الطغاة من حكام. وهذه الأفكار الطبيعية هنا تجد مدها في كتاب روسو مقالة في أصل التفاوت بين البشر حيث يبين لنا كيف تطورت الإنسانية من حالة الطهارة والحرية إلى حالة العبودية والقهر[12].

ومهما يكن الأمر فالخير كامن في الطبيعة بأبعادها الثلاثة : في الكون وفي الإنسان وفي المجتمع. ومن أجل خروج الإنسان من حالته المأساوية يتوجب عليه أن يبحث عن الفردوس في العودة إلى الطبيعة في الإنسان وفي الكون وفي المجتمع. لقد جاء كتابه " العقد الاجتماعي " دعوة مطلقة للعودة إلى حالة الطبيعة وإحياء طقوس الحرية والمساواة التي كانت تسود المجتمعات الأصيلة قبل أن يلفها الفساد. وفي التربية على الإنسان كي يتحرر من ربق العبودية والقهر وينتقل إلى الفضاء الأرحب للحرية أن يعمل على بناء الإنسان وفقا لمبدأ الطبيعة وروحها.

ينطلق روسو في منظومته التربوية من المبدأ الذي يقول بأن الطبيعة الإنسانية خيرة وأن فطرة الإنسان معدن كل خير، وهو وفقا لهذه الرؤية يعارض الأفكار السائدة في عصره التي تبني على أن الشر أصيل في طبيعة الإنسان، وهي الفكرة التي يؤسس لها الفيلسوف الإنكليزي هوبز وأغلب رجال القرن الثامن عشر كما يؤسس لها رجال الدين والكنيسة في عصره. وعلى هذا الأساس كانت التربية وفقا لمبدأ الشر الأصيل في النفس، تؤكد أهمية اقتلاع الشر من النفس الإنسانية عبر التربية بما توفره التربية ذاتها من أدوات التسلط والقوة والقهر لاستئصال الشر الدفين في النفس الإنسانية. وعلى خلاف هذه الرؤية البائسة للطبيعة الإنسانية، كان روسو يعتقد بأن الطبيعة خيرة وخيرها يفيض بالمطلق، ولذلك فإن التربية يجب أن تنطلق على أساس الميول الطبيعة ليكون الطفل ابن الطبيعة وربيبها. ولأن الطبيعة خيرة فإن التربية الحرة يجب أن بتأكيد النمو الحر الطليق لطبيعة الإنسان ولقواه وميوله الطبيعية.

في التربية الطبيعية عند روسو :

يطلق على روسو زعيما للنزعة الطبيعة في الفلسفة والتربية دون منازع. وقد أودع أفكاره الطبيعية هذه في مختلف أعماله ومؤلفاته بدءا من كتابه الأول " رسالة في العلوم والفنون " مرورا بكتابه " مقالة في أصل التفاوت بين البشر " ثم في سفره المشهور "العقد الاجتماعي " وأخيرا في كتابه الذي يعرف بإنجيل التربية الحديثة " إميل والتربية "[13]. وفي هذه الأعمال جميعها نجد نسقا متكاملا من الأفكار والاتجاهات الطبيعي في المجتمع والتربية والسياسة والفلسفة. ويعد كتابه "إميل " و " العقد الاجتماعي أروع ما أهداه روسو لبني البشر[14]. وفي هذا الصدد يقول بورجولان Burgellin في كتابه فلسفة الوجود عند روسو " يشكل كتاب جان جاك روسو إميل أحد مفاتيح حضارتنا الحديثة"[15].

ويأخذ كتابه إميل صورة عمل أدبي وتربوي صقله إلهام ارتجال عبقري يتضوع بالأحاسيس الإنسانية النبيلة. ولم يكن هذا الكتاب أبدا مجرد تلبية لرغبة السيدة شونسو Chenonceaux من أجل تربية ابنها بل كان حركة عبقرية ألهمت الحضارة والإنسان في القرن الثامن عشر وفي الأزمنة الحديثة طرا[16].

يتضمن كتاب روسو في "إميل" منظومة عبقرية من الأفكار التربوية وهي تشكل نظرية متكاملة في التربية حسب الطبيعية وبمقتضى الطبيعية. ويأتي هذا الكتاب بلورة منهجية لمنظومة أعمالة السابقة التي كتبها ولا سيما مقالته في العلوم والفنون وفي اصل التفاوت بين البشر.

يفتتح روسو كتابه هذا بقوله " كل شيء صنعه خالق البرايا حسن وكل شيء يفسد بين يدي الإنسان([17]. وهو في هذا القول يضع استراتيجية نظرية يؤسس عليها نظريته الطبيعية في التربية والحياة، وخلاصة هذا القول تكمن في عبارة قصيرة قوامها " الطبيعة خيرة والإنسان يفسدها".

فالطبيعة خيرة وخيرها يتدفق بالمطلق وعلينا " أن نؤمن إيمانا مرية فيه بأن الحركات الأولى للطبيعة هي دوما رشيقة وما من فساد أصيل في النفس الإنسانية أو في القلب البشري"[18]. فالمجتمع عين الشر وينبوعه وعلينا أن نحصن الطفل ضد الشر المستطير الذي يميد بالحياة الاجتماعية. وتأسيسا على هذا الحذر الكبير من شرور المجتمع وآثامه يرى روسو أن الطبيعة هي مبدأ الخير، ومنها ننطلق إلى بناء الخير في النفوس وتشكيل المناعة الأخلاقية في العقول، فالطبيعة هي المبتدأ والخبر في معادلة البناء الإنساني الخير وفي أحضانها يجب أن ينمو الأطفال ليكونوا في منعة وامتناع عن كل ضروب الإثم والشر في التكوين الإنساني. فإميل " ابن الطبيعة،

تربية الطبيعة وفق قواعد الطبيعة ورضاء حاجات الطبيعة"[19]. وفي هذا يكمن الحصن الحصين في تمرد روسو ضد المجتمع منبع الشرور والآثام.

هذا ويعتقد روسو أن الطبيعة قادرة بذاتها على تنمية ملكات الطفل ولذلك يجب أن نوكل أمر تربيته إلى الطبيعة ذاتها. لأن الطبيعة تريد للطفل أن ينمو نموا حرا وأن يعمل بمقتضى تكوينه الطبيعي بوصفه طفلا.

إن أعظم ما قدمه روسو للتربية يتمثل في عبقرية الكشف عن طبيعة للطفل مفارقة لما هو معهود ومألوف في عصره وفي العصور التي سبقته. يرفض روسو المبدأ التربوي الذي ينظر إلى الطفل بوصفه راشدا صغيرا، وهو على خلاف ذلك يرى بأن الطفل صغير الراشد. فطبيعة الطفل مفارقة لطبيعة الراشد نوعيا وليس من الجانب الكمي. فالطفل يختلف في مستوى قدرته على الإدراك والنظر والتحليل اختلافا نوعيا عندما نجده عند الكبار. يروي روسو قصة ذلك الطفل الذي حكيت له حكاية للإسكندر الكبير وطبيبه، لقد كان هذا الطفل معجب إلى حد كبير بشخص الإسكندر وشجاعته، ولكن هل تعلمون أين كان يرى موطن هذه الشجاعة ؟ كان يراها في قدرة الإسكندر على تجرع شرابا سيء الطعم، وفي هذا المثال يبين روسو أن لإدراكات الطفل وطريقة نظرته إلى الوجود مختلفة كليا عن الراشد فالطفل لا يمتلك هذا التفتح الذهني الذي يمكنه من فهم العالم بما ينطوي عليه على النحو الذي يدركه الراشدون. ومن هذا المنطلق ينادي روسو بأهمية معرفة طبيعة الطفل على نحو ما تفرضه هذه الطبيعة من خصوصية مفارقة لطبيعة الراشدين. ولروسو فيض من القول في طبيعة الطفل ومن اشهر مقولاته في هذا الخصوص : "تعلموا كيف تتعرفون إلى أولادكم لأنكم يقينا تجهلونهم كل الجهل" ولماذا هذا الجهل لأن الكبار ينظرون إلى الصغار نظرة الراشد إلى الراشد وليس نظرة الكبير إلى الصغير. نحن " نجهل الطفولة الجهل كله وكلما راودتنا الأفكار الخاطئة التي نملكها عنها ازداد ضلالنا [20].

إن هدف التربية الطبيعية يتمثل في بناء الإنسان على صورة الطبيعة أي كما خلقته الطبيعة زكما تريد له أن يكون [21].

وهنا نجد أن روسو غالبا ما يكرر لأقواله المأثورة:" دعوا الطفولة تنمو في الأطفال". .. " دعوا الطبيعة تعمل وحدها زمن أطول قبل أن تتدخلوا بالعمل مكانها خشية أن تعرقلوا عملها "..."احترموا الطفولة ولا تتسرعوا أبدا بالحكم عليها خيرا كان أم شرا" (....) " فالإيقاع البطيء لزمن النمو ليس شرا نحتمله بل وظيفة ضرورية للنمو ". وكثير ما كان يقول " الطبيعة لا تحتاج إلى تربية، والغريزة خيرة طالما تعمل وحدها وتصبح مشبوهة عندما تتدخل المؤسسات الإنسانية وينبغي علينا أن ننظمها لا أن نقضي عليها وقد يكون تنظيمها أصعب من تدميرها "[22].

تتضمن التربية الطبيعة عند روسو فيضا متدفقا بالحب والحنان على الطفولة والأطفال. وقد استلهم روسو هذا العطف على الطفولة من الحرمان العظيم والبؤس الخانق والآلام الفادحة والمدمرة التي عاناها في طفولته المعذبة، وفي حنانه هذا زفرة طفولة مقهورة وصرخة إنسانية تدعوا إلى محبة الأطفال والعناية بهم، يقول روسو- والقول يتدفق بأعظم معاني الحنان والحب للطفولة والأطفال - " أحبوا الطفولة، يسروا لها ألعابها ومسراتها وفطرتها المحبوبة. من منكم لا يأسف أحيانا على تلك السنين التي لا تفارق فيها الابتسامة الشفتين (...) فلم تريدون أن تحرموا هؤلاء الصغار الأبرياء من متعة فترة تكاد من قصرها تفوتهم(...) ولم تريدون أن تملؤوا بالمرارة والآلام هذه السنوات الأولى الخاطفة التي لا تعود إليكم؟ أيها الآباء، هل تعلمون الأجل الذي ينتظر فيه الموت أبناءكم؟ قلا تتهيأوا للندامة إذ تحرمونهم من الهنيهات القليلة التي منحتهم إياها الطبيعة. متعوهم بلذة الوجود منذ أن يصبحوا قادرين على الاستمتاع بها حتى إذا دعتهم المنية في ساعة من الساعات، لم يموتوا قبل أن يتذوقوا الحياة ويقضوا منها وطرا" [23].

ويمكن تحديد أهم المبادئ الأساسية لطبيعة الطفولة في التربية عند روسو على النحو التالي [24]:

1- طبيعة الطفل خيرة وليس شريرة.

2- يجب احترام ميول الطفل الطبيعية وتنميتها وفقا لمبدأ التربية السلبية.
3- التأكيد على تجربة الطفل الخاصة في اكتساب المعرفة واستبعاد دور المعلم ما أمكن ذلك.
4- تقسيم التربية إلى مراحل تتناسب مع عمر الأطفال لأن طبيعة الطفل هي التي تحدد نوع التربية الممكن.
5- العمل على فهم طبيعة الطفل ودراستها ورصد مكوناتها لكي تستقيم العملية التربوية.

التربية السلبية أو التربية الحرة :

ينطوي مفهوم التربية السلبية عند روسو على شحنة ثورية هائلة وإيمان متفجر بمبدأ الحرية الإنسانية. وتتجلى هذه التربية السلبية في رفض مطلق لكل إكراهات التسلط والقهر والعبودية التي تنبث في عادات الناس وتشع في تصوراتهم وممارساتهم الإنسانية والتربوية.

يقول روسو " الحكمة البشرية ذاتها لا تنطوي إلا على تحكمات استعبادية، فعاداتنا لا تعدوا أن تكون إذلالا واستعبادا، وكبتا وألما فالرجل المتمدن يولد ويعيش ويموت في حالة عبودية يلف عليه القماط يوم يولد، ويزج في الكفن يوم يموت ويغلق عليه التابوت يوم يدفن، وما دام حيا فإنه يكون مقيدا بأغلال الأنظمة المختلفة "[25].

إنه يقترح عبر مفهوم التربية السلبية ثورة تربوية عارمة تحرر الإنسان من قيوده وتحطم أغلاله وأصفاده.لقد نادى روسو بمبدأ التربية السلبية، فالتربية الأولى التي تقدم للطفل يجب أن تكون سلبية وهي لا تكون بالتلقين لمبادئ الفضيلة، ولكن قوامها المحافظة على القلب من الرذيلة والعقل من الزلل، ويعتقد روسو التربية الحقة تكون في النمو الحر الطليق لطبيعة الطفل وقواه الداخلية وميوله الفطرية. والتربية التي ينشدها ليست نفيا للتربية بل هي رفض للأساليب التربوية التقليدية السائدة التي تزج الإنسان في مدافن العبودية والإكراه. فالتربية السلبية هي التربية الحرة التي تترك للطفل أن ينمو بمقتضى فطرته وطبيعته الخيرة. إنها التربية التي تتيح للطفل أن ينمو روحيا وعقليا ونفسيا نموا حرا أصيلا خارج دوائر الإكراه والتسلط والقهر. فالتربية السائدة تربية إكراه تفقد الإنسان براءته وأصالته لأنها تستأصل قدرته على العيش وفق قانون الطبيعة. فالتربية السلبية نفي للعادات والأساليب التربوية السائدة في عصره. وهو يقول في معرض وصفه للتربية الإيجابية بأنها هذا النوع من التربية الذي يساعد على تكوين العقل قبل الأوان كما يساعد على تلقين الطفل واجبات الرجال. وهو لا يعني بالتربية السلبية حالة من السكون والكسل بل هي نوع من التربية الحرة التي لا تسبب الفضيلة ولكنها تحمي القلب من الرزيلة. وعلى خلاف ما هو معهود وسائد في عصره يؤكد روسو ألا شر أصيل في النفس الإنسانية ومن هذا المنطلق فإن طبيعة الطفل خيره بالمطلق وأن التربية الحقة تجري على نبض الإيقاع الداخلي لهذه الطبيعة.

إن التربية السلبية تعني باختصار أن نحقق للطفل نماء طبيعيا بعيدا عن تدخل الراشدين وعبثهم. وكأننا بروسو في هذا التوجه يميل إلى الاستغناء عن المربي كليا، وميلا إلى أن يوكل مهمة تربية الطفل إلى الطبيعة ذاتها وأن يدع الطفل منفردا في صدامه مع الحياة بتجاربها وعبثها ومفارقاتها. فوظيفة المربي لا تكاد تتجاوز حدود الإشراف على إميل عن بعد، وهو ليس مطالبا بالتدخل إلا حينما تقتضي الضرورة القصوى تدخله. وليس على المربي أن يحتسب الزمن والوقت في عملية نماء الطفل وتربيته بل يجب عليه أن يبدد الزمن ويهدر إمكانية الإحساس به لأن إميل يختمر ويتكون وكلما كان نضجه في ظرف زمني هادئة مستريح في صدر الزمن كلما كان ذلك في مصلحة البناء والتكوين والإعداد التربوي عند إميل. والقاعدة التي يعلنها روسو في هذا الصدد تقول وتشدد القول " بأن ليست أهم قاعدة في التربية أن نربح الوقت بل أن نضيعه"[26].

وانطلاقا من مقولة روسو بأن الطبيعة خيرة وأن المجتمع يفسدها فإن مفهوم التربية السلبية يرتكز إلى أمرين أساسيين:

– حماية إميل من الفساد الاجتماعي وإبعاد تربويا عن سطوة الراشدين وتدخلهم المباشر في التربية.
– مجاراة التطور الطبيعي في الطفل لأن الطفل يمتلك شروط نموه طبيعيا وهو ينمو وفقا لمبدأ القانونية الطبيعية.

تنطوي التربية السلبية على ثلاثة جوانب لمفهوم الحرية الطبيعة :

– الحرية الجسدية التي توفر للطفل كل ما يحتاجه من إيقاعات النماء الجسدي الحر الذي يأخذ مساره عبر النشاطات والفعاليات والألعاب وتترك لجسده الحرية. وهنا يجب نرفض كل ما من شأنه أن يقيد حرية الطفل الجسدية. ومن هنا جاء رفض روسو للقماط وهجومه العنيف على الأساليب التربوية التي تمنع الطفل من إمكانيات الحركة والقفز والانطلاق واللعب، وغير ذلك من هذه الحريات الجسدية الضرورية لنمو الطفل. كان روسو يعتقد بأنه لا يمكن للمرء أن يكون حرا بجسد مهزوم محاصر، لأن الحرية كينونة صماء لا تقبل التجزئة والانشطار. ولا يمكن لإنسان ما أن يكون حرا في المستوى العقلي أو العاطفي بجسد مهزوم ومحاصر.

– الحرية العاطفية والانفعالية : إذ يتوجب إبعاد إميل عن كل ما من شأنه أن يفرض على الطفل مشاعر مقننة وعواطف جامدة معلبة أو مثلجة. فالتطور الطبيعي للطفل يكون في أن نترك لمشاعره الداخلية حرية النمو وفقا لاندفاعات إنسانية داخلية نابعة من أحاسيس الطفل وتجربته ومشاعره، وتلك هي الخصوصية التي يجب ألا تتعرض لعدوان الراشدين وتسلطهم. إن التدخل في توجيه النمو العاطفي والانفعالي هو قمع للروح الداخلية للطفل، وهو إكراه يتجاوز كل إكراه، لأن الروح، وهي أعمق وأقدس ما في الإنسان، يجب أن تترك حرة أصيلة رشيقة كما تفرضها الطبيعة. دعوا الأطفال يتذوقون العالم عبر إحساسهم الإنساني بعيدا عن كل أشكال التسلط والإكراه. فللطفل أن يشعر بحرية أن يحب ويكره ويغضب ويتسامح بحكم مشاعره الداخلية وعلى منوال ما تفرضه روحه الداخلية التي تفيض بالعطاء.

– الحرية العقلية :ليس لنا أو علينا أن نفرض على عقل الطفل ما لا يحتمل وما لا يستسيغ. إن الاغتراب الحقيقي عندما نفرض على عالم الصغار رؤانا ومعتقداتنا وأن نعلمهم وبصورة مبكرة ما نرغب من العلوم والمعارف. إن التعليم المبكر يقض مضاجع الأطفال ويحرمهم من عطاء الطبيعة بوصفهم أطفالا. وهنا يرى روس أن القاعدة في تعليم الأطفال وتشكيل عقولهم ليست في أن نربح الوقت ونقتنص الزمن بل تكون في هدر الزمن وتضييع الوقت بالمعنى التقليدي، فتضييع الوقت وهدره في التربية الطبيعة وفقا لمفهوم روسو هو عملية استثمار عظيمة، لأن كل لحظة تبذل في سبيل التربية تجد مردودها العظيم في التكوين الخلقي والإنساني للطفل، لأن عقل الطفل يكون في المراحل الأولى في مرحلة التكوين، وهو الخاصة الإنسانية التي تنضج متأخرة. وفي هذا يقول روسو : لو كان بيدي لجعلت الطفل لا يعرف يمينه من يساره حتى الثانية عشرة من عمره. وهو بذلك يريد للطفل أن يكون قادرا على تشكيل رؤاه الخاصة للعالم وأن يكون في مرحلة يمتلك فيها زمام نفسه وعقله بحيث لا يقبل إلا ما يراه وفقا لمقتضى طبيعته بأن صحيح وخير وأصيل. إنه ينادي بألا نهتم بالإعداد العقلي للطفل حتى بعد سن الثانية عشرة، لأن فترة الطفولة هي فترة الركود العقلي وهي مرحلة كومونية لا نستطيع أن نتصور مدى أهميتها، ولذلك يجب ألا ندفع الطفل الى التفكير ولا القراءة أو أي مجهود عقلي في هذه المرحلة.

وتعتمد التربية السلبية على قانون الجزاء الطبيعي، بحيث ندع الطفل يتحمل النتائج الطبيعية لأعماله دون تدخل أي إنسان. ويرى روسو في ذلك إن المربي يمكنه أن يقوّم أخلاق الطفل طالما يبين له أن العقوبة كانت طبيعية مثال : إذا أبطأ الطفل في ارتداء ملابسه للخروج للنزهة فاتركه في المنزل. وإذا أفرط في الأكل أتركه يعاني ألم التخمة، وباختصار دعه يتحمل النتائج الطبيعية لعدم خضوعه لقوانين الطبيعة.

وباختصار شديد التربية السلبية لا تعني نفيا للتربية بل هي تربية حرة تتوافق مع الطبيعة، وإذا كانت التربية الإيجابية تسعى إلى تكوين النفس قبل الأوان فإن التربية السلبية فهي تسعى إلى تعبيد طريق المعرفة وجعل أدواتها جاهزة قبل إعطاء المعرفة. إنها التربية التي تسعى إلى تحقي التوازن بين نمو العضوية والنفس والعقل عند الأطفال. وهي تنطلق من مبدأ النمو الذاتي الحر لطبيعة الطفل. إنها لا تعلم الفضيلة بل تجنيب القلب الوقوع في الرزيلة وهي، في جماع عبارة واحدة، النمو الحر لطبيعة الطفل الذاتية وميوله الطبيعية

حول مراحل "إميل" في التربية:

من الميلاد إلى الخامسة : يؤكد روسو على أهمية الأبوين كمربيين طبيعيين للطفل، فالأبوين هما الأكثر قدرة على أن يمنحا الطفل الحنان الطبيعي الضروري لنموه إنسانيا وأخلاقيا على نحو طبيعي. فالأب هو المعلم الطبيعي والأم هي حاضنته. ويعلي روسو هنا من شأن الأم على نحو خاص في العملية التربوية، وكان يلح على دور الأم بقوله " إذا أردتم أن تعيدوا كل إنسان الى واجباته الأولى عليكم البدء بالأمهات وستعجبون لما تحدثونه من تغيرات"[27].

في هذه المرحلة يجب على الأبوين رفض جميع الأساليب التربوية التقليدية السائدة واعتماد المنهج الطبيعي في التربية. وتكون البداية بإرضاع الطفل إرضاعا طبيعيا من صدر الأم، ويحذر من تغذية الطفل من غير صدر أمه كما كان سائدا في ذلك العصر.ويرفض روسو بمطلق الرفض أن يعهد بالأطفال إلى مربيات ومرضعات، ويهيب بالأمهات أن تقوم بواجبات الأمومة لأن ذلك يؤدي إلى مخاطر مذهلة يتصدع لها عقل الطفل وقلبه. وكان في هذا الصدد يرفض أن يغسل الطفل بالخمرة والنبيذ ويرفض هذا على مبدأ أن الخمرة شراب متخمر وبالتالي فإن الطبيعة لا تنتج ما هو متخمر.

يرفض روسو قطعيا وضع الطفل في القماط المعهود أو في " المهاد" لأن المهاد يمنع عليه الحركة وتدفق الدماء ويميت قلبه الحر، ويحذر من استخدام هذه الطريقة كما يحذر من آثارها المدمرة للطفل جسديا ونفسيا. ويؤكد أهمية اللعب بمستوياته المختلفة، حيث يأخذ اللعب مستويات تتدرج وفقا لعمر الطفل في مدى وحدود هذه الفئة أي من الميلاد إلى الخامسة من العمر. فإميل في هذه المرحلة يجب أن يتكون جسديا على محك الألعاب الرياضية. فالرياضة المضمخة باللهو والتسلية واللعب هي الرياضة التي تناسب نمو إميل جسدا وعقلا. وهو يعتقد في هذا الصدد بأن جميع الرغبات الشهوانية تجد لها مسكنا في الأجسام الضعيفة، وكل ضعف يولد ضعفا، والطفل لا يكون سيء الخلق إلا لأنه ضعيف فإذا قويته تحسن وتم له النماء الأخلاقي والجسدي في آن واحد. يرفض روسو تلقين إميل فيضا من الكلمات والمفردات اللغوية ويريد لإميل هذا أن يحقق تناسقا بين نموه اللغوي ونموه الفكري. وباختصار فإن روسو يؤكد في هذه المرحلة العمرية على:

– عدم استخدام القماط.
– دعوة إلى الرضاعة الطبيعية.
– أن تكون التربية عملية نمو داخلية عضوية.
– الابتعاد عن الأوامر والنواهي.
– التأكيد على التربية الجسدية.

التربية من الخامسة إلى الثانية عشر : يركز روسو على أهمية هذه المرحلة ويعتقد بأنها من أخطر المراحل التربوية في حياة الإنسان. وهو يؤسس للتربية في هذه المرحلة وفقا لمبادئ ثلاثة :

1- ينبغي على إميل أن يستمد معلوماته وخبراته عن طريق الحواس والتجربة والاحتكاك المباشر مع الطبيعة.

2- يجب على التربية في هذه المرحلة أن تكون تربية سلبية حيث يترك الطفل في غفوة أشبه بالسبات بعيدا عن مختلف التأثيرات الخارجية. وهنا يجب على المربي عدم التدخل إلا عندما تقتضي الضرورة. لأن إميل يتكون تكونا طبيعيا في هذه المرحلة وحري بنا أن نجعل الطبيعة تفعل فعلها وتنهض بواجبها دون تدخل المربين والكبار.

3- التربية الخلقية يجب أن تكون عن طريق الجزاء الطبيعي، فعندما يسقط إميل يتألم، وعندما يتخم يعاني من الألم، وعندما يخرج في ليلة باردة يصاب بالزكام، وعندما يضع يده على مكان لاهب يشعر بألم الحرارة ووخزها، وفي كل هذا يجب أن يشعر الطفل بأن العقاب الذي استحقه كان عقابا طبيعيا ينبع من طبيعة الأشياء ذاتها وأن

هذا العقاب لم يكن انتقاما أو إكراها يمارسه الكبار. وباختصار أيضا يؤكد روسو على المبادئ التالية في هذه المرحلة :

– التربية السلبية في مختلف مستويات هذه المرحلة.
– التربية الأخلاقية عن طريق النتائج الطبيعية.
– تدريب الحواس لا تدريب العقل.
– التعلم بالأشياء والخبرة والتجربة.
– لا حاجة إلى القراءة والكتابة.

التربية من سن الثانية عشر إلى الخامسة عشرة: في هذه المرحلة تبدأ عملية تعليم إميل، لأن مرحلة الغفوة والثبات قد انتهت وقد اكتملت لإميل أسباب التعلم بعد أن نضجت ملكاته الطبيعية وبعد أن خمرته الطبيعة وسوته وهيأته لتلقي المعرفة الإنسانية وما تنطوي عليه من قيم ومعايير ثقافية. لقد آن الأوان لتعليم إميل وتزوده بالمعرفة والمعلومات والمعارف. وفي هذه الفترة كما يقول روسو تزداد فيها قوة الفرد على ما يحتاج إليه.

ومع أهمية هذه المرحلة وضرورة التعلم فيها فإن روسو يرسم سبل التعلم والاكتساب ويحدد مساره وطريقته. فالتعلم والاكتساب يجب أن يتم عن طريق التشويق وأن يتساوق مع رغبة في التعلم وحب الاستطلاع، وهنا يجب أن يكون ميل إميل وتعطشه للعلم والمعرفة ناجما عن رغبات طبيعية أصيلة في أعماقه.

ومن حيث طبيعة المعرفة التي يجب أن نزودها للطفل يجب أن تكون متوافقة مع اهتمامات الطفل ولا سيما هذه التي تدفعنا غرائزنا إلى تتبعها والتي تتضح أهميتها وفائدتها العملية بالنسبة لإميل.

على الطفل كما يؤكد روسو وينصح أن يقرأ قصة "روبنسون كروز" لأن هذه القصة تؤكد أهمية التعلم وفهم الحياة وفقا لقوانين الطبيعة حيث تبرز أهمية الاعتماد على النفس فيها.

ويجب على إميل أن يتعلم حرفة بحد ذاتها وذلك ليس من أجل الكسب بل من أجل غرض أسمى من هذا، وهو التغلب على العقائد الفاسدة التي تحط من قدر هذه الحرفة، وعندما نؤكد من جديد على أهمية التجربة الذاتية ويكون التعليم مناسبا لحاجات إميل وميوله فإن إميل سيصبح شخصا مجدا هادئا صبورا مملوء بالشجاعة والثقة وقادرا على أداء وظيفته الحيوية والاجتماعية بصورة تجعله أكثر قدرة على التكيف والاستمتاع بحياته وتحقي السعادة الطبيعية المنشودة.

وفيما يتعلق بالمواد الدراسية يتوجب علينا أن نعلم إميل العلوم الطبيعية مثل الفلك والجغرافيا وخير وسيلة لتعلم الخرائط هي الأسفار والتنقل والترحال. وهو يرفض تعليم إميل النحو واللغات القديمة والتاريخ لأنه يريد لإميل أن يعيش في عزلة عن المجتمع وفي دائرة الطبيعة تحديدا.

وفي منهج التعليم يرفض روسو مبدأ الخطب الرنانة المصقعة ومبدأ النصح والإرشاد بل يؤكد على الأهمية الكبرى للممارسة والتجربة ويقول " لنحول إحساساتنا إلى أفكار، وعلينا أن نتجنب القفز مباشرة من عالم المحسوس إلى العالم المجرد، ولنتحرك وبأناة وروّية من فكرة محسوسة إلى فكرة محسوسة، لنتعلم عن طريق الأشياء وعلينا أن نبتعد عن معالجة الأشياء بالرمز طالما نستطيع أن نرصدها أشياء في دائرة المكان والزمان.

من سن الخامسة عشرة إلى العشرين: في هذه المرحلة تنمو استعدادات إميل وقدراته على التكيف مع الآخرين والحياة الاجتماعية، وقد آن الأوان ليصبح إميل كائنا اجتماعيا فاعلا ومشاركا في دائرة الحياة التي تنتظره في المجتمع. ومن أجل هذه الغاية يتوجب علينا أن ندربه على العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي مع الآخرين. في هذه المرحلة يكون إميل قد اكتمل نضجه جسديا وحسيا وعقليا، وقد آن الأوان لكي يتشكل عاطفيا وروحيا.

فالتربية في المراحل السابقة كانت تربية ذاتية تهدف إلى بناء الجسد والنفس، أما الآن فيجب إعداد إميل من أجل الحياة الاجتماعية، وعلينا أن ندربه على امتلاك شروط العلاقة الاجتماعية وفقا للمعايير الاجتماعية التي يفرضها تكيف الأنا مع الآخر.

تسعى التربية في هذه المرحلة إلى تنمية الوجدان وبناء الأخلاق الاجتماعية حيث تنتهي في هذه المرحلة فترة التعليم أو التربية العادية أو السلبية كما يحلو لروسو أن يسميها. وهنا يؤكد روسو كذلك في هذه المرحلة على التربية الدينية والأخلاقية. ولكنه يرفض الأساليب القديمة في تشكيل إميل أخلاقيا ولا سيما أخلاق النصح والإرشاد حيث يجب على إميل أن يكتسب عمقه الأخلاقي عن طريق الممارسة ومحاكاة أبطال التاريخ.

وفي هذه المرحلة أيضا تبدأ إمكانية بناء صلة دينية بين إميل وربه وتتوجب تربيته الدينية على قيم الحق والخير والجمال. فالطفل يمتلك القدرة في هذه المرحلة على فهم أمور الدين ويمكنه أيضا أن يدرس البلاغة والتاريخ والمسرح لأنه هذه المرحلة تمكنه من تذوق الفن والاستمتاع بالقراءة والمطالعة.

فإميل يمتلك في هذا العمر رصيدا محدودا من المعرفة ولكنه يمتلك هذه المعرفة امتلاكا حقيقيا والمعرفة التي يمتلكها معرفة نابعة من صميم الأشياء وراسخة في قلب إميل وعقله، وهناك أشياء كثيرة أيضا ما زال يحتاج إلى معرفتها وهناك أشياء لا يعرفها ولا يحتاج إلى معرفتها ولكنه يمتلك القدرة الكلية على معرفة كل الأشياء.

الخاتمة:

سجل روسو نفسه في تاريخ الفكر مربيا ومعلما وفيلسوفا وأديبا وثائرا، وكانت سيرته الحياتية والفكرية من أغرب السير التاريخية في تاريخ الفكر إن لم تكن أغربها على الإطلاق. ومن أوجه الغرابة والإدهاش في هذه السيرة أننا مع روسو نجد أنفسنا أمام عبقرية شمخت ونهضت على أعمدة القهر وعلى ثوابت الألم والهزيمة. وعلى هذا الأساس شيّد مملكته الفكرية الجبارة الفيّاضة بكل المعاني الإنسانية النبيلة والخلاقة. لقد أحدث انقلابا فكريا في عصره وفي العصور التي تتابعت بعده. ولا غرابة في ذلك فهو مؤسس التربية الحديثة وصاحب أكثر النظريات التربوية عبقرية وغرابة.

وما يدهش أن علم النفس الحديث والنظريات التربوية الحديثة قد استجابت لاندفاعات روسو العبقرية الجامحة المتمردة. ولم تستطع الانتقادات التي وجهها العلماء والمفكرون والكتاب لنظريته التربوية والاجتماعية أن تنال من شموخ هذه النظرية بل زادتها شموخا وتمردا. صحيح أن مظاهر النظرية قد تبدو غريبة مستغربة ولكن جوهرها الإنساني ما زال يحلق في الأجواء الشامخة.

إن ما اكتشفه روسو بفطرته وعواطفه ونبيل إحساسه الإنساني وعبقريته الأدبية كان كشفا عن مناطق مظلمة في حياة الإنسانية فأراد أن يطرد منها العتمة ويحررها من الجمود عبر شطحات عقل ثائر متمرد. وما حمله روسو إلى البشرية عبر نظريته التربوية تارة والاجتماعية تارة أخرى لا يضاهيه عطاء. لأنه وباختصار جاء ينتصر للأطفال والضعفاء والمظلومين والمحرومين والمقهورين، جاء ليحرر الطفل من ظلاميات القرون الوسطى لأن الطفل في نظريته رمز البراءة والعطاء بل هو هبة الله والسماء ولذلك فإن سعادة الأطفال يجب أن تكون هدف التربية بالمطلق.

وإذا كان عصره لم ينصفه، إذ عاش حالة التشرد والقهر مظلوما مهزوما في وطنه، فإن روسو اليوم يمثل رمزا من رموز الحضارة الإنسانية التي تفتخر به فرنسا ثقافة وحضارة، وهو الذي هجرته الأيام فعاش متوحدا حزينا مقهورا مغلوبا مطاردا من قبل رجال الأمن والسلطات في عصره. ومن من المفكرين في القرن التاسع عشر ولاحقا في القرن العشرين من لا يدين لروسو الأب الروحي للتربية الحديثة. فالتاريخ يعلمنا بأن جميع المبدعين من بعده في مجال التربية والفكر الاجتماعي يدينون له ويأخذون عنه ويتمثلون جوهر رؤيته للتربية والإنسان.

ليس غريبا أن يكون كتابه العقد الاجتماعي طفرة فكرية وجهت عمل الثورة في فرنسا وهي أعظم ثورة تشهدها أوربا ضد القهر والاستبداد والإرهاب. وليس غريبا أيضا أن يحدث ثورة تأخذ طابع الاستمرار في مجال التربية. لقد وضع روسو حجر الزاوية لانقلاب فكري تربوي ثوري أتى على كل التراث القديم في مجال التربية وأحدث انقلابا كوبرنيكيا في المفاهيم والرؤى والتصورات. وستبقى نظريته في العقد الاجتماعي ونظريته في التربية أحجارا كريمة براقة في عقد الفكر الإنساني الحر إلى الأبد.

الهوامش:

[1] نجيب المستكاوي، جان جاك روسو (حياته، مؤلفاته، غرامياته،) دار الشروق، الطبعة الأولى، بيروت، ،ص 318

[2] المرجع نفسه، ص313.

[3] المرجع نفسه، ص 315.

[4] جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ترجمة الدكتور نظمي لوقا،دار النشر الشركة العربية للطباعة والنش، ص.12-15

[5] المصدر نفسه، من الصفحة 11إلى 31.

[6] المصدر نفسه من الصفحة 51إلى 70.

[7] جان جاك روسو، إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ترجمة الدكتور نظمي لوقا، دار النشر الشركة العربية للطباعة والنشمن الصفحة 12إلى .10

[8] وائل عبد الرحمن التل وأحمد شعراوي، مرجع سابق، ص.828

[9] وائل عبد الرحمان التل وأحمد محمد شعراوي، مرجع سابق، ص. 821

[10] المرجع السابق، ص 163

[11] جان جاك روسو، أصل التفاوت بين البشر، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، القاهرة، 1956.

[12] انظر : جان جاك روسو، إميل والتربية، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، القاهرة، 1956.

[13] KAHN P., Emile et les Lumières, dans L'éducation, approches philosophiques, PUF, Paris, 1990.

[14] P. BURGELIN, La Philosophie de l'existence de Jean-Jacques Rousseau , Paris, 1952, 2e éd. 1973, rééd. 1978.

[15] فاطمة جيوشي، فلسفة التربية، جامعة دمشق، مطبعة خال بن الوليد، دمشق 1982، ص 61.

[16] جان جاك روسو، أميل أو التربية، ترجمة عادل زعيتر، م، دار المعارف، القاهرة، 1956، من ص37 الى 100.

[17] المرجع نفسه ،من27 ص37.

[18] عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ، مرجع السابق، ص 378.

[19] عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ، مرجع سابق، ص 397.

[20] راتب عبود، نظريات التربية في عصر التنوير الفرنسي، ترجمة عبد الله المجيدل، دار معد للطباعة والنشر، 1996، ص37.

[21] فاطمة جيوشي، فلسفة التربية، مرجع سابق، ص 74.

[22] عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ، مرجع سابق، ص 384.

[23] محمد كمال يوسف عالية وآخرون، الفكر التربوي: أصوله تطوره اتجاهاته المعاصرة، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي، كلية التربية، الكويت، 1985، ص 105.

[24] بول منرو، المرجع في تاريخ التربية، ترجمة صالح عبد العزيز و حامد عبد القادر، مكتبة النهضة المصرية، 1949، الجزء الثاني، ص 239.

[25] عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ، مرجع سابق ص383.

[26] عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ، مرجع سابق، ص 381

التقرير العربي العاشر للتنمية الثقافية لعام 2018

"الابتكار أو الاندثار - البحث العلمي العربي: واقعه وتحدياته وآفاقه"

سنة النشر: 2018 / بلد النشر: لبنان – بيروت

إعداد وتقديم

د. خالد صلاح حنفي

أستاذ مساعد أصول التربية

كلية التربية – جامعة الإسكندرية

Khaledsalah78@yahoo.com

تقديم:

أطلقت مؤسسة الفكر العربي فى 27 يونيه من عام (2018م) التقرير العربي العاشر للتنمية الثقافية و الذى يعد واحد من سلسلة التقارير العربية للتنمية الثقافية التى حرصت المؤسسة على إطلاقها بداية من عام (2011م).

ومؤسسة الفكر العربي هي مؤسّسة أهلية دولية مستقلّة، وأنشئت فى عام 2000م بمبادرة من صاحب السموّ الملكي الأمير خالد الفيصل، وبدعم من كوكبة من أهل الفكر وأصحاب المال ورجال الأعمال الذين آمنوا برسالتها وأهدافها التنويرية، وتلتزم المؤسّسة بتنمية الاعتزاز بثوابت الأمّة ومبادئها وقيمها، وتعزيز التضامن العربي والهوية العربية الجامعة، المحتضنة لغنى التنوّع والتعدّد، وذلك بنهج الحرية المسؤولة.

وقد آلت مؤسسة الفكر العربي منذ نشأتها إلى قراءة واقع البحث العلمي العربي ودراسة همومه ومشكلاته، ومناقشة أبعاده وفلسفاته، محاولة استجلاء حقائق تاريخًا وحاضرًا ومستقبلاً، وتطرح الرؤى المستقبلية المبنية على تعددية فكرية بين كل المدارس والاتجاهات.

وقد أوضح "هنرى الغويط" مدير عامّ مؤسّسة الفكر العربي أن دواعي تخصيص هذا التقرير للبحث العلمي وأنشطة التكنولوجيا والابتكار في الدول العربية، مُرتبطة بصورة أساسيّة، من جهة، بما حفلت به في السنوات القليلة الفائتة أنشطة البحث العلمي والابتكار من تطوّرات عميقة واكتشافات مذهلة على الصعيد العالمي، ومن جهة ثانية، بافتقار المكتبة العربية إلى تقرير متكامل يعرِضُ واقعَها الحالي في وطننا العربي، ويُبرز تحدّياتِها، ويستشرف آفاقَها ومآلاتِها. كما اوضح إن من أبرز خصائص التقرير طابعه الشمولي وتعدد الموضوعات التي عالجها ومداه الاستقصائي الجغرافي الذي لم يستثن أي بلد عربي وفي جنسيات المشاركين في تأليفه. وأضاف أن أهمية التقرير تكمن في طابعه الاستشرافي وفي تركيزه على أهمية صياغة رؤى وتصورات واقتراحات حول المستقبلات المرجوة والممكنة لما تخطط له الدول العربية من مبادرات في الأمدين القريب والمتوسط وللسبل التي ينبغي أن تنتهجها سياسات العلوم والتكنولوجيا والابتكار التي تعتمدها.

أهمية تقرير التنمية الثقافية وموضوعاته:

يستمدّ التقرير أهمّيته من القضايا العلمية المتنوّعة التي يتطرّق لها بما يعطيه طابعاً شمولياً ريادياً يسدّ نقصاً في المكتبة العربية. فيما يشهدُ الوطن العربي مزيداً من الحروب والنزاعات والخلافات السياسية، وما ينتج عنها من أزمات اقتصادية واجتماعية وثقافية، تتزامن مع مشكلات بيئيّة، كالتصحّر، وتراجع المساحات الزراعية، وندرة، المياه وتلوّثها. واعتمد التقرير على استخدام منهجيات متعدّدة جمعت بين تشخيص الواقع بصورة دقيقة من خلال عرض المعطيات والأرقام والإحصاءات وبين استشراف المستقبل عبر تقديم مجموعة من التوصيات والاقتراحات. وركز التقرير على أنشطة البحث العلمي والتطوير التكنولوجي والابتكار ودورها في التنمية الشاملة والمستدامة، ليعكس الإيمان بدور الفكر والعلم والثقافة في النهوض من مرارات هذا الواقع.

واشتمل التقرير على (25) ورقة بحثية امتدت على أكثر من 500 صفحة. ولم يستثن التقرير أي بلد عربي في المشرق والمغرب، وشارك في تأليفه باحثون من دول الخليج العربي، وبلاد الشام، ووادي النيل، والمغرب العربي، كما استجاب التقرير العربي العاشر للتنمية الثقافية في توجهه للمبادرة التي أطلقتها منظمة الأمم المتحدة في مطلع عام 2016 لتحقيق خطة التنمية المستدامة 2030. وركّز التقرير على أهمية صياغة رؤى وتصورات واقتراحات حول المستقبل المرجو والممكن لما تخطط له الدول العربية من مبادرات على الأمدين القريب والمتوسط.

واشتمل التقرير على عدد (543) صفحة، وتضمن خمسة فصول هي:

- الفصل الأول: البحوث العلمية والتعليم العالي رافعة الابتكار والتنمية.
- الفصل الثاني: الثقافة والتوجهات العلمية المتاحة.
- الفصل الثالث: الابتكار والتطوير التكنولوجي.
- الفصل الرابع: آليات بناء اقتصاد المعرفة.
- الفصل الخامس: البحوث في خدمة المجتمع.
- الخاتمة: الرؤية.. والموارد والجدوى.

وقد قام بإعداد التقرير نخبة من الباحثين والاختصاصيين من أنحاء الوطن العربي هم بحسب ترتيب أوراقهم في التقرير الدكاترة: عمر بزري، رمزي سلامة، محمد الربيعي، محمد المعزوز، نايف سعادة، معين حمزة، خضر الشيباني، محمد المراياتي، محمد نور الدين أفايا، سهيل مارين، معتز خورشيد، منيف الزعبي، عاطف قبرصي، عبد الإله الديوه جي، محمود صقر، جواد الخراز، نجيب صعب، عمر الديوه جي، محمد نجيب عبد الواحد، مازن الحمادي، ساري حنفي، فاديا كيوان، مها بخيت زكي، عبد الله القفاري، عماد بشير.

عرض محتوى التقرير والدراسات المتضمنة فيه:

اشتمل التقرير على خمسة فصول على النحو الآتي:

الفصل الأول: "البحوث العلمية والتعليم العالي رافعة الابتكار والتنمية"

وبدأ هذا الفصل بدراسة عمر البزري من سوريا بعنوان "البحث العلمي في الدول العربية" وتناول هذه الدراسة مَلامح التنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة في البلدان العربيّة، قبل أن يتّجه إلى مُعالَجة القضايا التي أعاقت، وما زالت تُعيق، تقدّم القدرات العِلميّة والتكنولوجية لهذه البُلدان. وانتهى البحث بتحليلٍ موجَزٍ لأنشطة الابتكار التي نَتج عنها إيداع براءات اختراع وتسجيلها من قبل مُواطني البلدان العربيّة والقاطنين بها، وذلك من حيث تعدادها وتناميها خلال السنوات الماضية، ومن حيث توّزعها على مجالات الاختصاص والتطبيق، بغية الوصول إلى صورة مُحدّثة عن هذه الأنشطة تبيِّن نقاط القوّة والضعف التي تُميَزها ومدى استجابتها لاحتياجات التنمية المُستدامَة والشامِلة.

وهذه الدراسة تتميز بتحليلها لأنشطة الابتكار، وتوزيع براءات الاختراع، ومدى ارتباطها باحتياجات التنمية وهي بذلك تتيح معلومات غاية فى الأهمية لمتخذي القرارات والمخططين فى مجالات البحث العلمي

لوضع الخطط ورسم السياسات لرعاية وتنمية الابتكار، وتشجيع ودعم الباحثين على ربط الابتكار بالتنمية واحتياجات الأسواق والمجتمعات العربية.

أما رمزى سلامة المدير الإقليمي الأسبق لمكتب منظمة اليونسكو في بيروت فتناول دراسة بعنوان"التعليم العالي فى الدول العربية" وركز على ثلاثة مسائل رئيسة: التوسّع في فُرص الالتحاق بالتعليم العالي؛ مُواءَمة مُخرجات التعليم العالي مع احتياجات المُجتمعات العربيّة من الوجهات المُختلفة؛ تطويع التكنولوجيّات الرقميّة خدمةً للتعليم العالي والتحوّل نحو مُجتمعات المَعرفة، بما يتضمَّن القيام بنشاط البحث العِلميّ والتطوير التكنولوجيّ ونشْر مُخرجاتهما على أوسع نطاق. كما تقترح تصميم وإنجاز مُبادرات من شأنها إتاحة النِّتاج الفكريّ المتّصل بفروع التعليم العالي على أوسع نطاق بناءً على الأشكال المقنّنة عالميّاً، وإقامة الشراكات والشبكات لتكثيف الروابط ما بين المَواقع الإلكترونيّة وتوثيق النِّتاجات الفكريّة في قواعد المعلومات العِلميّة على الصعيد العالَميّ.

كما ترى الورقة أنّه من الحريّ بأصحاب القرار تعزيز النَّشر العِلميّ باللّغات الأجنبيّة إضافةً إلى اللّغة العربيّة لتعزيز اطّاع العالَم الخارجيّ على النِّتاج الفكريّ العربيّ، وتوليد الفرص لحوار مُجدٍ لا بدّ أن يُسهِم في آخر المطاف في تقدُّم العلوم والثقافة من ضمن البلدان العربيّة وعلى المستوى العالَميّ.

وهذه الدراسة تؤكد على ما سبق أن أكدته دراسات أخرى، من الحاجة للاهتمام بالنشر الدولي على شبكة الانترنت، وتشجيع ودعم الباحثين على إتاحة بحوثهم ورفعها عبر شبكة الإنترنت، بما يضمن تبادل الخبرات وتشبيك الخبراء والباحثين العرب مع غيرهم من الخبراء على المستوى العالمي، ويتبدى من هذه الدراسة أهمية ما يطلق عليه بناء مجتمعات المعرفة والتشبيك بين الباحثين وتبنى البعد العالمي فى البحث العلمي.

وتناول محمد الربيعي من العراق "النماذج المنشودة للتعليم العالي"، والتحديات التى تواجه الجامعات العربية، والتعليم العالي فى الدول العربية كالتوسُّع السريع في التحاق الطلّاب، والحراك الأكاديميّ للطلّاب والأساتذة، والانفجار المعرفيّ، والتقدُّم الهائل في تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات، وجودة التعليم ومواءمته مع متطلّبات الاقتصاد، وتدويل التعليم العالي وتجييره، واستقلاليّة الجامعات، وتطوير القدرات البحثيّة والحاجة إلى زيادة التمويل، وتحدّي التفكير النقديّ مُقابل الحفظ، وضمان الجودة، وتبنّي سياسات التعلّم مدى الحياة، والتعليم المستمرّ ...وعلاقتها كلّها بالتنمية المُستدامة، كالتوسُّع السريع في التحاق الطلبة، والحراك الأكاديميّ للطلبة والأساتذة، والانفجار المعرفيّ، والتقدُّم الهائل في تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات، وجودة التعليم ومواءمته مع متطلّبات الاقتصاد، وتدويل التعليم العالي وتجييره، واستقلاليّة الجامعات، وتطوير القدرات البحثيّة والحاجة إلى زيادة التمويل، وتحدّي التفكير النقديّ مُقابل الحفظ، وضمان الجودة،

وتبنّي سياسات التعلّم مدى الحياة، والتعليم المستمرّ ...وعلاقتها كلّها بالتنمية المُستدامة.

وركزت الدراسة على أهمية ربط التعليم الجامعي والعالي باحتياجات التنمية، وأهمية التقارب بين الجامعات العربية، كما قامت بتحليل نموذج إعلان بولونيا والذى ساهم فى التقارب والتنسيق بين الجامعات الأوروبية وحاجتنا فى العالم العربي إلى عمل نموذج مشابه يربط بين الجامعات وفى نفس الوقت يلبى احتياجات التنمية فى المجتمعات العربية.

وبذلك فإن هذه الدراسة تؤكد على الجهود التى تقوم بها العديد من مؤسسات العالم العربي والمراكز والمؤسسات العربية، من محاولة التقريب بين الجامعات العربية وتبنى مستويات ومعايير الجودة العربية، ووضع إطار عمل للمهن المختلفة، وربط مخرجات التعليم الجامعى باحتياجات التنمية من خلال ربط الرؤى والسياسات بأهداف التنمية المستدامة.

وتناول محمد المعزوز من المغرب "واقع العلوم الاجتماعية العربية" وركز على الأوجه التي يُمكن من خلالها للعلوم الاجتماعيّة العربيّة توفير الدعم لجهود التنمية في الدول العربيّة. وهذه الدراسة تؤكد على ما أشارت إليه العديد من الدراسات والبحوث من هامشية العلوم الإنسانية والاجتماعية فى العالم العربي، والأزمة التى تعانيها تلك العلوم، ضرورة تكوين مَدارس عربيّة في العلوم الاجتماعيّة والأنثربولوجيا من جهة، والاستثمار إلى حدود أبعد بكثير ممّا سبق في الإنسانيّات والآداب والفنون من جهة ثانية، وذلك من أجل تنمية وجدانٍ جمعيّ وتحقيق اتّساق أكثر فاعليّة في العلاقات بين فئات المجتمع.

وتبرز أهمية تلك الدراسة فى ضوء أحداث ما بعد الربيع العربي، وتنامى الحاجة إلى توعية الإنسان العربي للتعامل مع المتغيرات الراهنة، وتنمية مهارات التفكير الناقد والقدرة على اتخاذ القرار، وتنمية قيم الولاء والانتماء، وفضائل المواطنة فى مواجهة التحديات التى تواجهها دول العالم العربي، ونزعات الفرقة و التقسيم، والتعصب والتطرف.

أما معين حمزة ونايف سعادة من الجمهورية اللبنانية فتناولا "المبادئ الأخلاقية فى البحث العلمي" وأهم المبادرات العربية فى ذلك الميدان، و بوضْع شرعة وطنيّة وإقليميّة للمبادئ الأخلاقيّة للبحوث العلميّة واعتمادها، ومدى أهميّتها الاستراتيجيّة في ضمان مصداقيّة البحوث العربيّة والمؤسّسات الرّاعية والدّاعِمة لها.

ونتائج تلك الدراسة تؤكد على حاجاتنا إلى إعداد وتطوير القوانين والتشريعات التى تكفل حرية البحث العلمي، ومراعاة الأخلاقيات والإطار الأخلاقية لعمل البحث العلمي، وتوفير البيئة والمناخ الداعمين له، وتلك قضية غاية فى الأهمية، تشهد إهمالاً فى بيئة البحث العلمي العربية أو تجاهلاً لها ولأهميتها في الحفاظ على مصداقية المؤسسات البحثية العربية، وصورته وسمعته على المستوى العالمي والإقليمي والمحلي.

الفصل الثاني: "الثقافة والتوجهات العلمية المتاحة"

وضم هذا الفصل العديد من الموضوعات، وكان أولها ورقة د. خضر الشيباني من المملكة العربية السعودية بعنوان "قراءة فى حال الثقافة العلمية العربية" وأوضاع المُجتمعات العربيّة مُقَارنةً بالتّجارب العالَميّة، كما عرض لِما تُعانيه القضيّة من إشكالاتٍ على صعيد تأْصيلِها في الثّقافة العربيّة، وعلى مُجريات تفْعيلها. الاستراتيجيّات المَطروحة ليَستشرفَ مستقبلاً تَشوبه الضَّبابيّة والمَحاذير مع التَّطلُّع إلى أن يكونَ للإعلام الرَّقميّ دوْر فَاعِلٌ إذا تجاوَز سلْبيَّاته.

ولا شك أن هذه الورقة تؤكد على ما سبق وأن أشارت إليه العديد من الدراسات من الحاجة إلى نشر الثقافة العلمية فى المجتمعات العربية فى مقابل ما تعانيه تلك المجتمعات من سيادة ثقافة الخرافة والغيبيات والتفكير الأسطوري، وأنماط التفكير غير العلمي، وتنبه الدراسة لأهمية الإفادة من الإعلام الاجتماعي والرقمي فى ذلك الميدان.

أما المهندس محمد مراياتي من سوريا فتناول "العربية ومردودها على البحث والتطوير" ودور اللغة فى التنمية والتطوير. وخلصت الورقة إلى تبنّي السياسة اللّغوية /الاقتصاديّة في الدول العربيّة؛ وإتقان اللّغات الأجنبيّة، لكن على أن يكون التعليم والبحث والتطوير باللّغة العربيّة؛ وتوافُر المَعرفة بلغة القوى العاملة العربيّة(المحتوى وقضيّة الترجمة)؛ وكذلك توافُر المُصطلح العلميّ والتكنولوجيّ للمجتمع وقواه العامِلة.

وتتخذ هذه الورقة موقفًا متميزًا فى المطالبة باستخدام اللغة العربية كلغة للتعليم والبحث العلمي إلى جانب الاهتمام بإتقان الباحثين العرب للغات الأجنبية. وهنا نجد أنها لا تدعو فقط إلى تبنى اللغات الأجنبية وإهمال وتجاهل اللغة العربية بل تكون هى الأساس إلى جوار استخدام وإتقان اللغات الأجنبية.

أما ورقة محمد نور الدين أفاية من المغرب بعنوان "فى العلم المفتوح والمشاع الإبداعي" فتناولت مفهوم المشاع الإبداعي وأهمية التعامل معه فى عصر اقتصاد المعرفة. فالبحث والابتكار والتفاعل مع الإبداع العلميّ

العالَميّ، من خال الولوج المفتوح والعِلم المفتوح أصبح ضرورة حيويّة لصنْع التقدّم، وتوفير أحواض عيش كريمة للمُواطنين، وتأمين الخدمات الأساسيّة لهم في إطار تكافؤ الفُرص والمساواة والعدالة والحريّة .فالاستثمار في المَعرفة العلميّة يعني الارتقاء بالإنسان العربيّ إلى مستوى الكرامة التي من دونها يصعب تقبّل ادِّعاء تحقيق أهداف التنمية المُستدامَة. وبذلك فإن هذه الورقة تميزت بالدعوة إلى التعامل مع قضية العلم المفتوح ورخصة المشاع الإبداعي" وضرورة الاستفادة من البرامج والكتب والمراجع المتاحة للباحثين العرب، وتزويدهم بالمهارات الضرورية للتعامل معها.

الفصل الثالث: "الابتكار والتطوير التكنولوجي"

وجاءت أولى أوراق هذا الفصل للمفكر العربى السوري عمر البزرى بعنوان "سياسات العلوم والتقانة والابتكار العربيّة" وركزت على تحليل سياسات العلوم والتكنولوجيا والابتكار لكونها قضية لم يتم معالجتها بالقدر المطلوب على المستوى العربي.

وبذلك فإن هذه الورقة تعد أحد الدراسات القليلة التى نبهت إلى أهمية وضع سياسات محددة للارتقاء بالابتكار والعلوم والتكنولوجيا والتعامل معها بالأرقام والتخطيط العلمى السليم والمدروس.

أما سهيل مارين من سوريا فتناول موضوع " الابتكار وآليّات تحفيزه واستثماره" ومُراجَعة واقع الدول العربيّة في مضمار الابتكار من خلال البيانات المُتوافرة والمستندة بشكلٍ خاصّ إلى عدد من المؤشِّرات المُعتمَدة دوليّاً، مثل دليل الابتكار العالميّ، ودعامة الابتكار لمؤشِّر التنافسيّة العالميّ.

وتناول وزير التعليم العالي المصري الأسبق "معتز خورشيد" "المردود التنموي لمنظومة البحث والابتكار" وذلك من خلال المُراجعة النقديّة للنماذج والأدلّة والمؤشِّرات الدوليّة والإقليميّة الموجَّهة لقياس المردود التنمويّ لمنظومة البحث العلميّ والتطوير التكنولوجيّ والابتكار، إلى استخدام المؤشِّر العربيّ للبحث والابتكار لتحليل الأداء المُقارن بين الدول العربيّة، و تحديد وضعيّة الدول العربيّة على خريطة العلوم والتكنولوجيا العالميّة. ولا شك أن تلك قضية غاية فى الأهمية على مستوى البحث العلمى العربى ككل.

الفصل الرابع: "آليات بناء اقتصاد المعرفة"

واشتمل الفصل الرابع على ورقة منيف رافع الزعبي من المملكة الأردنية الهاشمية بعنوان "قراءة في نقْل التكنولوجيا والدبلوماسيّة العِلميّة" وعرضت مُدخلات منظومات البحث العلميّ ومُخرجاتها في الدول العربيّة تمهيداً لتحليل منظومات الابتكار لتلك الدول ومؤشِّراته، واستعراض السياسات التي وُضعت لتعزيز الابتكار الهادف إلى ريادة الأعمال، وآليّات نقل التكنولوجيا والتشريعات ومؤسّساتها ذات العلاقة. ومسألة الدبلوماسيّة العلميّة، والتّوجّهات الرامية إلى تمتين القُدرات العلميّة والتكنولوجيّة والتوصيات فى ذلك المجال.

أما ورقة عاطف القبرصي من الجمهورية اللبنانية بعنوان "اقتصاد الإنتاج المعتمد على المعرفة" والتى ركزت على أهم الإجراءات فى ذلك المجال، والمشهد المستقبلي العربي فى حال تبنى تلك الإجراءات، وبالطبع فإن هذه الدراسة قد تفيد المخططين العرب فى وضع الخطط والسياسات وتحديد الإجراءات للتحول إلى عصر اقتصاد المعرفة والآليات المرتبطة به.

وعرضت ورقة عبد الإله الديوة جي من العراق بعنوان "الذكاء الاصطناعيّ والروبوتيّات" الواقع التكنولوجيّ الحاليّ للذكاء الاصطناعيّ والرُّوبوتيّات، كما عرضت تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات، وتطور الذكاء الاصطناعيّ عبر الزمن، بالرّبط بين الذكاء الاصطناعيّ والتكنولوجيّات الحاكِمة لتطوّره. وهذه الدراسة تأتى لتؤكد على ضرورة التعامل مع تكنولوجيا العصر باعتبارها ضرورة حتمية للتعامل مع الحاضر والمستقبل.

وجاءت ورقة محمود صقر رئيس أكاديمية البحث العلمي في مصر بعنوان "الملكيّة الفكريّة وحقوق مُنتجي العِلم والتكنولوجيا" وتناولت الملكيّة الفكريّة وأهميّتها لمستقبل بلادنا العربيّة كأداة للتنمية، وللّحاق بثورة الصناعة الرقميّة الرّابعة. وقضية الملكية الفكرية للبحث العلمي ونتائجه تحتاج منا فى العالم العربي للاهتمام فى ضوء الاتفاقيات و القوانين الدولية، بما يضمن الحفاظ على سمعة جامعتنا وباحثينا العرب، خصوصاً فى ضوء ما تشهده بعض الجامعات العربية من اتهامات تتعلق بالسرقات العلمية، والانتحال العلمي، والتعدى على حقق الملكية الفكرية.

أما ورقة جواد الخراز من المملكة المغربية بعنوان "أنماط التعاون العربيّ مع الدول الأوروبيّة"، وعرض التعاون الإقليميّ والثّنائيّ؛ وأوجه التعاون العربيّ -العربيّ، والعربيّ -الدوليّ، وأهمّ نقاط القوّة والضعف، وصولاً إلى بَرامِج التعاون الأوروبيّة المُتاحة عربيّاً، والتي تتيح فرصاً كبيرة للباحثين والمؤسّسات البحثيّة العربيّة، والفُرص المُتاحة لانطلاقة عِلميّة عربيّة.

وتأتى أهمية هذه الدراسة وقيمتها البحثية من تعاملها مع أحد جوانب موضوع تدويل التعليم العالي على مستوى المؤسسات العلمية والمراكز والجامعات العربية، وأهمية سعى الجامعات العربية فى هذا المجال بما يواكب الجامعات الأوروبية ويرقى بأوضاع ومراكز جامعاتنا العربية فى التصنيفات الدولية.

الفصل الخامس: "البحوث فى خدمة المجتمع"

اشتمل هذا الفصل على ورقة نجيب صعب من لبنان بعنوان "المَوارِد البيئيّة والتنمية المُستدامَة العربيّة" وأوضحت الفروق بين الدول العربية فى الموارد الطبيعية والحاجة إلى حاجة ملحّة إلى الاستثمار في تنمية يكون محورها النّاس، تُعزِّز دمج حقوق الإنسان، والحقّ في التنمية، ومبادئ المشاركة الشعبيّة الحقيقيّة، والمُساءلة، والشفافيّة، وعدم التمييز في أجندة التنمية.

أما ورقة عمر عبد الإله من العراق بعنوان "في أوضاع الصحّة العامّة العربيّة" فتناولت قراءة نقديّة لوضْع الصحّة العامّة في العالَم العربيّ في ضوء خطّة التنمية المُستدامَة لعام 2030 .

أما ورقة محمد نجيب عبد الواحد ومازن الحمادى من سوريا فجاءت بعنوان "علماؤنا في الخارج وبناء الشراكات" وتناولت الأسباب السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة الكامنة وراء هذا النزيف المُتفاقم، وعوامل تعثّر الجهود المبذولة من البلدان العربيّة للاستفادة من رأس مالها البشريّ المُتراكم في الخارج .وفرصٍ للاستفادة من التجارب العالميّة الرائدة في هذا المجال.

أما المفكر وعالم الاجتماع الشهير "ساري حنفي" فتناول فى ورقته "فى أحوال الجماعة العلمية العربية" ورصد لأحوال الجمعيّات العِلميّة القائمة على الاختصاص، وفِرَق البحث ، كما رصدت الأدوار الضعيفة للجماعة العِلميَّة، لتكشف من ثمّة عن ضُعف أثر البحث العِلميّ في البلدان العربيّة.

أما فاديا كيوان من لبنان فتناولت فى ورقتها "المرأة العربيّة في المشهد العلميّ والتكنولوجيّ" الأرقام والنِسب على مدى العقدَين الأخيرَين فقط، وإنّما بالاستناد إلى مُعطيات نوعيّة أثرَت منهجها التحليليّ .وهذا ما أفضى إلى الوقوف على أهمّ التحدّيات والعوامل التي قد تكون أَثرت إيجاباً، وتلك التي أَثرت سلباً في تفعيل هذه المُشاركة.

أما مهى بخيت زكى من السودان فتناولت فى ورقتها " المرأة العربيّة وإنتاج المَعارف العِلميّة" السؤال المحوريّ الذي طرحته الدراسة وحاولت الإجابة عنه يتعلّق بما إذا كانت هذه المُشارَكة تنمّ عن مُشارَكة حقيقيّة حيويّة وعميقة أم هي لم تتجاوَز ظاهريّة الكلام وعاديّته؟ وأشارت لضعف الإنتاج المعرفي العربي بصورة عامة وضعف مشاركة المرأة.

أما عبد الله القفاري من المملكة العربية السعودية فتناول فى ورقته " الإعلام العِلميّ ودَوره في بناء الثقافة العربيّة" وعرضت لواقع الإعلام العلميّ العربيّ، سواء في الصحافة العِلميّة أم في مَواقع الإنترنِت الإعلاميّة العِلميّة أم الإعلام العلميّ المَرئِيّ والمسموع.

أما عماد بشير من لبنان فتناول "الإعلام العِلميّ العربيّ الرقميّ" والتطوُّر الحاصل في الإعلام العلميّ العربيّ الرقميّ. والمجلاّت والمُبادرات العِلميّة العربيّة الرقميّة .وقيمت الدراسة المَواقع الإلكترونيّة لـ 24 مجلّة علميّة جارية، فضلاً عن 34 مَوقعاً إلكترونيّاً نشطاً وتقييمها على أساس الخدمات التى تقدمها، وأشارت نتائجها إلى تطوُّرٍ ملحوظٍ في عمل المَواقِع العِلميّة العربيّة لناحية الخدمات المُرتبطة بتسهيل الوصول إلى المادّة العلميّة والمساعدة في توصيلها.

كيف يمكن النهوض بالبحث العلمي العربي في ضوء نتائج التقرير وتوصياته؟

لا شك أن تقرير التنمية الثقافية العربي العاشر يقدّم تشخيصاً دقيقاً لأنشطة البحث العلمي والتطوّر التكنولوجي والابتكار في الدول العربية، ويُسهم إسهاماً كبيراً في توفير قاعدة من المعارف العلمية، والبيانات المنضبطة، والإحصاءات الدقيقة في المجالات العلمية المختلفة، كخطوة أولى لا غنى عنها لاقتراح التوصيات والرؤى التي تسمح للمخطّط وللباحث ولصانع القرار، برسم السبل الكفيلة بإخراجنا من أزماتنا.

وتميز التقرير بجمعه لدراسات وبحوث مفكرين وعلماء من كافة أنحاء الوطن العربي، وتنوع موضوعاته لتغطى كافة مجالات البحث العلمي العربي، سواء فى مجال العلوم الطبيعية أو الإنسانية، والتحديات التى تواجهه. ويحثّنا التقرير على إيلاء عناية خاصّة باستراتيجيات البحوث المستقبليّة والمخصّصات المكرّسة لتمويلها، وكأنّه يدقّ بذلك ناقوس الخطر، فيحذّرنا من تفويت فرصة اللحاق بالثورة المعرفيّة الرابعة، لأن الفرصة لا تزال متاحة أمامنا، والقرار يعود إلينا. فإمّا مواجهة التحدّيات المصيريّة من فقر وبطالة، وهجرات، وتوتّرات سياسيّة، واضطرابات مجتمعيّة، مستعينين بمنظومة كاملة ومتكاملة تبدأ بالبحث العلمي والتطوير التكنولوجي والابتكار، وصولاً إلى التنمية الشاملة والمُستدامة، أو نبقى أسرى تبعيّة تكون الثقافة العلمية فيها ضحيّة تقاعسنا.

وخلص التقرير إلى أن الأزمات التي تمر بها الدول العربية اليوم سببها القصور في استثمار وإعادة إنتاج المعرفة العلمية والتكنولوجية، مما انعكس سلباً على التنمية الاقتصادية والاجتماعية فيها.

فقد أكدت المؤشرات المعتمدة في التقرير أن الدول العربية ما زالت في الصفوف الخلفية بين دول العالم فيما يتعلق بمدخلات العلوم والتكنولوجيا الحديثة.

ورصد التقرير قلة عدد البلدان العربية التي تضم مراكز متخصصة بالبحث العلمي، إضافةً إلى أن معظم أنشطة البحث العلمي تنجزها مؤسسات التعليم العالي. ورغم زيادة التحاق الإناث بالتعليم في الدول العربية وما أحرزنه من تقدمٍ علمي، إلا أن ذلك لم يؤد إلى نمو اقتصادي نظراً لعدم ارتباط التعليم بالاقتصاد.

وأوصى التقرير بضرورة اتباع الآليات الآتية للنهوض بالبحث العلمي العربي:

1- تعزيز مساهمات الحكومات المركزية وتوثيق تعاونها مع القطاع الخاص.

2- ضرورة تنمية القدرات العلمية والتكنولوجية وتحفيز الابتكار محلياً، وبذل عناية فائقة بالتعليم والتربية في جميع مراحلهما وبالأخص برعاية المؤسسات الجامعية غير الربحية.

3- ضرورة تبني أساليب مبتكرة للتعاون العربي في مجالات العلوم والتكنولوجيا والابتكار لإطلاق مبادرات خلاقة للاستفادة من المبتكرين العرب.

4- تدريس العلوم والتكنولوجيا باللغة العربية لوقف هجرة العقول إلى خارج الدول العربية، وبحث أسباب هذه الهجرة، وإرساء نظام حاضن يربط الكفاءات العلمية المهاجرة بوطنها الأم.

5- حاجة الدول العربية لتبني سياسات ذكية تستند إلى بناء مستقبل في صناعة الملكية الفكرية حيث أن براءات الاختراع في الدول العربية تمثل أكثر من 80٪ من القيمة السوقية للشركات الكبرى.

6- الحاجة إلى تطوير الإعلام العلمي العربي ودعمه، حيث أوضحت نتائج التقرير ضعف الإعلام العلمي في الدول العربية، وتواضع أدائه، إذ لا يتجاوز عدد المجلات العلمية في الدول العربية 24 مجلة، فضلاً عن 34 موقعاً إلكترونياً علمياً.

7- إن البلدان العربية حالات منفردة ومتباينة من حيث قدراتها العلمية والتكنولوجية، ويجب التعامل معها على هذا الأساس عند تطوير الخطط التنفيذية، منوهاً بضرورة الاستثمار في تنمية يكون محورها البشر.

8- الحاجة إلى معالجة التهميش الذي يطال العلوم الاجتماعية في الدول العربية، داعياً إلى تكوين مدارس عربية في العلوم الاجتماعية والأنثروبولوجية والاستثمار في الإنسانيات والآداب.وأشار التقرير إلى الاعتراف الضعيف بالجماعة العلمية في البلدان العربية، رغم غناها بالجامعات والمستشفيات ومراكز البحوث العامة المتخصصة إلى حدٍّ ما في الإنتاج العلمي، داعياً إلى إطلاق حوار دائم وبناء صلات مهنية بين مكونات المجتمع العلمي العربي على الصعيد الوطني والإقليمي.

9- تبني السياسات و الآليات الداعمة لانخراط النساء في العلم والتقنية والابتكار والثقافة العلمية وذلك يسهم في تمكين المرأة العربية مجتمعياً، لتصير إنساناً فاعلاً ومتفاعلاً في محيطه وخارجه في الوقت نفسه.

10- الحاجة إلى نشر الثقافة العلمية باعتبارها منطلق نجاح الثقافة التنموية لتوليد فرص عمل جديدة ومكافحة الفقر، إلى جانب التأكيد على ضرورة وضع استراتيجيات بديلة لتحفيز الابتكار، وتأسيس منظومات وطنية للابتكار يمكنها تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

11- إن التحدي الرئيس للتنمية المعاصرة في العالم العربي يتمثل في الاعتماد المفرط على الموارد الطبيعية والمصادر غير المتجددة، مشدداً على ضرورة دخول العرب مجتمعات المعرفة والإنتاج والتخلي عن الاعتماد المفرط على الريع، برفع مستوى الطلاب، وتدريب اليد العاملة، وزيادة الإنفاق على البحث والتطوير وفق خطة طويلة الأمد.

12- ضرورة إعادة النظر في السياسات والبنية التحتية للمؤسسات الصحية العربية بهدف ملاءمة الحاجات الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة، والعودة إلى مفهوم الصحة باعتبارها حقاً، لاسلعةً، والتركيز على الإثراء المعرفي للسياسات الصحية الوقائية.

13- النظر في الذكاء الاصطناعي والثورة الصناعية الرابعة، على أنها جزء أساسي من المستقبل التنموي للعالم العربي.

مجلة
سناد للبحوث والدراسات التربوية والأسرية

مهارات وتعلمات

تنمية المهارات والقدرات لدى الشباب من خلال السيرة النبوية

أ.د. رشيد محمد كهوس

Dr. Rachid Mohamed Kohouss

جامعة عبد المالك السعدي / المغرب

rachid1433@yahoo.com

تقديم:

إن رسالة السيرة النبوية العطرة هي بلاغ الله الأخير لأهل الأرض، وميثاقه المنزل الذي يرسم المنهاج الصحيح لرحلة الإنسانية الكبرى، وهي الأنموذج والمثال والمرجعية والمعيار، ودستور الحياة، وديوان الحضارة الإنسانية الراقية في أبهى العصور وأزهاها، حيث يتجلى أثر الإسلام في الحياة البشرية، وقيمه في التعامل مع مختلف الفئات العمرية.

ذلك بأن السيرة النبوية الخالدة هي منهاج الوصول إلى بناء الإنسان والعمران، وإقامة المجتمع الفاضل والحياة الإنسانية الكريمة.. في ضوء هدايات الوحي الأعلى وأنواره وبصائره.

إن عطاء السيرة النبوية العطرة خالدٌ متجدد لا محدود لكل الأجيال، وبلاغها الرساليّ مستمرٌ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ففيها ما تحتاجه البشرية من رشد وهدايةٍ وصلاحٍ في المعاش والمعاد.

فهي ربانية مسددة بالوحي، وعالمية تستوعب الأمم كلّها، والعصور المعاصرة لها واللاحقة بها جميعها، وعميقة في منهاجها الذي يشمل ميادين الحياة كلّها، وشاملةٌ لقضايا الفرد والأسرة والمجتمع والأمة والحضارة، والمرأة والطفل والشباب.

إن حاجة الإنسانية تشتد إلى سيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام في هذه الظرفية التي يعيشها العالم أكثر من أي وقت مضى؛ ومما تحتاجه الأمة اليوم تعامله صلى الله عليه وسلم مع الشباب الذين حضروا في أهم مفاصل الحياة النبوية والرسالة الإسلامية.

لقد ربى النبي صلى الله عليه وسلم جيلًا مؤمنًا متحليا بأخلاق الإسلام وقيمه، وكان الغالب في هذا الجيل شريحة الشباب؛ لأنهم أكثر الناس تأثرًا، وأسرعهم استجابة، وأشدهم تفاعلًا، وأقواهم تحملا، وأفهمهم لكل جديد..

فالشباب هم الذين حملوا عبء الدعوات وما صاحبَها من تضحيات ومشاق، وقد أثنى القرآن الكريم عليهم في قوله جل وعلا: (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)، «سورة الكهف، الآية 13».

والرسول العظيم صلى الله عليه وسلم منح الشباب رعايةً وعناية وتربية وتعليما، وإذا تأملنا سيرته الخالدة وحياته الطاهرة فإننا سنقف أمام عطاءٍ غامر ودروس باهرة في الاهتمام بالشباب والمحافظة عليهم، وتوجيههم الوجهة الصحية وتربيتهم التربية السلمية، وتعليمهم ما ينفعهم في الدنيا والآخرة ويؤهلهم لقيادة الأمة.

من أجل هذا جاءت هذه المقالة العلمية المختصرة لتلقي نظرةً على ذلك، وعلى تنمية قدرات الشباب ومهاراتهم في السيرة النبوية من خلال رصد نماذج من شباب الصحابة رضي الله عنهم.

أولا-منزلة الشباب في سيرة خير الأنام ﷺ:

إن الشباب هم عماد الأمة وسرّ نهضتها وبناة عمرانها، ومشاعل حاضرها، ومعقد آمالها، وهم حماة الأوطان والمدافعون عن حِياضها، ذلك بأن مرحلة الشباب هي مرحلة النشاط والحيوية والطاقة والعطاء المتدفق، فهم بما يتمتعون به من قوة عقلية وبدنية ونفسية فائقة يحملون لواء الدفاع عن الوطن حال الحرب، ويسعون في البناء والتنمية في أثناء السلم، وذلك لقدرتهم على التكيُّف مع مستجِدات الأمور ومستحدثات الخُطوب في مختلِف المجالات العلمية والسياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية...

لذلك اهتم بهم النبيّ ﷺ اهتماماً بالغا، ولا عجب بذلك إذا علمنا أن الذين آمنوا معه في بداية الدعوة كلّهم من الشباب فأيدوه ونصروه وآووه وذادوا عنه ونشروا دعوته وتحملوا في سبيل ذلك صنوفا من المحن والأذى احتسابا لله سبحانه وتعالى.

ومن العناية النبوية بالشباب تشجيعه لهم على طاعة الله تعالى، حتى تصلح لهم دنياهم وأخراهم، وفي هذا يقول ﷺ: ((سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله...)) [1]. فرغبهم في لزوم طاعة الله لأنها المنجاة من كل كرب وضيق في الدنيا والآخرة؛ فأثمر هذا التشجيع النبوي شبابا متطلعا للآخرة، عاملا لها، نافعا لنفسه ولأمته، يقوم بواجبه تجاه أهله، ويتفانى في خدمة غيره، يدل على ذلك حديث أنس بن مَالِكٍ رضي الله عنه قال: ((كان شَبَاب مِن الأَنْصَارِ سَبْعِينَ رَجُلا يقال لهم الْقُرَّاء، كَانُوا يَكُونُونَ في الْمَسْجِدِ فإذا أَمْسَوا انْتَحَوْا نَاحِيَةً مِنَ الْمَدِينَةِ فَيَتَدَارَسُونَ وَيُصَلُّونَ، يَحْسِبُ أَهْلُوهُم أَنَّهُم في الْمَسْجِدِ، وَيَحْسِبُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ أَنَّهُم في أَهْلِيهِمْ حتى إذا كَانُوا في وَجْهِ الصُّبْحِ اسْتَعْذَبُوا مِنَ الْمَاءِ وَاحْتَطَبُوا مِنَ الْحَطَبِ فجاؤوا بِهِ فَأَسْنَدُوهُ إلى حُجْرَةِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَبَعَثَهُمُ النبي صلى الله عليه وسلم جَمِيعاً فأصيبوا يوم بِئْرِ مَعُونَةَ فَدَعَا النبي صلى الله عليه وسلم على قَتَلَتِهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً في صَلاَةِ الْغَدَاةِ)) [2]..

وإن رأى صلى الله عليه وسلم شابا صالحا عنده ترك لبعض النوافل أثنى على صلاحه تشجيعا له؛ فإن التشجيع يعمل عمله في القلوب، ثم أرشده بعد ذلك إلى ما عنده من النقص ليكمله، فثناؤه عليه بما فيه من الخير يفتح قلبه لتلقي الإرشاد، وفي ذلك قصة ابن عمر رضي الله عنهما يحكيها وكان شابا صالحا فيقول: ((كان الرَّجُلُ في حَيَاةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فَتَمَنَّيْتُ أن أَرَى رُؤْيَا أَقُصُّهَا على النبي صلى الله عليه وسلم، قال: وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا عَزَبًا، وَكُنْتُ أَنَامُ في الْمَسْجِدِ على عَهْدِ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَرَأَيْتُ في النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بي إلى النَّارِ فإذا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ وإذا لها قَرْنَانِ كَقَرْنَيْ الْبِئْرِ وإذا فيها نَاسٌ قد عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ أَعُوذُ بِالله من النَّارِ أَعُوذُ بِالله من النَّارِ أَعُوذُ بِالله من النَّارِ، قال: فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فقال لي: لم تُرَعْ، فَقَصَصْتُهَا على حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ على رسول اللَّهِ صلى

---

[1] صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، ح629. صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، ح1031.

[2] مسند الإمام أحمد بن حنبل، 126/21.

الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: نِعْمَ الرَّجُلُ عبد اللَّهِ لو كان يُصَلِّي من اللَّيْلِ، قال سَالِمٌ: فَكَانَ عبد اللَّهِ بَعْدَ ذلك لَا يَنَامُ من اللَّيْلِ إلا قَلِيلًا)) [3].

فأثنى النبي صلى الله عليه وسلم عليه بما فيه من خصال الخير، ثم وجهه إلى ما ترك من نافلة قيام الليل، فكان هذا التوجيهُ النبوي بعد الثناء محلّ قبول ابن عمر وتنمية لطاقته الإيمانية الروحية وإرادته القوية وقدراته في طاعة الله، فعمل بإرشاد النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالشباب ما كان يعاملهم به من التقدير لحقوقهم والاعتراف بمكانتهم، ويدل على ذلك ما جاء في موطأ الإمام مالك رضي الله عنه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أُتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقال للغلام: ((أتأذن لي أن أعطي هؤلاء فقال الغلام لا والله يا رسول الله لا أُوثِرُ بنَصِيبِي مِنْكَ أحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ في يَدِهِ)) [4]. فلم يحتقر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشابَ لصغر سنه بل اعترف له بحقه الذي شرعه له الإسلام لأنه عن يمينه صلى الله عليه وسلم، فاستشاره في تقديم الشراب إلى من هو أكبر منه، ومن له مكانة عند المسلمين، إلى أفضل هذه الأمة بعد نبيها وهو أبو بكر الصديق (رضي الله عنه). فآثر الغلام أن يشرب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم فشرب.

أضف إلى ذلك ما كان يقابلهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من السرور وطلاقة الوجه –وهو سيد البشر– كما يروي ذلك الشاب جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: ((ما حجبني النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي...)) [5].

وفي سياق عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشباب النابعة من فهم عميق بخصائص هذه المرحلة نجد النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يغفل عن ضبط حماسهم وتوجيههم إلى ما يتناسب وطبيعة أعمارهم. ويدل على ذلك قصة الشباب الثلاثة الذي أبدوا حماسًا في العبادة، كما يروي ذلك أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي (صلى الله عليه وسلم) فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي (صلى الله عليه وسلم) قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إليهم فقال: ((أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)) [6].

فلم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم منهم الانقطاع التام للعبادة؛ لأن كدَّهم هذا واجتهادهم في جانب واحد يمكن أن يُكبت قدراتهم في جوانب الحياة الأخرى ويعزلهم عن العمل.

ومن عنايته صلى الله عليه وسلم وتشجيعه للشباب إبرازًا صلى الله عليه وسلم لقدراتهم ومهاراتهم: استماعه إلى آرائهم وتشجيعه لهم على ذلك: إذ بينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع قادة المجتمع وقدواته كان

---

[3] صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب فضل قيام الليل، ح1070. صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، ح2479.

[4] صحيح البخاري، كتاب المظالم والغضب، باب إذا أذن له أو أحله، ولم يبين كم هو، ح2319. صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، ح2030.

[5] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك، ح5739. صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله عنه، ح2475.

[6] صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ح4776. صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، ح1401.

يستمع لآرائهم وأفكارهم حول المواضيع المختلفة، ويستشيرهم فيما يعرض لهم من الأمور، فكان دائمًا يقول: ((أشيروا عليَّ أيها الناس))[7]. ينتظر منهم أن يفكروا ويعبروا عن أفكارهم بصراحة ووضوح، ولا أدل على ذلك من استشارتهم في غزوة بدر وأحد والخندق وغيرها، واستماعه لهم في اعتراضهم على توزيع الغنائم على المسلمين الجدد بعد فتح مكة المكرمة؛ ليكون هذا الأمر منهاج حياة للمجتمع المسلم القائم على الشورى وتبادل الآراء، ومراعاة الاختلاف...

ثانيا- صناعة الثقةِ لدى الشباب وتنمية مهاراتهم العملية:

إن من أهم القواعد في بناء الشخصية الوازنة وصنعِ النجاح هو الثقة بالنفس، والقارئ لسيرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يلاحظ أنه قد عمل على صنع ثقة الشباب بأنفسهم، فقد قام بإعطاء الشباب الكثير من المسؤوليات الجسام والمهام العظام، مما أدى إلى زيادة ثقتهم بأنفسهم، وتنمية إرادتهم ومهاراتهم وإخلاصهم في عملهم.

ومن أمثلة ذلك:

- **مصعب بن عمر رضي الله عنه:** أول مبلغ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لنشر الإسلام في المدينة المنورة وكان عندئذٍ في ريعان شبابه. وقد استطاع مصعب -رضي الله عنه- بالرغم من حداثة سنه أن يقنع الكثير من الناس في المدينة المنورة ـ وكانت المدينة يومها من أهم مدن الجزيرة العربية . وقد عمل بكل جد وإخلاص من أجل التأثير في الناس، وإقناعهم برسالة الإسلام السمحة.

وفي اختياره صلى الله عليه وسلم لمصعب وهو شاب دليل على عنايته صلى الله عليه وسلم بالشباب وصقل همهم وقدراتهم ومواهبهم، فقد آنس - عليه الصلاة والسلام- من ابن عمير رشدا وفطانة ونباهة تؤهله للقيام بأمر الدعوة إلى الله في بيئة جديدة، فنمَّى مهاراته في الدعوة ورفع همته وشحذ قدراته.

- **معاذ بن جبل رضي الله عنه:** ومن الحوادث الشهيرة التي تدل على تنمية النبي صلى الله عليه وسلم لمهارات الشباب وقدراتهم ما حدث للصحابي الشاب معاذ بن جبل رضي الله عنه حين أرسله صلى الله عليه وسلم عاملًا على اليمن، فإن النبي صلى الله عليه وسلم سأله: ((كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟)) قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ. قَالَ: ((فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟)) قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟)) قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي وَلَا آلُو، فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَدْرَهُ وَقَالَ: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ)) [8].

فهذا تشجيع من النبي صلى الله عليه وسلم وتنمية لمواهب معاذ وقدراته في الاجتهاد فيما يعترضه من نوازلَ ومستجِدات.

إن هذا الأسلوب النبوي في التعامل مع الشباب من شانه أن يوسع لهم الآفاق ويزيد من ثقتهم بأنفسهم، وينمي لديهم حس المسؤولية، ويشجعهم على العمل بجد وإخلاص.

-**أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما:** وهي أصغر من عبد الله بن أبي بكر، اختارها النبي صلى الله عليه وسلم لتشارك في أحداث الهجرة النبوية المباركة بكل ما أوتيت من نباهة وذكاء، فتضع نطاقها وكاءً للطعام

---

[7] ينظر: سيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، 188/2.

[8] سنن أبي داود، كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، ح3592.

والشراب، وتسارع في حل مشكلة المال المحمول مع أبيها فتخترع قصة الحجارة حتى تُسْكن الشيخ وتهدِّئ من روعه. وهي تعلم أن أباها قد حمل المال كلّه وتركهم لله ورسوله. إنه المنهج النبوي في رفع همم الشباب وتنمية قدراتهم وطاقاتهم ومواهبهم.

- **سمرة ورافع** رضي الله عنهما: لقد "أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ -يوم أحد- سَمُرة بن جندب، ورافع بن خَديج أخا بني حارثة، وهما ابنا خمسَ عشرةَ سنة، وكان قد ردّهما، فقيل له: يا رسول الله، إن رافعاً رامٍ. فأجازه. فلما أجاز رافعا قيل له: يا رسول الله، فإن سمرة يصرع رافعا. فأجازه. وردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامةَ بنَ زيدٍ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، والبراء بن عازب، وعمرو بن حزم، وأُسيد بن حضير، ثم أجازهم يوم الخندق وهم أبناء خمسَ عشرةَ سنة"[9]..

رغم حداثة سنّهم أجازهم النبي صلى الله عليه وسلم، تنمية لما لديهم من قدرات وطاقات ومهارات.

- **علي رضي الله عنه:** ويوم خيبر قال صلى الله عليه وسلم: «لأعطين الراية رجلا يحب اللهَ ورسوله، ويحبه اللهُ ورسوله...» ودفع الراية إلى علي، ففتح الله على يديه[10]. ويوم الهجرة كان الفدائيّ الذي نام في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عمره يومئذ ثلاثةً وعشرين عاما، وعرّض نفسه للقتل ونقمة قريش. وجاهدَ في بدر وكان علي أحد الثلاثة الذين بدأوا المبارزة (هو وعمه حمزة، وابن عمه عبيدة بن الحارث)، فقتل خصمه شيبة بن ربيعة. وفي الخندق، هو الذي بارز كبش الكتيبة عمرو بن ود العامري، فقتله. وكان عمرو قد شهد بدرا ونذر ألا يمسّ رأسه دهنا حتى يقتل محمدا !!. ولازم عليّ أبا بكر وعمر وعثمان في الحكم فكان المستشار والوزير والمعين.. ولطالما قال عمر رضي الله عنه: "لولا عليٌّ لهلك عمر"[11].

- **الزبير بن العوام رضي الله عنه** حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم: وفي الخندق قال صلى الله عليه وسلم: «من يأتيني بخبر القوم»؟ فقال الزبير: "أنا"، فذهب على فرس فجاء بخبرهم، ثم قال الثانية ففعل، ثم الثالثة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي حواريّ، وحواريِّ الزبير»[12]. وكانت له شجاعة نادرة في اختراق صفوف المشركين يوم حنين ويوم اليرموك واليمامة، وكان له أثر عظيم في فتح حصن بابليون، وتمكين عمرو ابنِ العاص من استكمال فتح مصر.. إن الوسام النبوي الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على عنق الزبير نمَّى قدراته وكشف عن مهاراته وطاقاته.

- **عتّاب بن أسيد رضي الله عنه:** وبعد الفتح الأعظم مكة المكرمة بفترة زمنية قليلة، اضطر رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج منها بجيشه، والتوجه نحو جبهة القتال، وكان لابد من تعيين قائد لمكة المكرمة لإدارة شؤونها، وقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم من بين جميع المسلمين شابًا لم يتجاوز الواحد والعشرين

---

[9] عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، أبو الفتح محمد بن محمد ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم – بيروت، ط1: 1414/1993، 12/2.

[10] صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد وغيرها، ح1807.

[11] الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1: 1412هـ/1992م، 1103/3.

[12] صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب، ح3887.

عامًا، وهو (عتاب ابن أسيد) أميرا لمكة المكرمة وأمره أن يصلي بالناس وهو أول أمير صلى بمكة بعد الفتح جماعة.

- ومن تنميته صلى الله عليه وسلم لقدرات الشباب القيادية ومهاراتهم في تحمل المسؤولية استخلافه لكثير من الشباب على دولة المدينة المنورة في بعض غزواته: حيث استخلف سعد بن عبادة رضي الله عنه في غزوة "الأبواء". وعثمان بن مظعون رضي الله عنه في غزوة "بُوَاط". وأبا سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنه في غزوة "العُشَيرة". وزيد بن حارثة رضي الله عنه في غزوة "بدر الأولى" و"المريسيع". وعمرو بن أم مكتوم رضي الله عنه في غزوة "بدر الكبرى" وفي "أحد" و"حمراء الأسد" و"بني النضير" و"بني قريظة"، وعلي بن أبي طالب في "غزوة تبوك"، وأبا لبابة الأنصاري في "غزوة بني قينقاع" وغيرهم كثير.

- **أسامة بن زيد رضي الله عنهما:** في أواخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم عبأ المسلمين لقتال الروم، وضم جيشه كبار الضباط وأمراءَ الجيش ورجال المهاجرين والأنصار وشيوخ العرب والشخصيات البارزة آنذاك.

وقد استدعى الرسول صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيدٍ رضي الله عنهما وهو دون العشرين وعقد له لواء القيادة وخوّله إمارة الجيش. واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانية عشر عاما. "عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْثًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هذا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ "[13].

إن في تأمير أسامة على مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، سابقةٌ عظيمة لم تعهدها أمةٌ من الأمم، تدل على وجوب فسح المجال لكفاءات الشباب وعبقرياتهم ومهاراتهم وتمكينهم من قيادة الأمور حين يكونون صالحين لذلك.

لقد أصرت القيادة على إنفاذ بعث (أسامة بن زيد) في وقت حرج صعب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتداد كثير من العرب عن الإسلام، والتهديدات تُحيك بالأمة من الداخل والخارج، ولكنها النظرة الاستراتيجية الثاقبة المهتدية بنور الله. فما أحوجنا اليوم إلى استثمار طاقة الشبابِ وتأهيله وإتاحة الفرصة له.

ولا يخفى على أحد أن الشرط الأساس لاختيار الشباب هو كفاءتهم وصلاحيتهم، فالشباب الذين اختارهم النبي صلى الله عليه لتولي المناصب الحساسة في الدولة كانوا يتمتعون بالكفاءة العالية والأخلاق الدمثة، فكان تعيينُه صلى الله عليه وسلم لهم تنمية لقدراتهم ومهاراتهم وتشجيعا لطاقاتهم حتى يقدموا الخير والنفع لأمتهم ومجتمعهم.

وفضلا عن ذلك فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يوزع الاختصاصات والأعمال بحسب المواهب؛ فقد وجه عليا ومعاذا للقضاء، وأوصى زيدا بالفرائض والقرآن، وابن مسعود بالفقه والفتوى، وخالدا بالجهاد والقيادة.. كما وجه زيدا إلى اللغات والترجمة لما رآه فيه من قدرة وطاقة على ذلك: قَالَ زَيْدٌ: «ذُهِبَ بي إِلَى النَّبِيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأُعْجِبَ بي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا غُلامٌ مِنْ بَنِي النَّجّارِ مَعَهُ مِمّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ، بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَقَالَ: «يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي»، قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ (لَهُ) كِتَابَهُمْ، مَا مَرّتْ بي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتّى حَذَقْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا

[13] صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي صلى الله عليه وسلم، ح2524. مسند الإمام أحمد، 129/10.

إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ»[14]، (أخرجه أحمد). لقد أبصر رسولنا – صلى الله عليه وسلم – ملامح الإبداع والذكاء المتوقّد والطاقة الشديدة والمهارة المتقنة عند زيد بن ثابت، من خلال حفظه المتقن لسورٍ من القرآن الكريم، فحضَّه على تعلّم لغة اليهود، وبذلك يكون زيد قد تميّز عن أصحابه من خلال نبوغه في علوم مختلفة.

أضف إلى كل ما تقدم تشجيعه صلى الله عليه وسلم للشباب على العمل: فعن أنس أن رجلا من الأنصار أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – يسأله، فقال: " أما في بيتك شيء؟ "، فقال: بلى حلس نلبس بعضه، ونبسط بعضه وقعب نشرب فيه من الماء ، قال : " ائتني بهما " فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بيده ، وقال : " من يشتري هذين ؟ " . قال رجل: أنا آخذهما بدرهم ، قال : " من يزيد على درهم ؟ " مرتين أو ثلاثا ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه ، فأخذ الدرهمين ، فأعطاهما الأنصاري ، وقال : " اشتر بأحدهما طعاما ، فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما ، فائتني به ، فأتاه به ، فشد فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عودا بيده ، ثم قال : " اذهب ، فاحتطب ، وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما " فذهب الرجل يحتطب ويبيع ، فجاءه ، وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "هذا خير لك من أن تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة ، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع " [15].

بهذا استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يصنع الثقةَ في نفوس أولئك الشباب وينمي قدراتهم ومهاراتهم، مما جعلهم يتحملون المسؤوليات الجسام بصبر وتضحية وتحمل وإخلاصٍ، فكان لها الفضلُ الأكبر في نشر راية الإسلام ربوع الأرض كلها.

ومن ثم فإن الناظر في السيرة النبوية يجد النبيَّ صلى الله عليه وسلم يُسند قيادة الجيوش في كثير من الأحيان إلى الشباب، وقد يكون في القوم من كبار السن وأصحاب الخبرة العديد، لكنه صلى الله عليه وسلم يرى شخصيةً شابة صغيرةً في السن، لكنه يروم فيها كبر المعاني ورجاحة العقل، فيعمل على تنميتها ورعايتها حتى تغدو ذات شأن عظيم، وتقوى وتعتدّ بإسلامها، وليعرِفَ الآخرون أن الشخصية المسلمة لا تقاس بالأعمار ولا بالأجسام بل بقوتها وعزتها بإيمانها وإسلامها.

وأختم هذه النماذج بحديث يفتح أبواب التنمية والعمل على مصراعيه للشباب ليكونوا إيجابيين فاعلين في مجتمعهم، ويدعوهم إلى العمل والأخذ الأسباب، وعدم الركون إلى العجز والكسل. يروي أنس الشاب -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ» [16].

إنه ترغيب في العمل والتنمية حتى آخر فرصة من الحياة وفي أحرج اللحظات.

---

[14] مسند الإمام أحمد بن حنبل، 490/35.

[15] سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة، ح1641.

[16] مسند أحمد بن حنبل، 296/20.

ومن ثم فإن المجتمع الذي أسس له المصطفى صلى الله عليه وسلم مجتمعٌ فعال، ويرجع السبب الرئيس في فاعلية هذا المجتمع إلى طبيعة الشخصية التي بناها المصطفى صلى الله عليه وسلم فلقد كانت شخصية فعالة، وكان السر في هذه السمة طبيعة المنهاج الرباني وأثره البالغ في استثارة همم الشباب ورفع قدراتهم العقلية والروحية والفكرية، وحسن توظيف طاقاتها وصقل هممها، لقد قدم المنهج النبوي لهذه الأمة في كل زمان ومكان أسس التقدم والنجاح الذي يعتمد على وقود الأمة وطاقاتها (الشباب).

مسك الختام:

إن الأمة لن تسعد ولن يحصل لها عزٌّ وفلاح وسؤددٌ وشأنٌ إلا حينما يتأسى شبابها بشباب العهد الأول: صلاحٌ في الدين والسلوك، والتزام بالأخلاق والقيم، وإعمارٌ للأرض، وجدٌّ في كل عملٍ صالح مُثمِر وفعلٍ للخيرات.

ذلك بأن صلاح حال الأمة بصلاح شبابها، ومستقبلها رهين بحاضرهم، فبهم تقام الحياة، وبهم تبنى المجتمعات والحضارات..

والحمد لله في البدء والختام والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام وآله وصحبه الكرام.

مجلة
سناد للبحوث والدراسات التربوية والأسرية

حوارات ومناقشات

حوار مع المفكر والاستشاري الدولي

الدكتور إدريس أوهلال

حاوره: د. عادل مطرب

- باحث ومستشار ومدرب دولي في القيادة والاستراتيجية والتنظيم وإدارة الأداء و إدارة التغيير، وخبير دولي في مواصفات إدارة الجودة ونماذج التميز العالمية، واشتغل كمستشار مع جهات فازت بجوائز في التميز.

- باحث في تحليل النظم، ويعمل كباحث ومترجم ومدير دراسات مع عدة مراكز عربية ودولية للبحث العلمي.

- صمم وترجم العديد من النماذج والأدوات في مجالات القيادة والاستراتيجية والتنظيم والأداء وإدارة التغيير.

- له 31 مؤلف منشور في مجالات تخصصه، ومؤلفات أخرى قيد النشر، وعدة مقالات وحوارات منشورة.

- قدم تدريب واستشارات ودراسات لمئات الدوائر الحكومية والشركات الخاصة والمنظمات غير الحكومية بـ 31 دولة وأكثر من 311 مدينة، وتدرب على يديه عشرات الآلاف من المتدربين في دوراته وندواته ومحاضراته. أسس وساهم في تأسيس عدة شركات متخصصة في الدراسات والتدريب والاستشارات.

- حاصل على أكثر من مائة شهادة ودرع تكريم وجائزة تميز من عدة جهات حكومية وشركات خاصة ومنظمات غير حكومية.

توطئة:

يعيش العالم اليوم في ظل أجواء جائحة كورونا تحديات ومشكلات جديدة ، وظروفا ضاغطة غيرت حياة الناس ونمط عيشهم، وقيدت حركتهم وتصرفاتهم، وأثرت على الإنسان والاقتصاد والسياسة والحياة الاجتماعية...

مما يفرض مقاربات جديدة، وحلولا مبتكرة، ووعيا مستجدا، ونظرة مستشرفة لأفق يكسر حاجز الخوف، وضغوط الواقع وإكراهاته...

من أجل ذلك نحاور في هذا العدد من مجلة سناد الدولية المفكر والخبير الدولي سعادة الدكتور إدريس أوهلال.

سناد: دكتورنا الفاضل باعتبار خبرتكم وتجاربكم في مجال التربية والتعليم والتدريب والاستشارات، واطلاعكم عن قرب على العديد من التجارب العربية والعالمية، ما هو تقييمكم العام لواقع التنمية البشرية في العالم العربي؟

د.أوهلال:

أولا أشكر هيئة تحرير مجلة سناد على استضافتها الكريمة في هذا الحوار، وصراحة نفتخر بهذه التجربة المتميزة التي استطاعت أن تفرض نفسها في وقت قصير في مجال تخصصها كمرجع علمي رصين، ونتطلع إلى رؤية المزيد من التطور والنجاح والعطاء لهذه التجربة.

أما الجواب عن سؤالكم فأعتقد أننا بحاجة أولا إلى التذكير بمفهوم التنمية البشرية وبرهاناتها لتجنب الخلط والغموض الحاصل أحيانا حول هذا المفهوم ولتقييم واقعها بشكل دقيق وعلمي ليس على المستوى العربي فقط بل على المستوى العالمي.

التنمية البشرية هي مقاربة موازية للتنمية الاقتصادية حاولت تجاوز ضيق المقاربة الاقتصادية والانطلاق نحو أبعاد ومجالات أوسع تشمل الأمن الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للإنسان ولكرامته وحقه في العمل وفي جودة بيئة العمل وجودة الحياة والصحة والتعليم والسكن والحياة السعيدة. كل هذه الأهداف جميلة ونبيلة وسامية من حيث المبدأ، لكن الواقع خلاف ذلك إلى حد بعيد للأسف، وليس على المستوى العربي فقط بل على المستوى العالمي. ولكي نُقَيِّم بشكل موضوعي الحصيلة علينا أن نستحضر بعض الأدوات التحليلية المساعدة على رؤية الأشياء بعمق من قبيل مثلا ما يسميه علماء الاجتماع ب "الأشكال الجديدة للفقر"، فبعض مظاهر "العيش الكريم" (وأضع العبارة بين هلالين) كالاستقرار الوظيفي وتملك سكن وسيارة والسفر لقضاء العطلة السنوية لم يعد يخفى على أحد أنها تتم في الغالب من خلال القروض البنكية، ونحن نشاهد اليوم أن أغلب دول العالم تعرف ظاهرة الإفراط في القروض التي تصل في بعض الدول إلى أكثر من 90٪.

صحيح أنه توجد في كل الدول العربية ودول العالم برامج ومبادرات حكومية ومدنية ومن منظمات دولية متعددة ومتنوعة، لكن حصيلتها في العموم هي دون الطموح والتحديات والانتظارات. وفي المجمل هذه البرامج تفشل أو تأتي بنتائج محدودة أو غير مستدامة، والأدلة كثيرة منها استمرار الفوارق بأنواعها الطبقية والمجالية والفوارق في ولوج مختلف الخدمات، والتفاوت في أسباب الكرامة والسعادة، والتفاوت الشديد في جودة التعليم سواء الحضوري أو عن بعد، والتفاوت في فرص وجودة الخدمات الطبية، ووجود أغلب الساكنة النشيطة خارج أنظمة التقاعد... والأزمة العالمية الأخيرة لوباء كوفيد 19 عرّت حتى الدول التي كان يُعتقد أنها متقدمة في مؤشر التنمية البشرية.

سناد: ما هي الأدوار الجديدة التي يمكن أن تلعبها الأسرة والمدرسة لتحقيق تنمية مستدامة على مستوى الأفراد والجماعات والمجتمع؟

د.أوهلال:

المدرسة التقليدية دورها محدود بل إن الكثير من الدراسات أكدّت أن دورها كان هو إعادة إنتاج التفاوتات الاجتماعية، فالمدرسة ليست فقط فاشلة في تحقيق التنمية بل تكرس التفاوتات فتعمل من خلال نظامها ومناهجها وبرامجها على تعزيز حظوظ المحظوظين وتقليص حظوظ غير المحظوظين. المدرسة مُصمّمة ليستفيد منها 5٪ فقط في سياق سباق أشبه ما يكون بسباقات ألعاب الجوع التي تعرضها سينما هوليوود، أي سباقات يكون فيها آخر شخص يبقى على قيد الحياة هو الفائز الوحيد.. يجب أن يموت الجميع ليفوز شخص واحد فقط! علينا أن ننظر إلى نسب الهدر المدرسي المرتفعة وشروط ولوج المدارس العليا مثلا لنفهم هذه الصورة وهذا التشبيه.

أما مدرسة المستقبل فمن السابق لأوانه الحكم عليها. نحن الآن نشاهد تحولات جذرية تعيشها المدرسة في ظل التحول الرقمي وتحولات الرأسمالية العالمية من رأسمالية صناعية إلى رأسمالية معرفية، ونحن غير قادرين الآن على إصدار تقييم نهائي لأن التحول لم يكتمل بعد، لكن المؤكد أن ضحايا هذا التحول ستكون أعدادهم ضخمة؛ التحول الرقمي وما سيصاحبه من تحولات في نماذج الأعمال والتعلم والعمل سيخلق طبقة اجتماعية جديدة لا تصلح لأي شيء، وقد بدأنا نشاهد هذا الأمر للأسف. وهنا بالضبط في هذه الظرفية الصعبة والتحول المُخيف يجب أن نتحدث عن دور الأسرة.. الأسرة هي الرهان الحقيقي وهي المُعَوّل عليه، لكن يبقى دائما السؤال هو: هل يوجد بديل فعّال للمدرسة التقليدية؟ هل البديل هو التعليم عن بعد؟ أم التعليم المنزلي؟ أم مدرسة الحياة؟ أم التعلّم الذاتي؟ أم مزيج من كل ذلك؟ ثم عن أي أسرة نتحدث؟ وهنا أيضا علينا أن نعترف أن أغلب الأسر لم تعد مؤهلة للقيام بأدوارها بسبب الغموض واللايقين والمجهول الذي أصبح يُميّز المستقبل، وأيضا بسبب افتقادها للوعي الاجتماعي والتفكير المستقبلي وهذا ينطبق حتى على الأسر المتعلمة من الطبقة المتوسطة.

سناد: هل يفهم من كلامكم في العديد من اللقاءات والمقالات أن دور المدرسة التقليدية قد انتهى؟ وما هو البديل في نظركم؟ هل يكون التعلم الذاتي؟

د.أوهلال:

فعلا دور المدرسة التقليدية انتهى، لكن البديل لم يتبلور بعد. توجد موجات متعددة ستساهم بكل تأكيد في صناعة مستقبل التعليم ومستقبل المدرسة منها التعليم الرقمي والتعليم المنزلي والتعلم الذاتي وإدماج المهارات الحياتية في التعليم النظامي أو تعلمها من خلال مدارس الحياة المتعددة. ما أنصح به في ظل هذا الغموض المرتبط بالأزمات العالمية وتسارع التغييرات وعدم اكتمال الكثير منها هو عدم

المغامرة بصيغة معينة بديلة كاعتماد التعليم المنزلي كبديل عن التعليم النظامي. المدرسة ستبقى رهانا أساسيا على المدى المتوسط رغم فشلها العام لكن على من يريد أن يستثمر فيها أن يفهم أولا لعبتها بشكل جيّد ويلعب اللعبة بذكاء. والحل المرحلي بنظري الذي أنصح به هو ما أسميه ب "استراتيجية الاستثمارات الثلاثة المتوازية": الاستثمار أولا في التعليم النظامي انطلاقا من فهم عميق للعبة كما قلت والدخول فيها باستراتيجية ذكية، والاستثمار ثانيا في المنصات الرقمية العالمية وفق استراتيجية مدروسة، والاستثمار ثالثا في "التعلم الذاتي" و "التعلم بالمصاحبة" والتعلم في "مدارس الحياة المتعددة". وكل هذه الاستثمارات يجب أن تتم في إطار مشروع جامع وواضح مُوَجِّه لها، وبدون مشروع تربوي مُوَجِّه لن تثمر هذه الاستثمارات النجاح الكبير المُتَوَقع منها.

سناد: دكتورنا الفاضل لا شك أن جائحة كورونا أرخت بظلالها على الأسرة والمدرسة معا بل على العلاقات الاجتماعية عموما، ما هي أبعاد هذا التأثير والتغيير في نظركم؟

د.أوهلال:

جائحة كورونا ليست سوى الجزء الظاهر من جبل الجليد. العالم يمر بتغييرات متعددة وجذرية وشمولية وسريعة، وهذا أثّر كما تفضلتم على العلاقات الاجتماعية بل على كل مناحي الحياة. وما يحدث اليوم ليس جديداً في تاريخ البشرية، فالتغييرات والتحولات والطفرات موجودة عبر التاريخ، وقد سَمَّيت في كتاب جديد لي سيصدر قريبا إن شاء الله هذه التغييرات المتزامنة التي هجمت علينا بقوة دون أن نكون مستعدين لها ب "الانفجار العظيم" و "عصر النهايات" بسبب انهيار القيم والمؤسسات التي وضعنا فيها ثقتنا في الماضي مثل الأسرة والمدرسة والجامعة والتخصص والشهادة والوظيفة وأنظمة التقاعد والسوق والسياسة والديمقراطية والمصلحة العامة والقيادة وغيرها من القيم والمؤسسات التي فتحنا أعيننا عليها أو ناضلنا من أجلها ثم اعتقدنا أنها مكتسبات للأبد أو قيم ومؤسسات طبيعية وُجدت منذ وُجد الإنسان وستبقى معنا للأبد، في حين أنها مجرد اختراعات ارتبطت بشروط تاريخية وسياسية واقتصادية واجتماعية محددة وهي الآن تختفي أو تتشكل في أشكال جديدة بسبب تغيّر هذه الشروط. يجب أن نتعلم تنسيب القيم والمؤسسات وإعطاءها حجمها الطبيعي في حدود شروطها التاريخية، وأن نتعلم كيف نميّز بين الثابت والمتغيّر فيها، وأن نطور قدرتنا على التكيّف الذكي والسريع مع ما يحدث من تحولات وتغييرات عليها، وأن نتعلم أيضا كيف نقاوم بعض التحولات والتغييرات عندما تكون المقاومة ضرورية.

سناد: يرى البعض أن من الأمور التي خففت وطأة الجائحة وجود ثورة إعلامية وتواصلية هائلة شكلت ملاذا للكبار والصغار معا، لكن بالمقابل ألا ترون أن لوسائل الإعلام والتواصل والتكنولوجيا الحديثة خطرا على الدراسة والبحث العلمي؟ وبالمقابل ما هي التوجيهات التربوية التي يمكن أن تحد من تلك الخطورة إن وجدت؟

د.أوهلال:

في كل تغيير جديد توجد فرص ومخاطر، بل في كل شيء توجد دائما إيجابيات وسلبيات. وفي أوج عطاء ونجاح الحضارة الإسلامية أسس مفكروها وعلماؤها لمبدأ عدم وجود المصلحة الخالصة والمفسدة الخالصة. المصلحة قد تخالطها مفسدة، والمفسدة قد تخالطها مصلحة. هذه قاعدة واضحة ومفهومة وعملية وفعّالة، لكن إحدى مشكلاتنا في عصور التخلف المتأخرة تكمن في ثقافة المؤمن الضعيف التي تقوم على مطلب البحث عن الأمن والتركيز على المخاطر وهذه الثقافة تغذيها غريزة الخوف والتربية على الأمن. نحن بحاجة إلى إعادة بناء ثقافة المؤمن القوي الذي يبحث عن الحرية لا عن الأمن ويُرَكّز على الفرص ولا تُخيفه المخاطر التي يتدبر لها إجراءات إدارتها. ينبغي ألا تخيفنا المخاطر، نحتاج فقط إلى الوعي بها واليقظة تجاهها وتدبر إجراءات إدارتها، ويجب أن نُبقي تركيزنا على الفرص والاستزادة من الفرص واستثمار الفرص وتحويل المخاطر إلى فرص. أما التوجيهات التربوية التي يمكن أن تعزز هذا التوجه الإيجابي فهي أساساً التربية على الاستقلالية والمبادرة والشغف والمثابرة وتحمل المخاطر وتحمل المسؤولية.

سناد: بالنظر لتجاربكم الرائدة في كثير من مجالات التطوير المؤسسي والقيادي والشخصي تنظيراً وتعليماً وتدريباً وتقديم الاستشارات وطنيا ودوليا، بم تنصحون من يبحث عن التميز والتوازن؟

د.أوهلال:

أولا أشكرك على هذا السؤال الجيّد فنحن بالفعل بحاجة إلى الجمع بين التميز والتوازن وهو تحدي تؤكد التجربة صعوبته. بخصوص التميز، علينا أولا أن ننتبه إلى أن التميز يتسم بخاصية البعد الواحد فلا أحد يستطيع أن يتميز في كل شيء فالكمال لله كما نقول. والتميز لا يقع تحت مسؤولية المدرسة بل هو من مسؤولية الأسرة التي يجب عليها أن تراقب استعدادات (وأنا هنا لا أتحدث عن الكفايات) الأبناء وتحتضنها وتعززها وتوجهها في إطار مشروع بعيد المدى للتميز. ومشاريع التميز لا تنحصر في التميز الدراسي فقط فكل مُيسّر لما خُلق له. وأسرار التميز، إن صحّ أن نسميها أسراراً، هي من حيث المبدأ ما ذكرته في جواب السؤال السابق: التربية على الاستقلالية والمبادرة والشغف والمثابرة وتحمل المخاطر وتحمل المسؤولية. أما التوازن فهو توأم التميز من حيث المبدأ لكن يصعب الجمع بينهما، ومما يزيد الأمر صعوبة هو أن كل توازن هو توازن مؤقت، بمعنى أن معركة البحث عن التوازن هي معركة

مستمرة تحتاج إلى يقظة دائمة تجاه مخاطر التميز وإلى جهد مستمر ومتجدد لضمان استمرارية حد أدنى من التوازن. وأعتقد أن وسائل الاتصال والتواصل الحديثة تساعد إذا أُحسن استثمارها على الجمع بين التميز والتوازن. ومن الوسائل التي تساعد أيضا على هذا الجمع اعتماد نماذج أعمال إنسانية وعدم الانسياق كلياً مع نماذج الأعمال الذكية فقط؛ نحتاج في حياتنا الشخصية والمهنية إلى نماذج أعمال ذكية وإنسانية؛ يمكن مثلا لقاعدة صفر ورق وصفر جهاز ثابت أن تؤسس لنموذج عمل ذكي لا يمكننا من تعظيم إنتاجيتنا المهنية فقط بل يمكننا أيضا من كسب المزيد من الوقت لحياتنا الشخصية والأسرية والأصدقاء.

إصدارات المركز

صدور كتاب المؤتمر الدولي: الاتجاهات العالمية المعاصرة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

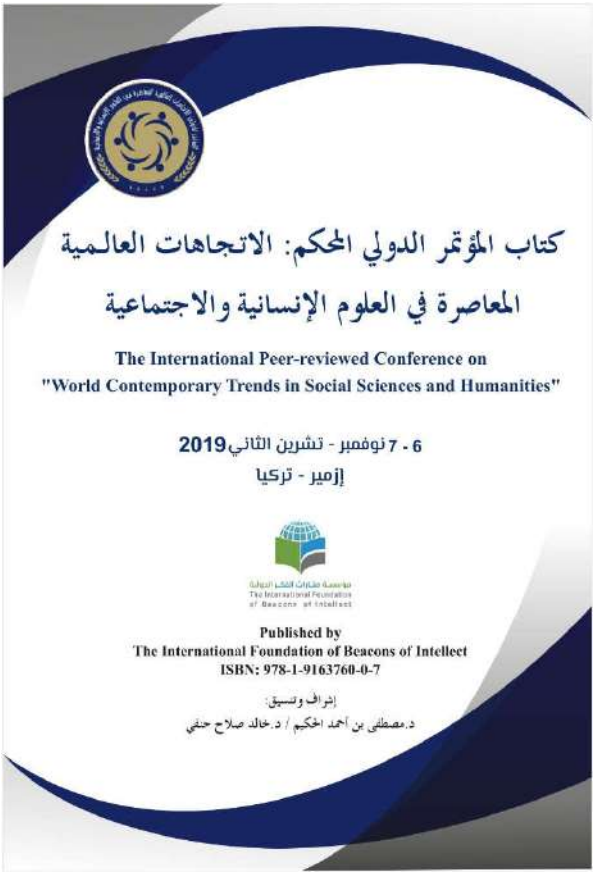

ضمن منشورات مؤسسة منارات الفكر الدولية وبشراكة مع المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية صدر كتاب المؤتمر الدولي: "الاتجاهات العالمية المعاصرة في العلوم الإنسانية والاجتماعية" المنعقد في مدينة إزمير بتركيا في 6-7 نوفمبر تشرين الثاني 2019 متضمنا الأوراق البحثية المحكمة وقد جاء الكتاب في مجلد يقع في 389 صفحة.

بيانات الفهرسة:

الأوراق البحثية المقدمة للمؤتمر الدولي: الاتجاهات العالمية المعاصرة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

تنسيق: د. مصطفى الحكيم/ د. خالد صلاح حنفي

الطبعة الأولى: أبريل 2020 – مؤسسة منارات الفكر الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية / المملكة المتحدة

الرقم الدولي المعياري (ردمك): 978-1-9163760-0-7

مجلة
سناد للبحوث والدراسات التربوية والأسرية

مؤتمرات المركز

تقرير إخباري

عن المؤتمر الدولي الرابع:

الأسرة المسلمة في المجتمعات الغربية: الفرص والتحديات

انعقد يومي السبت والأحد 29-30 أغسطس 2020 المؤتمر الدولي الرابع:

"الأسرة المسلمة في المجتمعات الغربية: الفرص والتحديات"

عبر منصة تفاعلية

والمنظم من طرف المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية بشراكة مع الجمعية الدولية للعلوم والثقافة بالسويد وكلية الدراسات الإسلامية بصربيا والجامعة العالمية نوفي بازار بصربيا والذي كان مقررا عقده بمدينة أوبسالا بمملكة السويد يومي 10 ـ 11 أبريل /نيسان 2020؛ والذي تم تأجيله وتحويله إلى من مؤتمر عن بعد استحضارا لظروف جائحة كورونا وإكراهاتها.

وقد شهدت جلسات المؤتمر العلمية تقديم 24 ورقة بحثية في أربع جلسات علمية بمشاركة 28 باحثا، وقد حظي المؤتمر بمتابعة واسعة من جمهور كبير تابع وقائعه عبر النقل المباشر في صفحة المركز بالفايسبوك.

وقد انطلقت صباح يوم 29 أغسطس 2020 الجلسة الافتتاحية برئاسة الدكتورة سهام موعد الأستاذة بكلية الدراسات الإسلامية بصربيا، ثم تناول الكلمة الدكتور مصطفى بن أحمد الحكيم رئيس المؤتمر، بعد ذلك أخذ الكلمة الدكتور رشيد كهوس المشرف العام على المؤتمر، أعقبته كلمة عميد كلية الدراسات الإسلامية بنوفي بازار في صربيا الدكتور أنور غيتسيتس باسم الجهات

الأكاديمية الراعية للمؤتمر، ثم كلمة باسم شركاء المؤتمر ألقاها الدكتور شادي كسكين، لتختم الجلسة بكلمة باسم الجلسة العلمية للمؤتمر قدمها الدكتور إدريس جويلل رئيس اللجنة.

ليفسح المجال بعدها لتقديم مداخلات الباحثين التي عالجت موضوع الأسرة المسلمة وقضاياها وإشكالاتها في المجتمعات الغربية، بمشاركات متنوعة، وحضور وازن، وتخصصات مختلفة، ومقاربات متعددة...

وبناء على مجموع الأبحاث والأوراق المقدمة تم التوصل إلى مجموعة من التوصيات يمكن إجمالها في ما يلي :

-إقامة مشاريع خاصة بالأسرة المسلمة في بلاد الغرب، ومن هذه المشاريع التوفيق بين الراغبين في الزواج وتزويجهم وفقا للأصول الشرعية.

-الاهتمام بالإرشاد الأسري للأسر المسلمة في المهجر وربطها بقيم الوحي.

-إحداث مراكز إسلامية متخصصة؛ من أجل التوعية الدينية والأسرية ومواكبة مستجدات الأسرة المسلمة في بلاد الغرب.

-إحداث مراكز للاستماع والتوجيه والوساطة الأسرية من أجل جمع شمل الأشرة المسلمة والحفاظ على أمنها وتماسكها.

-تأسيس تكتلات جمعوية في شكل هيئات إسلامية لتحقيق مصالح الأسرة المسلمة وحقوقها في بلاد الغرب.

دعوة الأسر المسلمة في الغرب إلى تجاوز الانغلاقية القومية والانفتاح على بعضها خدمة لأهدافها المشتركة.

-استغلال الفرص المتاحة للأسرة المسلمة في الغرب لتحقيق الاندماج المنتج على صعد متعددة لتحقيق الإيجابية والحفاظ على الهوية الإسلامية.

-تأسيس مراكز متخصصة لتعزيز الصحة النفسية يمزج في بين التربية الإيمانية القيمية والتطبيقات العملية للقواعد والأحكام الفقهية العملية والطب النفسي.

تقرير إخباري

عن المؤتمر الدولي الخامس:

الأسرة في زمن كورونا: الفرص والتحديات

بشراكة مع مختبر القيم والمجتمع والتنمية التابع لجامعة ابن زهر بالمغرب، ومع ماستر/ ماجستير الأسرة والقانون التابع لجامعة المولى إسماعيل بالمغرب، ومع

الجامعة العراقية ممثلة في مركز البحوث والدراسات الإسلامية "مبدأ" بالعراق، ومع جامعة البحر الأحمر ممثلة في عمادة البحث العلمي والابتكار بالسودان؛

نظم المركز الدولي للاستراتيجيات التربوية والأسرية ICEFS مؤتمره الدولي الخامس: "الأسرة في زمن الكورونا: الفرص والتحدّيات" عبر منصة (Google Meet) يومي الخامس والسادس من شهر ديسمبر 2020.

بدأت الجلسة الافتتاحية الساعة العاشرة بتوقيت غرينتش من صباح يوم السبت 19 ربيع الثاني 1442 هـ الموافق 5 ديسمبر 2020 م. بحضور ممثلين عن الجهات المنظمة والراعية للمؤتمر، والضيوف الأفاضل وثلة من الباحثين والباحثات، بدأت بتلاوة آيات من الذكر الحكيم، ثم كلمة رئيس المركز الدولي للاستراتيجيات التربوية والأسرية ICEFS سعادة الدكتور مصطفى بن أحمد الحكيم، وكلمات ممثلي المراكز والجامعات الشركاء في هذا المؤتمر.

وقد تمت برمجة محاضرتين افتتاحيتين في اليوم الأول والثاني، ألقى المفكر والاستشاري الدولي الدكتور إدريس أوهلال محاضرته في افتتاح اليوم الأول من المؤتمر تحت عنوان: "الأسرة في زمن كورونا: الفرص والتحديات"، وفي مفتتح اليوم الثاني ألقى الاستشاري والخبير الأسري الدولي مصطفى أبو سعد محاضرة بعنوان: "نحو أسرة مطمئنة في زمن كورونا"، وقد لقيت المحاضرتان تجاوبا وتفاعلا لافتا وإشادة بعمق أفكارهما، وتميز مضامينهما...

وتوالت الجلسات العلمية يومي السبت والأحد في 5 و 6 ديسمبر 2020، حيث تم عرض 20 بحثا تم قبولها للعرض خلال جلسات المؤتمر، وبمشاركة أكثر من ثلاثين باحثا ومشاركا؛ وقد ترأس هذه الجلسات إخوة وأخوات أكارم من الخبراء في المجالات التربوية والأسرية.

وقد حظي المؤتمر بمتابعة واسعة من جمهور كبير تابع وقائعه عبر النقل المباشر في صفحة المركز بالفايسبوك.

المؤتمر الدولي الخامس
الأسرة في زمن كورونا
الفرص والتحديات

ومن خلال هذا النقاش والحوار أوصى المؤتمرون بالتوصيات الآتية:

1. إمداد المراكز والمؤسسات والجمعيات التي تعمل في الإرشاد الأسري بمخرجات هذا المؤتمر؛ لتكون على بصيرة من خطواتها.
2. إمداد القنوات الفضائيّة التي تعمل في شؤون الأسرة بمخرجات هذا المؤتمر؛ للنشر والتوعية.
3. تبنّي مساقات الأسرة في الجامعات والكليات مساق (الأسرة في وقت الأوبئة والجوائح).
4. تداول كتاب المؤتمر بين المراكز والمؤسسات البحثية المهتمّة بدراسات الأسرة.
5. استثمار الوضع الحالي والاستفادة من فترات الحجر المنزلي واعتماد آلية مصاحبة الأبناء وآلية المشروع خلال هذه الفترات.
6. نشر التّفاؤل خلال فترات الحجر المنزلي والذي يُعتبر من أسباب النّجاة.
7. ضرورة انشاء صندوق وطني لكل دولة وتعزيز دور الحكومات ومنظّمات المجتمع المدني في دعم الفئات ذوي الدخل المحدود كي يتمكنوا من متابعة التعلم عن بعد.
8. نشر القيم الأخلاقية الاسلامية والثقافة السُنّية والالتزام بها والتي من شأنها تخفيف وطأة الجائحة
9. نشر الوعي من أجل تحقيق الاطمئنان في الأسرة ومن أجل الحد من حالات العنف الأسري.
10. التأكيد على أهمية تحري الحقيقة والدقة في أخذ ونقل المعلومات والاخبار من مصادر موثوقة ومعتمدة، من أجل كبح الشائعات التي لا يقل ضررها النفسي عن الأضرار الجسدية.

11.أن يتبنّى المركز الدولي للاستراتيجيات الأسرية والتربوية إعداد دليل الأسرة إلى المشاركة في تعليم الأبناء في بيئة مدرسة المستقبل والتعلم عن بعد والتعلم المعكوس والعمل على نشره في المجتمعات العربية.

12.تأسيس صفحة خاصة بموضوعات تخص الاسرة من ظواهر مستجدة وتحديات وحلول في الموقع الإلكتروني للمركز الدولي للاستراتيجيات التربوية والأسرية.

13.وضع آليات لتنفيذ كل من المقترحات السابقة.

مجلة
سناد للبحوث والدراسات التربوية والأسرية

لمعات وإضاءات

الوساطة التربوية: المفهوم والوظائف

د. مصطفى بن أحمد لحكيم
Dr. Mostafa Ben Ahmed Lahkim
رئيس مجلس إدارة المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية
رئيس مؤسسة منارات الفكر الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية
d.lahkimmostafa@gmail.com

مقدمة:

تختلف التسميات المصطلحية لهذا العلم في البلاد العربية بالنظر لتنوع المشارب الفكرية، وتعدد الخلفيات المعرفية، والسياقات التأسيسية، وارتباط المحيط العلمي العربي بالمدرستين الأنجلوسسكسونية والفرانكفونية على مستوى التحديدات المفاهيمية، والاختيارات العلمية. حيث يُعرف في الخليج العربي بالإرشاد الطلابي، ويُعرف في غيره من البلاد العربية بتسميات مختلفة منها: التوجيه والإرشاد النفسي، الإرشاد التربوي، الدعم التربوي، الوساطة التربوية، المساعدة الاجتماعية، علم النفس الإرشادي...

لكن مما يُحسب للمدرسة الخليجية عموما والمدرسة السعودية على وجه الخصوص فرادة التجربة، وقيمة الإنجاز، وتراكمية الحصيلة، وجودة المقاربة؛ بالنظر للاهتمام البالغ بهذا القطب التربوي من لدن القائمين على الشأن التربوي والتعليمي. ولعل مما يميز هذه التجربة الثرة تخصيص هذا المجال بالرعاية والعناية عبر إمداده بالكفاءات المؤهلة، والعناصر المدربة، وتفريغها لأداء مسؤولياتها التربوية والإرشادية دون أن تشاغب على هذا المهمة مهمات أخرى، أو تزاحمها في أداء رسالتها اهتمامات متعددة، واختصاصات متكاثرة، حيث أخذ المجال حصته الوافرة في التوظيف والتأهيل والتخطيط؛ بخلاف التجارب الأخرى في البلاد العربية التي أناطت هذه المهمة بالمُدرس، فأثقلت كاهله بمهمات متعددة، واختصاصات متداخلة اجتمع فيها الدعم التعليمي والتربوي والنفسي والاجتماعي...

مما أثر في جودة المنظومة التعليمية، وأفقدها فعاليتها، وقلل من تأثيراتها الإيجابية على الناشئة، وأدى إلى الاختلال في تحصيل الكفايات التعليمية والتربوية والاجتماعية، وإشباع الحاجات، وحل المشكلات.

وفي السياق المغربي تحضر تجربة خلايا الإنصات والاستماع التي انطلقت بمبادرات فردية، وفي إطار تطوعي في بعض المؤسسات التعليمية، حيث انتصب ثلة من الغيورين على الشأن التعليمي والتربوي من أساتذة وإداريين وجمعيات آباء وأولياء التلاميذ بإنشاء إطار يسمح بمعالجة الظواهر السلبية لدى المتعلمين، وعلاج المشكلات النفسية والتعليمية والتربوية والاجتماعية باستحضار مختلف المقاربات العلمية، والتجارب العالمية، وإن أعوزت هذه التجربة الإمكانات المادية، واعترضتها إكراهات الزمن المدرسي، وتعدد المهام، وغياب الاهتمام اللازم من طرف القائمين على الشأن التربوي.

وقد ساهمت هذه التجربة على بساطتها في التصدي لبعض الانزلاقات الأخلاقية، والانحرافات السلوكية بمنطق الحوار البناء، ومنهجية الانصات والاستماع، وأثبتت جدواها وفعاليتها بما يستدعي تعميم هذه التجربة، وإمدادها بالوسائل المادية والتقنية، والاستفادة من التجربة السعودية بالنظر للمشترك العقدي، وتقارب الشعبين، وتشابه البيئتين.

1- مفهوم الوساطة التربوية:

يعد الإرشاد النفسي والتربوي فرعا من فروع علم النفس التطبيقي الذي يُعنى بدراسة السلوك الإنساني، واستلهام القواعد النفسية، والمبادئ التربوية في علاج المشكلات، وتقويم السلوكات، وبناء الشخصية السوية، ونقل علم النفس من مستوى المقاربات النظرية إلى ميدان التطبيقات العملية، يقول رينيه بينوا مبرزا أهمية هذا العلم الذي يشكل الأساس المعرفي والبنية التأسيسية لعلم الإرشاد التربوي: «يعتبر علم النفس التطبيقي فنا إنسانيا، مثلما أن هناك فنونا مادية، ولكنه ينفرد بموضوعه الخاص به وهو الإنسان، والإنسان موضوع معقد للغاية، وعلم النفس التطبيقي لا يهتم بالإنسان عامة، بل بالفرد من حيث هو نقطة التقاء تأثيرات عديدة ومتباينة، بيولوجية، ووراثية واجتماعية وثقافية... وتمتزج جميعا في هذا الفرد، كما أنه كل لا يتجزأ، تعمل فيه كل هذه المؤثرات المختلفة في تجانس معين»[1].

وقد ساهمت مؤثرات كثيرة في إغناء مجال الإرشاد والوساطة التربوية، وتغذية مباحثه، وتنمية تطبيقاته، وتداخلت في بنيته التأسيسية مجالات متعددة، وروافد مختلفة من علم النفس التربوي، والاجتماعي، والمعرفي، والأسري، والارتقائي (النمو)، والفيسيولوجي... وقد جمع الإرشاد التربوي بين النظر والتطبيق، بين العلم والعمل، بين الدراسة النظرية والتجربة العملية.

يمكن أن نُعرف التوجيه والإرشاد التربوي بأنه عمل هادف منظم، موضوعه المتعلم، يروم مساعدته على فهم واقعه، والتكيف معه، وحل المشكلات المعترِضة، والعقبات المانعة، وتأهيله لفهم ذاته، وتنمية قدراته، وتحسين قابلياته واستعداداته، بما يفضي إلى تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي والأسري...

ويتناول التوافق نواحي نفسية (مثل تعديل الإدراك الحسي شدة ووضوحا؛ بحسب قيمة المنبه، ودلالاته، وتكراره، وتحديد انفعاله)، ونواحي اجتماعية (مثل تطوير دوافعه، وتعديل سلوكه؛ بما يتوافق مع مستويات مجتمعه)[2].

وتبرز أهمية الوساطة والإرشاد التربوي وضرورته والحاجة إليه بالنظر لما غشي مجتمعاتنا المسلمة من أمراض نفسية، وآفات اجتماعية، وأعراض مرضية، وما يشهده عصرنا من اضطرابات نفسية، وتشوهات خُلقية، وانحرافات سلوكية أنتجت عللا شتى وظواهر جمة غريبة؛ من مثيل: الإدمان، والانتحار، والوسواس القهري، والاكتئاب، والفصام، والذهان، والعصاب والانطواء ...

في هذا الواقع الذي اشتدت أزماته، وتسارعت متغيراته، وازدادت مشاكله، وتعاظمت إكراهاته ومتطلباته؛ تُمسي معه الحاجة ملحة إلى إرساء منظومة توجيهية إرشادية، والاستفادة من الحكمة البشرية، والاستمداد من الإرث التربوي من داخل نسقنا المعرفي، ومنظومتنا القيمية، وتراثنا الفكري والتربوي للبحث عن أدوية شافية، وأجوبة كافية، وحلول منقذة لشبابنا من الوقوع في براثن الانحراف، ومصايد الإدمان، وخنادق التخريب والتدمير للطاقات الفتية التي عليها المعول في نهضة أمتنا، ورفعة بلداننا، ومناعة مجتمعاتنا.

2- وظائف الإرشاد والوساطة التربوية:

يضطلع الإرشاد التربوي بوظائف مهمة، وأدوار حاسمة من شأنها تحصين مجتمعاتنا، وتقوية منظومة الأمن القومي، والحفاظ على السلم الاجتماعي الذي يعد الأطفال والشباب لبنته الأساسية، ولحمته الرئيسة، وبنيته التكوينية باعتباره ضامنا لاستمرارية الوجود الإنساني، ورافعة للاقتصاد المنتج، واليد العاملة المدربة، والعقول المفكرة. وأي مجتمع نسبةُ شبابه أكبر من نسبة شيوخه فذلك من علامات عافيته وصحته، وعاملا من عوامل تقدمه ورفعته، وأي مجتمع نسبة شيوخه أكبر من نسبة شبابه فمتوقع أن يتباطأ نموه، وتقل فاعليته الإنتاجية والاقتصادية، ومساهمته في سُلَّم الحضارة والمدنية والتقدم.

ولا أدل على ذلك من سعي الدول المتقدمة إلى استقدام الطاقات الشابة وتجنيسها بالنظر لما أصاب الهرم السكاني عندها من شيخوخة ظاهرة مؤثرة تشكل خطرا داهما اقتصاديا وعسكريا. من ذلك ما أعلنته ألمانيا في سنة 2012 من تخصيص نسبة تتراوح ما بين 17 و 20 ٪ لمهاجرين مغاربة جدد من أصل 200 ألف مهاجر جديد قررت ألمانيا فتح حدودها أمامهم سنويا، وتتشكل الفئات المقصودة بهذا البرنامج من حاملي شهادات عليا أو المتوفرين على مؤهلات مهنية في مجالات حددها البرلمان الألماني داخل قائمة أطلق عليها: "مهن الهجرة الجديدة المفيدة والمنتقاة"[3].

ونجمل أهم الوظائف والأدوار التي يضطلع بها الإرشاد التربوي في الوظائف الآتية:

أ- الوظيفة البنائية:

يتوجه الإرشاد التربوي إلى تكوين التوجهات الاعتقادية، وبناء السلوكات الصحيحة، وإنبات القيم التأسيسية التي تنبثق من رسالة الإسلام السامية، وقيمه العالية، وأصوله الثابتة، وخاصة بالنسبة للمراحل العمرية المتقدمة التي يُعهد فيها للمدرسة بدور أكبر في الرعاية والتوجيه كما هو الشأن في الأسر التي تكون فيها الأم عاملة، وتضطر إلى أن تتنازل عن جزء من وظيفتها البنائية لمؤسسات التعليم الأولي (الحضانة/الروضة)، حيث تساهم المدرسة -بالنسبة لهذه الفئة- في تشكيل الوعي، وبناء القيم لدى الصغار؛ حيث تعد مرحلة الطفولة من أهم المراحل العمرية في حياة الإنسان، وأعظمها خطرا، وأشدها تأثيرا وأثرا؛ بالنظر لما اصطبغت به من مميزات، واتسمت به من خصائص وصفات، تجعل منها مشتلا للغرس والإنبات، والتثبيت والتعديل والتقويم:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا يقومُ إذا قَوَّمْتَهُ الحَطَبُ

فهي البيئة الحاضنة لتفتق المواهب، وصقل المكاسب، وتنمية المدارك، وإبراز المؤهلات والكفاءات، ورعاية الأحاسيس والاستعدادات...

ولما كانت البيئات الحاضنة للطفل من مؤسسات التنشئة ومنابت الغرس من أسرة ومدرسة ومجتمع وغيرها عاملا من عوامل الإنهاض، وفاعلا من مفاعيل غرس القابلية والاستعداد لدى الطفل للتعلم والتربية والصلاح كان لازما لزوما حتميا استنهاض الهمم وحث العقول على البحث عن العوامل الدافعة قصد تقويتها، وتبين مداخل تثبيتها وترسيخها، وآفاق تطويرها، بالموازاة مع استجلاء الأسباب المانعة والعوائق المعترضة.

ب-الوظيفة الحمائية الوقائية:

من المتوجب على الإرشاد والوساطة التربوية أن يرعى هذا الحمى من أن تُنتهك براءته، أو تدنس ساحته، أو تختل قيمه، وذلك بالصيانة والحماية والرعاية التي تقتضي يقظة دائمة من طرف المربين والمرشدين، ووعيا بالمتغيرات النفسية والبيولوجية والفيسيولوجية لدى المتعلمين، وحذرا من الاختلالات التي قد تلحق السلوك، والتفكير والموقف... وإعداد الخطط التربوية والتوعوية لتحصين أطفالنا وشبابنا حتى لا يقعوا فريسة للاضطرابات النفسية، والأمراض الاجتماعية، والانحرافات الأخلاقية، والمشكلات السلوكية...

وتقوم هذه الوظيفة الوقائية الحمائية على ثلاثة مستويات:

- الوقاية الأولية: منع حدوث المشكلة بإزالة الأسباب.

- الوقاية الثانوية: محاولة الكشف المبكر، وتشخيص الاضطراب في مرحلته الأولى.

- الوقاية من الدرجة الثالثة: وتتضمن محاولة تقليل أثر الاضطراب، ومنع ازدياد المرض[4].

أ- **الوظيفة الدوائية الاستشفائية:**

إن من شأن الوقوع في الأمراض النفسية والانحرافات السلوكية لدى المتعلمين أن يرفع من مستوى الجاهزية التربوية، والفاعلية التوجيهية لدى المشتغلين في هذا الميدان للتصدي لهذه الآفات المدمرة التي تنخر بنياننا الاجتماعي، ونسيجنا التربوي، فلا تستلسم إرادة العاملين في هذا المجال لظواهر استجدت، وأمراض طرأت بفعل تأثيرات هذا الهجوم العولمي الكاسح الذي جعل العالم قرية واحدة، ودخل البيوت الحصينة، والمجتمعات المنغلقة، فأصيبت ناشئتنا نتيجة لذلك بأمراض مستعصية، واختلالات سلوكية، فأصبحنا نتحدث عن الإدمان على الأنترنت، والمخدرات الرقمية، والعلاقات الجنسية الرقمية العابرة للقارات...

حيث أصبحت المجتمعات الحديثة مفتوحة على مختلف التأثيرات، مما يضاعف من مسؤوليات الوساطة التربوية لتساهم مساهمة فاعلة في علاج هذه الحالات المرضية، والتشوهات السلوكية، والاضطرابات النفسية بالاستعانة بالطرق والأساليب والمناهج المتخصصة التي تقوم على تشخيص المشكلات، ورصد نتائجها، وتحديد أسبابها، وطرق علاجها حتى يتحقق الاستشفاء الكامل، والعلاج الناجع.

وتتأسس هذه الوظيفة عند المتخصصين في علم النفس الإرشادي العام على ما يقدَّم للفرد لرفع المعاناة عنه، وحل مشكلاته، ومساندته للتخلص من أي حالة توتر وقلق حتى يعود إلى حالة الاعتدال[5].

وختاما لا بد أن يدرك القائمون على الشأن التربوي والأسرى أهمية الوساطة والتوجيه والإرشاد التربوي في تحصين أبنائنا وبناتنا، وتقوية البنية الأخلاقية، وحماية المنظومة القيمية من عوامل المحو والمسخ اللذين يمسان وجودها وتأثيرها وفاعليتها.

الهوامش:

[1] علم النفس التطبيقي لرينيه بينوا: ص4. ترجمة: محمد مصطفى زيدان، حلمي عزيز قلادة، مطبعة لجنة البيان العربي: مصر، 1964م.
[2] التوجيه والإرشاد النفسي لسهير كامل أحمد: ص9. مركز الإسكندرية للكتاب: مصر، 2000م.
[3] راجع تقرير المغرب في سنة 2012 الذي أصدره المركز المغربي للأبحاث وتحليل السياسات، مطبعة النجاح الجديدة: الرباط، 2013.
[4] مبادئ التوجيه والإرشاد النفسي لكاملة الفرخ شعبان، وعبد الجابر تيّم: ص30. دار صفاء: الأردن، ط1، 1420هـ/1999م.
[5] التوجيه والإرشاد النفسي (مرجع سابق): ص9.

أثر منظومة القيم في تقوية المناعة النفسية والصحية والاجتماعية تجاه وباء كورونا

أ.د. رشيد محمد كهوس

Dr. Rachid Mohamed Kohouss

جامعة عبد المالك السعدي / المغرب

rachid1433@yahoo.com

أظهر وباء كورونا (كوفيد 19) أن قوة المجتمعات وسلامتها وتماسكها مرهونة – لا سيما في الشدائد – بمدى حضور الجانب القيمي فيها، إذ كثير من المبادرات الخيرة التي ظهرت في هذه الأزمة والتي عالجت مشكلات عميقة وكثيرة، إنما صدرت بدوافع قيمية فاضلة. كما أن بعض المظاهر السلبية التي عمقت معاناة الناس وآلامهم باستغلال ظروف الشدة، إنما مصدرها تصدع القيم، أي افتقار أصحابها إلى القيم.

إن تعزيز منظومة القيم وتنميتها داخل الأوطان لمن الأمور التي يسعى أي مجتمع إلى تحقيقها في مجاله على جميع المستويات (النفسية والصحية والاجتماعية الاقتصادية...)، ذلك بأن ترسيخ القيم في المجتمع تسهم في حفظ أمنه الاقتصادي والاجتماعي والنفسي والصحي في جميع الحالات التي يمر بها، والمراحل التي يتقلب فيها.

وإن الفترة الحرجة التي تمر بها بلداننا تحتاج إلى استحضار هذه القيم المتنوعة (أسرية، اجتماعية، إنسانية، دينية..)، من أجل التخفيف من التبعات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية لوباء كورونا، وإكساب المناعة الصحية والنفسية والاجتماعية وتقويتها تجاه هذه الوباء.

وبناء على ما تقدم يمكن تفصيل تلك القيم فيما يأتي:

1- **القيم الإيمانية:**

عَنْ أَبِي يَحْيَى صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤمنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». [رواه مسلم].

انطلاقا من هذا الحديث النبوي الشريف، فإن التحلي بالقيم الإيمانية يحقق للإنسان المناعة النفسية والأمن الروحي، وذلك من خلال تعميق الشعور العقدي الذي يقوم على الإيمان بالقضاء والقدر، وحسن الظن بالله، حيث يرجع الإنسان إلى ربه بالتوبة والدعاء ليصرف عنه وعن أمته الوباء، ويحميه من البلاء.. ثم بعد ذلك يتخذ المؤمن الأسباب اللازمة ليواجه هذا القدر (الوباء) بقدر آخر (العلم) وذلك باتخاذ الإجراءات اللازمة، والأخذ بالأسباب الصحية والوقائية من الوباء.. هذا وقد خطب عمرو بن العاص الناس بالشام، لما حل بها الوباء، وقال لهم: (أيُّها الناس! إنَّ هذا الوجع إذا وقع إنما يشتعل اشتعال النَّار، فتجنَّبوا منه في الجبال)، فخرج، وخرج النّاس، فتفرقوا حتّى رفعه الله عنهم، فبلغ عمر ما فعله عمرو، فما كرهه[1].

إنه توجيه مهم ينطبق على الحجر الصحي في زماننا هذا، حيث تنصح الجهات الصحية المصابين بأن يتفرقوا عن بعضهم ولا يتجمعوا، حتى تقل من نسبة انتقال العدوى بينهم.. ومن ثم فإن مخالفة هذه التوجيهات تؤدي بالإنسان إلى التهلكة، والله تعالى يقول: (وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ) (البقرة:195)، كما ستؤثر على مناعته النفسية والصحية.

وهذه كلها قيم إيمانية يجب على الناس أن يتحلوا بها، حتى يتحقق لهم الأمن النفسي والطمأنينة والسكينة في ظل هذه الأجواء التي يعيش فيها العالم كله ارتباكا وخوفا وهلعا.

2- القيم الاجتماعية:

عن النُّعْمَانِ بن بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»[2].

إنه تصوير نبوي محكم للمجتمع الذي تسود فيه قيم التعاون والتكافل والتعاطف والرحمة ونكران الذات والوحدة الاجتماعية، حيث تنجو سفينته من الغرق والهلاك.. والمجتمع الذي تسود فيه الأنانية وتغيب فيه القيم، وينتشر فيه المنكر، حيث ستنتهي سفينته بالغرق والهلاك..

كما يوجه الحديث النبوي الشريف إلى المسؤولية المشتركة الملقاة على عاتق جميع الناس في المجتمع الواحد، والوطن الواحد.. فالجميع في سفينة واحدة يواجهون خطرا واحدا لا يفرق بين غني وفقير، وحاكم ومحكوم، وكبير وصغير، ورجل وامرأة، وعالم وأميٍّ، ومن ثم فإن أي خطأ يصدر من أي راكب على متن سفينة المجتمع في ظل هذه الظروف الحرجة سيضر بالجميع..

ومن ثم فإن اكساب المناعة الاجتماعية والنجاة من الغرق يكون بالتطبيق الصارم للإجراءات الاحترازية والوقائية والصحية الصادرة عن الجهات الرسمية والصحية تحقيقا لسلامة جميع ركاب السفينة، ومن ذلك عدم خرق حالة الطوارئ الصحية، والالتزام بالعزل المنزلي والحجر الصحي والتباعد الاجتماعي وارتداء الكمامات الوقائية والالتزام بالنظافة الشخصية، والأمل والإيجابية، ونشر التفاؤل، وكل ما يساعد على رفع المناعة الاجتماعية...

---

[1] تاريخ الطبري، 488/2.

[2] صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ح2361.

وهكذا فالقيم الاجتماعية تسهم في تحقيق المناعة الاجتماعية إزاء الآثار السلبية الناجمة عن هذا الوباء.

3 - القيم الإنسانية:

إن هذا الوباء فرصة لانهزام قيم الفردانية وإحياء القيم الإنسانية، لكن للأسف فضحت القيم الوجه القبيح للكثير من زعماء الغرب ومثقفيه، حيث نجد عددا من المسؤولين الأمريكيين وعلى رأسهم الرئيس "ترمب" اقترحوا إعطاء الأولوية للشباب في مقاومة كورونا فيروس على حساب المسنين، وإعطاء الأولية للاقتصاد والحفاظ على فرص الشغل على حساب صحة المواطنين..

وكذلك فيما وقع مع إيطاليا حيث قررت بعض الدول الأوربية عزلها بدل مساعدتها ولو بالكمامات الواقية.. مما دفعها وشعبها إلى توجيه انتقادات لاذعة لدول الاتحاد..

وعلاوة على ذلك فقد اعتبر الطبيب جون بول ميرا، في تصريح لقناة "LCI" الفرنسية، القارة الإفريقية حقل تجارب لاكتشاف لقاحات لكورونا، في إجابته على سؤال عن "إمكانية تجريب اللقاح في إفريقيا على غرار تجارب سابقة".. وهذا يعبر عن الوجه الاستعماري القبيح لهؤلاء الذين رفعوا شعارات إنسانية جوفاء منذ عقود..

في حين نجد الكثير من الدول المسلمة سارعت إلى تقديم المساعدات لبعض الدول الأوروبية والأمريكية وغيرها، انطلاقا من القيم الإنسانية التي لا تفرق بين بلد وبلد، ودين ودين، وجنس وآخر.

وتأسيسا عليه، فإن هذه الظرفية الحرجة التي تمر بها مجتمعاتنا اليوم، لا يمكن أن نتجاوزها خارج دائرة القيم، ولا يمكن أن نخرج من دهليزها بالأنانية والجشع والهلع ونشر الإشاعات.. وإنما بالقيم نتخطى الصعاب ونقتحم العقبات ونواجه هذه الجائحة حتى ترتفع بإذن الله.

اللهم اصرف هذا الوباء عن الإنسانية جمعاء.

مركزية القيم في حياة الإنسان: رؤية تربوية

أزمة كورونا نموذجا

د. ماجد عبد الله العصيمي

Dr. MAJED ABDULLAH ALOSAIMI

المركز الدولي للإستراتيجيات التربوية والأسرية

osimi2005@gmail.com

ما هو الانسان ؟

لم يحير العلماء شيء أكثر من حيرتهم في تتبع الطبيعة الإنسانية وتشكلاتها النفسية والعقلية ، حتى اصبحت موضوعاً محورياً محبباً للفلاسفة والمفكرين عبر التاريخ البشري ، وهي دلالة على تفرد هذا الكائن عن بقية المخلوقات على وجه هذا الكوكب مهما شغب على هذه الميزة متبني نظريات التطور والسلالات البيولوجية والذين وجدوا في براهين العلم الحديث واكتشافاته ما يزيد من نشوتهم بالنصر على فكرة التفرد الانساني التي بقيت عبر تاريخ البشرية فكرة مسيطرة – وستبقى – لأنها تلمس واقعا محسوساً داخل هذا الكائن.

لقد بقي العقل الفلسفي يدور في حلقة مفرغة ما تكاد تشعر بالتقدم في التعرف على ماهية الانسان ومحاولة الامساك بها، حتى تجد نفسها في مواجهة السؤال الوجودي الأكبر من انا؟ لتأتي عقول الفلاسفة الكبار – كديكارت و كانط – حاسمة هذا التيه بالقطيعة معه والتأسيس لما بعده ، لكن مأزق القيم والعقل الأخلاقي لم يترك لهم مجالاً للهروب الى الأمام متجاهلين هذا البعد الانساني الخطير والمؤثر في حياة الناس اليومية، فجاءت مصادرات كانط للعقل العملي كحل غير منطقي – او عقلاني من وجهة نظره – للتأسيس لهذا البعد الأهم والأخطر في شخصية الانسان.

بين العقل والأخلاق

لم يبتعد الانسان عن جوهر القيم والأخلاق كابتعاده عنها في هذا العصر ؛ بسبب سيطرة العقلانية المتطرفة ذات البعد المادي التي ظن الانسان بها ان باستطاعته عقلنة الأخلاق وتحويلها الى وسيلة أداتية مجردة عن بعدها الروحي الوجداني لتحقيق أهداف ملموسة ومشاهدة في واقع الحياة ، وهو ما عبرت عنه الفلسفة البرجماتية بوضوح في بدايات القرن العشرين ، معتبرة أن كل ما هو مفيد ونافع للفرد – او للمجتمع – هو فعل أخلاقي او بعبارتهم كل نافع فهو صادق ، وهو فرق تنبه له الفيلسوف المجاهد علي عزت بيجوفيتش معتبراً أن الانسان كائن يؤمن بالتضحية عكس الحيوان الذي لا يؤمن الا بالمصلحة أو المنفعة الحاضرة[1].

لكن تاريخ القرن العشرين وما انتجه من فضائع اخلاقية هز وجدان الانسان وجعله يدخل في حالة اكتئاب جمعي – ان صحت التسمية – ودفع بالملايين من الحيارى الى اعادة البحث عن معنى الوجود وسؤال الماهية وهذا يفسر تصاعد الموجه الوجودية في اواسط القرن عقب الحرب العالمية الثانية.

الانسان كائن أخلاقي

إن أي محاولة لتحييد البعد الأخلاقي المتجاوز[2] داخل شخصية الانسان يؤول - بشهادة التاريخ ووقائعه- الى تدمير حياة الانسان المادية قبل غيرها، وهنا يبز دائما السؤال الأهم وهو : كيف نؤسس للقيم والأخلاق في منظوماتنا التربوية استناداً الى قيم انسانية ضرورية ومشتركة لا يستغني عنها الجنس البشري.

لن نجد تبايناً كبيرا في تحديد القيم الكبرى التي يمكن للبشرية أن تنطلق منها ، ولهذا فهي مشترك انساني سواءً عند اتباع الأديان السماوية ، أو معتنقي الفلسفات العقلية الرشيدة ، ولذلك لن تجد منكراً لضرورة العدل ، او الوفاء بالعهد ، و أهمية الصبر او مركزية الصدق في حياة الفرد والمجتمع.

التربية هي الحل

لقد غرقت التربية المعاصرة في الاهتمام المفرط بالعقل ، مغفلة العناية بالوجدان وتنميته وتحليته بالقيم والأخلاق ، ولذلك تقدمت مادياً ،وتراجعت انسانياً وهذا ما اثبته التاريخ القريب للإنسان ، واكدته الأزمة التي نعيشها بانتشار وباء " كورونا COVID-19 " التي كشفت عن هشاشة الانسان في تكوينه الداخلي ،

([1]) انظر :الإسلام بين الشرق والغرب ، علي عزت بيجوفيتش ، ترجمة: محمد يوسف عدس، وهو قراءة الناقد الخبير بطبيعة الحضارة الغربية ونظرتها الأحادية المادية للإنسان.

([2]) أي تجاوز واقعه المادي الى فضاء اوسع ممتد الى حياة أخرى تتحقق فيها العدالة المطلقة والجزاء الأوفى.

وبناءه النفسي ، فحالة الهلع الذي اصيب به البشر يظهر خواء الداخل وضعف الوجدان ، وان لا نقطة مرجعية في داخله ليسكن اليها ويلوذ بها[1].

إن التربية التي أرادها الله للإنسان هي تربية توازن بين عقله وروحه ، دون أن تغفل احدهما او تغلب ايهما على الآخر، لكنها بالتأكيد جعلت الاساس الباني للإنسان والضامن الحقيقي لوجوده بُعده الأخلاقي، وله تستند ابعاده الأخرى وتنطلق منه وترجع اليه ، فهو معيارها وميزانها.

أن صور الهلع الذي نقلته وسائل الاعلام في بعض الدول الغربية – وربما الشرقية – للناس يتدافعون للحصول على السلع والاحتياجات الضرورية ، يظهر لنا كم هذا الانسان المتحضر بحاجة لقيم الصبر والإيثار ، والتوكل والاحسان ، وعدم اليأس والتفاؤل ، والتسليم والتفويض بعد بذل السبب ، قيماً ينشأ عليها منذ صغره ويمارسها طوال عمره حتى تنمو وتترعرع في داخله وتثمر طمأنينة وسكوناً يظهر في الازمات ويبرز فيه الانسان ككائن متعالي على ماديته لا يشبه انسان دارون ولا نيتشه مجرد وحش بري يضرب بمخلبه ليحافظ على بقائه دون أي وخزة ضمير عن مصير اخيه الانسان.

إن هذه الأزمة – أزمة كورونا – هي فرصة حقيقة للمراجعة لا على المستوى الفردي وحسب بل حتى على المستوى الاجتماعي ، وان أهم ما يمكن أن تطاله يد المراجعة الأنظمة التربوية في المؤسسات المختلفة – وخصوصا الأسرة والمدرسة – لنعيد الاعتبار للتربية الأخلاقية ونجعلها تربية مركزية تدور حولها كل انشطتنا التربوية والتعليمية ونجعلها رافد العقل ومرجعه وعونه على حياة أفضل – ليس مادياً فقط – ولكن انسانياً ايضاً، وهذا حديث تربوي يطول.

---

(1) تأمل اللفظ القرآني في قصة الثلاثة المخلفين عندما ضاقت عليهم الأرض ، اين كان الملجأ ، الى وجدانهم المعمور بالإيمان " **وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلا إِلَيْهِ** .." (التوبة:118)

مجلة
سناد للبحوث والدراسات التربوية والأسرية

رسائل وأطاريح

تقرير مناقشة أطروحة دكتوراه في موضوع:

أثر نشاط الغناء التربوي في التدريس والتعلم

ــ اللغة العربية بالمدرسة المغربية أنموذجا ــ

ناقش الباحث محمد الصيفي أطروحة الدكتوراه الموسومة بـــ: "أثر نشاط الغناء التربوي في التدريس والتعلم: اللغة العربية بالمدرسة المغربية أنموذجا"، تحت إشراف الأستاذ الدكتور أحمد الغازي، يوم الأربعاء 24 ربيع الثاني 1442، الموافق ل 9 دجنبر 2020، برحاب كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المملكة المغربية.

وقد تألفت لجنة المناقشة من الدكتورة نورة الغزاري رئيسة ومقررة؛ والدكتور أحمد الغازي مشرفا؛ والدكتور ادريس مقبول مقررا، والدكتور نبيل بن عبد الجليل مقررا. وقد منحت اللجنة الطالب الباحث تقدير مشرف جدا.

انطلقت الأطروحة " أثر نشاط الغناء التربوي في التدريس والتعلم: اللغة العربية بالمدرسة المغربية أنموذجا" من إشكالية طريقة التدريس والتّعلم بشكل عام، وبشكل خاص من طرائق تدريس اللغة العربية وتعلمها. فقد بينت التقارير الوطنية والدولية أن هذه الطرائق المستعملة غير ملائمة لمتعلم القرن الحادي والعشرين. وأظهرت مجموعة من الأبحاث والدراسات النقائص التي تشوب تدريس وتعلم اللغة العربية في المدرسة المغربية، واقترح بعضها حلولا نظرية وعملية، إلا أنها، وحسب علمنا وما توفر من الأبحاث المنشورة حتى حدود 2016، لم تهتم بتوظيف نشاط الغناء وتقنياته الأكاديمية في هذه العملية التعليمية التعلمية إلا النّذْر اليسير منها، وكان ذلك ضمن إشارات بسيطة لأهمية الموسيقى في التدريس.

في المقابل ثمة الكثير من البحوث غير العربية التي تناولت بالدراسة أثر الموسيقى والأعمال الغنائية في تدريس وتعلم اللغة، واهتم بعضها بالتجريب ودراسة الحالات. الشيء الذي أثار في نفسي غيرة على لغتنا العربية، التي تُدرّس بأساليب غير ناجعة ومنفّرة في بعض الأحيان. وبما أن لي تجربة مُزدوِجة : في مجال التدريس ومجال الإنشاد والغناء الأكاديمي، وعشت تجارب داخل الفصل الدراسي، لمست عن قرب أثر الغناءِ ونشاطِه على سلوك

المتعلمين وعلى بناء التعلمات خاصة اللغوية والتواصلية، واكتشفت في تجارب أخرى خارج المدرسة وفي أجواء احترافية، كيف يمكن للغناء أن يكون حافزا كبير ا لتعلم اللغات.

تسعى الأطروحة إلى تأكيد "أثر الغناء التربوي" على جودة التدريس والتعلم، وخاصة تدريس وتعلم اللغة، وتُقدّم لطريقة ديدكتيكية تجعل من تدريس وتعلم اللغة العربية ممارسةً فعليةً ممتعة وماتعة. وهذه الطريقة، بعد صياغة عُدّة ديدكتيكية (تشتمل على أعمال غنائية مختارة، ونماذج لاستثمار هذه الأعمال بتوظيف تقنيات الغناء)، تَم تجريبها في مستويين تعليميين: مستوى التعليم الابتدائي، ومستوى التعليم الثانوي. ولم يكن بالطبع بالإمكان صياغة هذه العدة المتكاملة والدقيقة في مكوناتها، إلا بالرجوع إلى النظريات السيكولوجية، والمقاربات البيداغوجية، واللسانيات التعليمية. واستُثمِرتِ التجارب الغربية الحديثة التي وَظَّفت الموسيقى والأعمال الغنائية في تجويد تعلم اللغة والتواصل بها، فكانت المقاربة الـمُعتمدة في هذه السيرورة البحثية، مقاربةً متعددة التخصصات interdisciplinary approach، جمعت بين ما هو لساني، وسيكولوجي، وتربوي، وتكنولوجي في إطار فني موسيقي. أما عن المنهج المتبع، فقد وُظِّف المنهج الوصفي التفسيري في الجزء الأول من البحث، والمنهج الوصفي التجريبي في الجزء الثاني الذي يتضمن التجريب العملي للعُدّة الديدكتيكية بالمدرسة المغربية.

ولم يقتصر البحث على الاهتمام بتدريس وتعلم اللغة العربية في جانبها التواصلي اللفظي فقط، بل اهتم أيضا بالجانب المتمم للفظي، والجانب غير اللفظي، لأهميتهما في عملية التواصل. ولم يتقيّد بتوظيف الأعمال الغنائية بأدائها فقط، بل تم استثمار كل مكونات النشاط الغنائي وتقنيات الغناء، في تدريب الأذْن وتربية الصوت لتحسين النطق، وتنمية قدرات التواصل باللغة العربية الفصحى.

وفيما يلي إجراءات التجربة العلمية التربوية ونتائجها الإحصائية:

أجريت الدراسة التجريبية على ثمان وتسعين متعلما في المدرسة العمومية المغربية بمدينة مكناس. ثمانٌ وأربعون منهم في مستوى التعليم الابتدائي، وخمسون متعلما في مستوى الثانوي في فصلين دراسيين منفصلين، أما المتغير المستقل الذي هو نشاط الغناء، فيحضر في فصل عينة التجريب، ويغيب عن العينة الضابطة، في حصة تدريس اللغة العربية. وكان اختيار عينتين: واحدة للتجريب والأخرى للضبط، ليتسنى مقارنة نتائج الاختبارات القبلية والبعدية المنجزة على كل العينات، بتوظيف الإحصائيات الوصفية descriptive statistics.

استمرّ تجريب العُدّة الديدكتيكية الخاصة بكل عينة تجريبية طَوَال النصف الثاني من السنة الدراسية 2017/2016.

وبعد مقارنة النتائج، ودراسة الإحصاءات، تم استخلاص ما يلي:

- أَبَان نشاط الغناء عن دافعية كبيرة لتعلم اللغة العربية داخل الفصل الدراسي؛

- تَحسّنَ مستوى الإدراك السمعي للمتعلمين، وازداد وعيهم الفونيمي والفونولوجي؛ (مما دفع إلى)

- تحسُّن النطق والقراءة ؛

- تحسن طريقة التواصل اللفظي والمتمم للفظي؛

- ارتفاع وعي المتعلمين لأهمية التواصل غير اللفظي؛

- ساهمت الألحان والإيقاعات المقرونة إلى كلمات الأعمال الغنائية في إغناء الرصيد اللغوي للمتعلمين؛

- الاستمرار في الاستماع إلى الأعمال الغنائية المنتقاة خارج الفصل والتغني بكلماتها، عَزّز بشكل جلي استدامة التعلُّمات، وكان هذا الانشغال بالاستماع لتلك الأعمال بمثابة انغماس في جو تعلّم اللغة العربية.

خلاصة

بعد البحث النظري والتجريبي تبين أن بإمكان نشاط الغناء التربوي خلق دينامية إيجابية في التدريس والتعلم، وهو قادر على تحسين كفايات المتعلمين اللغوية والتواصلية في اللغة العربية، إذا تم انتقاء الأعمال الغنائية المناسبة التي تحقق الأهداف التعليمية المرصودة، وتم استثمارها بطريقة ملائمة ومدروسة. كما يرفع نشاط الغناء الدافعية لتعلمها بخلق جو تفاعلي ممتعٍ وحيوي. أما الأعمال الغنائية المُستثمرة في هذا النشاط التربوي، فبإمكانها أن تكون أداةً ديدكتيكية لتدريس اللغة العربية، وحفظُها وتخزينها في الذاكرة من خلال الاستماع الواعي والمستمر، يثري الرصيد اللغوي للمتعلمين.

لم تخلو سيرورة البحث والتجريب من عقبات وصعاب، وكان على رأسها:

- قلة المراجع العربية في المجال الموسيقي والتربية بالموسيقى؛

- واستدعت الأطروحة حضور عدة تخصصات علمية.

ونسعى لاحقا، بإذن الله، توسيع مجال تجريب العدة الديدكتيكية الخاصة بتدريس وتعلم اللغة العربية بالممارسة والمتعة -كما أسميناها-، لتشمل عددا أكبر من المتعلمين، ومستويات تعليمية أخرى.

أهم توصيات البحث:

- إعادة النظر في طرق تدريس وتعلم اللغة العربية، وجعلها أكثر جاذبية؛

- الحث على توظيف أعمال غنائية تربوية في تدريس وتعلم اللغة العربية؛

- تمكين مدرسي اللغة العربية من أعمال غنائية منتقاة بعنائية من لدن لجان تضم خبراء في اللغة العربية وفي تقنيات الغناء والموسيقى؛

-تمكين مدرسي اللغة العربية من تكوينات في طرق استثمار الأعمال الغنائية، وكيفية توظيف تقنيات الغناء في تربية السمع وتربية الصوت، أو جعل متخصص في الغناء والموسيقى في كل مؤسسة تعليمية، ينسق مع هؤلاء الأساتذة، فيعملون على تحقيق مشاريع تخدم اللغة العربية؛

-اعتماد أنشطة محفزة وتفاعلية تساير التطورات التكنولوجية الحديثة، لتدريس اللغة العربية وتعلمها؛

-دعوة المختصين في مجال إبداع وإنتاج أعمال غنائية تربوية بالعربية الفصحى، لتوفير كتيّبات خاصة بهذا الغرض مصحوبة بحامل صوتي support auditif (قرص مدمج أو غيره)، وهذا لافتقار الخزانة السمعية العربية -والمغربية على الخصوص- من أعمال غنائية تربوية باللغة الفصحى تليق بالطفل على الخصوص وبمتعلم اللغة العربية بشكل عام؛

-تربية الذوق والحس السمعي للمتعلمين منذ الصغر، وتدريب أسماعهم للرفع من وعيهم السمعي، وقدراتهم على الإنصات والتركيز؛

قواعد النشر في المجلة

- يشترط لقبول البحوث والدراسات المقدمة للنشر بالمجلة أن تتسم بالأصالة الفكرية، والأمانة العلمية، واحترام مناهج البحث، وقواعد النظر العلمي السليم، مع سلامة اللغة، ووضوح الفكرة.

- الانضباط لقواعد التوثيق المعتمدة في مؤسسات البحث العلمي، مع ضرورة الإحالة على المصادر الأصلية.

- ألا يكون قد سبق نشره في مجلة أخرى أو مؤتمر.

- ضرورة الإشارة في الصفحة الأولى من البحث للبيانات التالية: *العنوان باللغتين العربية والإنجليزية *الاسم الكامل للباحث ثلاثيا باللغتين العربية والأجنبية *الوصف الوظيفي *المؤسسة التي ينتمي إليها *بريده الإلكتروني.

- أن يُرفق الباحث مع بحثه ملخصا عن سيرته الذاتية وصفته العلمية.

- لا بد أن تكون تقارير الرسائل والأطاريح المناقشة المرسلة للنشر في باب: "**رسائل وأطاريح**" حديثة العهد، مع ضرورة إرسال: *اسم الباحث *عنوان البحث *تاريخ المناقشة ومكانها وأعضاء اللجنة *أهداف البحث وتوصياته *صورة توثق للحدث.

- تستقل كل صفحة من صفحات البحث بهوامشها وإحالاتها.

- إدراج ملخص للبحث باللغتين العربية والإنجليزية أو الفرنسية في صدر البحث.

- يجب ألا يقل البحث عن 3000 كلمة، ولا يتجاوز 7000 كلمة. (**هذا الشرط خاص بباب: "أبحاث ودراسات"، ويمكن أن يكون بعدد أقل في الأبواب الأخرى**).

يبعث البحث مرقونا مصححا مستوفيا للشروط السالفة إلى البريد الإلكتروني للمجلة أو المركز

في نسختين: WORD/PDF

senadmagazine@gmail.com

info@icefs.net

أبواب المجلة الثابتة

- **باب ملف العدد:** يختص بدراسة قضية تربوية وأسرية محددة بمقاربات مختلفة.

- **باب دراسات وأبحاث:** يتضمن دراسات وأبحاث تربوية وأسرية متنوعة.

- **باب قراءات ومراجعات:** يعرض لقراءات مُعَرِّفَة وناقدة ومُتَأمِّلَة في الرصيد الفكري المكتبي في مجالات التربية والأسرة.

- **باب مهارات وتعلمات:** يتوجه إلى الجانب المهاراتي مستهدفا التعلمات العملية التطبيقية، معتنيا بمجموعة من المهارات التربوية والاجتماعية والنفسية..

- **باب لمعات وإضاءات:** مساحة حرة للتأملات الفكرية، والمقالات الاستشرافية، والنظرات المتحررة من قيود الكتابة الأكاديمية...

- **باب حوارات ومناقشات:** نستضيف من خلاله شخصيات فكرية وقامات علمية وازنة ومؤثرة في تخصصها ومجالات اشتغالها.

- **باب ترجمات تربوية وأسرية:** يهتم بترجمة مباحث من كتب أو مقالات كُتبت بلغة غير اللغة العربية، واشتهرت بقيمتها العلمية وتأثيراتها المعرفية؛ مع التعريف بالكاتب والعمل المترجم من حيث تأثيره وقيمته.

- **باب رسائل وأطاريح:** يتم فيه عرض تقارير رسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه التي نوقشت في الجامعات العربية والعالمية والتي اعتنت بقضايا التربية والأسرة.

- **باب إصدارات المركز.**

- **باب مؤتمرات المركز.**

00447470188659 info@icefs.net www.icefs.net

United Kingdom , London , 27 Old Gloucester Street , WC1N3AX